المستشار طه الشريف
النائب السابق لرئيس محكمة النقض

التوراة . الإنجيل . القرآن

دراسة تحليلية موثقة بالنصوص الحرفية

دراسات كتبت بحياد كامل عن المسائل الجوهرية فى الكتب المقدسة من بينها :

الصراعات الدينية - التوراة - أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية - الشرائع والطقوس فى التوراة - أنبياء بنى إسرائيل - أسفار الأنبياء - التاريخ اليهودى - تاريخ التوراة - العقيدة الإلهية فى التوراة - موسى نبى اليهودية عليه السلام - الخصائص الجوهرية للديانة اليهودية .

الإنجيل - حقائق عن الإناجيل - تاريخ وضع الإناجيل - أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا - التوافق والإختلاف بين الإناجيل - معجزات المسيح عليه السلام - النبوءات المسيانية - الشخصية المتميزة للمسيح - العقيدة الإلهية للديانة المسيحية - الخصائص الجوهرية للدين المسيحى .

القرآن : الوحى - آراء المستشرقين - رد علماء المسلمين - نزول القرآن على النبى محمد بألفاظه ومعاينة - جمع القرآن وتدوينه - تفسيره - الناسخ والمنسوخ فى القرآن - المحكم والمتشابه - الرد على قصة الغرانيق - محمد نبى الإسلام عليه السلام - مواقف فى حياة محمد - آراء المستشرقين ورد علماء الإسلام فى تعدد زوجاته ومعاملته لأسرى اليهود - الترابط بين آيات القرآن - دراسة مقارنة للتطابق بين الآيات - دراسة مقارنة للتطابق بين الآيات القرآنية ونصوص التوراة - العقيدة الإلهية فى الإسلام - الخصائص الجوهرية للإسلام .

(الطبعة الأولى ٢٠٠١)

المستشار طه الشريف

النائب السابق لرئيس محكمة النقض

التوراة . الإنجيل . القرآن

دراسة تحليلية موثقة بالنصوص الحرفية

★ ★ ★ ★

(الطبعة الأولى ٢٠٠١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

التدين ليس غريزة من غرائز الجنس البشري ولكنه غريزة في النفس الإنســانية إن صــح هذا التعبير ولا نقصد بالتدين اعتناق دين من الأديان السماوية – بل هو كل ميل لتبني عقيدة من العقائد اللاهوتية.

فالإنسان الأول عبد الحجر كرمز لإلهه ثم عبد الشمس أو القمر .. ثم جاء عليه دور ظل في حيرة من أمره يبحث فلا يهتدى لأنه لم ير الله جهارا، ولم يقنعه استقامة الحياة علي بنيان دقيق للدلالة علي وجود الخالق، ثم جاءت مــرحلة الأديان فخرجت اليهودية بالإنسان عن نطاق عبادة الطبيعة فكان الله فــي مفهومها ذاتا خالقا للسموات والأرض وما بينهما، خلق الشعب اليهودي ليكون شعبه المختار الذى يحفل به دون سائر الشعوب والمخلوقات .. وكان موسى هو رسوله إلى البشر وكانت التوراة هي كتابه المقدس .

ثــم جــاءت المســيحية تؤمــن بثالوث مقدس - الآب والابن والروح القدس وهو إله متعدد الصفات دون تعدد للذات، وكان مفهوم المسيحية أن الرب المقدس نزل إلى أرض الإنسان ليكون فداءهم من خطيئة آدم بإراقة دمه علي الصليب ، وهو إله لكل البشر بغير تفرقة بين جنس وجنس .

ثــم جــاء الإسلام ليبرز ذات الله كقوة خالقة غير منظورة منزهة عن النظائر يحيط بالعباد ولا يحيطون به وهو إله لكل البشر لا يختص برحمته شعبا بعينه إلا بقدر إيمانهم به وخضوعهم له .

غير أن الكتب الثلاثة كما اتفقت في العديد من الوصايا اختلفت اختلافا بينا في العبادات والمعاملات وفي النظرة إلى ذات الله المعبود ..

ولقد فرضت تقاليد البشر الموروثة منذ بدء الخليقة .. أن يرث الأبناء أديان آبائهم أو عقائدهم وهي حتمية سلوكية فرضها الإنسان في قاموس حياته ومن هنا تولدت روح العنصرية بين أتباع كل دين، فالدفاع عن العقيدة ليس منهجاً من مناهج التقرب إلى الله بقدر كونه دفاعا عن الطائفة التي ينتمي إليها ودفاعا عن آبائه وأجداده، ومن ثم قال أحد الحكماء .. لست حراً في اختيار عقيدتي الدينية، لأنني أقابل بالرفض والطرد من طائفتي بل ومن أمي وأبى حيث تعلن وفاتي بينهم وأنا علي قيد الحياة وبسبب هذه العنصرية قامت الصراعات الدينية منذ ظهور الديانات فقتل عشرات الآلاف من البشر أو أحرقت أجسادهم ودارت حروب طاحنة بين الأتباع من هنا وهناك، ولم يكن ذلك بسبب اقتناعهم الفكري بصحة ما يؤمنون به بل بسبب شحن نفوس البسطاء منهم وخدمة للمطامع السياسية والعسكرية للحاكمين، ولعلك إن سمعت آراء المحاربين والقاتلين لاخوتهم في الإنسانية بسبب الصراعات الدينية لا تجد سوى كلمات محفوظة ..يقولون نحاربهم لأنهم كفرة ومارقون .. وهي عبارة تقال علي ألسنة الجميع فاليهود كفرة ومارقون في نظر المسيحيين المسلمين ، والمسيحيون كفرة ومارقون في نظر اليهود والمسلمين، والمسلمون كفرة ومارقون في نظر اليهود والمسيحيين ، والأكثر غرابة أن الصراعات امتدت لتشمل اتباع الدين ذاته من أصحاب الملل والنحل والمذاهب المختلفة ، حتى باتوا جماعات متناحرة – فرقة مسلمة تكفر فرقة أخري ، ويتكرر التكفير في غيره من الأديان . ولعل ذلك راجع إلى الجهل بالحقائق وإلى سطحية الإيمان الموروث وانغلاق العقول وتفاقم الهامشية الفكرية بين الغالبية العظمى من بني البشر فلا أحد يريد أن يقرأ أو يفكر أو يتأمل .

ولعل سائل يسأل .. كيف تكون الأديان محرضا علي القتل والذبح والإحراق وفيم كانت إذن إن لم تكن هادية للبشرية

ولعلنا نجيب أن الأديان كلها تحض علي الفضيلة ، وعبادة الله ولكن كهانها حشروا بين أصلابها الأساطير والخرافات فاختلط الحق بالباطل حتى صارت العقيدة حُبلى بأجنة من مصادر شتى يصعب التمييز بينها ، بل إن دور الكهان والمتشددين في كل دين لم يقتصر علي الحشو والتغريب في عقيدتهم بل جندوا أنفسهم جنودا ينفثون سموم العنصرية في أتباعهم سعياً إلى الانتقام والثأر من مخالفيهم ، ولم يكن ذلك في الغالب الأعم استجلابا لرضاء الله لأن الله لا يرضى بسبب ما أنزله من أديان أن تصير الحياة بين بشره مجزرة كبيرة تراق فيها دماء بشرية غالية ، وإنما كان موقف الكهان المتشددين استعلاء بالذات علي البسطاء ومحاولة لفرض سيطرتهم التامة وفرض الخوف والقهر علي أتباعهم .

ولاشك أن العقيدة الصحيحة تقوم علي المنطق السليم ولا تقوم علي خرافات وأساطير ، فحين ترى خرافة تفرض عليك باسم الدين - فلا شك أنها أسطورة دخيلة علي صفاء الدين ونقائه فلا يخدعك في شأن قبولها أو رفضها قول معسول أو صك لغفران الذنوب أو وعيد بالنار أو جواز لدخول الجنة .. وحينئذ .. نستطيع أن نحافظ علي سلامة الأصول الصحيحة للدين من التحريف والتغريب .

وحتى لا تصير الأديان لعبة الكهان والحكام والمتشددين، وحتى لا تكون مخدرا يحقن الشعوب بغيبوبة العقل ممن يجيدون لغة الضرب علي أوتار القلوب أو من المستغلين لهوامش العقول الرافضين لحرية الفكر والمنطق المكرسين لجهالة الإنسان بالحقائق . وضعنا هذا الكتاب .

لقد عرضنا فيه كل الحقائق مبرأة عن الهوى بعيدة عن الميل والتعصب نرجو أن نفتح به إلى العقول المفكرة طريقاً للتأمل الواعي الجاد

المنصـــف وأن نغلق به منابع الهامشية الفكرية، وأن نسحب به آثار المخدر الأســطوري الخرافــي وأن يكــون الجب الذي يسقط فيه المزيفون للحقائق المحرفون لسنن الله في خلقه.

إنـــه دعــوة للإيمان بإله واحد لا تتعدد صوره بتعدد الأديان ، إيمان الموقنين بعقولهم الرافضين لكل صور الجهل والقهر والخوف .

فــإن تحقــق لي ما ابتغيت فهو توفيق من الله وإلا فإن الخطأ وارد والكمال لله وحده .

المؤلــف

المستشار طـه الشريف

المبحث الأول

الصراعات الدينية

الصراعات الدينية

في هذا الفصل نقدم موجزا لبعض الصراعات الدينية منذ ظهور اليهودية .

(١) عند ظهور العبرانيين كقبائل رحل ، وحين توجهوا إلي أرض كنعان كما يقول ول ديورانت " لقد قتلوا من الكنعانيين أكثر من إثنى عشر ألف رجل وسبوا مابقى من نسائهم وجرت دماء القتلى أنهارا ".

(٢) ولقد كان يشوع خليفة موسى عليه السلام قائدا متعطشا للدماء فلم يكن يؤمن بالسلام بل بالقتل والحرق والدمار.

(٣) غير أن الكرة ردت علي اليهود فتعرضوا للقتل والذبح علي يد البابليين وأسر منهم الآلاف وسبيت نساؤهم وتشتت اليهود في كل بقاع العالم .

(٤) وفي عصر الإغريق كانت كنعان (فلسطين الحالية) تابعة للحكم المصري اليوناني عام ١٩٨٠ ق.م إذ حاول الإمبراطور إينوخوس فرض الإلة زيوس علي معبود اليهود وحين رفضوا ذبح منهم الآلاف ودنس هيكلهم وصادر ذهب المذبح وبنى فيه ضريحا لزيوس وجعل الختان جريمة عقوبتها الإعدام، ثم قام بحرق كتب اليهود وأشعل النار في أورشليم .

(٥) وكان تعذيب المسيحيين علي يد نيرون أمرا يفوق الوصف فصدر مرسوم الإضطهاد بحرق جميع الكنائس وبإعدام أي شخص يظهر مسيحيته وحرقت كافة كتب المسيحيين وأعدم دقلديانوس عدة آلاف من المسيحيين حتى إمتلأ النهر بدمائهم .

(٦) عذب النبي محمد (ص) عليه السلام وأصحابه والأرقاء عذاباً شديداً في بداية الدعوة الإسلامية وكان زعماء قريش يعذبون بعض المسلمين حتى الموت ثم قامت غزوات بين قريش وأتباع محمد (ص) سقط فيها العشرات ومثل القرشيون بأجساد بعض المسلمين حتى أن هندا مضغت كبد حمزة عم الرسول(ص) .

(٧) ومنذ ظهور المسيح بدأت حركة تكفير اليهود للمسيّح عليه السلام وأتباعه وكفر المسيحيون اليهود لأن من لا يؤمن بالمسيح بعد ظهوره يعتبر كافراً.

(٨) في أسبانيا عندما أعتنق الملك ريكارد الدين المسيحي مارس المسيحيون علي اليهود أبشع صور التعذيب وأمر الملك سيزبوت جميع اليهود المقيمين بأسبانيا إعتناق المسيحية أو طردهم منها ومن يرتد منهم إلي اليهودية يعتبر عبداً رقيقاً ، ومن ثم ساعد اليهود العرب علي دخول أسبانيا وكانت حجة المسيحيين في أسبانيا أنه من العار أن يوجد علي أرض أسبانيا يهودي وفرضوا سنة ١٢١٥ م أن يلبس اليهود رداءً خاصاً يميزهم عن المسيحيين المؤمنين باعتبارهم كفرة.

وقد بلغ عدد اليهود في أسبانيا في ذلك الوقت حوالي مائتين وخمسة وثلاثين ألف وكان التعذيب يتم بربط اليهود بعضهم إلي بعض وإطلاق الكلاب المتوحشة عليهم لنهش لحومهم ثم تشعل النار في أجسادهم .

وفي البرتغال سمح لليهود بالهجرة إلي الصحارى والفيافي حيث السباع والحيوانات المتوحشة فتعرض الغالبية منهم إما للموت جوعا وإما لنهش لحومهم أو إسترقاقهم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمد المسيحيون المتشددون إلي إنتزاع أبناء اليهود منهم حتي يتم تربيتهم وتنشئتهم نشأة مسيحية إلا أن الأمهات فضلن إغراق أنفسهن بأطفالهن بدلا من تحمل عذاب فراق أولادهن.

وقد وصل ألم التعذيب إلي حد أن اليهودي كان يطمر وليده في التراب وهـو حيّ ثم يقتل نفسه هروبا من الآلام التي لا تحتمل .

وقد أعتبر المسيحيون اليهود شعباً نجساً وأن زوجاتهم عاهرات كما فرض علي اليهود في بعض الدول أن يمثلهم كبيرهم في احتفال المسـيحيين بأعيادهم في الجمعة الحزينة ثم يصفع علي وجهه ويبصق عليه بإعتبـار أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح .

وفي عام ١٢٥٤ في فرنسا تم طرد جميع اليهود فـي مظـاهرة تعذيب قاتله وكان عددهم قد تجاوز عشرآت الألوف .

وفي بداية العصر النبوي وفي يثرب حدثت صراعات أخرى بيـن المسلمين واليهود حيث كانوا يقومون بتدبير الدسـائس والمؤامـرات ضـد المسلمين.

ورغم أن المسلمين حاولوا التعايش مع اليهود إلا أن هؤلاء رفضـوا التعامل السلمي لإحتقارهم للمسلمين وعقيدتهم ويذكر أن الرسول محمد (ص) كتب لهم كتاب أمان وسمح لمن بقي علي دينه أن يقيم شعائره .

وابتدع اليهود حرب الجدل والحوار السوفسطائي مع المسلمين ليفتنوهم عن دينهم بل وأوعزوا لبعض أحبارهم بالتظاهر بالإسلام لإدخال الأسـاطير والخرافات وتزييف وتحريف الأحاديث النبوية ونسبتها إلي النبي محمد (ص) كما حاولوا الوقيعة بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والأنصـار، إلا أن المسلمين لم يقفوا مكتوفي الأيدي فطردوا قبيلة قينقاع وقبيلة بنـي النضـير اليهوديتين أما قبيلة بني قريظة فإنه في أرجح الأقوال بعد أن غـدرت بالمسلمين حكم بقتل الرجال وسبي النساء والأولاد ومصادرة الأموال وقـام المسلمون بذبح جميع رجالها .

وفي عهد عمر بن الخطاب كتب للمسيحيين كتاب أمان علي أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وكنائسهم وصلى عمر في كنيسة في بيت لحم ولكنه رفض الصلاة في كنائس أخرى .

وفي عهد الدولة البيزنطية نشأت حروب طاحنة بين المسلمين والمسيحيين إيماناً من المسيحيين بأن الإسلام كفرو هرطقة (تراجع رسائل يوحنا الدمشقي)

وفي بعض الدول العربية نظر الحكام إلي المسيحيين نظرة لا تتفق مع سماحة الإسلام، فبعد الإستيلاء علي مصر بقيادة عمرو بن العاص لجأ بعض الولاة إلي دمغ يد كل مسيحي بخاتم من حديد حتى يبدو واضحاً للناس في هويته فإذا تبين أن أحدهم أخفى نفسه حتي لا تدمغ يده حكم بقطعها .

وفي أواخر حكم يزيد بن عبد الملك ضرب الخليفة أعناق الرهبان وهدم الكنائس وأحرق الصلبان (حوالي عام ١٠٤ هـ) .

وفي عهد المتوكل ألزم الأقباط المصريين بارتداء أزياء ذات ألوان محددة وأشكال خاصة وقد زادت آلامهم حين أجبر بعض الولاة الأقباط بوضع تماثيل تمثل الشيطان علي أبواب منازلهم .

وقد تغير الأمر في عهد المعز لدين الله الفاطمي ومن لحقه من الولاة فأصبح للأقباط حظوة كبيرة وأسندت إليهم العديد من الوظائف العليا الهامة .

وعلي عكس منهج المعز كان الحاكم بأمر الله فقد قبض علي عيسى بن نسطوروس وكان في درجة وزير وكذا فهد بن إبراهيم النصراني وضرب عنقيهما وأمر كل مسيحي بشد زنارحول خصره وأوقف الاحتفالات المسيحية بالأعياد .

وبالنسبة للمسلمين الذين وقعوا في أسر الدولة البيزنطية خلال حكم عمر بن عبد العزيز فقد دفعتهم الدولة إلي إعتناق المسيحية قهراً ومن يرفض تفقأ عينه أو يعذب أو يقتل .

*** في مرحلة الحروب الصليبية**

قبل قيام الحروب الصليبية – عندما استولى الأتراك المسلمون السلاجقة علي بيت المقدس وبيت لحم عذبوا المسيحيين عذاباً مهيناً وامتهنوا حرمة كنائسهم وأوقفوا الحج ، ومن ثم هب المسيحيون في أنحاء أوربا لإنقاذ الأماكن المقدسة المسيحية من أيدي المسلمين وأخذوا ينادون بالحرب لأن الأماكن المقدسة وقعت في أيدي جنس لعين ووقف البابا يخطب في أماكن متعددة لبث الدماء الساخنة في العروق المسيحية ، ولم يكن للحروب الصليبية أهدافها الدينية المعلنة فحسب بل كانت لها أيضا أهدافها السياسية .

هاجمت القوات المسيحية أورشليم القدس وحاصروا المسلمين (١) وأعملوا القتل في الرجال والنساء وكانوا يبتكرون من وسائل القتل ما يثير متعتهم إذ أمروا النساء بأن يقفن صفوفاً ثم يتقدم فارس منهم ليطعن كل إمرأة في المكان الذي يعجبه من جسدها وإذا كانت حُبلى طعنها في رحمها أو بطنها ليرى سقوط جنينها من أحشائها أما الأطفال فكانوا ينتزعون من صدور أمهاتهم ويلقى بهم من الأبراج العالية وكانوا يضعون رؤوس الرجال تحت أحذيتهم الثقيلة لمحاولة تهشيمها .

*** وبالنسبة لليهود**

لم يكن الصليبيون علي وفاق مع الديانة اليهودية في بداية الأمر ومن ثم فقد أشعلوا في اليهود الحرق بالنار وهم أحياء وكانوا يلقون بهم في آبار المجاري باعتبارهم شعباً نجساً تسبب في صلب المسيح .

---

(١) يقول القس ريموند " وشاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس أعداد كبيرة من المسلمين وقتل غيرهم وأرغموا علي إلقاء أنفسهم من فوق الأبراج وأحرق البعض حيا وتناثرت الرؤوس البشرية والأقدام والأيدي حتي باتت الطرق مغطاة بالجثث التي بدأت الحيوانات الضالة في نهشها "

*** الإعلان عن هدم الكعبة**

وفي غمار انتصارات الصليبيين أعلن أحد أمرائـــهم إصــراره علــي الاستيلاءعلي مكة ويثرب (المدينة المنورة) وهدم الكعبــة وقــبر الرســول محمد

عليه السلام (١) .

*** الكرّة تدور علي الصليبين**

وبسبب هذا السلوك المجنون اتحد المسلمون وقام صلاح الدين الأيوبي بحملاته العسكرية ضد الصليبيين حيث هزمهم واستولى علي أورشليم ولكنــه لم يفعل بهم ما سبق أن فعلوه في المسلمين بل إنه وزع بعــض الأمــوال والأقوات علي النساء اللائى فقدن أزواجهن في القتال وقام بعلاج ريتشــارد قلب الأسد حيث بعث له بطبيب خاص

*** الظاهر بيبرس والصليبيون**

تمكن الظاهر بيبرس من الاستيلاء علي جميع المـــدن التــي احتلــها الصليبيون بما فيها عكا وقد تبين له أن بعض المسيحيين قاموا بشنق تجارهـا المسلمين أثناء قيامهم بالتجارة مما دفعه إلي حصار عكـــا وفتحـــها فدخلـــها المسلمون وقتلوا جميع من بها من المسيحيين والبالغ عددهم أربعيـــن ألـــف مسيحي وتم سبي النساء واتخذوا الغلمان عبيداً لهم واستمر الصـــراع بيــن المسلمين والمسيحيين مدة لاتقل عن تسعمائة سنة .

*** علاقة المسيحيين بالمسلمين في أسبانيا**

وكما فعل المسيحيون باليهود في أسبانيا فقد فعلوا أكثر منه بالنسبـــة

(١) لم يقف التعذيب علي المدن المحيطة بالقدس بل أن الصليبيين عندما اســتولوا علــي القسطنطينية هتكوا أعراض النساء وأحرقوا المسجد الكبير وقتلوا المصلين حيث ظل اشتعال النار فيه ليالٍ عديدة .

للمسلمين حيث أرغموا بعضهم علي اعتناق المسيحية ومن يرفض يتم قتله علي الفور وقد حاول أبناء المغرب الاعتصام بالجبال فتبعهم المسيحيون ونزعوا منهم أطفالهم و من بقي من المسلمين في شعاب أسبانيا فقد تم طردهم في أسوأ حركة تهجير جماعية عرفها التاريخ وكان عدد المسلمين المطرودين قد بلغ ثلاثة ملايين مسلم .

* الفلسطينيون واللبنانيون محارق لليهود

في خضم الصراع العربي الإسرائيلي قتل وأحرق الآلاف من المسلمين بسبب استيلاء اليهود علي أرض فلسطين عام ١٩٤٨ وقامت فرق الهاجاناة وغيرها بقتل الفلسطينيين وإحراقهم أحياء للإستيلاء علي أرضهم وبقرت بطون الحبالى من النساء ومثل اليهود بالأجنة أبشع تمثيل ولم يتوقف الصراع منذ دخول يشوع أرض فلسطين حتي الآن .

واحتلت إسرائيل الجنوب اللبناني واستعملت بعض الخونة من اللبنانيين ليحموا ظهرها من هجمات حزب الله، وتوالت الهجمات الصاروخية الإسرائيلية علي أرض لبنان ولم تفرق بين المدنيين والعسكريين، وكثيراً ما نرى حوادث اقتحام لبعض اليهود المتشددين للمساجد أثناء إقامة الصلوات الإسلامية وقتل من فيها من المصلين .

ولم يقم الصراع في حقيقته علي أسباب سياسية فحسب بل قام في المحل الأول علي أسباب دينية فقد بدأ صراعاً دينياً حيث يؤمن اليهود بما جاء في التوراة من أن أرض فلسطين هي أرض الميعاد التي اختارها إلّههم لجمع شمل بني إسرائيل ولم تقف التوراة عند هذا الحد علي ما سوف نرى بل إنها أمرت بني إسرائيل بقتل وذبح وحرق الرجال الذين يسكنون أرض الميعاد وتحطيم معابدهم وسبي نسائهم ولقد ظل منهج اليهود موافقاً لتعاليم التوراة قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره .

واشتعلت في المنطقة حروب طاحنة بين اليهود و العرب عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ واشتعلت في أرض فلسطين روح المقاومة ضد اليهود فظهرت تشكيلات عسكرية ومنظمات مقاومة فلسطينية لاسترجاع أرض الفلسطينيين ، وأصبحت إسرائيل في مفهوم العقل العربي والضمير الإسلامي شوكة زرعتها القوى الأجنبية المسيحية في ظهر العرب، ولاتزال.

بينما ينادي اليهود بأنهم يعودون لأرضهم المختارة من إلههم (يهو) وبذلك استقر في وجدان المسلمين واليهود أن كلا منهم علي حق في عقيدته الدينية وأن الطرف الآخر علي باطل ورغم التطبيع الذي انتهجته مصر مع اليهود إلا أنه كان تصرفاً مقصوراً علي السلطة الحاكمة في الدولة دون الشعب المصري الذي رفض التطبيع كلية إلا علي بعض اليساريين المصريين .

الصراع بين المسلمين والمسيحيين في الدول العربية

ظل الصراع قائماً حتى في العصر الحديث ، ففي لبنان قامت حرب أهلية بين أبناء الوطن الواحد كانت لها أطراف متعددة .. بين المسلم والمسيحي، وبين المسيحي الذي ينتمي لطائفة معينة ومسيحي آخر ينتمي لطائفة أخرى امتداداً للصراع القائم بين الطوائف المسيحية الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية ولكن هذا الصراع قد انتهى والحمد لله .

وفي مصر رغم وحدة عنصري الأمة المصرية تظهر بعض الفتن العنصرية بسبب انغلاق عقول المتشددين من الطرفين ، ومن ثم ظهرت حوادث الزاوية الحمراء وحادثتي الكُشح ، إلا أن الفرقة في مصر ليست

ظاهرة اجتماعية أو دينية حيث لا تسمح الدولة بقيامها أو تشجيع أحداثها بل إن الدولة ممثلة في حكوماتها المتعاقبة وخاصة في الآونة الأخيرة - لا تفرق في تقلد الوظائف العامة بين مسلم ومسيحي ، ويشارك المسيحيون في صنع القرار السياسي عن طريق اشتراكهم في مجلس الوزراء وفي الوظائف القيادية بينما في بعض الدول العربية لا يسمح للمسيحي بتقلد الوظائف الهامة ورغم التقاء القيادات الدينية في معظم المناسبات في عديد من الدول العربية

إلا أن بعض المتشددين من الطرفين يغذون عن طريق أحاديثهم في المساجد والكنائس الفرقة بين الطرفين .. امتدادا لقناعة كل منهم أنه علي حق وأن الآخرين علي باطل.

وهو أمر سرعان ما تحتويه القيادات الدينية.

*** عقيدة التكفير**

وفي بعض الدول الإسلامية نشأت عند المتشددين من الإسلاميين عقيدة تكفير المجتمع حكومة وشعبا مسلمين وغير مسلمين، وتقوم هذه العقيدة علي أساس أن المجتمع في العصر الحالي كافر بكل أفراده طالما استحلوا الفوائد المصرفية ولم يفرضوا النقاب علي نسائهم وابتعدوا عن فريضة الجهاد ضد الكفار أعداء الدين ولم يحكموا بشرائع الإسلام في الحدود والمعاملات والعبادات ، ووسيلتهم في فرض عقيدتهم ليس الحوار والموعظة الحسنة بل هو الدم استنادا إلي بعض آيات في القرآن الكريم وخاصة آية السيف " " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " وقد اعمل المتشددون القتل والذبح لبني وطنهم لا يفرقون بين مسلم وغير مسلم، وخرجوا عن نطاق وطنهم إلي أماكن متفرقة من العالم يضعون المتفجرات في المؤسسات الأجنبية فتقتل أو تصيب من يتواجد فيها بغير تمييز .

وكانت الجزائر هي الصورة الصارخة لتنفيذ وسيلتهم في فرض عقيدتهم إيماناً منهم بأن من لم يحكم بشرائع الله وجب قتله ، ومن يتخاذل عن الجهاد وجب قتله ومن خرج عن جماعتهم وجب قتله .

ولعل هذه العنصرية الدينية والطائفية ترجع إلي غياب العقل الواعي للمتشددين فقد تخيلوا أنهم حراس شريعة الله في أرضه وأنهم فوضوا من لدنه بإقامة شريعته بالقوة والقهر أو بالفتنة والحوار الخادع أو بالتحريف والتزييف لعقائد الله وسننه ولئن رأيت واحداً من هؤلاء يهودياً أو مسيحياً أو مسلماً وجدت فيه إقتناعاً كاملاً بصحة عقيدته وصحة منهجه في فرضها وبطلان عقائد الآخرين وهو أمر يجعل العقائد جميعها محل شك في صحتها أو محل شك في بطلانها ومن ثم تتناقض جميعها ، وليس لهذا بعث الله الرسل بأديانهم .

ومن نافلة القول انه لا يجوز ان يتخذ الدين وسيلة للتكفير أو فرض العقائد الأخرى بالقهر والتسلط ، فالدين علاقة بين الله والإنسان يجب ان تتسم بالشفافية وسمو النفس ولا تصطبغ بالدم او تكون سببا فى الفرقة بين عناصر الأمة الواحدة.

مصـــادر البــحث

اعتمدنا أساساً في بحثنا علي المصادر الأساسية وهي الكتب المقدسة ولم نلجأ لغيرها من مصادر الديانات الثلاث كأسفار أنبياء إسرائيل بالنسبة للتوراة وأعمال الرسل بالنسبة للإنجيل والأحاديث النبوية بالنسبة للقرآن إلا في الحدود التي يقتضيها البحث والتي لا تخرجنا عن نطاق الموضوع محل هذا الكتاب .

(١) التـــوراة

تتكون التوراة أو العهد القديم من الأسفار الخمسة وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ثم أضاف العهد القديم المتداول بين المسيحيين أربعة وثلاثين سفراً آخر نسبت لمن أسموهم أنبياء إسرائيل وبعض الحكماء وبعض هذه الأسفار غير معترف بها في الديانة اليهودية .

وقد بلغ عدد إصحاحات العهد القديم تسعمائة وتسعة وعشرين إصحاحا.

ويبدأ سفر التكوين بقصة الخليقة ، أي قصة خلق آدم وحواء ثم حكايات قايين وهابيل والطوفان وتعمير الأرض وبرج بابل ، وإعداد الله لإبراهيم عليه السلام وقصة لوط وسدوم وعمورة وولادة إسماعيل واسحق ويعقوب وقصة يوسف وقيامه علي خزانة مصر .

ويتضمن سفر الخروج أحداث معيشة بني إسرائيل في مصر ثم ولادة موسى وما كان بينه وبين فرعون ثم الخروج من مصر وأحداث التيه الذي فرض علي بني إسرائيل في صحراء سيناء وكسر الشريعة وإقامة خيمة الاجتماع .

أما سفر اللاويين فينطوي علي شرائع التوجيهات والطقوس الخاصة بالذبائح والكهنة والشعب وكذلك بيان المواسم والأعياد .

ويحـتوى سـفر العـدد عن الاستعداد لدخول أرض فلسطين وبعض طقـوس الطهـارة والحوار الذي تم بين كل من مريم وهارون وبين موسى علـيه السـلام، والتمرد الذي أعلن علي موسى وقصة بلعام والحرب ضد مديان والنزول في سهول موؤاب.

ويتـناول سـفر التثنـية الشرائع الإلهية لموسى ومنها الوصايا العشر وشرائع العبادة والحكم والعلاقات البشرية، ثم أيام موسى الأخيرة حيث توفي وكـان موسى قد بلغ من العمر مئة وعشرين سنة ، وأعلن الشعب اليهودي الحداد عليه ثلاثين يوماً . ثم تبدأ بعد ذلك كتب وأسفار الأنبياء وأولهم يشوع خادم موسى الذي تولى قيادة الشعب الإسرائيلي خلفاً لموسى عليه السلام .

(٢) الإنجيـــل

وهـو أربعـة أناجيل تعتمد أساساً علي سرد قصصي تاريخي لحياة المسـيح علـيه السلام ثم صلبه وقيامته ، وهذه الأناجيل كتبها متى ومرقص ولوقا ويوحنا بعد نهاية عصر المسيح .

لـم تتضمن الأناجيل تشريعات جوهرية إلا فيما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات الذي كان مشروعا في الديانة اليهودية .

وتـتكلم الأناجـيل عـن معجزة ميلاد المسيح ، وتوجيهاته ووصاياه وحكمه وأمثاله ومعجزاته ثم كشف حقيقة أنه المسيح الذي انتظره اليهود ليحررهم من طغيان الرومان ولكنهم أنكروه وادعوا أنه مجهول الهوية .

وقـد اهتمت الأناجيل بهدف آخر للمسيح وهو الهدف الرئيسي لمجيئه فقـد خلعت عليه الأناجيل طبيعة الألوهية ، هو الآب والابن والروح القدس وهو المخلص والمنقذ جاء ليموت عن الجميع ويحررهم من عبودية الخطيئة التـي ارتكـبها آدم عـند عصيانه لله ولكنه سيعود مرة أخرى ليتحقق كمال ملكوته .

تكلمت الأناجيل عن تحرش اليهود بالمسيح وإنكارهم لدعوته بل وإنكارهم أنه نبي أو إله وادعوا أنه هرطاق مجدف جاء لتزوير الديانة اليهودية وأنهم قدموا للوالى بيلاطس شكوى بهرطقته .

وتناولت الأناجيل أحداث صلبه ودفنه وقيامته من الأموات بعد ذلك.

وهناك اختلافات جوهرية أو يسيره بين الأناجيل الأربعة في شأن ما ورد بها من أحداث ولكنها لم تتخل جميعها عن الأصل الجوهري الذي قام عليه الدين المسيحي .. أن المسيح جاء ليخلص الناس من خطيئة آدم عندما عصى ربه .

كذلك اتفقت جميعها علي أحداث تحرش اليهود به ومطالبتهم بقتله ثم صلبه ثم قيامته من الأموات .

وفي مسألة الصلب .. تتفق الأناجيل علي أنه حدث مقدر من الله وأن تحرش اليهود لم يكن إلا سببا لإجرائه .

وتذهب كافة المصادر المسيحية إلي أن المسيح هو المخلص والمنقذ ويقدم غفرانا لمن قبله ربا وسيدا وهو الرب والنبأ السار أي هو الله المتجسد وقد أرسلت الروح القدس تأييدا لسلطانه غير أن المسيحيين اختلفوا حول طبيعته هل كانت له طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية أم كانت له طبيعتان طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية (أي إنسانية).

ومن ثم انقسم المسيحيون بين كنيستين الأرثوذكسية (كنيسة الشرق) والكاثوليكية (كنيسة الغرب) واظهر إنجيل يوحنا أن يسوع كان يعلم تلاميذه بأن الروح القدس سيحل بعد أن يصعد إلي السماء وانها ستسكن في من يتبعونه وترشدهم وتعزيهم وتعطيهم الحكمة والمشورة ومن خلال الروح القدس يوجد المسيح بقوته وسلطانه في كل من يؤمن به .

(٣) القـــرآن الكريــــم

هو الكتاب المقدس للديانة الإسلامية .

ويؤمن المسلمون بأن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أنزله علي نبـي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق ملاك الوحي المسمى جـبريل أو الروح الأمين كما يعتقد المسلمون ويؤمنون بأنه قد خلا من التحريف الذي أدخل علي الكتابين السابقين عليه كما خلا من شبهة الابتداع والإدخـــال أو الحذف أو الإضافة وأنه صحيح متواتر بنصه وفحواه عبر السنين منذ ظهور الإسلام وحتي يومنا هذا وأن نزوله وحفظه وتلاوته ورسمه كان وما يـــزال نصا ومعني وإن الاختلاف بين المسلمين لم يكن اختلافا في النص بل هـو اختلاف في التفسير والتأويل .

والقرآن الكريم دون فيما يعرف بالمصحف وضبط في الغالب علـــي ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عـاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عـــن النبي صلي الله عليه وسلم .

وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التـــي بعـــث بـــها الخليفة عثمان بن عفان إلي البصرة والكوفة والشام ومكة ومصحـــف أهـل المدينة ومصحف عثمان نفسه وتسمى المصاحف العثمانية الستة .

والمصحف يتكون من مائة وأربع عشرة سورة ، وكل سورة لها اســم خاص وتشمل آيات متعددة وأطول سورة في المصحف هي سورة البقـــرة وعدد آياتها مائتان وست وثمانون آية وهي مدنية أي نزلت في المـــــدينة ورغم ذلك فترتيبها في المصحف السورة الثانية وجاءت بعدها سور مدنيـــة ومكية ، وأقصر السور في المصحف هي سورة العصـــر وترتيبـــها (١٠٣)

ســور الكوثر وترتيبها (١٠٨) وسورة النصر وترتيبها (١١٠) وكل سورة تضم ثلاث آيات فقط.

والســورة لا تتناول موضوعاً واحداً بل تتناول موضوعات شتى ولا يحفل القرآن بالتفاصيل بل يورد القواعد الكلية والأسس الجوهرية لما يتحدث عــنه – وهــو علي عكس التوراة التي تحفل و تهتم اشد الاهتمام بالتفاصيل الجزئية ولو كانت لا تمثل قيمة في السرد أو البيان أو الفحوى .

وأســماء الســور مخــتلفة متبايــنة أشد التباين، فهي قد تكون أسماء لحــيوانات (مثل البقرة ، الفيل ، الأنعام) أو أسماء لحشرات (كسور النمل والنحل والعنكبوت) أو أسماء لبعض الأنبياء مثل سور يونس وهود ويوسف وإبراهــيم وطه و الأنبياء ومحمد ونوح (ذكرت بحسب ترتيبها في مصحف عــثمان) أو أسماء لبعض الأشخاص كسور آل عمران ومريم و لقمان وقد تكــون أسماء لجنس من البشر كسورة النساء وسورة الإنسان وسورة الناس وقد تكون أسماء لبعض الأحداث والوقائع كسور الإسراء، الكهف، سبأ، الفتح وقــد تكــون أسماء لبعض مخلوقات الله كسور الرعد والنجم والقمر والحديد والقلــم والفجر والبلد والشمس والليل والضحى والتين كما وردت بالمصحف ســور أخرى نذكر منها الفاتحة –المائدة – الأعراف – الأنفال – التوبة – الحجر – الحج – المؤمنون– النور –الفرقان – الشعراء – القصص –الروم – الســجدة – الأحــزاب– فاطــر –يس - الصافات– صٓ– الزمر– غافر– فصــلت – الشورى –الزخرف – الدخان الجاثية – الأحقاف – الحجرات – ق –الذاريــات –الطــور– الرحمن –الواقعة–المجادلة– الحشر– الممتحنة – الصف – الجمعة–المنافقون – التغابن– الطلاق – التحريم –الملك – الحاقة– المعارج – الجن – المزمل– المدثر– القيامة – المرسلات – النبأ –النازعات – عــبس– الــتكوير– الانفطــار -المطففين– الانشقاق –البروج– الطارق– الأعلــى – الغاشــية – الــبلد– الانشراح– العلق– القدر–البينة – الزلزلة–

العاديات- القارعة التكاثر العصر- الهمزة قريش- الماعون- الكوثر- الكافرون- المسد-الإخلاص- الفلق.

تناول القرآن كل جوانب الحياة الإنسانية ، من جهة الفرد والجماعة ، فعرض للجوانب الأخلاقية والدينية والعسكرية والسياسية كما أورد العديد من التشريعات الجنائية كجرائم الحدود والقصاص وتشريعات الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والمواريث والوصية وبعض التشريعات المدنية والتجارية وتناول أنواع العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وكثيرا من أنواع المعاملات .

ركز القرآن الكريم علي عقيدة الألوهية باعتبارها جوهر الرسالة الدينية ومحورها ، فأكد وحدانية الله وقدرته وجلاله وعظمته وأنه الخالق الرازق المحي المميت وأنه الجبار المنتقم الغفور الرحيم وهو حي لايموت ، إذ هو غير قابل للفناء .

كما عرض القرآن لعقيدة البعث والحساب أي بعث الأموات في يوم موقوت وإجراء محاسبتهم علي أعمالهم في الدنيا ثم تحديد الجزاء بالنار أوالجنة وليس بعد القيامة والحساب من عودة أخرى للحياة غير الحياة في الجنة أوالنار.

كما تضمن القرآن العديد من قصص الأنبياء كقصص نوح ولوط وإبراهيم وإسماعيل ويوسف وموسى وعيسى (المسيح) كما عرض لأحداث متعددة كحادث البقرة الصفراء "وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" البقرة٦٧.

*** كما تناول القرآن قصة الخلق والتكوين .**

حفل القرآن بالرد علي إدعاءات بعض المشركين وعباد الأصنام واليهود والمسيحيين .

نزل القرآن بلسان عربي رصين ، وإن كانت بعض الألفاظ والحروف لا يعرف معناها حتي الآن . وسوف نعرض في موضع آخر شرحا مفصلا لمحتوى القرآن الكريم .

العلاقة بين الكتب الثلاثة

لايعـــترف اليهود والمسيحيون بالقرآن الكريم ويرون أنه عمل بشري موضوع من محمد (ص) وأعوانه لاستحداث دين جديد يستهدف إلغاء الدينين الســـابقين – الديانة اليهودية والديانة المسيحية فالديانتان تتكران الإسلام كدين ســـماوي وترفضان نبوءة محمد (عليه السلام) وتعده مدعيا نقل العديد من الشرائع والقصص من التوراة إلي القرآن .

وينهج القرآن الكريم نهجاً مختلفاً فهو يقر الديانتين ويؤكد أن الله أنزل التوراة والإنجيل .

ففـــي سورة المائدة يقول "وكيف يحكمونك وعندهـــم التوراة فيها حكم الله " ٤٣

ويقول في آل عمران " وأنزل التوراة والإنجيل " ٣

ويقول " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " المائدة ٤٤

ويقـــول **في المائدة "وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة " ٤٦**

ويقـــول **فـــي المائدة "قل يا أهل الكتاب لستم علي شيئ حتي تقيموا التوراة والإنجيل "١١٠**

وامـــتداداً لهـــذه العلاقة فإننا نجد أن القرآن أقر بعض شرائع التوراة مثل القصاص وتحريم بعض الحيوانات كالخنزير وأورد القرآن أسماء بعض الأنبياء كمـــا وردت في التوراة والإنجيل – مثال ذلك آدم – نوح – لوط –

إبراهيم إسماعيل اسحاق يعقوب (المسمى بإسرائيل فيما بعد)-يوسف موسى هارون مريم المسيح - داود- سليمان - زكريا- أيوب وغيرهم وعبر عن بعض الأشياء بذات مسمياتها كالمنّ والسّلوى ، ولكنه اختلف مع التوراة والإنجيل في مسميات أخرى مثال :-

يوحنا عبر عنه القرآن بـــ يحي (١)

يسوع عبر عنه القرآن بـــ عيسى (٢)

تارح عبر عنه القرآن بـــ آزر (٣)

مزامير داود عبر عنها القرآن بـ الزبور

كما صدّق علي العديد من الأحداث كخلق الله العالم في ستة أيام وبعض العقوبات التي وقعت علي مصر بسبب اضطهادهم لبني إسرائيل .

وأورد القرآن قصص آدم وإبراهيم ونوح ولوط ويعقوب ويوسف وموسى وهي قصص تحدثت عنها التوراة غير أن ثمة اختلافاً بين ما ورد بالتوراة وما ورد بالقرآن (٤).

أما علاقة القرآن بالإنجيل فهي وثيقة ، لأن القرآن أقر بصحة نزول الإنجيل علي النبي عيسى عليه السلام وأكد ما ورد في الإنجيل من بشارات ومعجزات للمسيح بل وأضاف إليها .غير أن النظرية المسيحية لا تجيز القول بأن الإنجيل منزل من الله علي المسيح.

---

(١) راجع سورة آل عمران ٣٩ ، الأنعام ٨٥ ، مريم ٧ ،١٢، والأنبياء ٩٠

(٢) راجع البقرة ٨٧ ،١٣٦، ٢٥٣،وقد ذكرعيسى أيضا في سور آل عمران، النساء، المائدة،الأنعام ،مريم،الأحزاب،الشورى،الزخرف،الحديد،الصف،وتكرر اسمه ٢٥مرة

(٣) في سورة الأنعام ٧٤ يقول القرآن "وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة " ولم يتكرر هذا الإسم في القرآن

(٤) سوف نتناول تفصيلات الخلاف بين نصوص التوراة ونصوص القرآن في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

فالأناجـيل التـي يضمها الكتاب المقدس ليست إلا سرداً تاريخياً لحياة المسـيح، والمسيح في العقيدة المسيحية هو الله الآب والابن والروح القدس وهو تعدد معنوى وليس تعدداً عضوياً فالله واحد ، والمسيح هو الله سواء في عقـيدة الطبـيعة الواحـدة أي الطبيعة الإلهية أوفي عقيدة الطبيعة المزدوجة الإلهية والناسوتية (الإنسانية) والقرآن يعترض بشدة علي كون المسيح إلهاً فهو ليس إلا بشراً ولد من امرأة بكلمة من الله والكلمة هي كن فيكون – كما خلـق آدم بقـوة الكلمـة الربانية كن فكان آدم ، ويعترض القرآن علي تمام حادثـة الصـلب فقـد يكـون قـد شرع فيه ولكن الصلب لم يتم لأنه شبه للحاضرين(١).

وفـي إنجـيل متى " وكانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس " إصحاح ١

وفـي إنجـيل لوقا – قال جبرائيل الملاك لمريم " الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله "

وفـي إنجيل يوحنا " فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله " ثم قال " والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مثل مجد ابن وحيد من الآب "

* معجزات المسيح

أوردت الأناجـيل معجـزات المسـيح وأعظمها إحياء الموتى وشفاء المرضى.

وأضاف القرآن الكريم معجزات أخرى لم ترد بالأناجيل – كالكلام في

---

(١) قـا الله " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم "المائدة ١٧ " قـ فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه"المائدة ١٧ " إنما المسيح عيسى ابن مريم رسو الله وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه " النساء١٧١ .

المهد وخلق الطير بإذن الله قال " ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين " آل عمران ٤٦ وقال " ورسولاً إلي بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص (١) وأحيي الموتى بإذن الله " آل عمران ٤٩ .

* العلاقة بين التوراة والإنجيل

طبقا للعقيدة المسيحية فإن المسيح ما جاء لينقض التوراة بل ليكملها غير أن الحق أن المسيح ناقض التوراة في العديد من المواضع كتحريم الطلاق وتحريم تعدد الزوجات ورفضه للختان ولبعض العقوبات الواردة في العهد القديم ، والمسيح كان يريد تطهير الإنسان من داخله وليس من خارجه وسوف نرى كيف حارب المسيح النفاق والكذب والخداع والالتواء بالشرائع لدى اليهود ، وكيف وقف اليهود معارضين له منذ تكريزه .

وبالنسبة للعقيدة اليهودية فإنها لا تعترف بأن يسوع هو المسيح أو المَسيا المنتظر حيث إن المسيا لدى اليهود هو رجل من نسل داود وليس إلها كما ذهب المسيحيون وأنه سيبقى إلى نهاية الزمان بينما " يسوع " قتل بالصلب.

ولا يعترف اليهود ، بأن المسيح ولد بقوة الروح القدس ، بل انهم يتهمون أمه في شرفها أو أنه ابن يوسف النجار.

ويضيفون أنه ليس لولادته أو لتكريزه أية قدسية بل هو مدع هرطاق

---

(١) تعبير دقيق من القرآن حين ذكر الأبرص لأن الشريعة اليهودية تعتبر الأبرص نجسا فهو ليس مريضا فحسب بل تظل نجاسته ما بقى فيه برصه ومن ثم فإن ورود شفاء الأبرص كمعجزة للمسيح دلالة علي أن المسيح لا يشفي المرضى فقط بل يطهر الناس من نجاستهم طبقا للشريعة اليهودية .

ومن ثم طالبوا بصلبه وقتله، فطبقا للعقيدة اليهودية تكون العلاقة بين توراتها وبين الإنجيل علاقة مفقودة تماما ولا صلة بينهما، ويقول اليهود أن كل ما ورد بالأناجيل من معجزات هي ادعاءات مفتراه كاذبة لا أصل لها، وأن إلههم لا زال معهم ولم يطلب من المسيح أن يكرز بديانة جديدة، بل إن يسوع لا يعدوا أن يكون يهوديا مرتدا.

* رأي مونتجمري في مسألة صلب المسيح

يرى المستشرق مونتجمري أن الآيات الواردة في القرآن الكريم عن الصلب ليست في حقيقتها هجوما من الإسلام علي المسيحية بل هي دفاع عنها وأول ما يلاحظ في فحواها أن قتل المسيا (المسيح Messiah) هو زعم مدعى به عار من الحقيقة لأنه ينطوى علي نحو ما على أن المسيحية دين زائف وهو ما رفضه الإسلام فالقرآن الكريم عندما يرفض ما زعمه اليهود بأنهم قتلوا المسيح فإنه يؤكد أن المسيحية دين حق إذ ما دام الإسلام ينظر إلى المسيحية بأنها دين حق فإنه من المستحيل أن يتمكن اليهود من نبى المسيحية ويقتلوه بينما المسيحي يعتقد أن صلب المسيح يعد انتصارا ولا يعد هزيمة لأنه أعقب هذا الصلب قيام المسيح أو بعثه كما أعقبه ميلاد الكنيسة، ويستطرد مونتجمرى قائلا. (١)

هناك عبارة غامضة أتى بها القرآن "ولكن شبه لهم "

It was made to seem to them .

غير أن وات يفسرها تفسيرا لا نوافق عليه ، فيقول .. من قتل المسيح قد تكون عبارة القرآن دلالة على أن اليهود أو الرومان لم يقتلوا المسيح. فهل قتل نفسه لأنه رضى وقبل أن يسلم نفسه طواعية لقاتليه .. هل يعتبر الفاعل

---

(١) انظر W. Montgomery Walt . Islamic revelation in the modern world الإسلام والمسيحية ترجمة دكتور عبد الرحمن الشيخ

الحقيقي .

وما ورد في القرآن الكريم عن شبهة صلب المسيح ادخلنا في إشكالية حقيقية ذات آثار بالغة ، فقد ورد بالقرآن :-

"وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما "

وسبب الإشكالية أن القرآن يقرعدم موت المسيح بل رفعه إلى السماء بما مفاده انه لم يجرعليه ناموس الموت لجميع البشر وهو ما يؤدى إلى القول بوجوب عودته من جديد ليسرى عليه ناموس الموت كأي بشر طبقا للعقيدة الإسلامية ذاتها وبذلك يتفق الإسلام مع المسيحية على وجوب العودة للمرة الثانية للمسيح أي أن له ظهورين الظهور الأول الذي بشر فيه بالرسالة والظهور الثاني الذي يموت فيه .. ولكن متى .. وما هي نطاق مهمته في الظهور الثاني.

* التوراه والقرآن وادانتهما للشرك

لاشك أن كلا من التوراة والقرآن أدانا بشدة كل مظاهر الشرك بالله لان الله واحد وهو خالق السموات و الأرض وما بينهما ، غير أن الله في التوراة يكاد يكون آلها خاصا لليهود باعتبارهم شعبه البكر المختار ، وقد صورت التوراة الذات الإلهية بأنها ذات مشغولة ببني إسرائيل دون غيرهم، ذات متعطشة لدماء الأمميين (أو الغوييم) وهم الشعوب غير اليهودية .

كما أن الطبيعة التى خلعتها التوراة على الذات الإلهية تختلط بالطبيعة البشرية فالله يندم ويفرح ويحزن وشعبه يؤنبه على ما يفعل والله يتمثل لشعبه في عمود نار أو عمود سحاب وهو يمشي في الجنة ويبحث عن آدم بل إنه صارع يعقوب في خيمته وهزمه بضربة على فخذه .

والذات الإلهية في القرآن ذات منزهة عن كل أحاسيس البشر باعتبار أن هذه الأحاسيس تمثل نقصا والله كمال مطلق ليس كمثله شئ ، وقد نفى القرآن نفيا قاطعا أن يتمثل الله في صورة بشرية أو أن يعيبه نواقص البشر أو أحاسيسهم وانه محيط بعباده ، لا يحفل بشعب دون آخر .. فالجميع عباده وهو الذي يقضى بينهم يوم القيامة .

ويبدو أن العبارات التي تفيد التحيز المادي لا تفسرعلي هذا النحو فالله في القرآن ليس مادة و إنما هو ذات عليا لا يجوز عليه التحيز ولا يخضع للزمن لأنه هو خالق المكان والزمان.

*** هل نقل القرآن عقائد اليهود**

يقول مونتجمرى وات إن " تفحص العلاقة بين القرآن والبيئة المكية والعربية عامة يوضح لنا بجلاء أن رسالة الإسلام كانت ملائمة تماماً للبشر الذين ظهرت بينهم ولم تكن مجرد نقل من عقائد يهودية أو مسيحية سابقة وإذا كان القرآن يحتوى على حقائق تعد بمعنى من المعانى أبديه Eternal أو مطلقة فإنه قد جرى تكييفها أو مواءمتها مع الوسط البشرى الذي نزلت فيه ، وأن رسالة الإسلام التي وجهت في البداية لأهل مكة والمدينة كانت تحمل في طياتها بذور العالمية أو أنها كانت منذ البداية ذات أبعاد عالمية (١)

ويقول جوتيابن :على من تلقى محمد العلم ومن كان معلموه إن للمرء أن يفترض أن محمدا كان فى سنواته المبكرة على صلة وثيقة بنفر من اليهود ولم يكونوا يختلفون كثيرا عن أولئك الذين تصورهم الكتب التلمودية (٢).

---

(١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر W . Montg . W

(٢)

Their Contracts Thraugh The Ages والذي ترجمه الاستاذ بركات أحمد

*** هل كانت الأديان الثلاثة ذات ابعاد إقليمية فقط**

تؤكد التوراة أن الدين الإسرائيلى هو دين خاص وأن رسالة موسـى كانت لشعب إسرائيل فحسب ، وإن نقاء الدم اليهودى وتطهره مـن عبـادة الأوثان تأبى عليه أن يختلط بدماء أخرى من الغوييم أي الأمم غير اليهوديـة ومن ثم فلا تعتبر الديانة اليهودية ديانة تبشيرية فلا يقبل الشعب اليـهودي أن يتهود أحد من المسيحين أو المسلمين ، والأم هي محور الارتكاز فى الديانـة اليهودية فاليهودي هو من انحدر من أم يهودية دون غيره .

وفي المسيحية في بداية عصر المسيح كانت دعوته موجهة فقط إلى بنى إسرائيل إذ قال أنه لم يرسل إلا إلي خـراف بيـت إسـرائيل الضالـة ولم تتحول المسيحية عن هذه الدعوة الخاصة إلا بعد رفضهم لـه ولدعوتـه فاتجه بولس إلى باقى الأمم

وفى الإسلام كان النبي محمد عليه السلام في بداية عهده يدعو قبيلتـه وعشيرته وبنى بلدته مكة ثم هاجر بدعوته إلي مدينة أخرى هي يـثرب ثـم أخذ يدعو الدول الأخرى إلي الدخول في الإسلام كدعوتـه لملـك الحبشـة ولمصر والرومان وفارس وغيرها من الدول ، وأصبحت دعوته عالمية غير أن اليهود حافظوا علي خصوصية الديانة ومن ثم يكون الشعب اليهودي هـو الشعب الوحيد الذي حافظ علي اليهودية ورفض أن تكون ديانة عالمية .

* التـــــوراة

تم تدوين الوصايا العشر علي الواح الشريعة في عهد موســـي عليــه السلام ، أما باقي نصوص التوراة فقد كتبت في عهود لاحقه وخاصة خــلال فترة السبي في أشور وبابل ولا يعرف حتى الآن علي سبيل القطع من هـــم واضعو النصوص وأحكام الشريعة الواردة بالتوراة .

* الإنجيــــل

يضم العهد الجديد أربعة أناجيل وضعها كل من متى ومرقس ولوقـــا ويوحنا ، ويقال إن اقدم الأناجيل هو إنجيل مرقس ولم يكن من اتباع المسيح، الا أن بعض المعلقين تصوروا أن مرقس هو تلميذ المسيح الذي كان يلبـــس ازارا علي عربة عندما هم الجنود بالقبض على المسيح ، الا أن هذا التصور لا دليل عليه سوى الاستدلال .

والأناجيل ظهرت بعد سنة ٧٠ ميلادية ، إلا أن ثمة أراء أخرى تذهب إلى أن يوحنا الذى ينسب إليه الإنجيل الأخير في العهد الجديد هو ابن زبــدى الصياد المعاصر للمسيح ، ولكن هذا الرآى يحتاج إلي دليل .

وبالقطع فإن الأناجيل لم تظهر الإ بعد نهاية عصـــر المســيح عليــه السلام.

ولاشك أنه ظهرت أناجيل أخرى .. عنيت بسرد قصة حيــاة المســيح عليه السلام على الأرض ولكن الكنيسة اختارت الأناجيل الأربعـــة ليتكــون منها الكتاب المقدس للديانة المسيحية ، ومن المسلم به انــــه باختيــار هــذه الأناجيل بطلت جميع الأناجيل الأخرى ، وقد حافظت الكنيسة على نصــوص الأناجيل من التحريف رغم ما بها من اختلافات في بعض مواضعها .

* القـــــرآن

في الأصول الإسلامية أن القرآن نزل علي محمد عليه الصلاة والسلام من الله عن طريق الوحي المسمي بجبريل ، ولم ينزل مرة واحدة بل نـــــزل منجما وكان يواكب الأحداث التي يتعرض لها الدين الجديد ، ومنـــــذ بدايـــة نزول القرآن كان المسلمون يحفظونه في صدورهم ويكتبونه علـــــي رقـــائق الجلود والعظام وعسف النخيل والحجارة ، ولم يكن يسمح لأحد أن يخـــــالف النص إضافة أو حذفا أو تعديلا، وظل الأمر على هذا المنوال حتـــى انتـــهى عصر النبوة ثم فكر الخلفاء الراشدون في جمعه ، وانتهى الأمر إلي عثمـــان بن عفان فجمعه من صدور الرجال ورقائق الجلود والعظام والحجارة بعد أن شكل لذلك لجنة لجمعه ومراجعة النصوص ثم ظهر أول مصحف (مجموعـــة التدوين) في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وقد حافظ المسلمون علي ما دون بمصحف عثمان منذ ظهوره وحتى الآن دون أن يعتريها ثمة حذف أو إضافة أو تعديل .

المبحث الثانى

التــــوراة

[لأن بنى إسرائيل عبيدى الذين اخرجتهم من مصر لا يباعون كالعبيد ... وليكن عبيدكم وإماؤكم من الشعوب التى حولكم منها تقتنون عبيداً وإماء وكذلك من أبناء المستوطنين النازلين عندكم فمنهم ومن عشائرهم الذين عندكم المولودين فى أرضكم تقتنون عبيداً لكم وتورثونهم لبنيكم من بعدكم ميراث مُلْك فيكونون عبيداً لكم إلى الأبد وأما إخوتكم من بنى إسرائيل فلا تطغوا بتسلطكم عليهم] .

سفر اللاويين (٢٥)

[لا تكن لك آلهة أخرى سواى .. لا تنحت لك تمثالاً ولا تصنع صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من أسفل الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد آثام الآباء فى البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضى .. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب يعاقب من نطق بإسمه باطلاً .. اذكر يوم السبت لتقدسه .. أكرم أباك وأمك لكى يطول عمرك فى الأرض التى يهبك إياها الرب إلهك لا تقتل لا تزنى لا تسرق لا تشهد زوراً على جارك لا تشته بيت جارك ولا زوجته ولا عبده ولا أمته ..]

سفر الخروج (٢٠)

التـــــــوراة

*** التعريف بالتــوراة**

كلمة التوراة تعني الشريعة والمقصود بالشريعة الوصايا والأحكام التي كلم الله بها موسى علي جبل سيناء خلال فترة التيه التي وقعت للإسـرائيليين بعد خروجهم من مصر .

والتوراة هي الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديـم مـن الكتـاب المقدس للديانة المسيحية وهي (١) سفر التكوين (٢) سفر الخروج (٣) سـفر اللاويين (٤) سفر العدد (٥) سفر التثنية ، كما يضم الكتاب المقدس سـالف الذكر أسفار وكتب أنبياء إسرائيل ومزامير داود، وسوف تقتصـر دراسـتنا علي التوراة أي الأسفار الخمسة الأولى مع ما يقتضيه سياق الموضوع مـن الإشارة إلي باقي أسفار وكتب العهد القديم .

أسفـار التــوراة

سفـر التكويـن

يضم سفر التكوين خمسين إصحاحا ويعنى السفر بموضـوع خلـق العالم " في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخاليـة وعلي القمر ظلمة وروح الله يرف علي وجه المياه ، وقال الله ليكـن نـور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة ودعـا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا وكان مساء وكان صباح يوما واحدا "(١).

ويلاحظ فيما أوردته التوراة أن بداية الخلق كانت الكلمة (ليكن نـور فكان نور) وتتفق الأديان الثلاثة علي أن الخلق أصله كلمة الله : كن فيكـون

---

(١) الإصحاح الأول سفر التكوين من ١: ٥

وبعد أن عددت التوراة آيات الخلق المياه والسماء واليابسة والبحار والأرض والشمس والشجر والكواكب تناولت خلق الحيوان والطير" فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه " . ،

ويشير النص إلي أن الله خلق الحيوان والطير قبل خلق الإنسان " وقال الله نعمل الإنسان علي صورتنا كشبهنا فيتسلطون علي سمك البحر وعلي طير السماء وعلي البهائم وعلي كل الأرض وعلي جميع الدبابات التي تدب علي الأرض "

" وأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع(١) من عمله فاستراح (٢) في اليوم السابع : وبارك الله اليوم السابع وقدسه ".

ثم تناول السفر خلق آدم حيث خلقه من تراب الأرض " ونفخ في أنفه نسمة حياة (٣) فصار آدم نفساً حية وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا " وفيها غرس الله أشجارا شهية وأنبت وسطها شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر(٤) وأوصى الله آدم ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر بينما أباح له أن يأكل من كل شجر الجنة .

وذكرت التوراة أن جزاء أدم في حالة عصيان أمر ربه وأكله من شجرة معرفة الخير والشر أن يموت " لأنك يوم تأكل منها تموت موتا " (٥) وأحضر الله لآدم كل الحيوانات والطيور وطلب منه أن يدعوها بأسمائها

---

(١) هو يوم السبت أي يوم الراحة الذي اتخذه بنو إسرائيل يوما للراحة .

(٢) يرد القرآن علي هذا المعنى فقال عن رب العزة ، وما مسنا من لغوب أي من تعب.

(٣) في مفهوم التوراة أن آدم فقط هو الذي حظى بنفخة من روح الله بينما كان خلق العالم بما فيه من حيوان وطير عن طريق الكلمة – كن– فيكون .

(٤) المقصود بشجرة الحياة هي شجرة الكينونة الأبدية أما شجرة معرفة الخير و الشر فهي شجرة التمييز المطلق بين الخير والشر في الحاضر والمستقبل .

(٥) ورغم ذلك فإن آدم حين أكل منها لم يمت بل كان جزاؤه الطرد من جنة عدن .

فأطلق آدم عليها أسماءها التي عرفت بها بعد ذلك .

* خلــق حـــواء

يذهب سفر التكوين إلي أن الله أوقع سباتا (نوما) علي آدم فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما (وبنى) الله الضلع امـــرأة وأحضرهـــا لآدم ، وكلمة (بنى) أي أن الله وضع لها كينونتها علي شبه آدم مع اختلاف اقتضته طبيعتها .

* قصة الحية مع حواء

تذكر التوراة حوارا بين الحية وحواء(١) فقالت الحية لحـــواء بعـــد أن ذكرت لها نهي الله عن أكل ثمر شجرة المعرفة " وأما ثمر الشجرة التي فـــي وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمـــرأة بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عـــارفين الخـــير والشر "

ومفاد ذلك أن الحية في عرف التوراة كانت أصدق مـــن الله ، فقـــد كذب عليهما حين حذرهما من الموت فى حالة الأكل من الشجرة وأما الحيـــة فقالت لهما النبأ الصادق" لن تموتا "(٢) وهو ما حدث فعلا لأن آدم وحـــواء حينما أكلا من الشجرة لم يموتا بل طردا من الجنة .

ويبدو كما صورت التوراة الحية أنها كانت أكثر علما بما يدور في الذات الإلهيه إذ قالت " فقالت الحية لن تموتا بل الله عالم أن يوم تأكلان منه

---

(١) في بعض الكتابات المسيحية فإن الحية هي اسم من أسماء الشيطان ولكن ما ورد فـــي التوراة بعد ذلك عن الحية وأن الله جعلها تسعي علي بطنـــها يتنـــاقض مـــع فكـــرة الشيطان.

(٢) الإصحاح الثالث س التكوين / ٤.

تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر "

وأكلــت حــواء وأعطــت آدم فعرفا أنهما عريانين ، ولا يقصد بهذه المعــرفة مجــرد ان الجسد لا يستره ساتر إذ أن التوراة صورت آدم وحواء عند خلقهما في صورة عريانين ولكنهما حين أكلا من ثمر الشجر عرفا أنهما كذلــك غــير أن دلالـــة اللفظ ليست مجرد العري بل بمعرفتهما لأعضائهما التناسلية مما يجب ستره فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر(ملابس) .

واستطردت التوراة قائلة " وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب ..فنادى الرب آدم.. أين أنــت !! " فقــال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت "(١ فقــال من أعلمك أنك عريان . هل أكلت من الشجرة .. فقال آدم المرأة التى جعلــتها معى هى التي أعطتني من الشجرة فأكلت " ثم سأل الله المرأة فقالت الحية هى التي أغوتنى فلعن الله الحية وجعلها تسعى على بطنها (٢ .

*** العقـــاب**

أوقــع الله عقابا علي أفراد المؤامرة التي تمت بين الحية وحواء و آدم فــأوجد العــداوة بين الحية والمرأة ونسلها " هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه "

" **ولحواء** فقد أكثر تعبها في الحمل والولادة وجعل اشتياقها إلي الرجل" **وهــو يســود عليك**   أى أعطى للرجل حق السيادة علي المرأة ، وأما بالنسبة لآدم فقد لعن الله الأرض بسبب معصيته ولأنه سمع قول امرأتــه ثم

(١ جــاءت هــذه الفقرات في الإصحاح الثالث بعد فقرات صنع الملابس من ورق التين وارتدائها وهذا يعني أن آدم وحواء لم يكونا عريانين حينما سمع صوت الله .

(٢ يلاحــظ من الحوار أن الله لم يكن عالما بمكان آدم عندما اختبأ ولم يكن يعلم أنه أكل من الشجرة كما أن دلالة النص تشير إلي أن الله خدع آدم وكذب عليه.

أورثه التعب والمشقة فى الحياة ".

وجاء فى الإصحاح الثالث " وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارف الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويحيا إلى الأبد (١).

واستطردت التوراة " فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة "الإصحاح الثالث فقرة ٢٤ بما يعنى أن الله وضع حراسة حول شجرة الحياة خوفا من آدم حتى لا يقترب منها وتمثلت هذه الحراسة فى سيف ملتهب يتقلب يمينا ويسارا(٢) .

وتناول السفر قصة قتل قايين لأخيه هابيل ، ثم أورد الإصحاح الخامس أبناء آدم حتى انتهت أجيال التوراة فى هذا الإصحاح بنوح وأولاده سام وحام ويافث.

* أبنـــاء الله

أورد الإصحاح السادس ما يلى " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون علي الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات (ويقصد حسناوات) فاتخذوا لأنفسهم نساء " ثم قال الرب على الإنسان :- " لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة .. وبعد ذلك ايضا إذ دخل بنو الله علي بنات الناس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة .."

ثم حزن الله عندما رأى شر الإنسان " فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه ".

---

(١) عبارة كواحد منا تشير إلي تعدد الآلهة ، وكان المقبول أن يقال "قد صار مثلنا "

(٢) مدلول الحراسة يشير إلي الخوف وعدم قدرة الله علي إحكام سيطرته علي الجنة .

ولا تحدثنا التوراة من هم أبناء الله وكيف كان لله أبناء (١).

وقد خلعت التوراة علي الله صفات الحزن والندم ، وهذه الصفات هي نتيجة لصفة سابقة عليها هي عدم العلم بالغيب الذى يورث الندم لسوء العمل.

غير أن المراجع المسيحية حاولت تأويل النص فقالت هل معنى أن الله حزن لأنه خلق البشر هل هذا اعتراف منه بأنه أخطأ كلا فالله لم يغير رأيه بل كان هذا تعبيرا عن حزنه على ما فعله الناس ضد أنفسهم .. لقد حزن الله لأن الناس اختاروا الخطية والموت عوضا عن علاقتهم معه(٢) .

* نوح والطوفان

تذكر التوراة قصة نوح وصنعه الفلك واصطحابه لأهله ومن طائر أو حيوان اصطحب ذكرا وأنثى واستمر طوفان الماء علي الأرض أربعين يوما وهكذا محا الله كل نفس كانت تدب علي الأرض أو تطير فوقها حتى أن فنيت الأرض بالخراب.

ثم أوردت التوراة ما يلى" فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لاأعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته ولا أعود أيضا لأميت كل حى كما فعلت "

وهكذا صورت التوراة الله بأنه متردد لا رأى له – فتاره يدمر الأرض ومن عليها ثم بعد ذلك يندم على ما فعل .

---

(١) من غير المقبول أن تجعل التوراة لله أبناء مع أنها استندت علي وحدانية الله وقد استبعد كتاب الحياة أن يكون أبناء الله هم الملائكة لأن الملائكة لايتزوجون وقيل أنهم أبناء شيث لبن آدم وهي كلها افتراضات لا أساس لها من الصحة ويظل النص غامضا .

(٢) راجع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس للدكتور Bruce B. Barton وآخرين .

* **سام وحام**

تشعبت الأرض من رجال ثلاثة هم أبناء نوح سام وحام ويافث وحام هو أبو كنعان الذي انحدر الفلسطينيون من صلبه .

قالت التوراة عن نوح " وشرب نوح من الخمر فسكر (١) وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر اخوته خارجا فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه علي اكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم "(٢)

ويفهم من التوراة أن نوحا كان سكيرا تلعب الخمر برأسه وتجعله مغيبا عن الوجود.

وأنه رغم ما أوردته القصة من أن حام هو الذى أبصر عورة أبيه إلا أن اللعنة نزلت بكنعان ابنه ونسله من بعده ومن ثم حلت الوزارة علي من لم يخطئ.

* **إبراهيم**

تذكر التوراة أن إبرام الذي سمى فيما بعد "إبراهيم " هو ابن تارح **(أسماه القرآن آزر)** " **إصحاح ١٠**" ولوط ابن أخى إبراهيم ذهبا مع ساراي (سارة) زوجة إبراهيم إلي أرض كنعان ثم إلي مصر ، وفي هذا الإصحاح (الثاني عشر) يذكر أول اسم لإله إسرائيل وهو "إيل " وحين اقترب إبراهيم

---

(١)،(٢) يذهب التفسير المسيحي للنص، إلي أن نوحا كان مثالا سيئا أمام أبنائه بسبب سكره وأن اللعنة التي حلت علي الكنعانيين بسبب رداءة هذه الأمة التي يعلم الله مسبقا أنها ستكون شريرة (المرجع السابق)

من مصر طلب من زوجته أن تخدع المصريين وتدعى أنها أخته إذ خشى إن وقعت سارة فى نفوس المصريين بسبب جمالها أن يقتلوه ليفوزوا بها وقالت التوراة " قولى إنك أختى ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك (١) و إذ رآها فرعون طلبها لنفسه ومنح إبراهيم غنما وبقوا وعبيدا وإماء ، فضرب الرب فرعون وعرف أنها أخته فدفعها إليه" .

وتناول هذا الأصحاح وعد الله لإبراهيم " فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" .

* سارة وهاجر

وصفت التوراة هاجر بأنها جارية مصرية كانت تقوم على خدمة سارة ولأن سارة كانت عقيما فقد زَوّجتة هاجر فحبلت فحقدت عليها وأذلتها حتى اضطرت هاجر للهرب فوجدها الملاك وطلب منها أن تعود إلى سيدتها وتخضع لها ووعدها بكثرة النسل من ابن يولد لها يدعى إسماعيل ويكون إنسانا وحشيا .

ثم أعطى الله سارة ابنا دعته اسحق وأقام الله عهده مع اسحق دون إسماعيل " لكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت من السنة الآتية " (الإصحاح ١٧)

* الختان

كان عهد الله لإبراهيم أن يختن كل ذكر عندما يبلغ من العمر ثمانية

---

(١) وقد ادانت المراجع المسيحية هذه الخطيئة من إبراهيم ونعته بالكذب والخداع أما المراجع اليهودية فاعتبرت ذكر هذه الخطية لإبراهيم دليلا علي صدق التوراة (راجع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس)

أيام وأما الذكر الذى لا يختتن فيقتل " فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكث عهدى " (١)

حوار إبراهيم مع الله

*** في شأن سدوم**

لأن أهل سدوم كانوا قد انغمسوا في الشر فقد حكم الله عليهم بالهلاك إلا أن إبراهيم تحاور مع ربه كيف يهلك المدينة وقد يوجد فيها خمسون من الأبرار وقال لله " أديان كل الأرض لايصنع عدلا" فقال الله أنا اصفح عنهم إذا وجد خمسون من الأبرار ثم نزلت شفاعة إبراهيم تباعا لأهل سدوم ولو وجد فيها عشرة صالحون.

*** قصة لوط :**

ويحكى الإصحاح التاسع عشر قصة لوط الذي جاءه ملاكان في صورة رجلين ففوجئ بأهل سدوم " احاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم من الحدث الي الشيخ " وطالبوا بالملاكين لإتيانهما حيث كانوا يأتون الذكور دون الأناث فخرج اليهم لوط وطلب منهم الا يفعلوا الشر بالرجلين وقدم لهم بنتيه العذراوتين ليفعلوا بهما ما يشاءون ثم ضرب الله على أهل سدوم العمي من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن فتح الباب المغلق علي الرجلين ، وطلب

---

(١) قال هيرودیت أبو التاريخ " إن الختان عادة طبقها الفراعنة علي الأسرى وانتقلت إلى العبرانيين (الإسرائليين) الذي عاشوا في مصر ومن ثم فهي ليست طقسا مقدسا كما وردت في التوراة

الملاكان من لوط الخروج بزوجته وابنتيه من المدينة لأن الله حكم علي سدوم بالخراب والدمار وإذ خرجوا أمطر الله على سدوم وعموره كبريتا ونارا الا أن زوجة لوط نظرت وراءها فصارت عمود ملح .

*** اضطجاع بنات لوط مع أبيهما**

سكن لوط وابنتاه في مغارة .. وتحكي التوراه قصة غريبة هي أقرب للأساطير الجنسية من حقيقة رجل فاضل مثل لوط .. تقول التوراة:-

قالت البنت البكر الصغيرة لأختها " هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحى من أبينا نسلا فسقتا اباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها " وفعلت الكبيرة مثل الصغيرة فسقت اباها خمرا واضطجعت معه ثم تضيف التوراه أن ابنتى لوط حملتا من ابيهما فولدت البكر ابنا ودعته مؤاب وولدت الصغيرة ابنا ودعته بن عمى .

ورغم أن هذه الأسطورة هي ضرب من الأكاذيب إلا أن المراجع المسيحية قد علقت عليها بقولها " كانت حياته (تقصد لوط) قد اتخذت اتجاها قبيحا ثم أرتكبت بنتاه معه الزنا وكانت راعوث من نسل مؤاب من اسلاف الرب يسوع المسيح " مع أن مؤاب ولد سفاحا نتيجة زنا لوط مع إحدى بنتيه بما يعني أن أسلاف المسيح من أصل سفاح لوط مع ابنته والمقصود بأسلاف المسيح داود الملك لان راعوث هى جدته (١).

*** إبراهيم وأبيمالك**

وكما فعل إبراهيم مع فرعون فعل مع أبيمالك حيث ادعى أن سارة أخته فأخذها الملك وقبل أن يمسسها جاءه حلم من الرب أن يرد سارة إلى

---

(١) راجع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص٣٧ الترجمة العربية ورغم ذلك يذكر عنه بطرس أنه كان رجلا بارا .

زوجها ومنحه أبيمالك الفضة بسبب سارة، دلالة القصة الغريبة مع قصة فرعون أن إبراهيم كان يتاجر بشرف زوجته لدى الملوك حتى يحصل على غنم وفضة بسببها(١) .

*** القاء هاجر بالصحراء**

يحدثنا الإصحاح الواحد والعشرون عن سارة التى ولدت لإبراهيم إبنه اسحق وعندما رأت إسماعيل بن هاجر يضحك طلبت من إبراهيم طرد الجارية وإبنها حتى لا يرث مع إسحق وتقول التوراة " فقبح الكلام جدا في عينى إبراهيم لسبب إبنه فقال الله لإبراهيم لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك فى كل ما تقول لك سارة إسمع لقولها " .

ثم تحكي التوراة أن الله عاقب نساء بيت أبيمالك بإغلاق رحمهن فلما رد له سارة فتح ارحامهن وهو عقاب غريب كيف بدا .. ومتى طالما أن ابيمالك رد لإبراهيم سارة علي الفور دون أن يمسسها .

ثم طردها إبراهيم دون أن يرحل معها وتقول التوراة إنها مضت إلى بئر سبع وكان معها قربة وحين فرغت ماؤها جلست أمه بعيدة عنه حتى لا تشهد موت إبنها من الظمأ ثم ناداها الرب قائلا لها إنى سأجعل لإسماعيل أمه عظيمة ثم أبصرت بئر ماء فسقت الغلام وذهبت إلى صحراء فاران (٢) وعندما كبر زَوَّجته من أرض مصر .

*** التضحية بالإبن**

يحدثنا الإصحاح الثانى والعشرون عن إمتحان الله لإبراهيم فقال

(١) حاولت التوراة تبرير كذب إبراهيم علي أبيمالك بقولها أن إبراهيم قال إنها أخته لانها أخته غير شقيقه من أبيه وقد تزوجها طبقا لعادات القوم آنذاك .

(٢) في تقديرنا أن برية فاران هى صحراء مكة

لإبراهيم " خذ إبنك وحيدك الذي تحبه اسحق " وطلب منه أن يذبحه ، وإذ مد يده وأخذ السكين ناداه ملاك الرب .. لا تمد يدك إلى الغلام .. لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك إبنك وحيدك عنى .. ونظر فإذا بكبش فأخذه وذبحه عوضا عن إبنه.

ويوخذ من رواية التوراة أن الذبيح هو اسحق - مع أن التوراة وصفته بأنه ابن إبراهيم الوحيد ولم يكن اسحق ابنا وحيدا لإبراهيم ، لأن إسماعيل كان هو الابن الأكبر (١).

* عيسو ويعقوب

ولد اسحق توأمين الأول أحمر اللون سمى عيسو وبعده بلحظات ولد أخوه ودعى يعقوب أبو الإسرائيليين ، وأحب الأب عيسو بينما أحبت الأم يعقوب - ثم تكررت حكاية أبيمالك ملك الفلسطينيين مع زوجة اسحق فقد ادعى أنها أخته حتى لا يقتل بسبب جمالها ثم تحكى التوراة قصة خداع زوجة اسحق لزوجها فقد طلب اسحق من ابنه عيسو أن يذهب للصيد حتي يباركه فأوعزت زوجتة إلى ابنها الآخر يعقوب بأن يحضر غنما ويقدمها إلى والده مدعيا أنه عيسو حيث كان أبوه عليل النظر فقال لها يعقوب إن أباه قد يكتشف الخديعة لأنه رجل املس أما عيسو فهو رجل كثيف الشعر وقد

(١) يرد بعض علماء التوراة علي النص الوارد بوصف اسحق بالأبن الوحيد مع وجود إسماعيل أن ابن الجارية لا يكون له مكان فى وجود ابن الزوجة الحرة وتجدر الإشارة إلى أن تقديم الذبائح البشرية كان عادة من عادات الامم الوثنية فقد كان المصريون يقدمون للنيل فتاه عند الفيضان ، ولم تقف الذبائح البشرية حتى عهد المسيح فقد وصفه المسيحيون بأنه كان ذبيحة بشرية قدم للصلب كفداء لبقية البشر وفى المصادر المسيحية أنه " لو لم يمت يسوع لمات كل الجنس البشري فقد أرسل الله ابنه الوحيد ليموت عنا حتى ننجو نحن من الموت الأبدى الذى نستحقه وعوضا عن الموت ننال حياة أبدية " التفسير التطبيقى للكتاب المقدس.

يجلب لى هذا الفعل لعنة أبى فقالت له " لعنتك علي يا إبنى " ثم ألبست إبنها يعقوب أردية إبنها عيسو ودخل يعقوب على أبيه وادعى أنه عيسو غير أن أباه شك فى صحة قوله " يا إبنى ألنت هو إبنى عيسو أم لا " فقال أنا هو ومن ثم باركه أبوه ثم حدثت المفاجأة حيث حضر عيسو ودخل علي أبيه فقال له من أنت قال أنا عيسو فأرتعد اسحق وسأله من يكون الذى جاء قبلك .. وفطن عيسو لخديعة أخيه فطلب من والده أن يباركه إذ أنه هو الذى كان مقصودا بالبركة .. الإ أن والده رفض لأنه بارك يعقوب وجعله سيدا عليه فحقد عيسو على يعقوب وأصر على قتله فحرضت الأم ابنها يعقوب على الهرب وتشير دلالة الأسطورة على - فرض صحتها - مدى خداع يعقوب وأمه لأبيه اسحق وغدره بأخيه عيسو (١).

وتعترف المراجع المسيحية بأن يعقوب وأمه كانا مخادعين كاذبين ، وأن خاله لابان خدعه فزوجه ابنته الدميمة بدلا من التى اختارها يعقوب .

*** يعقوب يتزوج بالأختين وبالجاريتين**

تحكي التوراة أن يعقوب حين رأى راحيل ابنة خاله وهى ترعي غنمها وقعت فى قلبه فتقدم لمعاونتها على سقاية غنمها ، ودعاه والدها إلى بيته وطلب منه أن يخدمه على أن يزوجه صغرى بنتيه وهى راحيل الجميلة فوافق والدها فخدمه سبعة ، وعندما انتهت خدمته طلب منه زوجته إلا أن خاله خدعه وأعطاه شقيقتها الدميمة وعلل ذلك بأنه لا يستطيع أن يزوج الصغيرة قبل الكبيرة وطلب منه أن يكمل أسبوعا آخر فى خدمته ليعطيه الصغيرة ايضا فيتزوج الأختين ، ولأنه يحب الصغيرة ويذل الكبيرة فقد أصاب الله الأولى بالعقم بينما ولدت له الكبيرة ثلاثة ذكور فطلبت منه راحيل

---

(١) يعقوب هو إسرائيل والذى ينسب إليه الإسرائيليون .

أن يتزوج جاريتها وينسب أولادها إليها ففعل ، ثم بعد أن توقفت الأخرى عن الإنجاب - ولكى تغيظ أختها فطلبت من يعقوب أن يتزوج أيضا جاريتها.

*** ولادة يوسف**

وأستكمالا للقصة السابقة فقد استأجرت الكبرى زوجها لينام معها بدلا من أختها ودفعت الأجر للأخت فحبلت مرة أخري ثم حبلت راحيل (الصغري) وأتت بولد اسمته يوسف .

*** مصارعة يعقوب لله**

تحكى التوراة أن إنسانا دخل على يعقوب وصارعه " ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه " وعندما سأله عن إسمه قال يعقوب فرد عليه " لا يدعى فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت " وتشير التوراة إلى أن الإنسان الذى صارع يعقوب هو الله " لاني نظرت الله وجها لوجه " لذلك لايأكل بنو إسرائيل عرق النسا وهو على حق الفخذ .

وهذه القصة لاتقبل التعليق لانها لا تنطوى إلا على اسفاف بجلال الله وعظمته .

*** زنا إبنة يعقوب**

تحكى التوراة أن شكيم إين أحد الملوك رأى دينة ابنة يعقوب فلاطفها وأضطجع معها ثم طلبها من أبيها يعقوب ووافق الأب بشرط أن يختن ووافق الملك على ختان جميع الذكور وأنزل يعقوباً وأهله منزلة كريمة إلا أن أخوى دينه قاما بخسة ونذالة وكما تقول التوراة " أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة وقتلا كل ذكر وقتلا (الملك وابنه) بحد السيف وأخذا دينه

من بيت شكيم وخرجا ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لانهم نجسوا أختهم .. وسبَوْا ونهبوا كل ثرواتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت " (١)

وهكذا تصف التوراة أبناء يعقوب بالخداع والخسة والإرهاب والنهب والسلب فمن أجل أختهم اضطجعت مع رجل برضائها تسبى النساء ويقتل الأطفال والرجال وتنهب الثروات .

* تمييز أبناء اسحق

تصر التوراة أن الله ميز أبناء اسحق الذى انحدر من صلبه الإسرائيليون ولم تذكر التوراة أبناء إسماعيل .

كما أوردت التوراة فى الإصحاح ٣٥ " أمة وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك والأرض التى أعطيت إبراهيم واسحق لك أعطيها ولنسلك من بعدك أعطى الأرض " .

* قصة يوسف

تقول التوارة فى الإصحاح ٣٧ عن يعقوب أنه أحب ولده يوسف اكثر من جميع إخوته فازدادوا بغضا له وكان يوسف يحلم كثيرا ويقص أحلامه علي إخوته ومن بين تلك الأحلام كما تحكى التوراة ".فقال إنى قد حلمت حلما أيضا وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لى فانتهره أبوه ثم تآمر إخوته وأتوا بيوسف فخلعوا عنه قميصه وطرحوه في البئر

---

(١) وتزعم هذه الحملة الهمجية ابن يعقوب لاوى الذى كان لنسله وضع خاص فى التوراة حتى سمى أحد أسفارها باسمه " سفر اللاويين "راجع الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين.

فكانت فارغة بلا ماء ثم قال لهم يهوذا أحد اخوتـــه- فلنخـــرج يوســـف ونبيعه للاسماعيلين فاشتروه بعشرين من الفضة ثم توجهوا به إلى مصر .

أما اخوته فوضعوا دما على قميصه وأحضروه إلى أبيـــــهم بعلـــة أن وحشا افترسه وأما أهل مدين (الأسماعيليون) فباعوه فـــــى مصـــر لرئيـــس الشرطة ، وأدخله سيده بيته فرأته زوجة رئيس الشرطة وطلبت منه أن يـأتى الفاحشة معها فأبي وقال لها " ليس فى هذا البيت أعظم منى ولم يمسك عنـــى شيئا غيرك لأنك امرأته فكيف اصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلـــى الله" وإذ انفض أهل البيت ولم يبق فيه سوى المرأة ويوسف جاءت إليه قائلة اضطجـع معى فترك ثوبه فى يدها وخرج فصرخت وقالت " قد جـــاء إلينـــا برجـــل عبرانى ليداعبنا دخل إلى ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم ، وكان لما سمع أني رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب" .

ثم كلمت زوجها بما فعل يوسف حسب روايتها فأدخله السجن ، وحدث أن فرعون مصر سخط على رئيس السقاة ورئيس الخبازين فوضعهما فـــــى الحبس مع يوسف فحلما ، فأما حلم رئيس السقاة أنه رأى كرمة [شجرة عنب] بها ثلاثة قضبان وقد طلع زهرها ونضجت عناقيدها فأخذ العنب وعصره فى كأس فرعون ، فقال له يوسف ، بعد ثلاث أيام يردك فرعون إلـــى مقـــامك لتكون ساقيه .

وأما حلم رئيس الخبازين أنه رأى ثلاث سلال على رأسه وبها طعـــام فرعون والطيور تأكل منه فقال له يوسف انه بعد ثلاثة أيام تقطـــع رأســـك وتأكل الطير لحمك وقد تحققت نبوءة يوسف .

* حلم فرعون :

رأى فرعون حلما وإذ كان واقفا عند النهر خرجت منه ســبع بقـــرات سمان ثم رأى سبع بقرات أخرى وراءها رديئة اللحم فأكلت البقرات الأخـــيرة

كل البقرات السمينات ثم حلم مرة أخرى بسبع سنابل سمينة تأكل سبع سنابل رقيقة ورديئة ، وطلب فرعون تفسير حلمه فأشار رئيس السقاة باستدعاء يوسف ، وفسره بأن مصر ستشهد سبع سنوات مليئة بالخير وسبع سنوات أخرى مليئة بالمجاعة ، وأقام فرعون يوسف على خزائن ماله ومنحه خاتمه

ثم تزوج يوسف من مصر ، وعندما اشتدت المجاعة في أرض مصر وغيرها وكان يوسف قد هيأ مخزونا من القمح من أجل السنوات العجاف ، فباعه لشعب مصر كما تقول التوراة .

* يعقوب ورحيله إلى مصر

من أجل القمح والخير فى مصر رحل أبناء يعقوب أخوة يوسف إلى مصر فعرفهم يوسف دون أن يعرفوه وطلب منهم أن يأتوا بأخيهم الصغير الذى تركوه مع والدهم وإلا اعتبرهم جواسيس على فرعون وبعد أن جاءوا به ملأ اوعيتهم قمحا وفضة إلا أنه رغب فى بقاء أخيه الصغير معه بخدعة منه ، غير أن اخوته رفضوا السفر إلى أبيهم بغير الغلام فلم يستطيع يوسف أن يضبط نفسه وانفجر صارخا أنا يوسف ، وطلب منهم أن يذهبوا إلى أبيهم ويدعوه للإقامة فى مصر تقول التوراة " فكلم الله إسرائيل (يعقوب) في رؤى الليل وقال يعقوب يعقوب .. فقال ها أنذا " فقال أنا الله إله ابيك لا تخف من النزول إلى مصر لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك " أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضا " .

وأمر فرعون يوسف أن ينزل ببنيه فى أرض رعمسيس وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة وأوصى ابنه يوسف الا يدفنه فى أرض مصر بل مع آبائه ثم ألقى عليهم كثيرا من العظات والعبر حتى أسلم

الروح(١)

وبقي يوسف بأرض مصر حتى مات فحفظوا جثته ووضعت في تابوت في مصر .

(١) وفى التوراة طلب يوسف من أبيه أن يخدع فرعون ويخبره بأنه واهله من الرعاة رغم أن الشعب المصري كان يحتقر الرعاة ولكن لأن الفرعون زمن يوسف كان من الهكسوس وهم رعاة الأصل فقد اكرمهم . وتوافق التفسيرات المسيحية على ذلك فقد أورد كتاب التفسير التطبيقى للكتاب المقدس أن الفرعون كان من الارجح ملكا من البدو من نسل الهكسوس وهذا يعنى أن فراعنة مصر الحقيقيين لم يستخدموا يوسف كوزير للمالية .

* آدم

هو أول انسان على الأرض .. يبدو كما صورته التوراة أنه خلق بالغا ناضجا ، فلم تكن له طفولة أو عائلة ورغم أنه أول إنسان وعاش في جنة عدن .. إلا أنه ارتكب خطيئة عصيان الله بتحريض من حواء والحية التى كانت رمزا للشيطان كما تفسرها المصادر المسيحية واليهودية وكان من المنطقي أن يعصم الله أدم من الخطيئة وآلايسلط عليه شيطانا ولكن يبدو كما تصور الأديان أن الله أراد أن يعطية حرية الأختيار ، وأنه كتب الخطيئة على البشر وأنه سلط عليهم الشيطان ليكون قوة جبارة تحيط بهم لماذا .. تذهب المصادر المسيحية إلى القول " وفى حاله خطية الإنسان كان قد أعدت خطة فعلا للتغلب على نتائج هذا العصيان والكتاب المقدس كله ما هو إلا قصة الكشف عن هذه الخطة التى أدت أخيرا إلي مجيء الله نفسه إلى الأرض في شخص ابنه يسوع ".

والتوراة .. أوردت قصة آدم فى أسطورة تظهر عجز الله فدلالة النص تكشف عن عدم علم الله بمكان أدم وجهله (جل شأنه) بأنه أكل من الشجرة ، فضلا عن صفات الكذب والخداع التي اضفتهما التوراة علي الله حين صرح لهما بأن الأكل من الشجرة يؤدى إلى الموت .. وقد ناقضت الحية كلام الله قالت لان الله يعلم إنكما لن تموتا بل ستعرفان الخير والشر فقط .. ولم يمتا فعلا .

وتحدثنا التوراة عن أن الله خلق آدم على شبه الله وهى عبارة غامضة لم تفصح عن المقصود بالشبه هل هو الجسد أو المشاعر أو العقل ومن المفروض أن يكون الخالق أعظم من المخلوق فلا يحده مكان أو زمان لأنه هو الخالق للمكان والزمان فكيف يحد المخلوق خالقه ولقد كانت عبارة

التوراة نقطة انطلقت منها دعاوى إمكانية التجسد الإلـهى وحدّه بالزمان والمكان ، وفى ذلك تقول المصادر المسيحية إن الكتاب المقدس حين أورد صيغة الجمع بقوله " لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا بأنها إشارة إلى الثالوث الله الآب والله الابن (يسوع المسيح) والله الروح القدس وأن هؤلاء جميعا شاركوا في الخلق وتضيف أن المعنى إننا – أى البشر نشارك الله الكثير من صفاته وعواطفه ، و أن المرأة أيضا خلقت علي صورة الله (كيف) .

وفى التوراة أن الله اوقع الجزاء الفورى على آدم وحواء والحية ويبدو من النص أن الجزاء كان مقصودا بذاته ولم يكن سببا لتعمير الكون .

وفى المصادر الإسلامية ذكر آدم فى القرآن خمسا وعشرين مرة فى سور البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف والإسراء والكهف ومريم وطه وفى نصوص القرآن ما يشير صراحة إلى أن الله استهدف بخلق آدم تعمير الأرض التي خلقها وبث فيها منافع لا تصلح إلا لبشر وكائنات حية (النور البحر الشمس القمر الأسماك الطيور الحيوانات) وتكون قصة العصيان فى الجنة هى سبب للانتقال إلى مرحلة أخرى بالنزول إلى الأرض أى ليس جزاء يوقعه الله بآدم لأنه كان مقدرا له طبقا لاهداف آلهية أن يعمر الأرض .

يقول القرآن الكريم فى سورة البقرة :

" وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون " آية (٣٠)

ولكن كيف عرف الملائكة أن الخليفة (أدم) سوف يفسد الأرض ويسفك الدماء تقول المصادر الإسلامية لعلمهم المسبق من الله وتقول مصادر

أخرى (ابن عباس) إن أول من سكن الأرض الجن فافسدوا فيـــها وسـفكوا الدماء فقاسوا الإنسان بالجن وهو قول لا دليل عليه .

وفي سورة البقرة أن الله علم آدم الأسماء ثم عرضهم على الملائكـة ، ولا اتفاق بين مفسرى القرآن عن المقصود بالأسماء فقيل أنها أسماء الملائكة أو أسماء الإنسان أو أسماء الحيوان والطيور وكل شئ سوف يتعـامل معـه الإنسان.

وفى القرآن حادثه لم ترد بالتوراة هى أمــر الله للملائكـة بالسـجود " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر وكـان مـن الكافرين " البقرة (٣٤) وكان سبب استكباره أنه خلق من نار بينما خلـق آدم من طين ، ولا تتفق المصادر الإسلامية على تحديد شخص إبليس فقيل إنـه رئيس الملائكة خازن الجنة وفيه يقول القرآن "الا إبليس كان من الجن ففسـق عن أمر ربه " ويذهب رأى إلى أن الجن كانوا ملائكة وأن رئيسهم هو إبليس ثم مسخ شيطانا .

ولا يقصد بالسجود – العبادة إنما كما تقول المصادر الإسلامية هـو التقدير لخلق الله الجديد، والقرآن لم يحدد الشجرة المنهى عنها كما حددتـها التوراة بأنها شجرة معرفة الخير والشر وفي موضع أخر من هـذا الكتـاب سوف نقارن فى شأن أحداث الخلق والتكوين بين نصوص الأديان الثلاثة .

* حـــواء

دمغتها التوراة بالتحريض على المعصية ، وهـى شـبه أدم ولكنـها تختلف عنه فى العواطف والأحاسيس وبعض الأعضاء الجسدية ، لم تحفـل أن تكون كائنا مخطئا أو عاصية لأوامر الله ، ولكنها فقط شـغفت بمحاولـة معرفة المجهول .

* نـــوح

صورت التوراة (نوحا) بانغماسه في الخطيئه كدأبها فى تناول معظم شخصيات الكتاب المقدس فقد سكر حتى فقد الوعى فتعرى أمام أولاده .

ثم ميزت بين موقف الأبناء حيث وضعت "سام" الجد الأول لليهود (والعرب) فى موقف السمو الاخلاقى بينما وضعت "حام" فى موقف التدنى وحام هو طبقا للأصول اليهودية جد الكنعانين والمصريين والفلسطينيين والحثيين والاموريين ، وكان ذلك بداية العنصرية فى نصوص التوراة والتى سوف نراها تستفحل فى الأسفار التالية .

* لـــوط

لم يسلم من الخطيئة فقد مارست معه ابنتاه زنا المحارم وكان مؤاب وعمون ثمرة هذه الخطيئة وكانت راعوث تنتمى إلى مؤاب ، وهى جدة الملك داود والذى ينسب إليه المسيح ، وهكذا حكم الكتاب المقدس على الأصول اليهودية اعتبارا من مؤاب ونزولا إلى راعوث وداود والمسيح بأنهم جميعا من سلالة سفاح لزنا ابنة لوط مع أبيها .

* إبراهيــم

صورته التوراة بأنه كان على استعداد للتنازل عن شرف زوجته سارة للمصريين مقابل أن يحصد من وراء ذلك الغنم والعبيد فكذب وخدع فرعون عندما قال إنها أخته ولئن كانت أخته غير شقيقة إلا أنها زوجته ولم يحاول أن يصارع من أجل شرفها ، وكرر الإثم ذاته أمام أبيمالك فجعلت أبا الأنبياء ديوثا قبيحا.

*** يعقوب (إسرائيل)**

دمغته التوراة وأمه بالكذب والخداع على أبيه وغدره لأخيه عيسو ثـــم حاولت التوراة أن ترفع من شأنه بخرافة متدنية لا يقبلها عقل أو منطق وهى أن الله دخل على يعقوب واشتبك معه فى مصارعة وكاد يعقوب أن ينتصـــر على الله فضربه الله على فخذه فأقعده . وأمر بأن يغير اسمه إلـــى إســـرائيل وهى كلمة من مقطعين (إسرا وتعنى مصارع) وإيل (وتعني الله) أى مصارع الله وهذه الخرافة المتدنية تحقر من جلال الله وعظمته وقدرته فضلا عما فيها من تجسد لله فى صورة إنسان ، وما تحمله من إسفاف فى مسلك الله عزوجل حين يقبل الاشتباك فى مصارعة مع يعقوب .

ولم تسلم سلالة يعقوب من الانغماس في الجنس المحرم فقد زنت ابنته دينه مع شكيم ثم تلى ذلك احداث قتل وذبح ونهب وسرقة فى ابشع مظـــاهر الهمجية .

تعليق عام

اتجه كاتب هذا السفر من التوراة إلى تخطئة العديد من الآباء الأولين، الذين يفترض فيهم السمو الأخلاقي باعتبارهم اصول الانبياء .

وكانت معظم الخطايا التي نسبت اليهم تتصل بالجنس المحرم بل وتصل إلى زنا المحارم، ومن الغريب حقا أن يكون النهى عن الزنا من الوصايا العشر الهامة ولكنه أبيح لأجداد الأنبياء ، دون أن نجد من نصوص التوراة غيرة لله على تفشى الزنا المحرم بينهم .

والسفر ملئ بالنصوص التي تناولت الله بعديد من مظاهر الاسفاف حتى بات واضحا أن الله ليست له مهابة الصانع العظيم الخالق للكون .

وللأسف فإن المصادر المسيحية لمثل هذه النصوص المتدنية لا تدين هذا الإسفاف وبعضها يفسرها بتأويلات فيها الكثير من الخداع .

*** تواريخ تقريبية :**

ذهب بعض مفسرى التوراة إلى أن :-

(١) مولد إبراهيم كان سنة ٢١٦٦ ق.م تقريبا .

(٢) دخول إبراهيم أرض كنعان كان سنة ٢٠٩١ ق.م تقريبا .

(٣) مولد اسحق كان سنة ٢٠٦٦ ق.م تقريبا .

(٤) مولد يعقوب وعيسو (توأمان) ٢٠٠٦ ق.م تقريبا .

(٥) مولد يوسف سنة ١٩١٥ ق.م تقريبا .

(٦) يوسف وزيرا لمصر سنه ١٨٨٥ ق.م تقريبا .

*** معلومات هامه بالنسبة لسفر التكوين :**

(١) ذهب مفسرو التوراة إلى أن نسل الأمم جميعا قد تفرعوا من أبناء نوح

وهم سام وحام ويافث ، وجاء من نسل سام كـــل مـــن الشـعوب الأتيـــة / العبرانيون (اليهود) الكلدانيون ، الاشوريون ، الفرس ، الاراميون ، العرب.

وجاء من نســل حــام / الكنعــانيون (ســكان فلســطين الأوليــن) ، المصريون، الفلسطنييون الحيثيون ، الأموريون .

وجاء من نسل يافث / اليونان، الترقيون، السكثيون

(٢) تزوج يعقوب بأربع نساء زوجتين وجاريتن .

(٣) أبناء الأثنى عشر سبطا هم راؤبيم ، شمعون ، لاوى ، يهوذا ، دان ، نفتالى ، جاد ، اشير ، زبولون ، يوسف ، بنيامين .

وجاء كل من موسى وهارون ويوحنا المعمدان من أنسال لاوى وجـاء داود من أنسال يهوذا وجاء يشوع وجدعون من يوسف ، وجاء شاول الملـك وأستير وبولس الرسول من سلاله بنيامين .

سفـــر الخـــروج

سفر الخروج هو السفر الثانى من أسفار التوراة وعدد إصحاحاتـه ٤٠ إصحاحا ويتناول قصة موسى عليه السلام واضطهاد الفراعنة لبنى إســرائيل ثم خروجهم من مصر.

وقد بدء الإصحاح الأول ببيان أسماء بني إسرائيل الذين جـاءوا إلـى مصر مع يعقوب (إسرائيل) وإذ تولى الحكم على مصر فرعون جديد لم يكن يعرف يوسف !! قال لشعبه كما تقول التوراة " هوذا بنو إسرائيل شعب اكـثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب ينضمـــون إلـى أعدائنا ويحاربوننا .. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم .." " فاسـتعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف " وتحكى التوراة أن فرعون أمر قابلتـــى (١)

(١) القابلة هى من تقوم بمعاونة الأم فى اتمام عملية الولادة.

العبرانيات بقتل كل ذكر يولد لهن وإحياء البنات ولكن القابلتين احتالتا على أمر فرعون بعلة أن العبرانيات يلدن قبل أن تصل إليهن القابلة الأمر الذى دعا فرعون لأن يصدر أمرا إلى المصريين بأن يطرح كل ذكر فى النهر .

ويتناول الإصحاح الثانى ولادة موسى فقد تزوجت امرأة من بيت لاوى وولدت ذكرا وعندما رأته حسنا خبأته ثلاثة أشهر ثم أعدت له مضجعا من ورق البردى ووضعت موسى داخله ثم ألقته على حافة النهر وجلست أخت موسى تراقبه.

*** موسى والنهر وابنة فرعون**

تحكى التوراة أن ابنة فرعون نزلت إلى النهر لتغتسل فرأت موسى ملقى على حافة النهر فعرفت أنه من أولاد العبرانيين وتقدمت إليها أخته وسألتها إن كانت تبغى مرضعة له ، ثم عهدت إلى أم موسى بإرضاعه وعندما كبر جاءت إلى إبنة فرعون فأخذته منها ابنا ودعته موسى .

*** موسى يقتل مصريا**

خرج موسى بعد أن اشتد عوده فرأى رجلا مصريا يضرب عبرانيا فقتل المصرى وطمره فى الرمل ، وفى يوم تال خرج موسى فشاهد رجلين من قومه يختصمان فقدم لمناصرة المظلوم إلا أن خصمه صرخ فى وجهه " من جعلك رئيساً وقاضياً علينا .. أتفتكر انت تقتلنى كما قتلت المصرى" وعندما علم فرعون بذلك أصدر أمرا بقتل موسى إلا أن موسى هرب وسكن فى أرض مديان (الأردن).

*** زواج موسى**

وفى أرض مدين تزوج من ابنة كاهن كانت تسقى وأخواتها الغنم فسقى عنها وتقول التوراة " وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات

وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ونظر الله بنى إسرائيل".

* ظهور الله لموسى:

تقول التوراة إنه عندما كان موسى يرعى الغنم فى البرية (الصحراء) وعند جبل حوريب " ظهر له ملاك الرب بلهيب من نار من وسط عليقة" فناداه الله وقال له لا تقترب من النار "إخلع حذاءك من رجليك لأن الموقع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة" ثم قال " إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر .. وسمعت صراخهم .. فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين .. إلى أرض جديدة واسعة إلى أرض تفيض لبنا وعسلا .. إلى مكان الكنعانيين (أرض فلسطين) والحيثيين " فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر" وعندما سأله موسى عن اسمه فقال الله "اهيه الذى اهيه" ثم غير اسمه مرة أخرى كما تحكى التوراة إذ قالت " وقال الله أيضا لموسى.. هكذا تقول لبنى إسرائيل "يهو" إله آبائكم " أرسلنى اليكم .. هذا إسمى إلى الأبد" وبذلك تكون أسماء الله فى سفر الخروج أهيه ويهو وأنا هو.

* الله يأمر بنى إسرائيل بسلب المصريين ونهبهم

من الغريب حقا أن تذكر التوراة أن الله حرض بنى إسرائيل على سلب المصريين ونهبهم فقالت إن الله أخبر موسى وقال له "فأمد يدى وأضرب مصر بكل عجائبى ..فيكون حين تمضون (أى تخرجون من أرض مصر) لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون

المصريين"(١) .

*** موسى والعصـــا**

وزود الله موسى بعصا إذا طرحت على الأرض صارت حيـــة وأن يدخل يده فى ثوبه ثم يخرجها فتصير برصاء بيضاء كالثلج فإذا ادخلها مـــرة أخرى فى عب ردائه عادت سيرتها الأولى ثم منحه معجزة ثالثة هى أنه إذا أخذ من ماء النهر وسكبه على الأرض صارت الماء دما.

وعندما قال موسى أنه لا يحسن الكلام أمره الله باســـتصحاب أخيـه هارون وتورد التوراة فى الإصحاح الرابع أن الله قال لموسى إن إسـرائيل هو ابنه البكر.

*** موسى وفرعون**

وعندما كلم موسى وهارون فرعون فى أمر اطلاق سراحهم غضـــب فرعون وزاد أحمال بنى إسرائيل فثار شعب إسرائيل على موسى وهـــارون ومن ثم توجه موسى حزينا إلى ربه ليقص له أمر الشعب الثائر عليه ويؤخذ من التوراة أن موسى هو ابن عمرام وأن أمه يوكابد عمة والده وأنها ولـــدت له هارون وموسى.

*** موسى إله وهارون نبى :**

يتنازل الله عن الوهيته كما تقول التوراة " فقال الـــرب لموســـى انظر أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك " !!(٢).

---

(١) الغالبية العظمى من كتب تفسير الكتاب المقدس تتحاشي تفسير مثـــل هـــذه الصـــور السلبية لإله بنى إسرائيل ، لأن الله لا يحض على السرقة والنهب والسلب .

(٢) هذا النص طبق الأصل مما ورد فى الإصحاح السابع من الكتب المقدســـة للكنيســـة الشرقية بينما النص المأخوذ من الكتاب المقدس كتاب الحياه المطبوع فى بريطانيا يذكر أن ربه قال لموسى " أنا جعلتك كإله لفرعون وهارون أخوك يكون كنبى" وفي العبارتين فارق كبير ، وقد سكتت أغلب كتب تفسير الكتاب المقدس عن بيان معنـــى مقبول للنص المذكور .

ثم زاد الله من قسوة فرعون على بنى إسرائيل إذ تقول التوراة " ولكنى أقسى قلب فرعون وأكثر آياتى وعجائبى فى أرض مصر ولا يسمع لكما فرعون حتى أجعل يدي على مصر" وهذا ما يعنى أن الأمر ليس هو اطلاق سراح بنى إسرائيل بل مجرد إنزال الكوارث بمصر.

ودخل موسى وهارون على فرعون وألقى هارون العصا بينما ألقى سحرة مصر عصيهم فصارت ثعابين ، وقد ابتلعت عصا هارون جميع ثعابين سحرة مصر .

ثم ضرب موسى وهارون العصا على مياه النهر فصارت دما ، فماتت الأسماك وعجز المصريون عن شرب الماء ، ولكن سحرة مصر ضربوا بعصيهم على الماء فلم يتحول الدم عنها ولم يطلق فرعون الإسرائيليين .

ثم جاء عقاب الضفادع فمد هارون يده على مياه مصر فامتلأت مصر بالضفادع وامتلأت البيوت ، إلا أن فرعون طلب من موسى أن يرفع الضفادع من بيوت مصر على أن تبقى فى النهر ، ففعل موسى ولم يطلق فرعون أبناء إسرائيل .

ثم جاء عقاب البعوض ، فامتلأت أرض مصر بعوضا ، ثم جاء عقاب الذبان ثم صلى موسى من أجل رفع الذبان فانقشعت .

وتكررت صور العقاب فمنها موت مواشى المصريين ثم الدمامل ثم البرد والرعد والبرق والنار ثم الجراد ثم حلول الظلام بأرض مصر ثلاثة أيام ومن كل صور العقاب تستثنى التوراة بنى إسرائيل المقيمين في مصر .

التوراة والتمييز بين المصريين وأبناء إسرائيل

يبدو أن التوراة لم تكتف بألوان العقاب التى نزلت على أرض مصر بل كشفت عن المزيد فهى تذكر " **يقول الرب أنى نحو نصف الليل أخرج من**

وسط مصر فيموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحى وكل بكر بهيمة ويكون صراخ عظيم في كل أرض مصر لم يكن مثله ولا يكون مثله أيضا ولكن جميع بنى إسرائيل لا يسنن كل لسانه إليهم لا إلى الناس ولا إلى البهائم لكى تعلموا أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل" أى أنه لا ينالهم سوء . ومن العجيب أن الله كما ورد فى التوراة كلما أنزل بمصر كارثة يشدد قلب فرعون حتى لا يطلق بنى إسرائيل .." ولكن شدد قلب فرعون فلم يطلق بنى إسرائيل من أرضه"

* التوراة تصف الله بالجهل

تتمادى التوراة فى وصف الله بأبشع الصفات وهى الجهل "لأنه طلب من بنى إسرائيل أن يذبحوا ذبائح ويأخذوا من دمها ويضعوه علامة ظاهرة على بيوتهم لأنه أى الله سوف ينزل إلى مصر ويضربها ، ولكى يميز الله بين بيوت المصريين وبيوت الإسرائيليين فإنه طلب منهم وضع علامة الدم

تقول التوراة " فإنى اجتاز فى أرض مصر هذه الليلة واضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم" ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها فأرى الدم واعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك" وهكذا نقل موسى لقومه رغبة الإله فى علاقة الدم ، وحين اجتاز الله أرض مصر وقتل ابكارها أطلق فرعون الإسرائيليين وطلب موسى من قومه حين خروجهم أن يسلبوا المصرين كما أمره الله .

* الخروج

تذكر التوراة أن العبرانيين أقاموا فى مصر أربعمائة وثلاثين سنة وكان خروجهم منها فى شهر أبيب وعددهم ستمائة ألف وقد أخذ موسى

عظام يوسف معه كما تذكر التوراة إن الله لم يهدهم إلى أرض فلسطين بل كتب عليهم التيه فى البرية واستطردت التوراة " **وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم إلى الطريق وليلا فى عمود نار ليضئ لهم**" وتعقبهم فرعون بستمائة مركبة حربية وشدد الرب قلب فرعون ليسعى وراء بنى إسرائيل وعندما رأى الإسرائيليون المصريين وراءهم ثاروا على موسى خوفا وقالوا كان خيرا لنا أن نخدم المصرين من أن نموت فى البرية غير أن الرب كما تحكى التوراة ظهر لهم قائلا.. كما رأيتم المصرين اليوم لا تعودون ترونهم بعد ذلك وأنه سوف يقاتل عنهم .

*** انشقاق البحر**

أمر الله موسى أن يرفع عصاه على البحر ويشقه فيدخل قومه وسط البحر من اليابسة وأوعز الرب إلى المصريين أن يدخلوا وراءهم ثم تحكى التوراة أن الله مشى وراء بنى إسرائيل ليوجد فاصلا بينهم وبين المصريين وتستطرد " ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء ودخل بنو إسرائيل في وسط الماء وخلفهم المصريون ولكن الله أزعج معسكر المصريين ، ثم مد موسى يده على البحر لتعود المياه مره أخرى وتغرق المعسكر المصرى .

وتذهب التوراة إلى أن جميع المصريين قد قتلوا بما فيهم فرعون وأضافت " ونظر إسرائيل المصريين أمواتا على شاطئ البحر" .

وأخذ بنو إسرائيل ينشدون ترنيمة الخلاص .

ويحدده الإصحاح السادس عشر أن البرية التى خرجوا إليها بعد اشقاق البحر هى برية سين بين إيليم وسينا ، وعندما تنمر بنو إسرائيل من حالة الفقر والجوع .. قال الرب لموسى فيما تحكى التوراة- أنا أمطر لكم خيرا من السماء ، وإذا مجد الرب قد ظهر في السحاب .. كلمهم قائلا فى العشية

(المساء) تأكلوا لحما وفى الصباح تأكلوا خبزا وفى المساء جاءت لهم السلوى ، وفى الصباح انتشرت قشور كالدقيق فصنعوا منه خبزا وأسموه منا وأكل بنو إسرائيل المن والسلوى أربعين سنة .

* الرب يقف علي الصخرة

وعندما تضجر بنو إسرائيل من العطش قال الرب لموسى (١) .." هاأنذا أقف أمام الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب" .

* حرب العماليق

وحارب العماليق بنى إسرائيل وكانت إسرائيل- فيما تحكى التوراة تنتصر إذا رفع موسى عصاه وكانت تنهزم إذا أخفض موسى عصاه حتى أن هارون ويشوع ثبتا يدى موسى إلى أعلى فانهزم العماليق (٢) .

وبناء على وصية من حميه يثرون فقد أقام على بنى إسرائيل رؤساء يقضون بينهم فى الأقضية الصغيرة ويرفعون إلى موسى الأقضية الكبيرة .

* حقائق عن الخروج

تقول التوراة إن الله قال لموسى بعد أن ناداه من الجبل "إن اطعتم عهدى تكونون لى ملكا خاصا من بين جميع الشعوب لأن لى كل الأرض

---

(١) تزوج موسى فيما تحكى التوراة من صفورة إبنة يثرون وأنجب منها جرشوم واليعازر

(٢) قيل أن العمالقة من نسل عماليق حفيد عيسو وشقيق يعقوب (إسرائيل) وكانوا ـ أمة بدوية شرسة علي هيئة قبيلة ضخمة عاشت في المنطقة الصحراوية حول البحر الميت كان من طبائعهم قتل الأعداء تلذذا فى القتل ذاته ، وكانت هذه القبيلة من ألد اعداء بنى إسرائيل .

وتكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة " (١).

وكان ارتحال الإسرائيليين من رعمسيس (على الضفة الشرقية للنيل) إلى سكوت فى نحو سته مائه الف من الرجال المشاه ماعدا النساء والأولاد وكثير من الغنم والمواشى وذلك بعد حياة فى مصر تقدر بأربعمائة وثلاثين سنة ، وكان الخروج فى شهر مارس (أبيب أزار) وسميت مصر ديار العبودية . وتقول احدى النظريات إن الخروج حدث فى ١٤٤٦/١٤٤٥ ق .م وتذهب أخرى إلى أنه حدث فى ١٣٠٠/١٢٠٠ ق . م.

وفى تقديرنا أن هذا تبرير غير سائغ فيه كثير من المداهنة لإسرائيل كما يحمل تعارضا واضحا مع فكرة شعب الله المختار عند اليهود لأنهم لم يتجهوا إلى القول بأن إسرائيل ستكون قناة لتوصيل بركات الله إلى الأمم – لأنهم لايعترفون بقيمة الأمم الاخرى لدى إلههم . ولكن التفسير المسيحى – يحاول أن يجعل من أمة المسيح – أمة مشمولة ببركات رب موسي كإسرائيل . (والمقصود بأمة المسيح عليه السلام – نسل داود (وغيره من الأميين الذين اعتنقوا المسيحية) [انظر التبرير الوارد فى الهامش].

ونظرية الخروج الأولى تستند إلى ما جاء بسفر الملوك الثانى من أن سليمان شرع فى بناء الهيكل فى سنة ٤٨٠ ق . م لخروج بنى إسرائيل وحيث يجمع العلماء أن بناء الهيكل كان فى سنة٩٦٦ ق . م فهذا يعنى أن الخروج حدث فى سنة ١٤٤٦وعسكر الإسرائيليون فى إيتام على البحر عند

---

(١) وتذهب التفسيرات المسيحية في الرد علي تساؤل جوهري (لماذا اختار الإله شعب إسرائيل ليكون له خاصته فنقول " لقد اختار الله بنى إسرائيل ليس بسبب أى شئ فعلوه بل بالحرى اختارهم رغم كل الأخطاء التي فعلوها والتى كانوا سيفعلونها لماذا أراد الله أن يكون له شعب خاص على الأرض .... ليمثلوا طرقه لكى يكونوا صورة للخلاص فى العالم فكان يجب أن يكون نسل إبرأهيم سبب بركة لجميع أمم الارض .. وحتي تصبح إسرائيل – قناة لتوصيل بركاته إلى العالم ".

راجع طبعة بريطانيا (Life Application Bible(LAB

فم الحيروث مقابل بعل صفوان وحينئذ ثار الإسرائيليون على موسى لأنهم اعتقدوا بأن المصريين سوف يقتلونهم .

ورنم موسى ترنيمة للرب (١) كما رنمت مريم أختة (إبنة عمـــرام – في التوراة (٢، ٣) وفى سينا ظهر المن على الأرض كحبوب قشرية تطحـــن ويصنع منها رقاقا بالعسل وجدير بالذكر أن المسيح استعمل لفظ المن مشــيرا إلى جسده باعتباره خبز المسيحيين الذى يسد حاجاتهم الروحية الأبدية) .

---

(١) يعتقد العديد من العلماء أن الإسرائيليين لم يعبروا البحر الأحمر ذاته بل عبروا احدى البحيرات الضحلة أو المستنقعات التي في شماله لأنها تجف فى بعض أوقـــات الســـنة وخاصة فى شهر مارس بينما يعتقد أخرون أنهم عبروا بحرا للحلفاء شـــمال البحـــر الأحمر وهو ضحل المياه بحيث يمكن خوضه، ولو أن ذراع البحر الأحمر القائمـــة حاليا كانت موجودة كما هى فى العصور القديمة لامكن القول أن العـــبرانيين لـــم يكونوا فى حاجة إلى عبور البحر الأحمر لأن طريقهم الصحراوى يؤدى بهم مباشـــرة إلى صحراء سيناء لكن بعض العلماء يعتقد أن ذراع البحر الأحمر الغربى كان ممتـــدا اكثر من ذلك . غير أنه فى الأصول الإسلامية أكد القرآن الكريم عبـــور العـــبرانيين للبحر .

هذا وفى الآثار الفرعونية لم يكتشف حتى الأن دليل فى السجلات التاريخية للمصريين على هذا الخروج.

(٢) يقوم كل من التوراة والإنجيل بل وأسفار الأنبياء فى العديد من نصوصها على آليـــة الإنشاد والترانيم ففى العهد القديم يوجد حوالى ثمانى ترنيمات بخـــلاف مزامـــير داود ويتضمن العهد الجديد حوالى خمس ترانيم اشهرها ترنيمة السيدة العذراء مريم حمـــدا لها على حبلها من يسوع .

(٣)هناك اختلاف جوهرى بين التوراة والقرآن فى نسب مريم هذه ، فبينما تذكر التـــوراة أن مريم بنت عمرام هى أخت موسى يذكر القرآن أن مريم بنت عمران هـــى أم المسيح عليه السلام .

وبنى موسى مذبحا للرب دعاه " يهوه ينبَي اى الرب رايتي ، وحين زاره حموه يثرون اقترح عليه تعيين قضاه لشعب إسرائيل ففعل .

ثم وصل الإسرائيليون إلى برية سيناء بعد ثلاثة أشهر من خروجهم من أرض مصر.

* إله موسى ينزل على جبل سينا (الوصايا العشر)

تحكى التوراة أن الرب نزل على جبل سيناء وحذر موسى شعبه من أن يصعد إلى الجبل ليرى الله حتى لا يقتل وتكلم الرب إلى موسى بوصاياه.

" لا يكن لك ألهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما .. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء في الجيل الثالث والرابع (١) لاتنطق باسم الرب إلهك بلطلا .. اذكر يوم السبت لتقديسه .. لا تصنع عملا ما .. (يوم السبت) لانه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع . أكرم أباك وأمك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك (٢) شهادة زور ، لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك .. ولاعبده (٣) ثم أوصاه أيضا لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم الهة ذهباً، مذبحا من تراب تصنع .. ولا تصعد بدرج (سلم) إلى مذبحى كيلا تنكشف عورتك، ونهاه أن يصنع مذبحا من حجارة منحوتة .

---

(١) لا نعتقد أنه من العدل أن يحاسب الأبناء على ذنوب أبائهم .

(٢) هذه الوصية توحى بأن شهادة الزور تجوز على غير القريب .

(٣) وتعنى هذه الوصية أن إله موسى لا يحرم الرق .

تضمن سفر الخروج بعض أحكام الشريعة التى أوصى بها الله لموسى نتناول منها ما يلى :-

* أحكام الــرق

أ – العبد العبرانى يستمر فى عبوديته ست سنوات ثم يحرر بعد ذلــك وإذا كان متزوجا فإن زوجته تحرر معه.

أما إذا كان سيده هو الذى منحه الزوجة فالمرأة وأولادها يستمرون فى عبوديتهم لسيدهم وإذا رفض العبد أن يتحرر بمفرده يستمر فى عبوديته لسيده إلي الأبد .

ب– إذا باع رجل ابنته وخطبها سيدها ثم استغنى عنها فتحــرر وإن تــزوج عليها كانت عليه نفقتها وكسوتها ومعاشرتها .

*القتل العمد والقتل الخطأ

أ ــ من قتل انسانا عمدًا يقتل ، ومن قتل انساناً خطأ ، فإن الله يعد له مكانا للهرب(١).

ب ـ من ضرب إنساناً أو ضرب أمـــه أو أبــاه أو شــتمها أو مــن ســرق إنسانا يقتل .

* الضــــرب

من ضُرب ولم يمت فيكون الضارب بريئا ولكنه يعوض المجنى عليــه بسبب تعطله ومرضه ومن ضرب عبده أو أمته بالعصا فمات العبد أو الأمة

---

(١) أحكام غريبة لا تتفق مع المنطق وقواعد العدالة .

فيكفى الانتقام منه ولكن إذا بقى العبد أو الأمة على قيد الحياه يوما أو يومين فلا ينتقم منه وإذ اتلف السيد عين عبده فيحرره .

*** اجهاض الحوامل**

من أجهض حاملا وأوذيت فى نفسها أو جنينها فنفس بنفس وعين بعين وسن بسن ويد بيد ورجل برجل وجرح بجرح .

*** محاكمة الثيران**

إذ نطح ثور رجلا أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه ولكن إذا كان ثورا نطاحا من قبل ولم يمسكه صاحبه ثم نطح الثور إنسانا فمات فيرجم الثور و يقتل صاحبه وإذا نطح ثور ثوراً أخر فمات بيع الثور الحى واقتسم الاثنان ثمنه .

وإذا سرق إنسان ثوراً يعوض عنه صاحبه بخمسة ثيران والشاه بأربعة .

*** السرقة**

من يسرق ويضبط فى حالة تلبس يجوز قتله ولكن إذا أشرقت الشمس عليه فلا يجوز قتله، ثم تكلمت الأحكام عن التعويضات التى تدفع لمن يحرق زرعه أو لمن يودع لدى اخرين ودائع كالماشية ثم تفقد .

*** الاضطجاع مع العذراء :-**

١ـ إذا راود رجل عذراء لم تخطب واضطجع معها يتخذها لنفسه زوجة فإن رفض أبوها يُعطى مهرا .

٢ـ من اضطجع مع بهيمة يقتل .

* أحكام متفرقــــة

من وصايا الله لموسى وبنى إسرائيل الا يضطهدوا الغرباء ولا يـسيئوا لأرمله أو يتيم ، وهددهم الله بقتل ذكورهم إن أساءوا إلى اليتامى حتى تصير نساؤهم أرامل وحرم على الإسرائيليين أن يقرض أحد من قومه بربا ونــهى عن سب الله ولعن الرؤساء وقول الكذب والزور والنفــاق وقتــل الأبريــاء والرشوة .

وأمرهم بأن يكون لهم عيد للفطير يأكلونه سبعة أيام فى شهر ابيب.

ووعدهم الله بأن يبيد من أمامهم الكنعانيين (الفلســطينيين) والحيثيين ليمهد لهم الطريق أمام الأرض الموعودة (فلسطين) .

* شيوخ إسرائيل يرون الله

تذكر التوراة فى الإصحاح ٢٤ " ثم صعد موسى وهــارون ونــاداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل (١) وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف .. ولكنه لم يمد يده إلــى أشـراف بنــى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا .." .

---

(١) تنسب التوراة شعب إسرائيل إلى الله دون غيرهم.

طلب الله من موسى أن يصعد إلى الجبل ليعطيه لوحى حجارة عليها الوصايا والشريعة وحيثما صعد إليه غطى السحاب الجبل ستة أيام وفى اليوم السابع دُعى موسى ليكون أمام الله وظل موسى فى الجبل أربعين يوما .

* بيت الإله

طلب الله من موسى كما تحكى التوراة أن يبنى لله بيتا مقدسا ليسكن وسط الإسرائيليين وعرفه بالتفصيل كيف يبنى البيت من خشب السنط والذهب النقى على أن يصنع فيه تابوتا له غطاء ويصنع مائدة للاجتماع ومنارة من ذهب وأن يكون المسكن من عشر شقق مبنية من البوص المبروم ويصنع للمسكن الواح وقواعد ثم يبنى فيه مذبحا (هيكلا).

كما أمره بإحضار زيوت لإنارة سراج البيت وخليط من زيت الزيتون والقرفة والمر تكون دهناً ومسحة (١) تمسح به خيمة الاجتماع والتابوت والمائدة والمنارة فتكون مقدسة ويمسح هارون وبنوه فقط بالمسحة دون شعب إسرائيل .

وأوصى الله موسى بتقديس يوم السبت ومن عمل فيه يقتل .. واستطردت التوراة قائلة " ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سينا لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين باصبع الله (٢) .

---

(١)هذه أول كلمة فى التوراة (مسحة) انطلق منها اسم المسيح اى الممسوح بالزيت والدهن المقدس وهو خليط يتكون من مر وقرفة وزيت الذرة وسليمة وزيت الزيتون وهكذا نصت التوراة على أن الله،أتخذ له مسكنا داخل مساكن شعب إسرائيل ليرعاهم ؟!

(٢) الإصحاح الحادى والثلاثون .

* عجـــل الذهـــــب

وحين ابطأ موسى على شعب إسرائيل وهو يتلقى الوصايا فوق الجبـل ظنوا به سوءا فطلبوا من هارون أن يصنع لهم إلها من ذهب يعبدونه " قـــم اصنع لنا آلهه تسير أمامنا .. فقال لهم هارون انزعوا اقراط الذهب التى فـى أذان نسائكم وبناتكم وآتونى بها" فصنع لهم هارون عجلا مسبوكا" فقال الرب لموسى اذهب انزل لان الشعب فسد واراد أن يبيدهم فقال له موسى " **ارجـع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك**" وتقول التوراة " **فندم الرب عـلى الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه**" ثم انصرف موسى ولوحا الشهادة فى يده.

ويحدثنا الإصحاح الثالث و الثلاثون عن إقامة موسى لخيمة الاجتمـاع التي كان يدخلها إله اليهود فى هيئة عمود سحاب وكان يتكلم مع موسـى " ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه" وكان يترك خادمـه يشوع بن نون (١) حارسا للخيمة إذا خرج منها .

* حـوار بين الله وموسى .. ارنى وجهك

من الغريب حقا أن تذكر التوراة هذا الحوار بين موسى وربه ، حيـث طلب موسى من ربه أن يرى وجهه لأنه كان يتمثل له كعمود سحاب حين يكلمه كما سبق القول .. واجابه الرب "لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان

---

(١) صار هذا الخادم نبيا فيما بعد كما يذكر الكتاب المقدس وله سفر باسمه وكان لـه دور كبير فى جمع الإسرائيليين بعد موت موسى ويلاحظ أن التوراة صورت الله بشـرا يغضب ويندم بل أن موسى عليه السلام يطلب من ربه في صيغة الأمر أن يندم على ما أراده من الشر . فضلا عن أن التوراة جسدت الله (ويكلم الرب موسـى وجـها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه) مع أنها فى الإصحاحات التالية تقر بأن الإنسـان لا يستطيع أن يرى الله وجها لوجه .

لا يرانى ويعيش" ، " **وقال الرب هوذا عندى مكان فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدى أنى اضعك فى نُقرة من الصخرة واسترك بيدي حتي اجتاز ثم أرفع يدى فتنظر ورائى وأما وجهى فلا يرى**" ويعنى ذلك أن الله طلب من موسى أن يقف على صخرة بينما الرب يجتاز المكان الذى وقف عليه موسى وحين يقترب من موسى فإن الله سوف يخفيه فى حفرة حتى لا يرى وجهه ، وبعد أن يجتاز الله مكان الحفرة سوف يرفع يده عن موسى لكى يتمكن موسى من النظر إلى ظهر الرب (فتنظر ورائى).

ونعتقد أن هذا التصوير لرب العزه فيه إسفاف على الله .. لأن التوراة صورت الله كرجل له وجه وظهر وهو يمشى ،ويخفى رأس موسى بيده حتى لا يرى وجهه ثم يتركه ليرى ظهره !!

*** نحت الواح جديدة**

طلب الرب من موسى أن ينحت لوحين بدلا من اللوحين المكسورين ليكتب الله عليهما الوصايا والشريعة واوصاه بألا يصنع آلهة مسبوكة ووعده الأرض الموعودة فلسطين حيث يطرد الشعوب منها وبدأ بنو إسرائيل فى تجهيز خيمة الاجتماع (١) حتى اكتمل العمل فيها فحلت فيها السحاب (وهى رمز لله) " وملأ بهاء الرب المسكن"

وهذا التصوير غريب على الذات الالهية .. كيف يتصور العقل أن الله يأتى ليسكن فى الخيمة التى يقيمها موسى وليكون بين مساكن بنى إسرائيل .

---

(١) فى تقديرنا أن خيمة الاجتماع هى النواة الأولى للهيكل الذى يعبد فيه بنو إسرائيل إلههم.

(١) **من الأسماء** التي أطلقها العبرانيون على الله .. ايلوهيم وهو لفظ جمع يعنى أنه رب الأرباب ، ويهوه وهو الاسم الذي يشير إلى الذات الإلهية، وايل – كإسم يشير أيضا إلى الذات الإلهية ، وأدوناى ويشير إلى معنى الرب ، وأهيه وقد حرف إلى يهوه أو "أنا هو" .

وذكر لفظ إيلوهيم في سفر التكوين وسفر العدد و مزامير داود .

وذكر لفظ يهوه فى سفر التكوين (٤،٢) ، وسفر الخروج (٣،٢/٦)

وذكر لفظ إيل فى سفر التكوين (١٧:١٤–٢٠) وسفر العدد (١٦/٢٤) والمزامير (١٧/٧) وسفر أشعياء (١٤،١٣/١٤) .

كما وصف الإله بأوصاف عديدة مثل إيل عليون أى الله العلى ، إيل رؤى أى الله الذى يرى ، وايل شداى أى الله القدير ، إيل عولام أى الله الأبدى كما وصف الإله يهوه بأوصاف أخرى مثل يهوه يمينى أى الله رايتى ، ويهوه شالوم أى الرب هو السلام ويهوه صباؤوت أي رب الجنود(١).

(٢) **صورت التوراة** إله إسرائيل بشكل يجسد ذاته ، والحوار الذى دار بين الله وموسى فيه كثير من الاسفاف بالنسبه لله جل وعلا ، فالله له وجه وظهر ويمشى ذهابا وجيئة والعبرانيون يبنون خيمة الاجتماع لتكون بيتا لله يستقر فيها بينهم ، ومن الغريب حقا – أن يستبدل سليمان بعد ذلك بخمسائة عام بخيمة الرب – الهيكل الذى بناه ليكون بيتا للاله ولكن الهيكل يدمررغم اعتقاد الاسرائيليين باستقرار الرب فيه ، وفى التوراة أيضا أن الرب اتى في سحابه كثيفة غطت خيمة الاجتماع، وشيوخ

(١) تشير كلمة الجنود إلى الجيوش أو المخلوقات السماوية ونحن نرى خلافا لأراء العديد من علماء مقارنة الأديان – أن تعدد الأسماء والأوصاف لا تعنى تغييراً فى الذات الإلهية.

إسرائيل يصعدون الجبل وقد رأوا إله إسرائيل تحت رجليه عقيق أزرق(١).

(٣) **وتذكر التوراة** أن موسى عاتب الله عتابا شديدا بعد عبادتهم العجل حيث قرر افناء بنى إسرائيل إلا أن موسى تشفع لديه بعبارات لا تليق بجلال الله إذ قال له " لماذا يحتدم غضبك على شعبك .. إرجع عن حمو غضبك ولا توقع هذا العقاب بشعبك" وبناء على هذه الشفاعة غير الله عزمه فأوقع عليهم جزاء مخففا هو ضربهم بالوباء .

(٤) **حفلت التوراة** بالعديد من الطقوس ومن أهمها عقيدة الذبائح الحيوانية، وتشير فى التوراة إلى أنها رمز الفداء لله حيث يستعيد بها الإنسان علاقته بربه ، وهذه العقيدة انتقلت إلى المسيحية على صورة أخرى حيث اعتبر المسيح هو الذبيحة البشرية لفداء الإنسان من خطية آدم – وفى تقديرنا أنها عقائد لطقوس دموية لا صلة لها بغضب الله أو بغفرانه للخطايا.

ولقد قامت هذه العقيدة على موروث قديم فى العصور الأولى حيث كان كهنة المعابد يقدمون ذبيحة بشرية لألهتهم الوثنية إرضاء لها وطلبا للمغفرة ومن الطقوس الجوهرية فى سفر الخروج بناء خيمة الاجتماع وتابوت العهد وكرسى الرحمة وهو غطاء لتابوت العهد يرمز إلى كونه عرشا لله ليستقر عليه وسط شعب إسرائيل وهي كلها صور تجسيديه لله، يؤكدها اسدال ستارة تسمى الحجاب تفصل بين الجزءين المقدسين فى خيمة الاجتماع وتشير إلى أن الله يقيم خلف الستارة وأن الشعب يوجد أمامها.

---

(١) من الأساطير غير القابلة للمنطق الصحيح أن تذكر التوراه أن موسى امتنع عن ختان ابنه وقالت إن الله التقاه فى مكان ما وهم أن يقتله " وفي أثناء الطريق بالقرب من خان التقاه الرب وهم أن يقتله " الا أن صفوره زوجته ختنت الطفل فعفا الله عن موسى ويبدو أن موسى لم يكن عالماً بشرائع الله التى فرضها علي أبناء إبراهيم .

(٥) لم يكن العبرانيون يؤمنون بإله واحد حقيقة ، وإنما كان المؤمن الوحيد بوحدانية الله هو موسى ولذلك فإن الإسرائيليين طلبوا من هارون صنع إله مجسم لعبادته فصنعوا العجل الذهبى وسبكوه من الذهب والفضة التي نهبها الإسرائيليون من المصريين عند الخروج تنفيذا لأوامر إلهم الذى أمرهم بالسلب والنهب وكانت البقرة أو العجل من اشهر المعبودات فى مصر ومنها حابى (عجل أبيس) وهاتور – وتعتبر البقرة والعجل من الرموز التى ترمز إلى الجنس لأن العجل يمثل قوة جنسية هائلة ، وكانت النساء اشد المعجبات بقوة الجنس للعجل ومن ثم استطعن أن ينفثن عن رغباتهن بصنعه ثم وضعوه فى مركز الإله المعبود (١).

(٦) تخالف التوراة القرآن فى شأن المرأة التى انتشلت موسى ؛ فبينما تذهب التوراة إلى انها أخته يذهب القرآن أنها زوجة فرعون .

ويتجه رأى إلى أن حتشبسوت هى التى انتشلت موسى من النهر وكان زوجها هو تحتمس الثانى وكانت عاقرا حيث كان لتحتمس ولد من امرأة أخرى ورث العرش ، وقد اعتبرت موسى ابنا لها ليتمكن من وراثة العرش.

بينما يذهب رأى آخر إلى أن ابنة رمسيس الثاني هى التى انتشلت موسى ولا توجد فى آثار مصر الفرعونية ما يدل علي صحة الرواية وتعلل بعض الأراء ذلك بأن هذا الدليل لم يكتشف بعد أو أن الفراعنة لم يسجلوا الكوارث التى لحقت بهم .

---

(١) تقول المصادر المسيحية عن هذا الموضوع إن الاسرائيليين " صوروا الله على الصورة التى تخيلوها ليلائم أغراضهم وأهوائهم لقد صنعوا صورة مكذوبة لله ليبرروا سلوكهم الفاجر" راجع طبعة بريطانيا من Life Application Bible والمراجع المسيحية تدين أسلوب الاسرائيليين الذين حولوا صورة الله المثالية إلى عجل من ذهب وسجدوا له وعبدوه أرضاء لشهوات نسائهم .

*** الوصايـــا العشــــر**

تكاد تكون هذه الوصايا هى الوثيقة المجمع عليها باعتبارها منزلة من الله إلى النبى عليه السلام وتشمل الوصايا ثلاثة تحذيرات لشعب إســرائيل – لا يكن لك آلهه أخرى، لا تنحت تمثالا . وتنطق باسم الرب إلـــهك بـــاطلا، وأمران وخمسة نواه – أذكر يوم السبت فلا تقم فيه بأى عمل – أكرم أبـــاك وأمك ، لاتقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد زورا على جارك، لا تشته امرأة قريبك.

والوصايا السبع الأخيرة ما هى إلا ترديد لبعض الاخلاقيـــات، ولـــم تتضمن الوصايا عبادة ما أو تشريعاً.

*** تواريخ هامــــة**

يقدر بعض العلماء أن تاريخ ولادة موسى كان ســـنة ١٥٢٦ ق.م وأن خروج العبرانيين من مصر كان سنة ١٤٤٦ ق.م وأن الله أنـــزل الوصايـــا العشر حوالي سنة ١٤٤٥ ق.م وكان دخول العبرانيين إلى أرض كنعان فـــى سنة ١٤٠٦ ق.م تقريبا.

*** أهم الشخصيات في سفر الخروج**

موسى (سوف تدرس شخصيتة فى موضوع أخر)

يثرون حمو موسى

مريم بنت عمران – أخت موسى

هارون إبن عمران – أخ موسى

* **ظهور الإله في التوراة**

يبدو أن ظهور الرب في التوراة كان أمرا عاديا، فقد ورد بها أنه ظهر لإبراهيم ليخبره بولادة اسحق وظهر لموسى كلهيب في عليقة، وظهر ليعقوب ليصارعه، وظهر لإسرائيل فى عمود سُحاب وعمود نار فضلا عن ظهوره فى مجالات أخرى كظهوره لبعض شيوخ إسرائيل، وهو ما يشير إلى أن مفهوم الطبيعة الإلهية عند الإسرائليين لا يخرج عن كونه إنسانا راقيا كانت له صفة الخلق.

سفر اللاويين

يشمل السفر سبعة وعشرين إصحاحا ، وهو أصغر أسفار التوراة، وقد اختير له اسم اللاويين وهم جماعة ينتمون إلى سبط من أسباط الاسرائيليين وكانوا قد عُرفوا بالتقوى وينحدر موسى من اصلابهم.

ويبدأ السفر بوصف ما تم بين الله وموسى وذويه فى خيمة الاجتماع التى أقامها الشعب ليحل فيها الله عند حواره مع موسى، وبدأ الرب يبين لموسى كيف تكون قرابين بنى إسرائيل لله "من البقر والغنم تقربون قرابينكم" وتقول التوراة نقلا عن الرب " ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هارون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديرا على المذبح " ثم يتناول السفر قربان الدقيق، والقربان المخبوزة وطاجن الصاج وكما تقول التوراة " ويأخذ الكاهن من التقدمه (القربان) تذكارها ويوقد على المذبح وقود رائحة سرور للرب" .

ويلاحظ – فى هذا السفر أنه امعن فى بيان أنواع القرابين وكيفية تقديمها ، وكانت تعد كفدية لبعض الخطايا لان رائحة الشواء ولون الدم هو مما يسر رب بنى إسرائيل فكانت ذبيحة للإثم وذبيحة للسلام وذبيحة للخطايا فضلا عن أنه حرم **عليهم أكل دهن البهائم لأنه يقدم وقودا للرب** .

*** شرائع الذبائح:**

تقول التوراة إن الله حدد لبنى إسرائيل الذبائح التى يباح لهم أكلها وهى الحيوانات مما شق ظلفا وقسمه إلى ظلفين ويجتر واستثنى من ذلك الجمل فهو نجس و الأرنب والخنزير فهو أيضا نجس.

ومن الأسماك يأكلون كل ماله زعانف وحرفش، وأما الطيور فقد حرم عليهم النسر والأنوق والعقاب والحدأه والباشق والنعامة والباز والبوم والغواص والكركى والبجع والقوق والببغاء والهدهد والخفاش وحرم عليهم كل ما يمشى على أربع وأحل لهم الجراد .

كما حرم عليهم ابن عرس والفار وصنب والجرذون والحرباء .

*** نجاسة الولد والبنت**

الأم التى تلد ذكرا تكون نجاستها سبعة ايام يختن مولودها في اليوم الثامن ثم تبقى ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها لاتمس شيئا مقدسا، أما إذا ولدت أنثى فتكون نجسة أسبوعين كما تبقى فى دم تطهيرها ستة وستين يوما (أى نجاسة الأم تختلف فى حالة ولادتها لانثى فتكون ضعف مدة نجاستها إذا ولدت ذكرا) وهو ما يعنى التمييزبين الذكر والأنثى – حتى فى مدة تطهير الأم من نجاسة دم الوضع وتكلمت التوراة فى الإصحاح الثالث عشر وما بعده عن مرض البرص والدمامل واعتبرت التوراة المريض بالبرص نجسا فتقول " فهو إنسان ابرص إنه نجس فيحكم الكاهن بنجاستة – إن ضربته فى رأسه (أى أن البرص ظاهر فى رأسه الصلعاء) والابرص الذى تكون فيه ثيابه مشقوقة ورأسه مكشوفا ويغطى شاربيه وينادى نجس – نجس .. يقيم وحده خارج المحلة يكون مقامه) اى خارج البلدة يقيم – وإذا برئ الأبرص يرش بدم عصفور (١).

(١) ترى أنها طقوس غريبة فى شأن الابرص – فهو ليس مريضاً فحسب بل إنه نجس ، ولقد نص القرآن – من بين معجزات السيد المسيح عليه السلام – بأنه كان يشفيه ، باعتبار أن شفاءه كان بالغ الصعوبة .

* غسل المعاشرة الجنسية

إذا عاشر رجل زوجته معاشرة جنسية كان عليـــه أن يتطـــهر بمـــاء ويكون نجسا إلى المساء وكذلك المرأة .

ثم تكلمت التوراة (الإصحاح ١٥) عن نجاسة الحيـــض فـــإن المـــرأة تصير نجسة به سبعة أيام وكل فراش يلمسها يكون نجسا ويجـــب تطـــهيره والرجل الذى يضطجع مع حائض يكون نجسا سبعة أيام .

* النهي عن كشف العورات

تقول التوراة (١٨) لا يقترب إنسان إلى جسد قريبه لكشف العـــورة، وقد حظرت عليهم كشف عورات الأب والأم والأخت وابنة الابن وابنة البنت وبنت زوجة الأب والعمات والخالات وزوجـــة الابـــن وزوجـــات الأعمـــام وزوجات الاخوة وقالت التوراة " لاتأخذ إمرأة على أختها للضـــر لتكشـــف عورتها معها فى حياتها " كما حرمت التوراة مضاجعة الذكور، وكذلك زواج الرجل من أخت زوجته وهذا التحريم ورد فى القرآن أيضا .

* تحريم عبادة الأوثان

فى الاصحاح التاسع عشر حرمت عبادة الأوثان أو وضع آلهة مسبوكة ونهى عن السرقة والكذب والغدر بالصديق والحلف بالله كذبـــاً ونـــهى عـــن إغضاب القريب ثم قال " لاتشتم الأصم وقدام الأعمى لا تجعـــل معـــثرة، لا ترتكبوا جورا في القضاء .... بالعدل تحكم لقريبك . لاتسع فى الوشاية بيـــن شعبك لاتبغض أخاك فى قلبك .. لاتنتقم ولاتحقد علي أبناء شعبك "(١).

---

(١) جميع الوصايا الاخلاقية فى التوراة يختص بها الأقارب ومن ينتســـب إلـــى شـــعب إسرائيل دون الغرباء أى الشعوب غير الاسرائيلية .

*** النهى عن الزنا**

وقال "لا تدنس ابنتك بتحريضها للزنى لئلا تزنى الأرض وتمتلئ الأرض رذيلة" وإذا زنى رجل مع امرأة قريبه يقتل الزانى والزانية وكذلك إذا زنى مع امرأة أبيه .

ثم تكلم عن وجوب احترام كبار السن وعدم ظلم الغريب ونهى عن الظلم فى القياس والوزن والكيل ثم نهى عن الاصغاء للجن .

*** سب الوالدين**

كل إنسان سب أباه أو أمه فانه يقتل وإذا اضطجع رجل مع ذكر يقتلان وإذا اتخذ رجل إمرأة وأمها يحرقون الجميع ونهى عن كشف عورات المحارم والجزاء هو القتل وأما بالنسبة لمن يدخله جان فإنه يقتل بالحجارة، وإذا زنت ابنة كاهن فإنها تحرق .

*** الأعياد المقدسة**

تناول الإصحاح الثالث والعشرون أحكام المواسم المقدسة ستة أيام يعمل فيها واليوم السابع (يوم السبت) عطلة ومحفل مقدس لا يجوز العمل فيه وبين الإصحاح أيام عيد الفصح وعيد الفطير ويوم الكفارة ويوم الاعتكاف.

*** عين بعين**

أورد الإصحاح الرابع والعشرون أحكام الإدانة فقال "إذا أمات أحد إنسانا فإنه يقتل ومن أمات بهيمة يعوض عنها نفس بنفس وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به كسر بكسر وعين بعين وسن بسن" ومن سب إله إسرائيل يرجم بالحجارة .

* **النهى عن بيع الأرض**

تناول الإصحاح الخامس والعشرون أحكام الزراعة ونهى عن بيع الأرض لأن الأرض لله " والأرض لا تباع بتة لان لى الأرض وانتم غرباء ونزلاء عندى".

وحرم الربا بين اليهود أنفسهم وحرم المرابحة قال " وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبا أو مستوطنا (نازلا بأرضهم) فيعيش معك لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة بل احسن إلهك فيعيش أخوك معك – فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعط بالمرابحة".

* **عدم استرقاق اليهود**

حرمت الشريعة على اليهودى أن يتخذ له عبيدا أو إماء من اليهود وأباح له إتخاذ العبيد من الشعوب الاخرى " وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيدا وإماء وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر وأما أخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف"

ونهى الإصحاح السادس والعشرون عن إقامة التماثيل المنحوتة أو النُصب أو الأحجار المصورة من أجل السجود لها .

* **شعب الله المختار**

يؤكد الإصحاح أن الله أختار شعب إسرائيل ليكون شعبه المختار -قال " وأجعل مسكنى فى وسطكم ولا ترذلكم نفسى وأسير بينكم وأكون إلها وانتم تكونون لى شعبا .. أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر من كونكم لها عبيدا وقطع قيود نيركم " .

ثم حذرهم من مخالفة وصاياه وأن فعلوا فسوف يحل عليهم الخــــراب والدمار ويشتتهم فى كل مكان .

وكانت تلك وصايا الشريعة التى أوصى بها إله موســـى علـــى أرض سيناء.

(١) استكمل سفر اللاويين طقوس الذبائح ، ومن بينها ذبيحة المحرقة حيث كانت الذبيحة تحرق بتمامها فيما عدا الدم والجلد وكانت ترمز للتكفير عن الخطايا والاقتراب من الله ، ولا ندرى كيف كانت الذبيحة هى اساس التوبة وغفران الذنوب فالله وحده هو الذى يغفر الخطية وليس فى حاجة إلى ذبيحة تقدم إليه .

غير أن التوراة أبرزت ابتهاج الله من منظر الدم واحتراق الذبيحة يقول سفر اللاويين فى الإصحاح الأول " فتكون (الذبيحة) محرقة ووقود رضى تسر الرب" ولقد تنوعت صور الذبائح في هذا السفر – فهناك ذبيحة المحرقة وذبيحة السلام وذبيحة الخطية وذبيحة الإثم

(٢) امتدادا لخلو التوراة من عقيدة البعث والحساب فإن مرتكب الخطيئة كان يلقى جزاءه بصفة فورية ولعل القتل أو الإعدام كان هو الجزاء الغالب فى كل الخطايا على ما سبق أن أوردنا فى نصوص السفر .

(٣) اهتمت التوراة بطقوس الطهارة من النجاسة وكان الغسل للجسد كله هو وسيلة التطهير فالمرأة نجسة عند الحيض والأبرص نجس والاتصال الجنسى يولد نجاسة الطرفين فتقول التوراة " وإذا أفرز الرجل سائله المنوى يغسل كل جسده بماء ويصبح نجسا إلى المساء وكل ما يقع عليه السائل المنوى من ثياب أو جلد يغسل بماء ويكون نجسا إلى المساء وإذا عاشر رجل زوجته يستحمان كلاهما بماء ويكونان نجسين إلى المساء والمرأة نجسة سبعة أيام طمثها وكل من يلمسها يصير نجسا ".

(٤) ولئن كانت التوراة قد تضمنت العديد من الوصايا ذات البعد الأخلاقى السامى إلا أنها كان تقصر ذلك على مجتمع إسرائيل وليس على غيرهم من الأمم – فقد اجيز للإسرائيلى أن يتخذ من شعوب هذه الأمم من يشاء

من الرقيق وأن يقرضهم بربا ولكن حرم عليه ذلك بالنسبة لأبناء قومه من العبرانيين .

(٥) حاولت التوراة أن تنشئ جيلا من الإسرائيليين فى منأى عن رذيلة الجنس المحرم فنهت عن ممارسة الجنس مع المحارم أو الاقارب أو الغرباء دون زواج وحرمت الشذوذ الجنسى وكذلك ممارسة الجنس مع الحيوانات ونهت عن الزواج من الأقارب الاقربين أو أن يجمع الرجل بين الزوجة وأختها أو أبنتها وما نزل .

(٦) أهتم هذا السفر بتحديد أعياد بنى إسرائيل وهى عديدة – عيد الفصح (يوم واحد) وعيد الفطير (سبعة أيام) وعيد الباكورات (أى حصاد الشعير – يوم واحد) وعيد الخمسين (نهاية حصاد الشعير – يوم واحد) وعيد الأبواق (بداية السنة المدنية) ويوم الكفارة (يوم واحد) وعيد المظال (رمز قيادة الله لبنى إسرائيل – سبعة أيام) .

سفر العدد

وعدد إصحاحاته ستة وثلاثون إصحاحا

يواصل هذا السفر تسجيل وصايا الله لموسى ، فى خيمة الاجتماع بأرض سيناء حيث أمره بإحصاء عدد بنى إسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر ثم تنصيب قادة لهم وقد بلغ العدد ستمائة وثلاثة ألاف وخمسمائة من الذكور ماعدا اللاويين وهم فرع لاوى الذين خصصوا لحفظ الشعائر والخدمة والذي ينحدر موسى من صلبهم وكان عددهم أثنين وعشرين ألف ذكر .

*** شريعة الغيرة**

إذا زاغت امرأة رجل وخانته دون شاهد عليها ثم علم زوجها واعترته روح الغيرة – يأتى الرجل بامرأته أمام الكاهن فيقوم الكاهن بتحضير ماء مقدس مخلوط بتراب و يوقف الكاهن المرأة أمام الرب ومعها تقدمة (طحين شعير) ويكشف رأسها وبيد الكاهن ماء اللعنة المر ويستحلف الكاهن المرأة أمام الرب ويقول لها إن لم تخونى زوجك فكونى بريئة من ماء اللعنة ولكن إن كنت خائنة فإنك تكونين لعنة بين شعب إسرائيل فيسقط فخذك وتتورم بطنك وبعد أن تحلف المرأة اليمين يقدم الكاهن التقدمه (القربان من الشعير المطحون) للمذبح ثم يوقد عليه ثم تشرب المرأة ماء اللعنة فإن كانت قد خانت زوجها سقط فخذها وتورمت بطنها فتصير لعنة وسط الشعب وإن لم تكن فإن الماء لن يؤثر فيها ومن ثم تعلن براءتها .

وفى تقديرنا أن هذه الطقوس هى خرافة من خرافات العهود البائدة ولا يمكن أن تكون منزلة من عند الله .

*** اشتياق شعب إسرائيل لمصر**

يتناول الإصحاح الحادى عشر اشتياق شعب إسرائيل إلى أرض مصر

وما تنبته أرضها من قثاء وبطيخ وكرات وبصل وثوم وما يخرجه نيلها من سمك بينما كانوا فى سيناء يقتاتون المن (قشر دقيق) والسلوى (طائر صغير)

* زواج موسى لامرأة كوشية

يذكر السفر أن موسى اتخذ امرأة كوشية فاعترض هارون ومريم على ذلك إلا أن الرب نزل فى عمود سحاب ليقف بجوار موسى ويدافع عن زوجته لأنه هو كليمه ثم أصاب مريم بالبرص(١).

* جواسيس إلى أرض فلسطين

طلب الرب من موسى أن يرسل جواسيسه إلى أرض فلسطين ليعرف موسى قوة هذا الشعب ثم عادت الجواسيس وأخبرت موسى أنها أرض تدر لبنا وعسلا وأن أهلها يعتزون بأنفسهم ويسكنها العمالقة والحيثيون والكنعانيون (الفلسطينيون) وقد ضاق الإسرائيليون وفزعوا وتمنوا العودة إلى أرض مصر إلا أن الرب ظهر لموسى وقال لهم إلى متى .. يهيننى هذا الشعب إننى أضرب الشعوب الأخرى وأبيدهم من أجلكم .

ويقص علينا هذا السفر محاولات اقتحام بنى إسرائيل لأرض الميعاد (أرض قادش) (القدس) ومدينة (الأردن) وأريحا وأرسل الله فتيان إسرائيل على أهل مدين فقتلوا كل ذكر وسبوا نساءهم وأطفالهم واحرقوا جميع مدنهم وجميع حصونهم بالنار.

---

(١) مريم بنت عمرام هى أخت موسى عليه السلام (فى التوراة) وهى أم المسيح فى القرآن وقيل فى التوراة أن أمها هى يوكابد بنت لاوي ولدت موسى وهارون ومريم وإنها ولدت فى مصر وتزوجت من عمرام ويلاحظ أن اسم أبيها عمرام في التوراة بينما فى القرآن عمران ـ ويبدو ان هناك ثمة تشابه فى الأسماء.

وقد أمرهم إلههم بأن يقتلوا كل ذكر وكل أنثى ضاجعت رجــلا أمــا العذارى فيتخذوهن أخدانا(١).

ثم أوصى الرب موسى بأن يوزع الأرض على بنيه بالقرعة .

* التيه في صحراء سيناء لمدة أربعين عاما

جاء بالسفر أن بعد عصيان بنى إسرائيل لإلههم حكم عليهم بالتيه فــى الصحراء لمدة أربعين سنة وتكلم السفر عن تذمر الإسرائيليين على موســى وما أنزله من عقاب على المتذمرين ثم تكلم عن ذبيحة البقرة الحمراء ، وعن غضب الله على موسى وهارون لانهما لم يؤمنا به ثم اوقع جــزاء عليــهما بحرمانهما من دخول أرض كنعان ، ومات هارون ودفن بــالصحراء . ثــم حدث أن قام شعب اسرائيل بمعاشرة النساء المؤابيات ، ثــم عبــدوا معــهن الأوثان فجمعوا بين الجنس المحرم و الكفر بوحدانية الإله وكان البعــل هــو اشهر وثن يعبد فى كنعان .

(١) يبدو أن استباحة النساء الأسيرات، كأخدان للجنود - أمــر لا يتصــل بــالأخلاق فسبى النساء يجعلهن إماء أو جوارى يجوز استباحة أعراضهن ويكون ذلك مباركــا من الرب ولقد ظلت هذه العادة حتى بعد ظهور الإسلام .

تعليق عام

(١) ورد بالسفر أن عدد الرجال ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين ومن ثم فإن العدد بإضافة النساء والأطفال قد يبلغ المليونين من الأنفس والتساول يطرح نفسه كيف يتوالد هذا العدد الضخم من سبعين شخصا هم عائلة يعقوب الذين نزلوا إلى أرض مصر - مع افتراض انهم مكثوا أربعة أجيال أى أربعمائة سنه وإذ كان أكبر عدد من المواليد خلال مائه عام لا يمكن أن يجاوز عشرة أمثال عدد الأباء والأمهات وكان السبعون نفرا يمثلون ٣٥ أسرة (رجل ، امرأة) فيكون العدد هو

٣٥ × ١٠ = ٣٥٠ نفرا خلال مائة عام

٣٥٠ × ١٠ = ٣٥٠٠ نفرا خلال المائة عام الثانية

٣٥٠٠ × ١٠ = ٣٥٠٠٠ نفرا خلال المائة عام الثالثة

٣٥٠٠٠ × ١٠ = ٣٥٠٠٠٠ نفرا خلال المائة عام الرابعة

فإذا افترض أن خمس هذا العدد قد توفى فيكون الباقى أقل من ثلاثمائة ألف وتساؤل أخر يطرح نفسه كيف استطاع موسى أن يعيش فى صحراء سيناء مع هذا العدد الضخم مدة أربعين عاما - كذلك كيف استطاع أن يدخل خلفه يشوع أرض كنعان بهذا العدد الضخم ،والتساؤل الهام - كيف خلت آثار مصر من هذه الأحداث الجسام، والحقيقة - التى أكدتها الأصول المسيحية أن التعداد الأول قد انقضى عليه ٣٨ سنه وخلال هذه المدة مات كل الجيل الأول الذي خرج من مصر رجلاً كان أو امرأة ما عدا كالب ويشوع وموسى (٢) .

(٢) إذا طالعنا شريعة الغيرة فى التوراة تأكد لنا أنها نوع من الأساطير الخرافية التى لا يقبل العقل أن تكون شريعة سماوية فرضها الله على أبناء إسرائيل.

وتظهر فى التفسيرات المسيحية لهذه الشريعة – صورة من صور الشك في مدى سلامتها واتفاقها مع المنطق فتقول هذه التفسيرات "لا نعلم على وجه اليقين ما هو ماء المرارة والفخذ الذابل" (١).

(٣) امتدادا لعقائد التوراة فى تجسيد الذات الإلهية فإن الإسرائيليين كانوا يعتقدون بأن الله يحتل تابوت العهد أو غطاءه فيقول الإصحاح السابع لسفر العدد " وعندما دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلم مع الرب سمع صوت يخاطبه على الغطاء الذى فوق تابوت الشهادة وكان بنو إسرائيل حين ينتقلون عبر الصحراء يعتقدون أن الله يستقر فى خيمة الاجتماع معهم على الدوام ، وحين كانوا يحملون خيمة الاجتماع من مكان لآخر فأن ذلك يعنى بالنسبة لهم أنهم يحملون الله على أكتافهم(٢).

---

(١) ،(٢) Life Application Bible – الترجمة العربية ص ٢٩٠ وما بعدها

سفر التثنية
ويشمل أربعة وثلاثين إصحاحا

وقد تناول هذا السفر خطاب موسى عبر الأردن وأمر إلههم بمغادرة جبل حوريب وتذمر بنى إسرائيل على موسى وعصيانهم لأوامر الله ثم غضبه عليهم ثم هزيمة الإسرائيليين أمام الأموريين وتوصيات موسى الأخيرة حيث قال لهم " قد أورثكم الرب إلهكم هذه الأرض لتملكوها " ولكن رب موسى غضب عليه فجأة وحرم عليه الدخول إلى هذه الأرض ، وقد أعاد موسى على بنى إسرائيل ذكر الوصايا العشر، ثم حدد لهم كيفية التعامل مع الشعوب التى تسكن أرض كنعان فقال :

لا تقطعوا لهم عهدا ولا ترفقوا بهم ولا تصاهروهم فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم ولا أبناءكم من بناتهم .

وتناول السفر شروط اختيار الملك الذي يحكم إسرائيل فأوجب أن يكون منتميا لأحد أسباطهم (١) وحذرهم من أن يكون الملك مزواجا أو لديه الكثير من الذهب أو الفضة أو أن يزيغ عن الشريعة .

* الوعد بنبي بعد موسى

وعد الله بنى إسرائيل ببعث نبى بعد موسى يكون من بنى إسرائيل " لهذا أقيم لهم نبيا من بين أخوتهم مثلك أضع كلامى فى فمه فيخاطبهم بكل ما أمره به" كما وعد إلههم أنه سيفنى أمامهم الأمم الأخرى التي تسكن أرض كنعان من أجلهم .

---

(١) هذه الأسباط هي سبط رأوبين وسبط جاد وسبط يهوذا وسبط يساكر وسبط زبولون وسبط منسي وسبط إفرايم وسبط بنيامين وسبط دان وسبط أشير سبط نفتالي هذا غير سبط اللاويين .

* شرائع حصار وفتح المدن

تناولت التوراة شريعة فتح المدن فأورد سفر التثنية فى الإصحاح ١٠/٢٠ وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولا فإن أجابتكم للصلح واستسلمت لكم فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيدا لكم وأن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها فإذا أسقطها الرب إلهكم فى أيديكم فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة من اسلاب فاغتنموها لانفسكم وتمتعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الرب إلهكم لكم .. هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم التى ليست من مدن الأمم القاطنة هنا.

ومنطق الفتح يتسم بالغدر والوحشية – لان الصلح يعنى عصمة دماء الطرفين ولكن التوراة تحرض الإسرائيليين على الغدر بقتل رجال الدولة المفتوحة بلا رحمة بينما تستباح أعراض النساء بدعوى السبى (١).

شرائع حصار وفتح مدن الأرض الموعودة

وهذه الشرائع أشد بربرية ووحشية فيقول الإصحاح ١٦/٢٠ "أما مدن

---

(١) توافق التفسيرات المسيحية على هذه العقائد الوحشية فتقول " كيف يكون لأله رحيم أن يأمر بإهلاك كل المراكز الأهلة بالسكان ولقد فعل ذلك لحماية بنى إسرائيل من عبادة الأوثان . وفى الحقيقة لان بنى إسرائيل إذا لم يقضوا تماما على هذه الشعوب الشريرة تعرضوا باستمرار لاضطهادهم ".

انظر التفسير التطبيقى للكتاب المقدس الطبعة العربية ص ٣٩٢ ويبدو من أخلاق الذين وضعوا هذه التفسيرات أنها لا تتوافق مع أخلاق المسيح عليه السلام الذى رفض الذبائح الدموية كقربان لله واعتبر نفسه هو الذبيحة الوحيدة للمسيحيين ، ومن ثم كانت ملكاته النفسية وأخلاقه تنأى عن الدعوى إلى إهلاك البشر أو ذبحهم أو إحراقهم فضلا عما اتصفت به دعوته من التسامح والحب وعلى منطق المسيحية ذاتها فإذا كان إله اليهود هو إله المسيحية وهو يسوع – الإنسان المتسامح – فكيف يأمر بإهلاك العالم كله ما عدا اليهود!!!.

الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثا فلا تستبقوا فيها نسمة حية – بل دمروها عن بكرة أبيها .. كما أمركم الرب إلهكم لكى لا يعلموكم رجاساتهم التى مارسوها فى عبادة ألهتهم .

* شرائع أخرى

تضمن سفر التثنية عدة شرائع أخرى كشريعة المرأة الأسيرة التى يولع بها الإسرائيلى فله أن يأخذها إلى بيته ويحلق شعر رأسها ويتركها في بيته شهرا تندب أباها وأمها وبعد ذلك يعاشرها وتكون له زوجة وله أن يطلقها ونهت التوراة عن استعبادها.

والابن العاصى على أبويه يرجم حتى الموت .

وحظر السفر على المرأة ارتداء ثياب الرجال وعلى الرجل ارتداء ثياب النساء كما نهت التوراة المزارعين عن زراعة صنفين من البذور أو الحرث على ثور وحمار معا و ارتداء ثياب مصنوعة من الكتان والصوف معا.

وبالنسبة للفتاة المدخول بها حديثا والتى أشاع عنها زوجها أنها ليست عذراء فإنه إذا ثبتت عذريتها من نبع دمها المبسوط على الثوب كان عقاب الزوج الغرامة التى تعطى لوالد الفتاة وترد لزوجها فلا يستطيع أن يطلقها أما إذا لم تكن عذراء وجب رجمها حتى الموت .

والزنا فى مكان وسط المدينة جزاؤه الرجم حتى الموت للطرفين أما إذا التقى الرجل بالمرأة فى الحقل وأمسكها وضاجعها فالرجم للرجل دون المرأة للافتراض بأنه اغتصبها واستغاثت ولم يسمعها أحد وهذه الأحكام خاصة بالفتاة المخطوبة أما إذا كانت الفتاة عذراء لم يخطبها أحد فضاجعها رجل فعليه غرامة ويلتزم بالزواج منها ولا يجوز له تطليقها مدى حياته .

وحرمت الشريعة اليهودية البغاء كما حظرت علي اليهودى أن يقوض يهوديا آخر بربا وأجازت له إقراض الأجنبى بربا .

* أحكام في الزواج والطلاق والقضاء

إذا تزوج رجل من فتاة ووجد بها عيبا وطلقها ثم تزوجت رجلا آخر ومات عنها أو طلقها لا تحل لزوجها الأول .

كما نهت الشريعة اليهودية عن ظلم الفقير ولو كان من الغرباء ولا يجوز أن يقتل الأب بدلا من الابن أو الابن بدلا من الأب فكل إنسان يتحمل وزر نفسه ، وأضافت التوراة " لا تحرفوا العدالة فتظلموا الغريب واليتيم " وتناولت جزاء المذنب بضرب آخر وهو الجلد حتى أربعين جلدة .

* زواج الأخ من أرملة أخيه (وحكم مخلوع النعل)

هى شريعة غريبة تناولها سفر التثنية فى الإصحاح ٢٥/٥ إذ ألزم الأخ الذى مات أخوه أن يتزوج من أرملته وأن يسمى أول ولد لهما باسم الأخ المتوفى إذا لم يكن له ولد وإن أبى الأخ أن يتزوج منها فإن المرأة تتقدم إليه على مرأى من شيوخ المدينة وتخلع حذاءه من رجليه وتتفل فى وجهه قائلة "هذا ما يحدث لمن يأبى أن يبنى بيت أخيه فيدعى مخلوع النعل " .

* أيام موسى الأخيرة

حين بلغ موسى مائة وعشرين سنة استخلف يشوع ليقود بنى إسرائيل عند دخولهم أرض كنعان كما أوصاه ربه – وكتب موسى التوراة وسلمها للكهنة من فرع لاوى حاملى تابوت العهد.

*** ظهور الرب عند خيمة الاجتماع**

وظهر رب موسى عند خيمة الاجتماع كسحابة وقفت عند باب الخيمة وقال لموسى ويشوع أنه بعد وفاتك سوف يتخلى عنى هذا الشعب وينكث عهدى فاحجب عنه وجهى واجعله فريسة تحيط به الكوارث ، وعلمه الرب نشيدا يلقيه علي مسامع بنى إسرائيل وجاء بالنشيد واصفا بنى إسرائيل :

لقد اقترفوا الفساد أمامه ولم يعودوا له أبناء بل لطخة عار أنهم جيل أعوج وملتوٍ .. ابهذا تكافئون الرب ايها الشعب الأحمق الغبى .. عندما قسم العلى الميراث وحين فرق بنى أدم أقام حدودا للشعوب على عدد بني إسرائيل لأن نصيب الرب هو شعبه وأبناء يعقوب قرعة ميراثه .. أوجدهم فى أرض قفر .. فأحاط بهم ورعاهم وصانهم كحدقة عينه وكما يهز النسر عشه ويرف على فراخه باسطا جناحيه ليأخذها ويحملها على منكبيه " ... ثم أثاروا غيرته بآلهتهم الغريبة .. ماذا يكون مصيرهم أنهم جيل متقلب وأولاد خونة .. قلت أشتتهم فى زوايا الأرض وامحوا بين الناس ذكرهم لولا خوفى (أى خوف الله) من تبجح العدو **وأضاف النشيد .. أن بنى إسرائيل أمة غبية لا بصيرة فيها .. فيوم هلاكهم بات وشيكا** .. غير أن الرب فى نهاية النشيد صفح عنهم .

*** دفن موسى**

ومات موسى فى أرض مؤاب (على جانب سهول نهر الأردن المواجهة لأريحا) ودفن هناك ولم يعرف أحد قبره حتى اليوم .

تعليق عام

١ـ موسى هو النبى المكافح المجاهد مع شعب كان يخون ربه دائما على ما دونت التوراة ذاتها وحتى آخر أيامه .. ورغم ذلك فإن الله يحرمه من دخول الأرض الموعودة !! كجزاء لخيانته وعصيانه لله ولا نجد فى التوراة حادثة من حوادث العصيان التى نسبتها إليه التوراة .. ولكن المنهج الذى سارت عليه توراة موسى هو أن ينسب لكل رجل عظيم ما يشينه . فنسبت إلى إبراهيم استغلال شرف زوجته ونسبت إلى نوح ولوط ويعقوب وغيرهم من الآثام والجرائم ما يمكن القول معه أن اختيارهم كآباء أو أنبياء كان خطأ من الله بسبب ارتكابهم الخطيئة .

ولقد اعترف سفر التثنية بذلك فأورد فى الإصحاح الأخير ما يلى :-

" ولم يظهر بعد نبى فى بنى إسرائيل مثل موسى الذى خاطبه الرب وجها لوجه وأقامه ليجرى جميع الآيات والمعجزات فى ديار مصر .. إذ لم يستطع أحد أن يصنع العظائم المخيفة بقدرة فائقة كما فعل موسى أمام كل بني إسرائيل ".

ولو أن وفاة موسى قبل دخوله أرض كنعان كانت أمرا مقدرا من الله لكان ذلك مقبولا ولكن هذه الوفاة كما صورتها التوراة هى جزاء عدم إيمان موسى بربه فحرمه من دخول هذه الأرض- ففى سفر العدد فقال الرب لموسى وهارون من حيث أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى على مرأى من بنى إسرائيل فإنكما لن تدخلا - مع هذا الشعب - الأرض التى وهبتها لهم.

" ولعل الحادث الوحيد الذى خالف فيها موسى أوامر ربه أنه أمره أن يكلم الصخرة ولكن موسى ضربها مرتين فاعتبر الله ذلك خيانة وعدم إيمان، وإذا كان موسى لم يعبد العجل وعبده الشعب الإسرائيلى إلا أن موسى عوقب

بجزاء غير عادل بينما غُفر للشعب الإسرائيلى(١) .

وخلاصة القول أن الأنبياء أو الآباء الأولين (كإبراهيم) فى التوراة هم أشخاص عارضة وجدت لخدمة الهدف الأكبر لشعب إسرائيل وهو احتلال الأرض الموعودة (٢) .

٢ـ رغم أن السفر قد أتى ببعض التشريعات ذات السمو الأخلاقى إلا أن بعضها لم يخل من كونه أسطورة غير مقبولة - كشريعة مخلوع النعل بينما اتسم البعض الآخر بالعنصرية والوحشية كشريعة تحريم الربا بين اليهود وإجازته على غيرهم وشريعة فتح المدن وقتل من فيها من الذكور رغم الصلح بين المتحاربين .

٣ـ كيف يكون موسى هو كاتب التوراة ويتحدث عن وفاته .

٤ـ تواريخ هامة

من أهم الأحداث موت موسى ودخول العبرانيين أرض كنعان ويقدر العلماء التاريخ التقريبى لذلك بسنة ١٤٠٦ قبل الميلاد.

وبما أن العلماء قدروا تاريخ الخروج من مصر فى سنة ١٤٤٦ فيكون بنو إسرائيل قد تاهوا فى صحراء سيناء أربعين سنة (٣) .

---

(١) المقصود بالصخرة تلك التي تفجرت منها مياه ليشرب الشعب الإسرائيلي وكان الله قد أوعز إلي موسى أن يأمر الصخرة بتفجير المياه ولكن موسى ضربها فتفجرت منها عيون الماء كما ورد في التوراة (راجع سفر العدد إصحاح رقم ٢٠)

(٢) نسب إلي رموز الإسرائيليين من الأنبياء خطايا عديدة وقد تفشى هذا المنهج في باقي أسفار العهد القديم فمثلا نسب إلي داود أنه زنى بزوجة قائد جيشه وقتله من أجل أن ينفرد بمعشوقته ونسب إلي سليمان أنه كان شهوانيا وسيطرت عليه زوجاته الوثنيات فعبد معهن الأصنام كما أمر بنِي إسرائيل بعبادتها ويبدو أن الخطايا الجنسية هي التي كانت مسرح الاتهامات في التوراة.

(٣) تذكر المصادر التاريخية أن موسى ولد سنة ١٢٥٦ ق . م تقريبا .

وتجدر الإشارة إلى أن سفر العدد تضمن حدودا دقيقة لأرض الميعاد فى الإصحاحين ٣٤، ٣٥ وذكر بهذه الحدود- اسم البحر الأبيض المتوسط وبفرض كتابة التوراة سنة ١٤٠٦ قبل الميلاد ، وكان الاسم الذى أطلق علي هذا البحر من الجغرافيين هو اسم حديث نسبيا'- فكيف يمكن القول بأن موسى كتب هذه التوراة وكان علي معرفة باسم البحر الأبيض المتوسط - قبل إطلاق الاسم عليه

٥- **فى بداية الإصحاح الثالث والثلاثين** قالت التوراة "جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران واتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم " ويذهب بعض علماء الأديان أن هذه العبارة جمعت الأديان الثلاثة اليهودية بدأت من سيناء والمسيحية من القدس والإسلام من جبل فاران أى منطقة الحجاز .

٦- **تقول التوراة عن الإله** " احجب وجهى عنهم وأنظر ماذا تكون أخرتهم انهم جيل متقلب لا أمانة فيهم أنه قد اشتعلت نار بغضبى فتتقد إلي الهاوية السفلى وتأكل الأرض غلتها وتحرق أسس الجبال .. إن وقت هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة " ونظرا لأن المجمع عليه بين علماء الأديان أن التوراة لا تعترف بعقيدة البعث والحساب فقد حاول البعض أن يتخذ من عبارة الآخرة الواردة بالنص دليلا على عكس ما اجمع عليه العلماء ، وقالوا إن الهاوية السفلى تعني نار جهنم ، وهذا مجرد استدلال افتراضى لا دليل عليه .

يتضح من الإصحاح الأخير أن موسى مات ودفن فى مكان مجـــهول وبذلك انتهت الشريعة الموسوية المسماة بالتوراة وبعد وفاة موسى ظهر مـــا يسمى بعصر الأنبياء فقد قام يشوع خادم موسى بحمل لواء الدعوة بعـــده – فكتب السفر التالى للتوراة وسمى باسمه حيث أورد فيه أن الله كلمه ووعـــده بأن يقف معه كما كان يقف مع موسى .

ثم توالت الأسفار والكتب التى تضمنها العهد القديم من الكتاب المقـدس وقد بلغت أربعة وثلاثين كتابا وهذه الأسفار التـــى أضافـــها العـــهد القديـم المسيحى لم تكتب بالعبرية إذ أن الديانة اليهودية لا تعترف بــــها والأســفار هى:-

يشوع ، القضاة، راعوث ، صموئيل الأول ، صموئيل الثانى ، الملوك الأول ، الملوك الثانى ، أخبار الأيام الأولى – أخبار الأيام الثـــانى ،عــزرا ،نحميا،استير ،أيوب ،المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشــــاد، أشــعياء، ارميا، مراثى ارميا، حزقيال ، دانيال ، هوشع، يوئيل، عـــاموس، عوبيديـــا، يونان، ميخا، ناعوم، حبقوق ، صفنيا، حجي، زكريا و ملاخي .

وقد حررت هذه الاسفار والكتب فى زمن يقرب مـــن تسـعة قــرون وأدخلت عليها تصويبات وتحسينات فى الأحداث واللغة خلال أزمان متعاقبة.

ويعد حزقيال آخر أنبياء بنى إسرائيل وقيل إن سفره كتب بعد موته ثـم سمى باسمه (١) كما حررت كتب حجاى وزكريا واشعيا وسفر أيوب واخبار الايام وعزرا ونحميا وكتاب سليمان الحكيم بعد عودة اليهود من النفـــى فـــى بابل وعلى مدى قرون فيما قبل ظهور المسيح(٢).

---

(١) راجع M aurice Bucaille
La Bible , Le Coranet , Le Science

(٢) راجع Encyclopedia Universalis J .P Sandroz

ويذهب الأستاذ أ / جاكوب وهو من أكبر علماء التوراة إلـــى أن مـــا كتب فى العديد من هذه الأسفار والكتب والرسائل مشكوك فيه ، دليل ذلك أن الأحداث التي وردت في بعضها يتكرر برواية مختلفة فى كتب أخـــرى وأن بعض هذه الكتب وخاصة كتابى عزرا ونحميا يشيع فيها الإبهام والغموض .

ورغم أن هذه الكتب حملت أسماء إلا أن العديد منها لم يكتبه صاحبـــه بل كتبها القصاصون وما سمى فى الإنجيل بالكتبة والفريسيين.

وسوف نورد عبارات موجزة عن بعض هذه الأسفار والكتب.

سفـر يشـــــوع

أورد عن مدينة أريحا " واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها وحلـــف يشوع فى ذلك الوقت قائلا ملعون قدام الرب الرجل الذى يقوم ويبنـــى هـــذه المدينة أريحا".

سفـر القضـــاة

تكلم عن ولادة شمشون اليهودى الذى أحب امرأة فلسطينية هى دليلـــة وعندما خرجت زوجته عن طاعته انقلب شمشون على الفلسطينيين فـــأحرق زرعهم وقد كانت قوة شمشون فى شعر رأسة فقامت دليلة بحلقة ففقد قوته ثم عادت من جديد وهدم البيت على من فيه من الفلسطينيين ومات معهم .

سفـر صموئيل الأول

تحكى قصته انتصارات إسرائيل على الفلسطينيين ثم هزيمتهم أمامهم .

سفـر صموئيل الثاني

يتناول نمو مملكة إسرائيل تحت قيادة داود ورغم ما وصفته المراجـع بأنه كان ملكا عادلاً حيث تحولت المملكة إلي إدارة مركزية إلا أنه أخطأ مـــع من تدعى " بتشيبع " واغتصبها من زوجها حيث كانت امرأة قـــائد مـــن قواده فأمر بقتله ليفوز بها وترك أولاده يقتلون ويغتصبون من يشاءون وقـــد

اغتصب ابنه أمنون أخته غير الشقيقة التى تدعى ثامار (وهي الأخت الشقيقة لابن داود المدعو ابشالوم) فقام ابشالوم بقتله ، ثم هرب إلى جشور ثم عاد ثائرا علي أبيه داود وأقام خيمة على السطح وزنا بزوجات أبيه داود ، وتناول السفر ثورة ابشالوم حيث توج ملكاً فى حبرون وهرب داود ورجاله عبر الأردن وتعقبهم أبشالوم وجيشه ولكنه هزم في غابة أفرايم حيث قتل ، ورغم ما أورده كتاب صموئيل الثانى عن داود من خطايا إلا إنها نسبت إليه مزامير المناجاة مع الله .

وتقول المصادر المسيحية عن داود وسليمان فيما ورد بهذا السفر وسفر الملوك الأول " كانت - بتشيبع - هى حلقة الوصل غير المنتظرة بين أعظم ملكين فى إسرائيل داود وسليمان فكانت الزوجة المحبوبة لداود وأم سليمان وزناها مع داود كان يضع خاتمة للعائلة التي هيأها الله ليأتى المسيح عن طريقها للعالم ولكن من رماد تلك الخطية جاء الله بالخير فأخيرا ولد يسوع مخلص البشرية من أحد أنسال داود وبتشيبع " (١)

وهو تفسير غريب وغير منطقى وفيه كثير من الإسفاف على السيد المسيح عليه السلام فالسيد المسيح يقال عنه أنه انحدر من علاقة سفاح بين داود وبتشيبع زوجة القائد الذى قتله داود بعد أن اغتصب زوجته.

ولقد سبق للمصادر المسيحية أن قالت إن أسلاف السيد المسيح كانوا من علاقة زنا المحارم حيث أوردت " أن ابنتى لوط زنتا مع أبيهما وكانت ثمرة الفاحشة مؤاب وبن عمى، وقد كانت راعوث جدة الملك داود وواحدة من أسلاف يسوع المسيح مؤابية أى تنتمى إلى مؤاب الذى كان ثمرة زنا المحارم بين ابنة لوط وأبيها وأضافت هذه المصادر أن لوطا اتخذ لحياته

---

(١) انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس
Arabic Life Application Bible - Book of Life by Doctor Bruce .B . Borton

اتجاها قبيحا كان قد امتزج بثقافة عصره الشريرة لدرجة أنه لم يكن يريد أن يتركها ثم ارتكبت ابنتاه معه الزنا ، لقد قاده انحرافه إلى مصير رهيب إلي الدمار ومع ذلك يدعى لوط البار فى العهد الجديد (٢ بط ٢ :٧ (رسالة بطرس الثانية)) وكانت راعوث من نسل مؤاب من أسلاف الرب يسوع المسيح مع أن مؤاب ولد سفاحا نتيجة زنا لوط مع إحدى ابنتيه " (١) .

وقد نسب سفر صموئيل الثانى إلى داود أنه كان على علاقة محبة شديدة بالقائد يوناثان وكانت هذه المحبة شاذة حيث يقول داود فى الإصحاح ٢٦ " لشد ما تضايقت عليك يا أخى يوناثان كنت عزيزا جدا على ومحبتك لى كانت محبة عجيبة **أروع من محبة النساء** " (٢).

ويقول سفر صموئيل الثانى وكان داود فى الثلاثين من عمره حين توج ملكا واستمر ملكه أربعين سنة منها سبع سنوات وستة أشهر ملك فيها على يهوذا فى حبرون وثلاث وثلاثون سنة ملك فيها على أورشليم على جميع أسباط إسرائيل وسبط يهوذا أى أن داود صار ملكا على كل إسرائيل وهو فى سن الشباب سن السابعة والثلاثين .

* رفض رب إسرائيل بناء داود لهيكله

ويحكى السفر أن رب إسرائيل رفض أن يبنى داود له هيكلا وجاء بالسفر " اذهب وقل لعبدى داود لست أنت الذى تبنى لى بيتاً لإقامتي فمنذ أن

---

(١) انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس
Arabic Life Application Bible - Book of Life
Doctor Bruce .B . Borton

(٢) استبعدت المصادر المسيحية أن يكون لداود علاقة جنسية مع يوناثان لأن مضاجعة الذكور كانت محرمة فى إسرائيل وهذا ليس تبريرا كافيا لاستبعاد العلاقة التى وصفها سفر صموئيل بأنها كانت أروع من محبة النساء بما يشير إلى الصلات القوية بين الطرفين التى تزيد روعتها عن صلات النساء على النحو الذى صوره السفر.

أخرجت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم لم أسكن فى بيت بل كنت أنتقل من مكان إلى آخر في خيمة هى مسكن لي " وقال له إن بناء هيكل أو مسكن الرب سيكون من نصيب سليمان .

وفى المصادر المسيحية أن كاتب سفر صموئيل الثانى غير معروف وذهب البعض إلى أن زابود بن ناثان هو الكاتب وأنه كتبه فى سنة ٩٣٠ق. م عقب حكم داود الذى استمر من سنة ١٠١٠ - ٩٧٠ ق. م .

ويعتبر داود أول ملك يجمع شمل إسرائيل ويوحدها في مملكة واحدة .

أما سفر صموئيل الأول فيقال إن شخصا يدعى صموئيل هو الذى كتبه و به أيضا كتابات لناثان وجاد .

سفر الملوك الأول

يحكي قصه سليمان ثانى ملوك إسرائيل والوارث الذى اختاره داود وكان رجلا حكيما بنى الهيكل في أورشليم كان يعمل بالتجارة غير أن السفر يقص علينا أن سليمان تزوج من نساء وثنيات وأنه أثقل كاهل شعبه بالضرائب وأرهقهم بأعمال التسخير وقد انحدر من رحم بتشيبع التى اغتصبها والده داود وزنى بها .

وسليمان هو صاحب قصة شطر الطفل الذى تنازعته امرأتان عاهرتان **ونوضح رسما تفصيليا للهيكل :-**

كان يحتوى على كروبين يمثلان الكائنات السماوية ويرمزان لحضور إله إسرائيل، وتابوت العهد يحتوى على الشريعة مكتوبة على لوحين من الحجر ويرمز لوجود إله إسرائيل وهو من خشب جيد مغطى بطبقة من الذهب ليليق بحضور يهوه ، وكان بالهيكل موائد ذهبية من خشب مذهب ومنائر ومذبح للبخور وأدوات للأعمال الكهنوتية فى القدس وكان به عمودان من النحاس (يسميان ياكين أى العاضد وبوعز أى القوة) كما يحتوى على

حوض من النحاس يتسع لاثنى عشر ألف جالون من الماء لاغتسال الكهنة كما يحتوى على أحواض اغتسال ، ومن الغريب أنه كان بالهيكل ما يسمى بالحجاب (ستارة) تحجب بين قدس الأقداس الذى يتواجد فيه إله إسرائيل وبين ما دُونه وكانت الستارة من الكتان الأزرق والبنفسجي والأحمر .

وقد اعد المذبح ليقيم الرب فيه كما ورد بالسفر على لسان سليمان" قال الرب أنه يسكن فى الضباب ولكنى بنيت لك هيكلا رائعا مقرا لسكناك إلى الأبد "(١) .

* زوجات سليمان

يقول السفر إن سليمان تزوج سبعمائة زوجة وثلاثمائة محظية فانحرفن بقلبه عن الرب واستطعن فى زمن شيخوخته أن يغوين قلبه وراء آلهة أخرى ..

وما لبث أن عبد عشتاروت (إله الصيدونين) وملكوم إله العمونين وارتكب الشر ، ومن ثم غضب إله إسرائيل على سليمان وذلك بتمزيق أوصال مملكته ، وتمزقت المملكة فعلا فتكونت أمتان منفصلتان فأطلق اسم إسرائيل على الجزء الشمالى وأطلق اسم يهوذا على الجزء الجنوبى .

وقد أقام بريعام قائد المملكة الشمالية مكانين للعبادة ووضع فيهما عجلى ذهب ليعبدهما شعب إسرائيل بدلا من الذهاب إلى الهيكل في أورشليم وأسمى هذه الأماكن بيت إيل أى بيت الله ، وهكذا عبد الإسرائيليون العجل مرة أخرى ، وهو يذكّر نساءهم بقوة الجنس وبشدة الشهوة .

---

(١) وتجدر الإشارة إلى أن بنى إسرائيل كانوا قد أقاموا خيمة ليحضر فيها إله إسرائيل وكانت الخيمة تحمل على الأكتاف عند الإنتقال ولديهم شعور قوى بأنهم يحملون الله على أكتافهم.

وفى خلال الفتنة بين المملكتين ظهر إيليا النبى كما يطلقون عليه ، وكانوا يعتبرونه النبى المنقذ الذى يتواصل مع إله إسرائيل ، ويقول السفر إن الله استخدم إيليا فى إحياء ابن ميت (١) ثم نشبت حروب طاحنة بين المملكتين .

*عبادة الأوثان مرة أخرى

انحرفت مملكة إسرائيل الشمالية فعبدت الأصنام واستمر معظم حكامها فى إقامة الصلاة للأوثان ونذكر منهم بريعام الأول وبعشا وزمرى وعمري وآخاب ويهواحاز بل إن أحد ملوك المملكة الجنوبية يهوذا وهو رحبعام أقام أصناما ومعابد للآلهة الوثنية رغم وجود الهيكل في مملكته كذلك يورام أحد ملوك يهوذا أجبر الشعب على عبادة الأوثان وقتل كل اخوته ، وكذلك المرأة السفاحة التى اعتلت عرش مملكة يهوذا والتى تدعى عثليا قتلت كل أحفادها ما عدا يوآش الذى خبأته مرضعته ونهبت الهيكل لتبنى هيكلا للبعل (صنم) وقدم الملك احاز ابنه ذبيحة للأوثان وأغلق باب الهيكل.

وكان يوجد بالهيكل حية نحاسية ، تشوق بنو إسرائيل لعبادتها فقام حزقيا بكسرها ولكن منسى ملك يهوذا الذى تولى الحكم سنة ٦٩٧ ق.م أعاد بناء كل المعابد الوثنية وقدم أحد أبنائه ذبيحة للأصنام واشتغل بالسحر والشعوذة وأقام صنما فى الهيكل وقتل الكثير من أبناء مملكته .

---

(١) تقول المصادر المسيحية أن ايليا ظهر مع موسى ويسوع علي جبل التجلي ، ويحكي سفر الملوك الثانى أن ايليا صعد إلي السماء دون أن يموت ، وتذكر المصادر المسيحية أن شخصين آخرين صعدا إلي السماء الأول هو أخنوخ والثانى هو المسيح الذى صعد إلى السماء بالجسد بعد صلبه وموته ، وأضيفت إلي ايليا معجزة موسى ، حيث قيل إنه شق نهر الأردن ، وكان اليشع هو أحد الأنبياء الذى نسب إليه إحياء الموتى وشق نهر الأردن.

***مصر ومملكتا إسرائيل**

كانت الدولة المصرية تسيطر على مقدرات الأمور فى مملكة يهوذا حيث قام الملك رحبعام بدفع الجزية إلى المصريين ، وقام الحاكم المصرى الفرعونى بالقبض علي يهواحاز أحد ملوك يهوذا ، أما الملك الياقيم فلم يكن يصدر أمراً إلا بعد موافقة الحاكم المصرى الفرعونى .

وهكذا ظلت الدولتان منقسمتين حتى انتهت المملكة الجنوبية بالسبى إلى بابل على يد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق . م بينما تم سبى كل اليهود فى المملكة الشمالية سنة ٧٢٢ ق.م.

***إقامة الأموات معجزة نسبتها التوراة وكتب الأنبياء إلي البشر**

من الاطلاع على العهدين القديم والجديد نجد أن إقامة الأموات وإحياءهم لم تكن معجزات للمسيح فحسب بل سبقه آخرون إلى ذلك ونورد صورا من هذه المعجزات:-

١- أقام إيليا صبياً من الموت .

٢- أقام إليشع صبياً من الموت.

٣- أقام يسوع المسيح صبياً وصبية وإلعازر من الموت.

٤- أقام بطرس سيدة من الموت .

٥- أقام بولس رجلا من الموت .

سفر أخبار الأيام

نذكر من السفر هزيمة يهوذا والسبى إلى بابل حيث هاجم بنوخذ نصر هذه المملكة وأسر ملكها يهوياقيم واستولى على بعض آنيات الهيكل وقتل معظم الرجال اليهود وسبى النساء ثم دمر الهيكل وأشعل فيه النار ثم قام

نبوخذ نصر بسبى جميع من بقى من الأحياء إلى أن قامت مملكة فارس في عهد الملك كورش الذى سمح للإسرائيليين بالعودة إلي مملكتهم.

ويؤخذ من تاريخ أخبار الأيام أن الهيكل ظل مهدما ٤٨ سنة كاملة .

سفر المزامير(١)

كتب داود منها ٣٧ مزموراً وكتب آساف ١٢مزمورا وكتب سليمان مزمورين وكتب كل من هامان وايثان وموسى مزموراً واحدًا وبالمزامير عدد ٥١ مزمورا لا يذكر كاتبها .

* تاريخ الكتابة

ما بين زمن موسى أى حوالى ١٤٤٠ ق . م حتى السبى البابلى في ٥٨٦ ق.م والمزامير فى الكتاب لا ترتب حسب موضوعاتها .

والمزامير أغانى ومناجاة وتسابيح لله وقد تتضمن صلوات لالتماس الغفران من الله والشكر له والتوكل عليه .

ونجتزئ بذكر مزمورين

* المزمور السادس عشر لداود

" **إلى** متى يارب تنسانى ، إلى الأبد .. إلى متى أرعى هموما في نفسي وحزنا في قلبى كل يوم .. إلى متى يتشامخ عدوى على .. أنر عينى لئلا أنام نومة الموت .. أرنم للرب لأنه غمرنى بإحسانه العميم "

* المزمور السبعون لداود

"**هلم** أنقذنى يارب وأسرع إلى معونتى ليخز ويخجل الساعون إلى قتلى .. ليفرح ويبتهج بك جميع طالبيك .. ليتعظم الرب .. إنما أنا متضايق ومحتاج فأسرع اللهم إلى أنت عونى ومنقذى يارب لا تتباطأ" .

---

(١) يعبر عنه القرآن باسم " الزبور ".

ولعلك ترى فى المزمور الثانى لفظ مسيح " وتحالفوا ليقاوموا الـــرب ومسيحه .. لكن الجالس على عرشه فى السموات يضحك .. قال الرب " أنت ابنى أنا اليوم ولدتك .. قبلوا الابن لئلا يغضـــب " وقـد عــزت المصـــادر المسيحية هذه الالفاظ باعتبارها وصفاً للمسيح يسوع وتذهب هذه المصـــادر إلى أن العديد من مزامير داود تصف المسيح وآلامه باعتباره ابنا لله يجلــس بجوار أبيه على عرش الملك فتقول هذه المصادر إن المزامير ذكــرت أن المسيح هو ابن الله (مزمور ٧/٢) وسيقوم من الاموات ٨/١٦ وســـيصلب ١/٢٢ ، سيعطش وهو على الصليب ١٥/٢٢ وسيصعد إلى السـماء ٦٨/ ١٨ ، وسيأتى من نسل داود (٨٩ /٣ ، ٤ ، ٣٥، ٣٦) وهو ابن داود وابن الله ١١٠/ ١١

غير أن المصادر اليهودية تنكر أن يكون داود قد أشار إلـــى يســوع بصفته المسيح أو المسيا المنتظر وإنما هو يشير إلى مسيا (أو مسيح آخــر) يكون معروف الأب وينحدر فعلا من سلالة داود .

تعليـــق عـــــام
على كتب وأسفار الأنبياء

*** ما المقصود بالنبوة**

كلمــة نــبى هـــى كلمة سامية الأصل ، ولكنها فى العبرية ذات معان مــتعددة ، فهــى تارة بمعنى المتنبئ أو الحالِم وتارة بمعنى المنشد أو المرنم المــناجى لله وفــى معــنى آخــر الهــاذى أو المجــنون أو من بعقله خبل (كمــا يســمونه فــى الأصول الإسلامية الصوفية المجذوب) وتفسر أيضا بمعنى الرائى عن بعد Telepathy .

ولكن ما استقر عليه فى الأصول الإسلامية أو المسيحية أن النبى هو شــخص اختاره الله ليبشر برسالة إلهية إلى قومه أو هو شخص يتحدث نيابة عن الله (فى اليونانية Prophete) .

ولقــد فســر موسى بن ميمون الحبر اليهودى النبوة تفسيرا يقربنا إلى معناها فيما يسمى كتب وأسفار بنى إسرائيل فقال إن النبوة هى فيض من الله بواســطة العقــل الفعــال علــى القــوة الــناطقة أولا ثم المتخيلة بعد ذلك (انظــر تــاريخ الديانـــة اليهودية د. محمد خليفة) بينما يذهب سيبنوزا إلى القول بأنها المعرفة اليقينية التى يوحى بها إلى البشر عن شئ ما .

وفــى كتــب وأســفار الأنبياء تطالعنا تفسيرات للنبوة مختلفة ومتعددة فبيــنما نرى فى أشعيا أنه رأى رؤيا (قد تكون حلما) فتخيل أنه مدعو من قــبل الله لتوصــيل رسالة معينة، وفى سفر أرميا يحدثنا عن أن أرميا تلقى الوحى من الله، وعند حزقيال أن السموات انفتحت له فرأى رؤى الله .

غير أنه فى تقديرنا كان ظهور ما يسمون بالأنبياء يقوم على ضرورة تاريخــية وسياسية واجتماعية ، وليس بالقطع أن يكون النبى حالما أو رائيا أومتخــيلا للهــدى الإلهــى ذلك أن الخراب الذي حل بمملكة داود وسليمان

بانقسامها ثم انهيار المملكة تماما بالسبى الآشورى و البابلى أدى إلى ظهور قادة أو زعماء لليهود يعملون على محاولة جمع الشتات اليهودى ، وإعادة بناء الدولة من جديد ، مع بث روح القومية فى الشعب اليهودى ، باعتبار أن ما حل باليهود كان بسبب خطاياهم وأن الله لن يتخلى عنهم وسوف تعود إسرائيل قوية من جديد ، ومن ثم قاموا بوضع كتبهم وأسفارهم لبث روح العنصرية فى الشعب اليهودى ولمحاولة رفع روح الإحباط واليأس عنهم حتى يتم جمع شملهم فى أرض الميعاد التى وعدهم بها إلههم .

ولقد تضمنت هذه الكتب و الأسفار حكايات تاريخية عديدة وهى تعد سردا للتاريخ اليهودى بعد موسى عليه السلام ، وليس من المجمع عليه أن تكون الأسماء التى وردت فى هذه الكتب ، هى حقيقة أسماء كاتبيها ، بل قد يكون أحد الكتبة وضع جزءا من كتابه المسمى باسمه ثم أكمله آخر – ففى سفر يشوع، قيل إن يشوع خادم موسى هو الذى كتب معظمه بينما كتب فينحاس رئيس الكهنة خاتمته.

وسفر صموئيل الأول قيل إن الأرجح أن صموئيل كتب أجزاءاً منه، وكتب كل من ناثان وجاد أجزاءاً أخرى ، أما سفر صموئيل الثانى فلا يعرف من كاتبه وبه بعض كتابات ناثان، وسفر عزرا لا يعرف من كاتبه ويرجحون أن عزرا هو كاتبه ، وسفر نحميا يقال إن عزرا شارك نحميا في كتاباته ومن ثم فلا معنى للقول بأن هذه الكتب قد صدرت عن أنبياء موحى إليهم من الله عن طريق وحى أو رؤيا أو حلم .

وتأكيدا لذلك فإن سفر استير (وهو اسم امرأة (١)) لايعرف كاتبه

(١) يأتي سفر استير بعد سفر نحميا ألا أن أحداثه تسبق الأحداث المسجلة فى نحميا بحوالى ثلاثين سنة ، وسفر استير أحد سفرين وحيدين يطلق عليهما اسم امرأة (راعوث واستير) وتقول المصادر المسيحية أن هذا السفر يبدو غريبا لأنه لم يذكر لفظ الله أو ضميراً يعود عليه وقد دعا ذلك آباء الكنيسة إلى التردد فى اعتباره أحد الأسفار القانونية .

ويحـــتمل أن يكون مردخاى (أحد أقرباء استير) هو كاتب السفربينما يذهب أخرون إلى أن عزرا أو نحميا هو الكاتب للسفر وسفر أيوب لا يعرف كاتبه فالـــبعض يقول إن أيوب هو الذى كتبه والبعض ينسبه إلى موسى أو سليمان أو اليهود .... وهكذا.

إذن فـــإن هذه الأسفار لا تعبر عن حقيقة دينية أو إلهامية من الله وإنما كـــان تصديرها بأن الله كان هو الملهم أو المتحدث للنبى ذلك بقصد أن يكون للكاتـــب وســـفره القداســـة فـــيكون موضـــع تقدير ويضمن لسفره التطبيق والخضـــوع لأحكامة أو وصاياه ــ يؤكد ذلك أن موسى بن ميمون وهو أحد علماء اليهود فسر النبوة بأنها فيض من الله وليس الهاما مباشرا أو وحيا منه ، بما يعنى أن النبى يتخيل أن ما ينطق به هو صوت الله فى داخله ، ولو أننا أجزنا ذلك لأنبياء اسرائيل فلماذا لا نجيزه للآخرين الذين نقرأ عنهم كل يوم أن الله الهمهم وفاض عليهم بما لا منطق فيه .

وغـــنى عـــن البيان أن النبى فى المفهوم الإسلامى يختلف عن مفهوم النـــبى لدي الديانة اليهودية ، ففى الإسلام يعتبر النبى محمد (ص) ليس متنبأ ولا حالما ولا هاذيا وإنما تؤكد المصادر الإسلامية - وفى مقدمتها القرآن أنه متصل بالله عن طريق الوحى المسمى جبريل وفى المسيحية تغير لفظ النبى إلـــى لفظ الرسول وكان ذلك بعد انتهاء عهد السيد المسيح عليه السلام، فكان أول ســـفر بعـــد الأناجيل هو أعمال الرسل ويقال إن كاتبـــه هو البشير لوقا وكتـــبه لثأوفـــيلس بين عامي ٦٣ ــ ٧٠م ويعتبر سفر أعمال الرسل همزة الوصل بين حياة يسوع المسيح وحياة الكنيسة أى بين الأناجيل والرسائل بل يعتـــبر ســـفر أعمال الرسل مكملا لإنجيل لوقا ، غير أن الديانة المسيحية قد اســـتحدثت مـــا يسمى " بالروح القدس" إذ ورد به " ولكن حينما يحل الروح القـــدس عليكم تنالون القوة وتكونون لى شهودا فى أورشليم واليهودية " وقيل

فـــى أعمـــال الرســـل أن بطرس الرسول وبولس الرسول استمدا قوتهما من حلول الروح القدس عليهما وأن ذلك أمكنهما من صنع المعجزات (١) .

وعقـــيدة الروح القدس – عقيدة غامضة ولا يعرف أحد تفسيرها على وجـــه اليقيـــن إذ يستعمل اللفظ بمعان شتى ،.. فهل تعنى الله ذاته ..... أو الإبن – طبقا للعقيدة المسيحية أم هى قوة الله التى تحل بالمؤمنين أم هو ملاك الله جبريل (أو جبرائيل) .

وفى القرآن الكريم ذكرت الروح القدس منسوبة إلى السيد المسيح فقط فجاء :-

- **بسورة** البقرة ٨٧ " وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس.... "
- **وفـــى** المائدة ١١٠ " اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدناك بروح القدس "
- **وفى** سورة النحل ١٠٢ " قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا "

ويعتـــبر موسى هو النبى الأول فى الديانات الثلاث ولا تجيز المسيحية وصـــف المســـيح علـــيه السلام بالنبى على سند من عقيدة ألوهية المسيح ، ويطلـــق على النبى محمد عليه الصلاة و السلام لفظاً النبى والرسول وتؤمن الديانة الاسلامية بأنه خاتم الانبياء والمرسلين .

---

(١) جـــاء فـــى الإصحاح الثانى " ولما جاء اليوم الخمسون كان الاخوة مجتمعين معا فى مكـــان واحد وفجأة حدث صوت من السماء كأنه دوى ريح عاصفة فملأ البيت الذى كانوا جالســين فـــيه ثم ظهرت لهم ألسنة كأنها من نار وقد توزعت وحلت علي كل واحد منهم فامتلـــئوا جمـــيعا من الروح القدس وأخذوا يتكلمون بلغات أخري مثلما منحهم الروح أن يـــنطقوا " ويـــبدوا أن النار كانت رمزا لتواجد الله في الديانات الثلاث ...... ففى التوراة والإنجيل والقران ذكرت النار ايحاء بتواجد الله فى المكان .

والاســـلام هو الدين الوحيد الذى لا يقر بنزول الروح القدس على أحد من البشر بعد السيد المسيح عليه السلام كما لايقر باتصال أحد من البشر بعد النبى محمد عليه الصلاة والسلام بالله اتصالا مباشرا أو عن طريق الوحي . وسوف نعود لمناقشة عقيدة الروح القدس مرة أخرى فى هذا الكتاب .

تاريـــخ التـــوراة

مرت الديانة الموسوية – اعتبارا من عهد موسى وحتى وقتنا الحاضر بأسماء ثلاثة: العبرانية ، الإسرائيلية ، اليهودية ومن ثم عرف المنتمون إليها أولا باسم العبرانيين ثم الإسرائيليين ثم اليهود .

ولفـــظ عبرى أو عبرانى تطلق على جماعة غير معروفة الأصل قيل أنهـــم ســـكنوا فى أور بالعراق ثم ارتحلوا إلى شمال سوريا ثم إلى فلسطين مرورا بهجرتهم إلى مصر فى عهد الفراعنة .

وفى التوراة أطلق على إبراهيم اسم إبرام العبرانى بمعنى أن إبراهيم كـــان من العبرانيين وكلمة عبرى مشتقة من جذر فى اللغة العبرية يقابل فى المعـــنى لفظ عبر فى اللغة العربية وفى التاريخ المصرى الفرعونى وجدت كلمة عبيرو أو خبيرو على جدران المعابد المصرية (١) .

ومـــن ثـــم ذهبـــت آراء إلى أن عبرانى هى كلمة فرعونية قد تعنى المهاجريـــن ، كمـــا تذهب أراء إلى أن كلمة عبرانى هى نسبة إلى عابر ابن سام الذى كان من نسله إبراهيم وإسحق ويعقوب (٢) .

وتذهـــب آراء إلـــي أن كلمـــة عبري هي تحريف لكلمة عربي وأن العبرانييـــن يـــرجعون إلـــي أصـــول عربية وقد انشقت علي هذه الأصول واســـتعملت لغة تقترب في عديد من ألفاظها لألفاظ اللغة العربية مثل شالوم= سلام ، شماع = اسمع ، ايلوهينو = إلهنا ، آحود= أحد

---

(١) لـــم يستعمل القرآن الكريم لفظ عبري وإنما كان استخدامه لكلمة إسرائيل ويهود " كل الطعـــام كـــان حـــلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل علي نفسه من قبل أن تنزل التوراة "

(٢) راجع تحت عنوان قادش J . H . Breasted : A History Of Egypt

ولفظ إسرائيل ينسب إلى يعقوب الذى سمى بإسرائيل حيث ورد فى سفر التكوين أن الله دخل على يعقوب فى شكل إنسان وصارعه وضربه على حق فخذه ثم أمره بأن يغير اسمه إلى إسرائيل !!

وعند انشقاق مملكة داود وسليمان المتحدة التى اتخذت أرض الكنعانيين (١) مقاما لها سميت المملكة الشمالية (إسرائيل الشمالية) وسميت المملكة الجنوبية مملكة يهوذا الجنوبية .

ثم تعرضت المملكة الأولى للسبى الآشورى سنة ٧٢١ ق.م وتعرضت المملكة اليهوذية للسبى البابلى سنة ٥٨٦ ق . م على يد نبوخذ نصر حيث استولى على القدس وضرب هيكل سليمان وأسر سبعين ألف يهودى .

وتجدر الإشارة بأن سكان المملكة الشمالية قد اعتنقوا التراث الألوهيمى بينما اعتنق الجنوبيون التراث اليهوى نسبة إلى اسم الإله عند كل من الشعبين وقد اصبح كل تراث مصدرا من مصادر التوراة الحالية وقد جمع حزقيا بين التراثين (٦٨٧ ــ ٥١٧ ق. م) .

أما لفظ يهودى فهو تحريف للفظ يهوذى إذ سميت بها المملكة الجنوبية نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب (إسرائيل) حيث لعب يهوذا دورا رئيسيا فى قصة يوسف عليه السلام فهو الذى أقنع إخوته بعدم قتل يوسف" فقال يهوذا لاخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفى دمه تعالوا فنبيعه للاسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا فسمع كلامه اخوته ".

---

(١) يطلق اسم كنعان على مدن فلسطين وغيرها من المدن المجاورة التى تشمل إقليم الشام وكانت تعيش فيه قبائل متعددة ومن بينها فئة الهكسوس أي الحكام الأجانب وهم الذين استغلوا ضعف الرقابة علي أبواب مصر فقاموا بمهاجمتها من البوابة الشرقية في شرق الدلتا وامتدت حدودهم إلى مصر الوسطى – وقيل أن أحد حكام الهكسوس هو الذى عين يوسف وزيرا لمالية مصر حيث استقبله بحفاوة واستقبل والده يعقوب حين رحيله إليها ويعنى ذلك أن الفراعنة لم يستعينوا بيوسف لتنظيم شئون مصر المالية .

كمـــا أن يهوذا هو الذى أقنع أباه يعقوب بإرسال أخيه بنيامين – الأخ الشقيق ليوسف من أمهما راحيل إلى يوسف في مصر حتى يطعمهم ويفيض عليهم من خيراتها حين كان وزيرا لماليتها .

وأصبحت كلمة " يهود " تعبر عن الشعب الإسرائيلى الذى يدين بديانة موســـى بمـــا يعـــنى أن لفظى – إسرائيلى ويهودى باتا ذات معنى واحد ، واختفـــت كلمـــة عـــبرانى ولكن هذه الكلمة بقيت لتعبر عن اللغة والأصول الأدبية التى تنتمى للشعب الإسرائيلى .

وقد وردت كلمة يهود لأول مرة فى سفر الملوك الثاني " وطرد اليهود مـــن آيلـــه وجاء الآراميون " كما استخدمها سفر أرميا وسفر أستير " فطلب هامان أن يهلك جميع اليهود " كما استخدمها بولس الرسول فى رسالته لأهل رومية .

وقد ذهب بعض المفسرين المسلمين إلى أن كلمة يهود تعنى التائبين أو الراجعيـــن باعتبارها مشتقة من فعل هاد أى تاب ورجع ، ولكنه فى تقديرنا تفسير غير صحيح (١) .

---

(١) راجـــع ابن كثير وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والشهرستانى فى الملل والنحل .

يذهب عالم الكتاب المقدس أدموند جاكوب (١) إلى أن التوراة لم تكن نصا واحدا قبل الترجمة السبعينية Septante بل وجد النص الماسورى Massorethique والنص السامرى ونص آخر ترجم إلى اللغة اليونانية وقد توحدت النصوص فى الترجمة السبعينية التى يرجع تاريخها الى القرن الثالث قبل الميلاد على يد بعض حاخامات الاسكندرية التي كانت منارا للمعارف اليهودية فى ذلك الوقت غير أن الفاتيكان اعتمد على مخطوط محفوظ لديه باسم Codex Vaticanu ثم اكتشفت لفائف وادى قمران عند البحر الميت.

ورغم ما ورد فى التوراة من أن موسى هو الذى كتب التوراة الحالية المتضمنة للأسفار الخمسة [سفر التكوين ، سفر الخروج ، سفر اللاويين ، سفر العدد ، سفر التثنية] الا أن المقطوع به أن التوراة الحالية كتبت على مراحل تاريخية متعددة وتضمنت أحداثا شديدة التنوع وكانت أساطيرها تنقل في البداية بين الأجيال شفاهة أو عن طريق الروايات الشعبية وذلك ما دعا الاستاذ ادموند جاكوب إلى القول " أن ما يرويه العهد القديم عن موسى والآباء الأولين "كابراهيم" لا يتفق الا بشكل تقريبي مع المجري التارخى للأحداث ولكن الرواة كانوا يعرفون حتى فى هذه المرحلة من النقل الشفهى كيف يضفون من الخيال عليها حتى يربطوا بين أحداث متباينة وقد نجحوا فى تقديمها فى شكل حكاية عن أصل العالم والانسان " (٢) .

وقد تكوّن من هذه الأساطير فى ضمير الشعب الإسرائيلى حكايات كثيرة عن تاريخه ولكنه تاريخ لا يتفق مع نظريات العلم السردى أو التحليلى لتاريخ الشعوب غير أن هذه الأساطير التى كانت تروى للشعب العبرانى

(١) Edmond Jacob العهد القديم

(٢) La Bible ,le coran et la science par mourice Bucaille

أدت إلـى خلـق كـيان قومى موحد له تقاليده وطقوسه وعاداته الخاصة ثم أوجـدت هـذه الأساطير كيانا لإله خاص بالشعب يحوطه بالرعاية والعناية ويعده بالنصر ، وسوف نرى أنه بعد عصر التدوين استطاع كتاب التوراة أن يحولـوا الهزائم والسبى والشتات الذي ضرب على اليهود إلى قوة تمثلت فى أن الإلـه يضربهم لكى تشتد عزائمهم وتتطهر ذنوبهم حتى يستحقوا الأرض الموعودة.

وحيـن بـدء عصر التدوين فى القرن العاشر قبل الميلاد كتب النص اليهوى نسبة إلى الإله " يهوه" ثم دون النص الألوهيمى – نسبة الي إسم الإله " إلوهـيم " ثم حرر النص الكهنوتى نسبة إلى بعض الكهنة الذين دونوه وقد اسـتغرقت هـذه النصوص ثلاثة قرون على خلاف بين علماء التوراة، وقد كونت هذه النصوص ما يسمي الان بالتوراة أى الأسفار الخمسة الاولي .

وتشير الموسوعة اليهودية إلى أن التوراة قد أعيدت كتابتها من جديد فتقول (وعادت الحياة اليهودية تقوم على أساس من تعليمات اليهود المنشقين " الفريسيين " وأعيد تجديد التاريخ اليهودى من وجهه نظرهم كما أعيد وضع نصـوص للتشـريعات التقلـيدية ومن ثم أصبح الفكر اليهودى كله مخططا مستقبليا بتعاليم هؤلاء الكتبة) (١) .

وكـان من أسس هذا التخطيط عزل اليهود عن الاختلاط بمن لا ينتمى إلـى دماء يهودية (٢) عن طريق الأم فأصبحت الديانة اليهودية ديانة مغلقة غـير تبشـيرية كما هو الحال فى المسيحية والإسلام واعتبر اليهود أنفسهم العنصر البشرى السامي وأنكروا الديانات جميعا فكان المسيح فى نظرهـم

---

(١) The Jewish Encyclopedia وراجع أيضا موسوعة فانك وفانجلر Funk and wagnalls standard refrence encyclopedia

(٢) وبذلـك كون اليهود فى جميع أنحاء العالم ما يسمي بالجيتو أى حارات اليهود حيث كانوا يقيمون متجاورين ويؤدون طقوسهم فى سرية .

يهوديا مرتدا ومدعيا لشخصية المسيا المخلص واتهموا أمه بالفاحشة واعتبروا المسيحيين عباد أوثان لأنهم يعبدون المسيح ، كما أنكروا الدين الإسلامى واعتبروا محمدا مدعيا للنبوة وأنه نقل القرآن من التوراة التى كانت تتلى عليه من بعض اليهود .

وهكذا تشير الموسوعة اليهودية إلى أن النصوص أعيدت كتابتها بحذف وإضافة خلال فترة النفي فى بابل (حوالي ٥٨٦ ق.م) وأنها استكملت بعد النفى أى حوالى سنة ٤٠٠ ق.م (١) .

ويذهب بعض علماء التوراة ومنهم هومر سميث فى كتابه "الإنسان والآلهة " (٢) إلى أن الدين اليهودى تأثر تأثراً مباشرا وعميقا بالعقائد الدينية التى كانت سائدة فى بابل إبان مرحلة النفى ، **وكانت بابل قد تأثرت أيضا بالديانة الفرعونية التوحيدية التى حمل مشعلها إخناتون.**

(راجع **منشورات** يونيفرسال ليبرارى – وانظر سهيل الديب التوراة تاريخها وغاياتها ، التوراة بين الوثنية والتوحيد – مطبوعات دار النفائس) وقد ذهب البعض إلى أن موسي كان جنديا من جنود فرعون وانه شهد المعركة الدينية بين امون وآتون وما أعلنه أخناتون من رفضه لعقيدة تعدد الالهة ، ومن ثم فقد تأثر موسى بديانة التوحيد فكانت دعوته لاتعدو أن تكون تجسيدا للوحدانية المصرية مع تطوير وتحديث لها (راجع سيجموند فرويد).

*** الاساطير التوراتية**

يذهب غلاة المتشككين – ومن بينهم علماء يهود إلى إنكار جميع الأساطير التوراتية بل وإنكار التاريخ اليهودى قبل مرحلة النفى إلى بابل – ويشيرون بشكل خاص إلى الأساطير التالية: ـــ

---

(١) راجع The Jewish Encyclopedia

(٢) راجع Man and his Gods , Homer .w. smith

(١) واقعة الطوفان المنسوبة إلى نوح حيث ذهبوا إلى أنها منقولة من واقعة مشابهة لها فى أساطير بابل .

(٢) واقعـة خروج العبرانيين من مصر وانشقاق البحر – قالوا – إنها حكاية أسطورية قصد بها صبغ اليهود بصبغة المعذبين الذين يبحثون عن أرض وأن الهدف منها ربط اليهود بإله خاص يعيد إليهم أرضهم. وقد قال عنها ناحوم نوربرت غلاتزر Nahum Norbert Glatzer(١) إنه لا توجد أية إثباتات أركيولوجية فى آثار مصر تشير إلى واقعة الخروج.

(٣) أنكر البعض (٢) وجود موسى كشخصية دينية وقد تكون له شخصية سياسية .

(٤) يستنتج العالم الألمانى Kurt .W. Marek من قول بولس تلميذ المسيح فى الإنجيل بأن ما ذكر فى التوراة من أن إبراهيم أنجب سلالة من صلبه إنما هو من قبيل الرمز وليس الحقيقة – يستنتج من ذلك أن ما ورد بالأسفار الخمسة المكونة للتوراة إنما هى أساطير شعبية لا تمت إلى الحقيقة.

(٥) إن قصصاً عديدة وردت فى التوراة ولها نظائر فى قصص الفراعنة وبابل.

(٦) إن عقيدة الختان فى التوراة تعود إلى عادة مصرية قديمة أشار إليها هيرودوت وأنها نقلت إلى العبرانيين أثناء وجودهم بمصر وقد أصبحت هذه العادة عقيدة إيمانية فى التوراة وبدونها تُقطع النفس التى لا تختن من إسرائيل وقد حملها العبرانيون عند خروجهم .

---

(١) أستاذ التاريخ اليهودى بجامعة براندیس اليهودية Brandeis بالولايات المتحدة .

(٢) راجع سيجموند فرويد Sigmond Freud فى مؤلفه Moise et le Montheisme (جاليمار باريس) وهو طبيب نفسانى يهودى له أبحاث في التاريخ اليهودى .

من مصر (١) " راجع سفر التكوين" .

غـــير أنـــه فـــى تقديرنا لا نرى الإنخراط فى هذا المجال المتسع من دعاوى التشكيك – لأنه لا يصيب التوراة فحسب وإنما يصيب الأديان جميعا – كمـــا أنـــه لـــيس من المقبول إنكار كل ما ورد فى التوراة وإلغاء التاريخ اليهودى بأكمله .

ويمكـــن أن نستنتج أن الذى عين يوسف وزيراً في مصر ليس حاكماً من الفراعنة بل من الهكسوس الذين حكموا مصر .

---

(١) عند بعض علماء التوراة يقولون إن حركة الهكسوس في مصر فى القرن ١٧ ق . م تقترن بوصول يوسف وأهله وقيل أن أحد ملوك الهكسوس استقبل يوسف فى مدينة فارس وحدد كتاب الملوك الأول الخروج من مصر بسنة ٤٨٠قبل بناء معبد سليمان (٩٧١ ق. م) وبذلك يكون خروج العبرانيين من مصر سنة ١٤٥٠ ق.م.

فـــى ســـابقة لـــم تحدث من قبل ومن الأحداث التى تقوم على الصدفة البحـــتة اكتشـــف بعض الرعاة فى مغارات وادى قمران بالبحر الميت لفائف للـــتوراة وتبين أنها كُتبت بلغات متعددة ولم تقتصر على الأسفار الخمسة بل امتدت إلى أسفار أنبياء إسرائيل ماعدا سفر أستير – وهو السفر المشكوك فى صحته .

واللغـــات الـــتى كُتبـــت بها هذه اللفائف هى العبرية القديمة –Paleo Hebrew والحديثة واليونانية والآرامية .

وتعتبر هذه اللفائف أقدم نصوص للعهد القديم كتبت بالعبرية وتبين أنها لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن النص الماصورى .

والمغـــارات العديـــدة التى اكتشفت بها لم تكن مهيأة للسكنى بل أُعدت لحفظ آثار ومقتنيات الجماعة الدينية المتزمتة ومن بينها لفائف العهد القديم .

ولقـــد ذهبـــت آراء – فـــى شـــأن أفـــراد هذه الجماعة بأنهم فئة من المتصـــوفين اليهود المتمسكين بديانتهم وقيل أنهم من فئة الآسانيين (يراجع Philoالإسكندرانى).

وامـــتداداً لهـــذا الرأى فإن هذه الفئة رفضت الاستناد إلى كتب أخرى كانـــت متداولة بين اليهود كالمدراس والجمارا وتمسكت بكتابها المقدس دون غيره وحفظت لفائفه فى هذه المغارات .

ويؤخـــذ من الكتابات التى وجدت بجوار العهد القديم فى وادى قمران أن هذه الفئة كانت تنضوى تحت رئيس يسمى "معلم الحقيقة " Teacher Of Right ousness ولذلـــك فقد ساد الاعتقاد عند بعض المفكرين أن يسوع المســـيح هـــو معلم هذه الجماعة ولكن هذه الفئة وجدت قبل مولده واستمرت حتى بعد انتهاء عصره ، غير أنه قد يكون من الجائز أن يكون المسيح عليه

السلام قد انضم إلى هذه الفئة ، ودرس على أيديهم التوراة والتى كان عالما بها علما واسعآ ولكنه انشق عليهم أو خرج من بينهم يكرز بأفكار جديدة .

كما نعتقد أن يوحنا المعمدان كان واحدا من هذه الجماعة وأنه خرج يبشر بظهور المسيا (مسيح اليهود) .

وهذا الإعتقاد قد يؤيده أن جماعة وادى قمران كانت جماعة متبتلة زاهدة تتعفف عن الاقتراب من النساء حرمت على أعضائها الزواج ، وهو الحال التى اتخذها كل من المسيح ويوحنا .

يضاف إلى ذلك أن الأناجيل لم تبين لنا كيف تعلم المسيح أحكام التوراة – أى أن حياته الأولى قبل تكريزه كانت غامضة ، وأن الذين كتبوا الأناجيل – فى الأغلب لم يكونوا من بين أتباعه (١) .

غير أننا فى النهاية نقول إن اكتشاف نصوص التوراة فى وادي قمران وعدم تناقضها أو اختلافها مع التوراة التى بين أيدينا يدل على أن التوراة الحالية لم يعترها التغيير منذ عصر التدوين .

*الجماعات والفرق اليهودية

لم تكن هذه الجماعات ذات طابع دينى فحسب بل كان بعضها يشتغل بالسياسة ومن هذه الجماعات:–

(١) الفريسيون وهم جماعة يهودية متزمتة كانت تتعلق بحرفية النصوص (تماثل الجهمية فى الفكر الإسلامي) – وهم أول من وقفوا معارضين للمسيح بشدة حتى سلموه إلى الوالى ليحكم عليه بالصلب .

---

(١) فى بعض الكتابات يقال عن متى أنه كان موظفا بمصلحة الجمارك بكفر ناحوم وأن مرقس كان مساعدا لبولس وأن لوقا هو طبيب بولس وأن أكثر الناس معرفة بالمسيح هو يوحنا فهو ابن زبدى الصياد الذى كان قريبا من المسيح ، غير أن كتابات أخرى تقول إنه وجدت نصوص تعد أناجيلا مثل إنجيل العبريين وإنجيل توما ولكن الكنيسة اعتبرتها أناجيل مزورة .

(٢) الصـــدوقيون – لا يعترفون إلا بأسفار التوراة الخمسة ، ولأن التوراة لم تتضمن عقيدة البعث والحساب فقد أنكروا قيامة الأموات .

(٣) الكتبة – وهم طبقة كانت تتولى تفسير الشريعة اليهودية .

(٤) الهيرودسيون – وهو حزب يهودى سياسى .

(٥) الفيورون – كانوا يعملون من أجل إنهاء حكم روما على إسرائيل .

(٦) الأسينيون – وهم متصوفة اليهود أى جماعة من النساك كانوا يتمسكون بممارســة طقوس التطهير والقداسة الشخصية والعفة الجنسية وقيل أن يوحنا والمسيح تعلما على أيديهم .

* تقديم

لم يعرف العالم القديم عقيدة الوحدانية إلا على يد إخناتون الملك الفرعونى الذى آمن بإله واحد غير أنه لم يخرج عن نطاق الطبيعة فى تحديد الإله المعبود بل عبد الشمس باعتبارها إلهه الوحيد .

وفى غضون الحياة الفرعونية عاش موسى عليه السلام وكان قائدا من قادة جيش فرعون والأغلب أنه كان يحمل اسماً مصرياً وتأثر بالتوحيد الذى أعلنه الملك أخناتون (١) وقد قالت عنه التوراة أنه تربى على حكمة المصريين.

* الله والنار

يقول سفر الخروج إنه عندما كان موسى يرعى الغنم عند جبل حوريب " ظهر له ملاك الرب بلهيب من نار من وسط عليقه " فناداه الله وقال له والتوراة تذكر أن موسى عاصر ثلاثة فراعنة - فرعون المولد ، فرعون الإقامة وفرعون الاضطهاد والخروج : ـ

لا تقترب من النار " اخلع حذاءك من رجليك لأن الموقع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة " (٢) ثم قال له " إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى

(١) راجع - D . Sigmund Freud= Moise et le Monotheisme

(٢) يعبر القرآن الكريم عن ذلك في سورة النحل " وإذ قال موسى لأهله إنى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو ءاتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون * فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين * يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم " ولا نعتقد أن القرآن الكريم يقصد أن الله هو الذي تمثل في عمود النار حين قال بورك من في النار فالفعل مبني للمجهول والبركة تأتي من الله للغير وقد ذهب الشيخ حسنين مخلوف إلي أن المقصود هو بورك من كان في مكان النار وهو موسى وأما من حولها فالقصد الملائكة وفي سورة طه يقول القرآن الكريم " وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي أتيكم منها بقبس أو أجد علي النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى " ولكنا نعتقد أن ملاك الرب هو الذى تمثل في عمود النار ولقد كان موسى من الشخصيات الهامة التي تحدث عنها القرآن فذكر فيه ١٣٦مرة.

مصـــر وسمعت صراخهم فنزلت لإنقاذهم من أيدى المصريين .. إلي أرض جـيدة وواسـعة إلــى أرض تفـيض لبــنا وعســلا إلــى مكان الكنعانيين (الفلســطينيين) والحيثيين .. والآن هلم فارسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر "

وعـــندما سأله موسى عن اسمه فقال إسمى " أهيه الذي أهيه " ثم تغير الإســم مرة اخرى إلى " يهوه" إذ ورد بسفر الخروج وقال الله أيضا لموسى هكــذا تقول لبنى إسرائيل " يهوه" إله آبائكم أرسلنى إليكم ... هذا إسمى إلي الأبد .

وتحكــى الــتوراة أن الله حــرض موســى وقومه على سلب ونهب المصريين حين الخروج .

فقالــت إن الله أخــبر موسى وقال له " فأمد يدى واضرب مصر بكل عجائــبى فيكون حين تمضون (أى تخرجون من أرض مصر) لا تمضون فارغيــن بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعـــة فضــة وأمتعـــة ذهب وثيابا تضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين" .

*** طبيعة الذات الإلهية في التوراة**

يقول سفر الخروج إن الله أوحى لموسى قائلا :-

" لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .. لا تصنع لك تمثالا منحوتا أو صورة ما لا تســجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع" .

ومن هذه الوصية يتضح لنا أن الديانة اليهودية تقوم على أساس عقيدة التوحيد وأنها نبذت إلى - غير رجعة - تعدد الآلهة .

وتعتبر الديانة اليهودية أول ديانة خــرجت عـــن نطـــاق الطبيعة عــندما حــددت معبودها ، فالإله فى عقيدة التوراة ليس عنصرا من عناصر

الطبيعة فهو لا يتمثل في الشمس أو القمر أو النار أو غير ذلك من المخلوقات بل هو قوة عليا غير منظورة يحرك الطبيعة ولا تحركه (١) وهو ذات أبدية .

والإله في التوراة ليس مخلوقا بل هو خالق عن طريق كلمة كن فيكون، وهو خالق السموات والأرض وما بينهما .

تقول التوراة في سفر التكوين " في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وعلى القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه وقال الله ليكن نور فكان نور ".

ثم خلق الحيوانات والأسماك والطيور ثم خلق الإنسان .

غير أن التوراة بعد ذلك انحرفت بالطبيعة الإلهية الكاملة إلى ذات إلهية خاصة فأصبح الإله قاصراً على بنى إسرائيل فهو قد اختار هذا الشعب باعتباره إبنه البكر وتعهد بحمايته ورعايته وإهلاك أعدائه ولم يعد الإله معنياً بغيره من الشعوب المخلوقة ، وقد دفع ذلك بعض المفسرين إلى القول إن الخصوصية التي أضفتها التوراة علي إله بنى إسرائيل تؤدى إلى القول بإمكان وجود آلهة أخرى لباقى الشعوب بمعنى أن التوراة – حين أقرت بخصوصية إلههم لبنى إسرائيل فإن مؤدى ذلك أن الشعوب الأخرى لها آلهة أخرى مما يعارض عقيدة التوحيد التى أعلنتها التوراة .

---

(١) يذهب أرسطو إلى أن الله كائن له الأزلية الأبدية المطلقة وأنه كامل ليست له بداية أو نهاية كما أنه لا عمل له ولا إرادة لأن الله غني عن غيره والإرادة خيار بين أمرين والله لا يجوز عليه الخيار لأن الخيار نقص والإله الكامل المطلق الكمال لا يعنيه أن يخلق العالم أو يخلق مادته الأولى وهي الهيولي ولكن الهيولي قابل للوجود يخرجها من القوة إلي الفعل شوقها إلي الوجود الذي يفيض عليها من قبل الله فتتحرك وتتعمل بما فيها من الشوق.

* ففي سفر الخروج

ورد به " وقال الله أيضا لموسى – هكذا تقول لبنى إسرائيل " يهوه" إله آبائكم
أرسلنى إليكم ".

وطلـــب الله مـــن موســـى أن يبنـــي له بيـــتا مقدسا ليسكن فيه وسط الإسرائيليين.

* وفي سفر اللاويين يقول الله لشعب إسرائيل

" واجعل مسكنى فى وسطكم ولا ترذلكم نفسى وأسير بينكم وأكون إلها وانتم تكونون لى شعبا ... أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من ارض مصر من كونكم لهم عبيدا " .

وتحكـــى التوراة أن الرب كان يظهر لبنى إسرائيل كسحابة على خيمة الاجـــتماع نهاراً ويظهر كعمود من النار ليلا ليهديهم إلى الطريق وأنه كان ينام فى تابوت.

* يقول الأستاذ العقاد

إن صـــورة يهـــوه إله شعب إسرائيل هى صورة بعيدة عن الوحدانية يشـــترك معـــه آلهة كثيرون تعبدها الأمم التى جاورت العبرانيين فى أوطان نشـــأتهم وأوطان هجرتهم ولكن (يهوه) إلههم يغار منها ولا يريد من شعب إســـرائيل أن يلتفت إليها لأنه يريد أن يستأثربشعب إسرائيل لنفسه بين سائر الشعوب (١) .

ويبيـــن من نصوص التوراة أن إله بنى إسرائيل هو إله قومى لجماعة قومية وهذا الإنحراف بمفهوم الذات الإلهية يعود إلى محررى التـــوراة فـــى

---

(١) العقاد حقائق الإسلام .

فـترة الـنفى الذين حاولوا أن يشدوا من عضد الإسرائيليين الذين تعرضوا لأبشـع حوادث الأسر والنفى والتشتت حتى لا يفقدوا روابطهم القومية وذلك بدعـوى أن إلههـم يهـدف إلى صقلهم ليهيأ شعبه القوى الذى كابد المحن لاحـتلال أرضـهم الموعـودة . ومن ثم ابتدعوا فكرة الإله الخاص للشعب الخـاص وأنه قادر على تنفيذ وعده لهم وأنه لا يعنى بباقى الخلق لأنه اختار شعب إسرائيل ليكون شعبه وابنه وحبيبه . وأنه سوف يبيد الشعوب الأخرى لتبقى إسرائيل قوية موحدة لا تعبد سواه .

* التنزيـه الناقـص

لم يستطع كاتبو التوراة أن يضعوا الإله فى صورة مقدسة منزهة عن التجسـد بل خلعوا عليه أوصاف البشر في ضعفهم وقوتهم ومن ثم فإن الإله فى التوراة قد تجرد من التنزيه الذي يفترض فى إله خالق عظيم .

* ففي سفر التكوين

(١) تقـول التوراة : وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمله فاستراح فـى اليوم السابع (١) بما يعنى أن الله أصابه الإجهاد والتعب بعد خلقه للعالم.

(٢) يقول سفر التكوين عن آدم وهو فى الجنة " وسمعا صوت الرب ماشيا فى الجنة " وهذا يعنى أن الله كالإنسان يمشى ومن ثم يكون محدود الكينونة .

(٣) والتوراة صورت الله جاهلا لمكان اختباء آدم فقالت " فنادى الرب آدم وقال له أين أنت !! " .

---

(١) وفى القرآن الكريم يرد على هذا الإدعاء بما يلى وما مسنا من لغوب أى من تعب .

(٤) والله خلق الإنسان على شبهه بمعنى أن لله حجما – طولا وعرضا تقول التوراة " يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله " (١) .

(٥) نسبوا إلى الله البنين يقول سفر التكوين

" وحـدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن **أبناء** الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات (حسناوات) فاتخذوا لأنفسهم نساء مـن كـل مـا اختاروا وبعد ذلك أيضا دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة " .

(٦) الرب يتنسم ويندم – يقول السفر " فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان " .

*** وفي سفر الخروج**

للـرب قدمان – يقول السفر " ثم صعد موسى وهارون وسبعون من شـيوخ إسـرائيل ورأوا إلـه إسرائيل وتحت **رجليه** شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف" (٢) .

---

(١) وفى سفر التكوين نسبت التوراة إلي الله حادثا غريبا فقد دخل على يعقوب وصارعه وضرب الله فخذ يعقوب وطلب منه أن يغير اسمه إلى إسرائيل – تقول التوراة على لسـان يعقوب – في شأن هذه المصارعة " لأنى نظرت الله وجها لوجه " مع أن الله قـال لموسـى فـي سـفر الخروج " لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعـيش" وفي الإصحاح ٢٤ من سفر الخروج ورد أن موسى وهارون وسبعين من شـيوخ إسـرائيل رأوا إلـه إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف " .

(٢) وفـى سفر الخروج وصفت التوراة الله بالجهل إذ طلب الله من بنى إسرائيل عشية خروجهم من مصر أن يذبحوا ذبائح ويأخذوا من دمها ويضعوه علامة ظاهرة على بـيوتهم لأن الله سـينزل إلى أرض مصر ويضرب بيوت المصريين ويترك بيوت الإسـرائيليين متى رأى علامة الدم على أبوابها – يقول الله فى سفر الخروج " فإنى أجـتاز فـي أرض مصـر هذه الليلة واضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والـبهائم ويكـون لكم الدم علامة علي البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم (أى أترك مساكنكم) فلا يكون عليكم ضربة للهلاك ".

*وفي سفر العدد

" فنزل الرب في عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما فقال اسمعا كلامى".

والأمثلة عديدة على ذلك بما يدل أن عقيدة تنزيه الإله من الشبيه والنظير لم يكن لها مكان فى التوراة بل إنها خلعت على الله كل صفات البشر جسدا ونفسا.

وفى سفر الخروج أيضا قال الرب لموسى " هاأنذا أقف أمام الصخرة فى حوريب (جبل) فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب " .

وفى سفر الخروج طلب موسى من الله أن يراه فقال له إنه لا يستطيع أن يرى وجهه وإنما يستطيع أن يرى ظهره عندما يمر عليه " وقال الرب هو ذا عندى مكان فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدى إنى أضعك فى نقرة من الصخرة واسترك بيدى حتى اجتاز ثم أرفع يدى فتنظر ورائى وأما وجهى فلا يرى " أى أن الله سيخفى موسى فى حفرة عندما يأتى بوجهه ثم بعد ذلك يتركه ليرى ظهره !!

فالله يندم ويشم رائحة الشواء ويبتهج بمنظر دم القرابين ويمشى ويقف على قدمين ويصارع وله وجه وظهر وقدمان وينفعل قلبه بالمشاعر والأحاسيس .

" وقال الله فى قلبه لا أعود ألعن الارض .... " (١) .

ويبدو أن كاتبى التوراة تصوروا الله إنسانا راقيا له قدرة الخلق .

هذا ولا يمكن القول أن ألفاظ التجسيد الواردة فى التوراة من قبيل الرمز أو المجاز ، لأن التوراة أوردت فى البدء – القاعدة التشبيهية حين قالت إن الله خلق الإنسان على شبهه ، والإنسان مادة تحركها الروح والشبه

---

(١) في سفر التكوين تقول التوراة " فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الارض وتأسف في قلبه " بما يعني أن لله قلبا كالإنسان ينفعل بالمشاعر والأحاسيس فيحزن ويندم .

أو النظير يعنى أن الله مادة ذات أعضاء جسمانية .

فهى صورة الإنسان أضفيت عليه صفات الألوهية بما يعنى أن اليهود تصوروا أن الله هو الإنسان الأول الذى أمكنه خلق العالم (١).

---

(١) تقــوم الديانة اليهودية علي عقيدة أن الله طلب من موسى ثم داود وسليمان أن يسكن في بيت بينهم حتى يستقر فيه بدلا من السير في الخيمة - ففي كتاب صموئيل الثاني كـــان كـــلام الرب لناثان " إذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب أنت تبني لي بيتا لسـكناي لأنـــي لم أسكن في بيت منذ يوم اصعدت بنى إسرائيل من مصر إلي هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن "

وجـــاء بكتاب الملوك الأول " حينئذ تكلم سليمان قال الرب إنه يسكن في الضباب - إني قد بنيت لك بيت سكنى مكانا لسكناك إلي الأبد " بل إن موسى أمر الله بأن يندم حيـــن أراد الله أن ينتقم من بني إسرائيل عندما صنعوا عجل الذهب - إذ قال موسى للرب "ارجع عن حمو غضبك واندم علي الشر بشعبك " .

يتناول سفر الخروج - اعتبارا من الإصحاح الثاني- ولادة موسى(١) ويقـول السـفر إن أم موسى تزوجت من بيت لاوى وولدت ذكرا ، وعندما رأته حسنا خبأته ثلاثة أشهر ثم أعدت له مضجعا من ورق البردى ووضعت موسـى داخله ثم ألقته على حافة النهر وجلست أخته تراقبه ، وعندما نزلت إبـنة فرعون تغتسل فى النهر رأت الوليد ملقى على حافة النهر فعرفت أنه من أولاد العبرانيين ، ثم تقدمت لها أخته وسألتها إن كانت تبغى مرضعة له فوافقـت ، ثم دفع لأمه لإرضاعه وعندما كبر أعيد إلي إبنة فرعون فاتخذت منه إبنا ودعته موسى .

وتحكـى التوراة أن موسى قتل مصريا كان يتشاجر مع أحد العبرانيين وعـندما علـم فرعون بذلك أصدر أمرا بقتل موسى إلا أنه هرب وسكن فى أرض مديان .وتزوج موسى من ابنة كاهن - فى ارض مديان - كانت تسقى الغنم .

ثـم ظهـر مـلاك الله لموسى عند جبل حوريب وكلفه بأن يذهب إلى فـرعون لإخراج شعب بنى إسرائيل من مصر ، وزود الله موسى بعصا إذا طرحـت على الأرض صارت حية فضلا عن معجزة أخرى وهى أن يدخل يـده في ثوبه فتخرج بيضاء كالثلج ، ومعجزة ثالثة أنه إذا أخذ من ماء النهر وسكبه على الأرض صار الماء دما .

وتحكـى التوراة أن فرعون رفض إطلاق سراح العبرانيين ، ثم انضم هـارون إلى موسى ، وإذ ألقى هارون العصا - صارت حية وابتلعت جميع ثعابين سحرة مصر .

---

(١) يؤخـذ من روايات التوراة أن موسى هو ابن عمرام وأن أمه هي يوكابد عمة والده وأنها ولدت له هارون وموسى .

وتحكــى الــتوراة أيضا أن الله ضرب مصر بعديد من الكوارث لعدم استجابة فرعونها إلى إطلاق سراح العبرانيين .

وتمثلــت هــذه الكوارث فى صيرورة مياه النهر دما ثم امتلاء المياه والبــيوت بالضــفادع ثم إغارة البعوض والذبان على أرض مصر ثم موت مواشــى المصــريين ثــم انتشار الدمامل ثم البرد والرعد والبرق والنار ثم الجراد ثم حلول الظلام بأرض مصر ثلاثة أيام .

ولم تكتف التوراة بألوان العقاب سالفة الذكر فقد ورد بها :

" **يقــول** الرب إنى نحو نصف الليل اخرج من وسط مصر فيموت كل بكــر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس علي كرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحى وكل بكر بهيمة ويكون صراخ عظيم فى كل أرض مصر لم يكن مثله ولا يكون مثله ايضا ولكن جميع بنى إسرائيل لا يسنن قلب لسانه إلــيهم لا إلى الناس ولا إلى البهائم لكى تعلموا أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل "

*آراء علماء اليهود في شأن موسى والتوراة

يذهــب ســيجموند فرويد أحد كبار الباحثين اليهود والطبيب النفسانى المعــروف (١) إن موســى طور عقيدة الوحدانية الأخناتونية ثم أعلن أن الله ألقــى عليه عبء النبوة ورغم ذلك لم يستطع تغيير اسم إله أخناتون (آتون) فاســتعمل اللفــظ مــع تعديــل طفيف وسمى الإله "أدون" ثم طور اللفظ إلى أدوناى.

---

(١) راجع الدكتورسيجموند فرويد Sigmund Freud , Moise et le Monotheisme وراجــع إسماعيل ديب – التوراة بين الوثنية والتوحيد ، وراجع الدكتور محمد خليفة حسن – تاريخ الديانة اليهودية .

*** حيث جاء بسفر التثنية باللغة العبرية**

" شماع إسرائيل أدون إيلوهينو أدوناى آحود " .

وتعنى اسمع يا إسرائيل أن السيد إلهنا هو إله واحد

Ecoute´ , Osrael Notre Dieu Aton (Adonai) est la dieu Unique.

ويذهب إلي أن الديانة اليهودية تدين للديانة الفرعونية بتعاليمها ووصاياها ومع ملاحظة أن " أدوناي " ليس هو اسم إله إسرائيل فحسب بل إن ترجمة الملك جيمس أضافت اسما آخر رغم الأسماء العديدة التى تسمى بها إله إسرائيل And God Said unto Moses " I am that I am

" أى أنا هو أنا "

غير إننا لا نستطيع القول أن الأسماء العديدة لإله إسرائيل تعنى تعدد الآلهة لأن اليهود عبدوا إلها واحدا .

وقد توصل سيجموند فرويد من بحثه إلى أن موسى هو أحد أفراد الشعب المصري أصلا ونشأة وأن ديانته لا تعدو تطويرا لعقيدة أخناتون وبذلك يكون فرويد قد شكك في صحة الديانة اليهودية جذريا .

*** واعتمد فرويد على ما يلى :**

١- أن اسم موسى ليس اسما عبريا بل هي كلمة مصرية تعنى (وليد) أو(طفل) أو (ابن) ويؤيده فى ذلك جيمس هنري برستد (١) .

٢- إن ثمة تشابه بين ديانة موسى وعقيدة إخناتون فى الطبيعة الإلهية كأزلية

---

(١) راجع James Henery Breosted The Down Of Conscienc

الإله فى العقيدتين وفى البعد الأخلاقى (١) .

ورغم ذلك فإن انكار الديانة اليهودية أمر لا يمكن قبوله ، إذ أن البراهين التى اعتمد عليها العلماء هى أدلة هامشية – لا تستطيع أن تجرد اليهودية من كونها ديانة لها بعدها الروحى والقومى وإن كان اليهود قد انحرفوا بها إلى ديانة عنصرية خاصة بهم باعتبارهم الشعب البكر الذى اختاره إلههم ورفض كل مخلوقاته سواهم .

* ارتداد الإسرائيليين عن الإيمان بإله موسى

يمكننا القول بغير تجاوز أن بنى إسرائيل دُفعوا إلى الخروج من مصر بسبب قيادة موسى لهم وليس رغبة منهم فى الهرب من مصر ، فقد كان العبرانيون يقيمون وسط المصريين يأكلون من خيرات مصر حيث مضت بهم الحياة أكثر من ثلاثمائة سنة دون قيامهم باية حركات ثورية كما لم تصدر منهم ثمة احتجاجات على وضعهم فى مصر .. بل حين تاهوا فى برية سيناء كانوا يذكرون خيرات مصر ويتمنون لو عادوا إليها من جديد .

والتاريخ الفرعونى لم يسجل ثمة أخبار عن هؤلاء العبرانيين بما يعنى أن إقامتهم فى مصر لم يكن أمرا ذا شأن ، حتى حادث الخروج ليس له فى التاريخ الفرعونى أدنى ذكر .

---

(١) يريد سيجموند فرويد وغيره ممن أنكروا صحة الديانة اليهودية ، أن يصلوا إلي أن الديانة العبرانية هي امتداد لأفكار إخناتون عن طريق قائد جنده موسى المصري الأصل والنشأة – وأن أتباع العبرانيين لموسى هو في حقيقته محاولة لخلاص القبائل العبرانية من السخرة في مصر والهجرة إلي أقرب مكان من مصر وهو فلسطين لكي يستردوا حريتهم بعد استعبادهم في أرض الفراعنة بما يعني أن قصة انتشال موسى من البحر ليست صحيحة علي إطلاقها . ويترتب علي ذلك أن عقيدة الأرض الموعودة ليست وعدا من الله أو هبة منه ، بل كانت دعوى ابتكرها موسى ليستطيع أن يسيطر علي أتباعه بالحلم والآمال .(انظر تعليقنا في المتن).

ومــن ثــم يمكــن القول أن الهجرة من مصر كانت حادثا ذات أبعاد اجتماعية قومية ، ولم يكن الدين الذى أعلنه موسى هو الدافع الذى دفعهم إلى الخروج من مصر .

ودليل ذلك أن العبرانيين لم يكونوا على إيمان قوي بالديانة الوليدة فقد انتهزوا فرصة غياب موسى عنهم بعض الوقت حين توجه إلى مكان مجهول فــي جــبل بسيناء لتلقى وصايا الله وسرعان ما ارتدوا عن عبادة إله موسى وطلــبوا أن يكــون لهــم معبود ظاهر مجسم كمعبودات المصريين، وتحكى التوراة هذا الحدث فيما يلى (١) :

قال شعب إسرائيل لهارون ...

" **قــم** اصنع لنا آلهة تسير أمامنا فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبناتكم وأتونى بها " فصنع لهم هارون عجلا مسبوكا – فقــال الــرب لموســى اذهب انزل لأن الشعب فسد وأراد أن يبيدهم فقال له موسى " ارجع عن حمو غضبك واندم علي الشر بشعبك " .

وحيــن رأى موسى العجل المعبود أمرهم بإحراقه وبأن يقتل كل واحد أخاه وصاحبه وقريبه فتم قتل حوالى ثلاثة آلاف رجل .

يتضح من ذلك كله أن إيمان شعب إسرائيل بالديانة الجديدة كان إيمانا مهتزا ليست له جذور فى العقل أو الوجدان وإنما كانت الهجرة من مصــــر

---

(١) لــم يكن الإرتداد عن عبادة الله مقصورة علي زمن موسى – بل لقد ارتد اليهود في زمــن داود وسليمان وبعد انقسام المملكة ونذكر من ذلك ما يلي فى المملكة الشمالية (إسرائيل) ارتد عن عبادة الله حاكمها الأول بريعام حيث أقام عجلين من ذهب وظل ٢٢ ســنة مــرتدا ثــم جاء بعده في عبادة الأوثان كل من بعشا وزمري وأخاب ثم يهوحاز وكلهم من ملوك إسرائيل الذين فرضوا عبادة الأوثان علي شعبها فى المملكة الجنوبــية (يهوذا) – بدأ الحاكم رحبعام في عبادة الأوثان ثم جاء بعده في الارتداد يــورام وأمصــيا ويوثــام وأحــاز (الذي أغلق أبواب الهيكل) ومنسى الذي أقام صنما في الهيكل .

بدافـــع رغبـــتهم فى أن يكون لهم وطن يستقرون فيه حتى يصيروا أحرارا بغير قهر أو تسلط (١) .

غـــير أن ذلك كله لم ينل من تمسك اليهود بعقيدتهم القائمة على رعاية الله لهـــم رعايـــة خاصـــة وأن ما أصابهم منٍ محن هو نوع من الإبتلاء من ربهـــم، وهـــو ما يعنى أن التوراة بصورتها الحالية قد حققت هدفا على قدر كبير من الخطورة هو ارتباط الشعب الإسرائيلى كبنيان واحد من أجل تحقيق حلمهم الكبير بسيادة إسرائيل علي شعوب العالم (الجوييم) بعد ظهور المسيا المُخَلصِّ .

---

(١) وكـــان الـــبعل هو إله بنى إسرائيل بعد الارتداد وهو إله المطر والنار والمحاصيل ، وعـــبادته كانـــت تطلـــب ذبح عدد من الأطفال وتقديم الذبائح قربانا له . وينسب إلى ســـليمان بـــن داود أنه عبد الأوثان (وهو ثاني ملك لإسرائيل) فبعد أن تزوج مئات النساء وصاهر الفراعنة عبد عشتاروت إله الصيدونيين وملكوم إله العمونيين وكموش إلـــه المؤابييـــن ، والغريـــب أن التوراة تعزو انهيار إسرائيل وسبي شعبها إلي فسق سليمان وزواجه بمئات من النساء وعبادته الأوثان ، مع أن الشعب لا ذنب له في فسق ملكه .

الخصائص الجوهرية
للديانة اليهودية

١- خلو العقيدة اليهودية في التوراة من البعث

خلت التوراه فى أسفارها الخمسة من عقيدة البعث غير أن بعض أنبياء إسرائيل ذهبوا إلى إمكان إحياء الأموات .

يقول هوشع " هلم إلى الرب لأنه هو افترس فيشقينا – ضرب فيجبرنا .... يحيينا بعد يومين فى اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه ".

*** وفى سفر أشعياء**

" **تحيا** أمواتك .... تقوم الجثث ... استيقظوا ترنموا ياسكان التراب " .

ومفهوم البعث لدى الأنبياء مفهوم مبسط ، وهو قيام الأموات فحسب ، ويبدو أن عقيدة البعث قد نقلت إليهم من ديانات الفرس وعلى هدى ما أوردته التوراة فإن البعث ليست عقيدة إيمانية لدى موسى ، ولا يحاج هذا الرأيى بالقول بأن كلمة الآخرة وردت فى نشيد بنى إسرائيل " انظر ماذا تكون آخرتهم إنهم جيل متقلب فتتفقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض غلتها ... إن يوم هلاكهم قريب" .

فلفظ الآخرة هنا ليس له الدلالة الدينية فى المسيحية أو الإسلام ، أى يوم بعث الأموات وإجراء الحساب والعقاب وإنما المفهوم الواضح من عبارة النشيد أن آخرتهم هى يوم هلاكهم وليس يوم قيامهم من موتهم .

٢- خلو التوراة من عقيدة الثواب والعقاب

كما خلت التوراه من عقيدة البعث فقد خلت أيضا من عقيدة الثواب

واحدة وبطريقة فورية .

ففي سفر اللاويين أوردت التوراة الجزاء المنتظر في حالة عصيان بني إسرائيل لأوامر الله فقالت :-

" إن كنتم لاتسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف فأنا أسلك معكم بالخلاف ساخطا وأود بكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم فتأكلون لحم بنيكم ولحم بناتكم تأكلون واخرب مرتفعاتكم واقطع شمساتكم والقي جثثكم على جثث أصنامكم وترذلكم نفسي وأصير مدنكم خربة ولا أشتم رائحة سروركم ... وأذريكم بين الأمم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ومدنكم تصير خربة والباقون منكم ألقي الجبانة (الجبن في قلوبهم في أراضي أعدائكم وأيضا بذنوب أبائهم معهم يفنون ".

فالتوراة لم تشر إلى أي حساب أو عقاب أخروي وإنما الجزاء بجميع صوره حال حياتهم ، وهذا امتداد لخلو التوراة من عقيدة البعث .

٣- الطقوس :

اهتمت التوراة بالعديد من العادات والطقوس ومنها ما لاعلاقة له بالإيمان بالله ، ومن أصل الطقوس في التوراة ختان الذكور وهي عادة فرعونية نقلت إلى بني إسرائيل إبان إقامتهم في مصر ، وقد أشار هيرودوت إلى انتشار هذه العادة لدى المصريين .

ومن الطقوس شريعة الغيرة وهي تقابل شريعة اللعان في القرآن وموجزها أنه إذا اعتري الزوج روح الغيرة والشك في زوجته وظهرت له خيانتها بغير شاهد يذهب الزوج و امرأته إلى الكاهن الذي يقوم بتحضير الماء المقدس المخلوط بالتراب ويسمى ماء اللعنة المر حيث يستحلفها الكاهن على مدى طهارتها ويسقيها من الماء فإن كانت قد خانت زوجها سقط فخذها

وتورمت بطنها وإن كانت بريئة فإن ماء اللعنة لايؤثر فيها.

ومـــنها أيضـــا أحكـــام النجاسات الخاصة بالحيض والولادة ومرض الـــبرص ومنها أحكام إتيان العذراء وإجبار الأخ على الزواج من أرملة أخيه المتوفى.

ومـــنها طقـــوس القرابين والذبائح وأحكام المواسم والأعياد مثل عيد الفصـــح وعـــيد الفطير ويوم الكفارة ويوم الاعتكاف وأيضا حكم الراحة يوم السبت وغير ذلك من الطقوس العديدة التى تضمنتها التوراة .

٤- العنصرية الدينية القومية

تقوم الديانة اليهودية على أساس عنصرى قومى باعتبار أن اليهود هم شـــعب الله المخـــتار الـــذي اصطفاه بالحب وكلفه بالعبادة، فلا وزن لشعوب الجويـــيم (الغـــرباء أو الأمم الأخرى فقد حرمت التوراة على اليهودى أن يحصل علي ربا من اليهودى بينما أحلت له الربا مع الغير.

كمـــا لا يجوز لليهودى أن يتخذ من بنى شعبه عبدا رقيقاً بينما يحل له استرقاق الشعوب الأخرى .

*** تقول التوراة**

" **وإذا** افـــتقر أخـــوك وقصرت يده عندك فأعضده غريباً أو مستوطناً (الـــيهودى الغريب المرتحل من بلد أخرى فيعيش معك لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة بل إخش إلهك فيعيش أخوك معك – فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعـــط بالمـــرابحة .... أنـــا الـــرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ليعطيكم أرض كنعان (فلسطين فيكون لكم إلها " .

*** وفي سفر اللاويين** "

وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك – فمن الشعوب الذين حولكـــم

مـــنهم تقتنون عبيدا وإماء .... وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم مـــنهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضهم فيكونون ملكـــاً لكم وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلي الدهر وأما اخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان علي أخيه بعنف ".

وهـــذه الروح الثأرية قد سادت معظم نصوص التوراة وهي تبدو كرد فعـــل لحركات القهر والسبي الجماعية لبني إسرائيل سواء في مصر أو في أشور أو بابل حيث تم اسر الشعب اليهودي بأكمله (١).

٥- المادية والبعد الأخلاقي في التوراة

جـــردت الـــتوراة العديـــد من الرسل من صفات الشفافية الروحية أو الالتزام الخلقي وخلعت عليهم صفات مادية ذات مدلول جنسي فاضح .

فمـــثلا نســـبت إلى نوح انه سكير يشرب الخمر وان إبنه حام نظرإلى عورته عندما تعرى أبوه .

وإبراهـــيم يخـــدع فرعون و(أبيمالك ويدعى أن سارة أخته وليست زوجته – حتى إذا ما وقعت في عين الملوك بسبب جمالها ناله من ذلك خير كثير .

ففـــي سفر التكوين يقول " قولي إنك أختي ليكون لي خير كثير بسببك وتحـــيا نفسي من أجلك " بما يعني انه كان يبغى أن تنال سارة الحظوة لدى الملوك فيناله من ذلك العبيد والغنم .

(١) تعـــرض الـــيهود للقهـــر في مصر الفرعونية وحين كونوا مملكة داود وسليمان بعد اســـتيلائهم علـــى فلســـطين انقسمت الدولة إلى قسمين – الجزء الشمالي يضم مملكة إســـرائيل الشـــمالية وعاصمتها شكيم وترصة والسامرة والجزء الجنوبي يضم مملكة يهـــوذا وعاصمتها أورشليم وحدث الإنقسام سنة ٩٣٢ ق.م وبعد ما يقرب من مائتي عام تعرضت المملكة الشمالية لأكبر حركة سبي (أسر) جماعية عن طريق الآشوريين ســـنة ٧٢١ ق.م ثـــم ســـقطت المملكة الجنوبية سنة ٥٨٦ في أيدي البابليين وتم اسر سكانها .

وإبراهيم – أيضا – يلقى بهاجر في الصحراء بغير رحمة دون ماء أو غذاء تنفيذا لأوامر زوجته سارة ، ويجبره ربه على تلبية أوامر زوجته ولوط تتآمر عليه ابنتاه وتجامعانه فى مغارة وهو فى غيبوبة الخمر، يقول سفر التكوين " **قالت** البنت البكر الصغيرة لأختها – هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وفعلت الكبيرة مثل الصغيرة فولدت البكر ابنا ودعته مؤاب وولدت الصغيرة ابنا ودعته بن عمى" .

ويعقوب خدع أباه اسحق مدعيا انه عيسو أخوه ليحصل على بركة أبيه بدلا من أخيه، والله يصارع يعقوب وجها لوجه ويضربه على فخذه (١) ومع ذلك فإن الديانة اليهودية تضمنت العديد من الوصايا والأحكام ذات البعد الأخلاقى القويم – فقد حرمت السرقة وعصيان الوالدين ومضاجعة العذراء والزنا كما حرمت الإساءة لأرمله أو يتيم ونهت عن سب الله وقول الكذب وحرمت مضاجعة الذكور والغدر بالصديق ونهت عن الحلف بالله وسب الأصم ووضع العثرات أمام الكفيف والظلم فى القضاء والسعى بالوشاية وبغض الآخرين والانتقام منهم.

٦-المنهج الأسطوري في التوراة

لا يلتقي المنهج الأسطوري في التوراة مع التاريخ المقبول من النظرية العلمية فتاريخ الأجيال والأنسال الوارد فى التوراة والذي ينتهى بخلق

---

(١) ونسبت أسفار الأنبياء إلى داود انه اغتصب امرأة قائد من قادة جيوشه ثم قتله ليفوز بهـا وقد أنجبت له ابنا سفاحا ثم أنجبت سليمان الحكيم ، ونسبت التوراة إلى سليمان انه عبد الأوثان وانه كان ألعوبة في أيدى نسائه الكثيرات وأن بعضهم اغلق الهيكل أو وضع فيه صنما لعبادته.

السموات والأرض- كما ورد فى سفر التكوين - لا يتفق مع النظرية الاركيولوجية .

فبينما تذهب هذه النظرية إلى مرور ملايين السنين من تاريخ بداية الخلق تشير التوراة إلى عدة آلاف من السنين.

وقد قام منهج التوراة على أساس الأسطورة الدينية ، وكل أسطورة تتعلق بحدث معين ثم تليها أسطورة أخرى لحدث أخر وتتابع التوراة منهجها فى إيراد الأساطير المتلاحقة .

فعلى سبيل المثال نقرأ فى التوراة أساطير خلق العالم وقصة آدم وحواء وقصة الحية وعصيان آدم وطرده من الجنة ثم قصة نوح والطوفان وقصة إبراهيم وسارة وهجرتهما إلى مصر وطرد هاجر إلى الصحراء وقصة حوار إبراهيم مع الله في شان سدوم وأسطورة لوط وإضطجاع ابنتيه معه.. الخ

ولقد ذهب بعض علماء الأديان أن العديد من هذه القصص نقل إلى التوراة من الأمم والشعوب المجاورة إبان مرحلة السبى.

٧- الديانة اليهودية ديانة مغلقة

أى أنها مغلقة علي اليهود فقط الذين قادهم موسى من مصر تحت إسم العبرانيين وانسالهم ، فهى ديانة غير تبشيريه كالمسيحية والإسلام ولا يقبل اليهود انضمام غيرهم إلى ديانتهم حتى ولو كانوا مما لا يدينون بأى دين.

وقد يكون ذلك راجعا إلى عقيدة الشعب المختار ، باعتباره شعبا نقى الأصول ومن ثم حافظوا على عدم اختلاط الشعوب بهم ، وسكنوا أحياء خاصة في الدول التى أقاموا بها قبل مرحلة النزوح إلى فلسطين فى التاريخ المعاصر حتى سميت أحياؤهم بالجيتو نسبة إلى إسم الحى الإيطالي الشهير الذي عاش فيه اليهود .

٨- خلو التوراة من عقيدة المَسِيا المخَلّص

تقـــوم عقـــيدة المَسِــيا علـــى أساس قدوم مسيح من نسل داود يحقق الخلاص للشعب الإسرائيلى سياسيا ودينيا حيث يقيم مملكة الله السماوية على الأرض مملكـــة إســـرائيل فتخضع جميع الأمم له وكما يقول مزمور ٧٢ " ويملـــك (أى المسيح من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض أمامه تجثو آهل البرية وأعداءه يلحسون التراب ويسجد له كل الملوك – كل الأمم تعبد له ".

ورغـــم أن هذه العقيدة من جوهر العقائد الإيمانية لليهود إلا أن التوراة خلـــت مـــن النص عليها وإنما جاءت الإشارة إليها فى كتب الأنبياء وبعض مزامـــير داود ويقـــول هوشع النبى لأن بنى إسرائيل يقعدون أياما كثيرة بلا ملـــك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال ...... أو ترانيم وبعد ذلك يعود بنو إســـرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويقرعون إلى الرب وجنوده فى آخر الأيام "

ولقـــد قامت هذه العقيدة فى فكر الأنبياء كرد فعل لحالات الشتات التى فرضـــت على اليهود بإقامة إسرائيل الكبرى عن طريق مسيح يرسله الرب مـــن نســـل داود فتدين له الأمم جميعا بعد أن يدحر الشيطان واتباعه وتكون ايامه آخر أيام البشر.

يقول كتاب باروخ – وهو كتاب يهودى:-

" **ســـوف** يجئ زمن المسيا يدعو كل شعوب الأرض يعفو عن بعضهم ويقـــدم البعض للذبح – سوف تخضع للمسيا كل شعوب العالم حتى الأفاعى تخرج من جحورها لتخضع له خضوعا تاماً "

ومجـــىء مسيا اليهود هو مجىء أول وآخير – آما مجىء المسيح فى العقيدة المسيحية فهو المجىء الثانى – بعد مجيئه الأول .

يقـــول القـــس مكـــرم نجيب في كتابة " المجيء الثاني للمسيح ونهاية الـــتاريخ " فقبل المجيء (الثانى لابد من دخول اليهود والأمم معا ليتكون منها إسرائيل الجديد وهذا أمر لا يختلف عليه أحد من المسيحيين ".

وفـــى سفر زكريا " ابتهجى جدا يا إينة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتى إليك هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار وجحش ابن أتان "

وفـــى اشعياء " لأنه يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعي اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا آبا أبديا رئيس السلام " .

وعند ظهوره (١) :

" **يكـــون** ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيرا والتلال تفيض لبنا وجميع ينابـــيع يهوذا تفيض ماء من بيت الرب يخرج ينبوع ويسقى وادى السنط – مصر تصير خرابا وأدوم تصير قفرا خربا من اجل ظلمهم لبنى يهوذا الذين سفكوا دما بريئا فى أرضها ولكن يهوذا تسكن إلى الأبد فى أورشليم .

وأمـــا عن بابل – التى قامت أيضا بسبى يهود الجنوب سنة ٥٨٦ فقد أورد اشعياء فيها ما يلى :

" **لا تعمـــر** إلى الأبد ولا تسكن إلى دور فدور ولا يخيم هناك أعرابى ولا يـــربض هناك رعاه بل تربض وحوش القفر ويملأ البوم بيوتهم وتسكن هناك بنات النعام وتربض هناك معز الوحوش " اشعياء ١٣-٢٠ ٢١ .

ويتضـــح مما سبق أن عقيدة المسيا المخلص لليهود هى عقيدة كهنوتية ذات طـــابع سياســـى قومـــى انـــتقامى .... فالكهنة الذين سموا أنبياء ــ هم أصـــحاب العقـــيدة وقد تم زرعها فى تاريخ اليهود التالى لأسفار التوراة بعد السبى الجماعي الذي قام به الآشوريون والبابليون ، ففى النصوص السابقـــة

---

(١) يوئيل ٣-١٨/٢٠ ولاحظ لهجة الانتقام الواردة ضد مصر واشور ومصر التى خرج منها اليهود بسبب القهر الفرعوني واشور التي قامت بسبيهم وأسرهم.

نلاحـــظ الحملـــة الانتقامية ضد مصر التى اتهمت بقهر اليهود واستعبادهم وضد أشور وبابل بسبب اسر المملكتين الإسرائيلية فى الشمال واليهودية فى الجنوب (١).

ويضـــيف المؤلـــف انتقاده لفهم الأنبياء لرسالة المسيا " على انهم أمام ظـــروفهم القاســـية والمحن والأخطار التى هددتهم من كل جانب تطرفوا في فهمهـــم لهـــذا الـــرجاء والخلاص وركزوا على أنه خلاص روحى وسياسى وعســـكرى وملك ارضي ودولة دينية ثيوقراطية يكون المسيا فيها هو الملك والحاكم على الأرض ".

والســـبب فـــى هذا التطرف أن العهد والخلاص والرجاء قد اخذ بعده الجمـــاعى طابعـــا قوميا يخص شعوب اليهود فقط ... فالله لهم وحدهم كما سيطرت عليهم فكرة التفوق علي سائر الشعوب وهى فكرة عنصرية بغيضة وما زالت تحرك الصهيونية المعاصرة في دعواها ومزاعمها حتى الآن.

ولقـــد اتخـــذت هذه العقيدة المضافة إلى ديانة موسى لتحقيق أغراض الصهيونية العالمية حيث أوعزوا إلى بعض الجماعات المسيحية أن مسيحهم لـــن يأتى ألا بعد تحقيق عودة اليهود جميعهم إلى إسرائيل ، رغم أن اليهود يـــنكرون انه مسيا اليهود ، ولكن دعاة الصهيونية وهذه الجماعات المسيحية استطاعوا أن يتفقوا على مراهنة غريبة .

فحواهـــا أنـــه إذا جاء المسيح المنتظر ، وأعلن أن هذه المرة الأولى لظهوره فإن ذلك يعنى صدق العقيدة اليهودية واعتبار دعوة يسوع المسيح

---

(١) يقـــول القس الدكتور / مكرم نجيب فى كتابه المجيء الثاني للمسيح ونهاية التاريخ " وأثـــناء فـــترة الملوك والسبى ظهرت نبوات الأنبياء وتتركز علي موقف الشعب من العهـــد لتعلن عصيان ودينونة إسرائيل وعصيان ودينونة الأمم الأخرى التى اعتدت عليهم ولتعلن الرحمة والرجاء بالخلاص والعودة للشعب عن طريق المسيا الآتي الذي يحررهم ويغفر خطاياهم ويحقق لهم كل الانتظارات المرجوة .

ادعـــاء وافتراء وإذا أعلن أن عودته هى الثانية فإن ذلك يعنى صحة العقيدة المســيحية واعتبار العقيدة اليهودية ادعاء وافتراء ... ومن ثم يكون الهدف موحــداً للطائفتيــن وهــو تحقيق عودة الإسرائيليين إلى ارض الموعد إيذاناً بظهور مسيا اليهود أو مسيح الديانة المسيحية .

نخلص مما سبق أن عقيدة ظهور المسيا اليهودى هى عقيدة دخيلة علي ديانة موسى ، وحيث أنها عقيدة ميتا فيزيقية تتصل بجوهر الذات الإلهية التي ســوف يرســل مســيحه إلــى العالم ، فإن خلو التوراة منها يشير إلى أنها عقــيدة موضوعة من كهنة إسرائيل لا تقوم على أساس من نصوص التوراة المبلغة إلى موسى عليه السلام .

تعـد الديانة الموسوية أولى الديانات التى وحدت كينونة الذات الإلهية بغــير شــريك أو نظير أو شبهة فى التعدد أو الانقسام، وهى ذات دائمة لا يلحقهــا الفناء ..... وليست من صنع الطبيعة بل هى صانعة الطبيعة ، ولقد ظهــرت العقــيدة الموسوية فى وقت كان البشر منقسمين بين عابد لصنم أو ساجد لشمس أو قمر، فضلا عن تعدد الآلهة الذى قد يؤدي إلى الحرب بينها وتفــوق إلــه على آخر، غير أن الفكر الموسوى لم يصل إلى درجة التبشير بعقيدته بين هذه الأقوام التى تعبد الآلهة المتعددة ، ومن الغريب حقا أن تظهر الديانة الموسوية في بلاد الفراعنة ، وكان من المقبول أن يكون ظهورها من اجل تحويل العقائد الدينية الفرعونية التى اتخذت آلهة متعددة إلى فكر التوحيد وعقــيدة الديمومة الكاملة للإله غير المنظور ، القوى الخلاق المتصرف فى أمر عباده ، ولكن الديانة الموسوية لم تستطع أن تحول مصريا واحدا إليها ، ولــم يــرد فى الآثار التاريخية أن هذه الديانة نشرت الإيمان بالله الواحد بين أقوام أخرى ، ومن ثم اعتبرت ديانة قبلية ، اقتصرت على جماعة العبرانيين وأغلقــت علــيهم، فلم يكن لهذه الديانة فكرا تبشيرياً بقصد تهويد الآخرين ، وقــد تــأكد ذلك من منهج المسلك الإلهى كما صورته التوراة .... فهو إله خاص لشعب خاص ، ولئن كان قد خلق البشر باتجاهاته وأنساله إلا أنه غير مشــغول بهذا التعدد المترامى لان اهتمامه انصرف إلى رعاية شعب خاص هــو الشــعب العبرانى . بل إن كل مشاغل الإله كما ورد فى التوراة – أن يوجد لشعبه الخاص مكانا يسكنون فيه ويكون لهم وطنا سياسيا واجتماعيا – وان يسكن معهم فى هيكل يقيمونه له لكى يكونوا تحت بصره ورعايته .... ولكــى لا يضــطر إلى أن يسير على قدميه ذهابا وجيئة تارة فى عمود نار وأخرى فى عمود سحاب .

ومن غير المنطق أن تبدأ الديانة الإسرائيلية – بإسرائيل باعتباره الإبن الــبكر للإلـــه وتنتهى أيضا بإسرائيل بعد أن يأتى المسيح المخلص ، ولعل سائل يقول – هل يمكن أن يكون هدف الديانة قاصراً على شعب معين دون بـــاقى الشعوب .... وكيف يسمح الإله الخالق لكل الشعوب ، أن يستثنى من ذلـــك كل مخلوقاته ما عدا فئة من الناس لا تزيد عن تعداد القبيلة أو الجماعة وفـــيم إذن كانت معجزة العصا التى تحولت حية تسعى أمام فرعون ...... هل كان هدفها دفع فرعون إلى السماح للعبرانيين بالخروج فحسب ..... وما الـــذى يدفـــع فـــرعون لرفض الخروج والاحتفاظ بجماعة يرى فى وجودها خطراً عليه ومن ثم تشكك الكثيرون ومنهم يهود فى ربط جذور هذه الديانة بالإلـــه الـــذى وصفوه فى التوراة ، وقالوا إن موسى ليس إلا مدعيا للنبوة ، سيطر على جماعته بادعاء تلقيه الشريعة من الله ، (يراجع سيجموند فرويد بيـــنما ذهب آخرون إلى أن الديانة اليهودية ، انحرفت عن مسارها الطبيعى بعـــد تلقـــى موســـى شريعته من الله – وكان ذلك بسبب الكتبة الذين زورا الـــتاريخ الـــيهودي ، وملأوه بالأساطير والخرافات وحاولوا جهد أنفسهم أن يجمعـــوا الشعب العبرانى بعد الفرقة والشتات خاصة بسبب السبى الآشورى والـــبابلى والرومانى ، وفتحوا له أبواب الأمل والرجاء فى وطن خاص يقام فيه الهيكل حتى يعود الإله إلى وطنهم ويسكن فى هيكله بينهم ، ثم مدوا إليه حـــبال الأمل الدائم بان المسيا (أو المشيح المخلص سوف يأتي آخر الزمان ليقيم إسرائيل من جديد حيث يؤمن الجميع بآله إسرائيل .

وحين تقرأ التوراة تجد أن إله إسرائيل إله متعطش للدماء سواء كانت دمـــاء الشـــعوب غير اليهودية أو حتى دماء الغنم والماعز فهو يأمر اليهود بنهب وسلب المصريين وبقتل وذبح الفلسطينيين وغيرهم ممن يقفون ضدهم عـــند اقـــتحامهم لأرض فلســـطين، وقانون الحرب لديه هو ذاته قانون السلم والصلح ... قتل الرجال وسبى النساء واتخاذ الولدان عبيدا .... ، وإذ كانت

العقـيدة المسيحية تؤمن بان المسيح هو الله ..... فالفرض أن يكون هو ذاته إلـه اليهود ، فكيف يمكن لإله اليهود المتعطش للدماء أن يتحول فجأة إلى إله متسـامح يطلب من اتباعه آلا يردوا العدوان عنهم بل يستزيدوه وان يباركوا لاعنـيهم ، وهـو كما صورته الأناجيل لم تُرق على يديه أو بسببه قطرة دم واحدة .

ألـيس هـذا هـو التناقض بعينه بين ديانتين – الغرض فيهما انهما متكاملتان.

ورغم ذلك فإنه لا يجوز إدانة اليهودية أو المسيحية ولكننا ندين الاتباع والمعتنقيـن لهمـا لأنهـم تحولوا بالديانتين إلى ما يناقضهما .... فرغم أن المسيح عليه السلام كان أكبر داعية للروحانية والشفافية ، وللتسامح السامي ، ولعـدم إراقـة الدماء فإن ما ناله اليهود أو المسلمون على يد المسيحيين ما يفوق الوصف من المذابح والمجازر والمحارق ...

ونحن لا ننكر – علي أى وجه – أن اليهودية بفضل توراتها هى التى غرسـت العقـيدة الصحيحة للوحدانية فى وقت كان البشر يعبدون الأصنام ومخلوقـات الطبـيعة وان المسيحية تدين لليهودية – حتى بإسمها فلم تظهر كلمة المسيح إلا في أسفار أنبياء بنى إسرائيل ، كما أن الإسلام له رباط وثيق بالـيهودية لـيس فى إقراره بوحدانية الله فحسب ، بل فى العديد من الشرائع وفـى معظم أحداث القصص القرآنى الذى تتفق فى أصولها مع ما ورد فى التوراة وتختلف فى الفرعيات والروافد ، فالأديان كلها مرتبطة برباط وثيق ، ولكـن لـيس معنى ذلك أن المسيحية والإسلام قد خرجا من عباءة اليهودية وتوشـحا بمآزرهـا – فقـد كانـت لكل ديانة شخصيتها الخاصة ومفهومها اللاهوتـى وبنيتها الأساسية – فقد أحدثت المسيحية ثورة على الفكر المادى للـيهودية كمـا أحدثت شرخا فى الفكر اللاهوتى الإسرائيلى واحتل الإسلام

موقــف الوسطية بين المادية الإسرائيلية والروحانية المسيحية ، وهكذا اتفقت الأديان الثلاثة فى جذورها واختلفت فى الفروع والثمار .

والآن نستســمح القــارئ فى أن نصحبه مع الجزء الثاني من الكتاب المقدس ... مع الإنجيل ...

المبحث الثالث

الإنجيـــــل

أو

العهد الجديد

" لا تظنوا أنى جئت لأرسى سلاماً على الأرض .. ما جئت لأرسى سلاما .. بل سيفاً فإنى جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه والبنت مع أمها والكنة مع حماتها.. وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته "

من أقوال السيد المسيح عليه السلام (إنجيل متى)

"الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون (الكهنة) المراؤون فإنكم تغلقون ملكوت السماوات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون ... فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتتذرعون بإطالة صلواتكم لذلك ستنزل بكم دينونة أقسى "

من أقوال السيد المسيح عليه السلام (إنجيل متى)

أعلم أن هذا الكتاب سينشر في دول تضم أصحاب الديانتين الإسلامية والمسيحية ..

غــير أن مهمتي فيه لم تكن مهمة الواعظ الذي يقف على منبر ليمدح أو يقــدح و إنما كانت مهمة المفكر الذي يعرض الرأي والرأي الآخر بحياد كــامل لا أثر فيه للميل أو للهوى .. ولم أتجرد من هذا الحياد عند عرضي للكتــب الــثلاثة – التوراة – الإنجيل – القرآن .. فأرجو أن أجد من صدور الجميع فسحة من الحرية للتأمل و التعرف على الحقائق المجردة ... دون أن يخالجهم أى شك في نوايا الكاتب .

إنني لا أطلب من أحد أن يؤمن بما عرضت أو يقنع به .. فالحقيقة لا تأتــي سهلة ميسرة .. إنها لا تولد إلا بالبحث و التأمل و الرغبة في المعرفة حينــئذ يكــون الإيمــان عميقاً لا تتطرق إليه ريبة .. أما إذا أردت أن تقنع بالكائن في نفسك .. فهذه إرادتك وحدك..

المؤلف

الإنجيل أو العهد الجديد

*** نظرة عامـــــة :**

يعـــنى لفـــظ الإنجـــيل - البشارة أو الخبر السعيد ويطلق عليه العهد الجديد تمييزاً له عن العهد القديم الذى يطلق على التوراة و أسفار الأنبياء .

ويضم العهد الجديد " إنجيل متى ، إنجيل مرقس ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحـــنا " وأول إنجـــيل ظهـــر إلى الوجود هو إنجيل مرقس ولكنه جاء في الترتيـــب تالياً لإنجيل متى ، كما يضم العهد الجديد أعمال الرسل ثم الرسائل التى وجهت إلى أهالى المدن المجاورة مثل رسائل بولس الرسول إلى أهالى رومـــية وكورنـــثوس وغلاطـــية وأفســـس وفيلبى وكولوسى وتسالونيكى وتـــيموثاوس وتـــيطس وفليمون ورسالة العبرانيين ورسالة يعقوب ثم رسائل بطـــرس الرسول الأولى والثانية ورسائل يوحنا الثلاث ورسالة يهوذا ورؤية يوحنا اللاهوتى .

ومن ثم يشمل العهد الجديد سبعة وعشرين سفراً .

وسوف نعتمد في دراستنا على الأناجيل الأربعة، وما يقتضيه التوضيح والبيان فى بعض الأسفار .

والأناجـــيل الأربعة إتفقت في العديد من الأحداث واختلفت فى بعضها وســـوف نقـــدم فـــى نهاية هذه الدراسة المواضع التى اختلفت فيها الأناجيل، والمواضع التى اتفقت عليها .

ولعـــل الإتفاق والاختلاف بين كتاب الأناجيل راجع إلى طبيعة البشر وإلـــى المنهج المتبع فى تدوين الأناجيل ، فكتاب الأناجيل، لم يكونوا يتلقون وحـــياً مباشرا من الله ، بل هم يسردون قصة حياة السيد المسيح عليه السلام علـــى الأرض وقـــد قـــيل إن بعضهم كان ملازماً للسيد المسيح - مثل متى ويوحـــنا - وإن الـــبعض الآخـــر لم يكن من تلاميذه، وقد وضعت الأناجيل

إعتباراً من سنة ٦٠ حتى ١٤٠ ميلادية على اختلاف بين العلماء - أى أنها لـم تـدون فـى عصر المسيح - بل بعد انتهاء عهده بزمن طويل ، وتعتمد المعلومـات الـتى دونـت بالأناجيل على مصدر هام هو النقل الشفوى عبر الأجيال ، حيث لم يثبت بأى دليل أن أحداً من تلاميذه أو من المؤرخين سواء اليهود أو الذين اعتنقوا الديانة المسيحية ، كان يدون الأحداث وقت ظهورها

- يقول الأب كايننجسر في كتابه :

Foi en la Resurrention Re Surrection De La Foi

[الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان]

" **لم** يعد واجباً الأخذ بحرفية الأحداث الواردة عن المسيح فى الأناجيل لأنهـا كـتابات ظرفية ولا يمكن لأحد من كتابها أن يعطى لنفسه صفة شاهد العـيان لقـيامة المسيح . ولقد ظل تلاميذه معه حتى الصلب - ما عدا يهوذا الإسخربوطى " .

وبعـض الكـتابات أصرت على نسبة المسيح إلى داود الملك مروراً بيوسـف الـنجار ويقال إن سيميون أوجاك Simeon,Ojacques هو إبن كالـيوبا إبن عم المسيح وهو الذى كان ملتزماً بمنهج اليهودية أمام المسيحية البولسية .

بل إن هذه الكتابات ذهبت إلى أن بولس كان خائناً لفكر وعقيدة المسيح كما أفصحت عن ذلك أسرة المسيح بما فيهم جاك سالف الذكر وهو من الذين شـكلوا جماعـة ديـنـية تعرف بجماعة اليهود المسيحيين والتى أخذت تكيل الإتهامـات إلى فكر بولس ، إلا أن بولس إستطاع بقدرته الفائقة على الحوار والتبشـير - أن يطمر الجركة اليهودية المسيحية التى تزعمها جاك إبن عم المسيح ويدفنها فى ثرى النسيان .

* ظهور الأناجيل

ترجع المصادر المسيحية كتابة إنجيل مرقس (واسمه الحقيقي يوحنا مـرقس) بعد الستينات من صلب المسيح (طبقا للعقيدة المسيحية) أى بعد حوالــى ٢٧ عاماً من تاريخ حادث الصلب - إذ أن المسيح عليه السلام بدأ تكريــزه بالعقيدة المسيحية فى سن الثلاثين تقريباً ، وكان حادث الصلب وهو فــى ســن الثالثة والثلاثين .. أى أن تكريزه للمسيحية لم يتعد ثلاث سنوات على اختلاف بين علماء ومؤرخى المسيحية - بل إن البعض قال إن المسيح لم يكرز بالمسيحية على الأرض إلا بضعة أشهر .

بيــنما يذهــب علمــاء آخــرون إلــى أن الأناجــيل لــم تظهــر إلا فى سنة ١٤٠م ، وأما من قال إن بعض الأناجيل قد ظهرت فى منتصف القــرن الأول أو بعــده بقليل من ميلاد السيد المسيح عليه السلام ومن بينهم (أ - تريكو) فيبدو أنهم كانوا يريدون تقريب زمن كتابة الأناجيل إلى عهد يسمح للقول بأن بعض من دونوا الأناجيل كانوا من أتباع المسيح ومنهم متى.

يقــول الدكــتور أ - كولمــانO-Culmannفــى مؤلفه العهد الجديد " إن المبشــرين (كــتاب الأناجــيل) لــم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المســيحية الأولــى عن طريق تراث شفوى نقل إليهم ثم دونه كل منهم على طريقــته الخاصة وبحسب شخصية الكاتب واهتماماته اللاهوتية وأن تجميع أقوال المسيح فى الأناجيل المتوافقة (أناجيل مرقس ومتى ولوقا) كان عملاً أدبياً وليس له أساس تاريخى .

وقــد أعلــن المجمــع المســكونى أن أســفار العهــد القديم تحتوى علــى شــوائب وبعض مظاهر البطلان أما أناجيل العهد الجديد فقد صورت بشــكل أميــن فعــلاً أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبــدى حتى رفع إلى السماء وهو ما يعنى أن التدوين كان موافقا تماما لما نقل شفهياً إلى كتاب الأناجيل من أقوال وأفعال المسيح ، ولا يعترف المجمع

المسكونى بأن الروايات الشفهية التى نقلت لكتاب الأناجيل قد تضمنت مبالغات تتجاوز الحقيقة وقد تعددت الأناجيل التى ظهرت لتسرد قصة المسيح ولكن الإختيار الذى مارسته الكنيسة وقع فقط على أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا واعتبرت باقى الأناجيل باطلة أو مزورة (١).

ويقول مونتجمرى فى كتابه :

Islamic Revelation in the modern world .

" إن المسيحيين اعتقدوا أن كلمات الكتاب المقدس BIBLE هى كلمات الله نفسه The Words of God Himself فليس هناك ثمة وحى أنزلها بل إن الله ألقى فى وجدان كتاب الأناجيل ما كتبوه وهذه النظرة هى ما ترددت على ألسنة أنبياء إسرائيل فيما بعد عهد موسى عليه السلام فى الأسفار الواردة فى العهد القديم قبل ظهور المسيحية إذ كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به هو من عند الله ، ويضيف مونتجمرى قائلا - إن النظرية المسيحية قد تغيرت بعد ذلك فقد اعتبروا أن ما نطقه المسيح ذاته - الذى كان بينهم هو فقط كلمات الله أو أفعاله God's act(٢) " .

غير أن النظرية الإسلامية تذهب إلى أن الإنجيل هو كتاب مقدس منزل من الله عن طريق الوحى إلى عيسى (يسوع) عليه السلام باعتباره رسولاً وليس إلهاً أو إبن إله ، وبالمقابلة بين هذه النظرية وبين الواقع الفعلي للأناجيل - وهى مجرد سرد تاريخي لأقوال وأفعال المسيح وضعها بعض الكتبة ، فإن النظرية الإسلامية لا تتفق مع واقع العهد الجديد الحالى ، ومن

---

(١) من أشهر الأناجيل التى أعتبرت باطلة أو مزورة إنجيل العبريين وإنجيل توما وإنجيل برنابا وينسب البعض الإنجيل الأخير إلى مؤلف مجهول ويغلب أن يكون شخصية مسلمة لأنه كان متأثرا بالقرآن الكريم عند وضعه .

(٢) ورأى مونتجمرى - يشكل خطورة بالغة بالنسبة للعقيدة المسيحية فهو يعنى أن كل ما ورد بالأناجيل من أحداث على غير لسان المسيح يمكن أن يكون من خيال كاتب الإنجيل .

ثم ظهرت فى الكتابات الإسلامية ما يشير إلى وجود تحريف للكتاب المقدس المنزل على المسيح عليه السلام .

والحقـيقة أن كـل إنجيل كان له طابع خاص يتميز به عن الأناجيل الأخـرى بمـا يؤكـد أن كاتب الإنجيل كان يضع فيه خلاصة علمه وقدرته علـى السرد وتجميع المعلومات ، فمثلاً يتميز إنجيل متى بمحاولة الربط بين أسفار أنبياء اليهود وبين المسيح ليثبت أن (يسوع) هو مسيح اليهود المنتظر وقد جمع - متى - من أسفار الأنبياء كافة المواضع التى تحدثت فيها عن المَسِيًّا وطبقها على المسيح - حتى أنه تجاوز الحقيقة فى بعض المواضع - وهـو مـا سوف نشرحه بالتفصيل - فيما بعد وقد قال عنه الأب كايننجسر مايلى:-

" إن مـتى جعـل من إنجيله رواية تمثيلية عندما تكلم عن حراس قبر المسيح وأن خياله كان خصباً عندما أشار إلى أن حِجَاب الهيكل قد انشق إلى إثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين " .

وهـذه الفقـرة لـم يرد مثلها فى الأناجيل الأخرى، فهل كانت قيامة المسيح هى قيامة أيضاً للقديسين ، ومن هم القديسون الذين قاموا وهل كانوا يهـوداً أم كـانوا معتنقين لفكر المسيح ، والمؤكد أن أحداً من أتباع المسيح وتلامـيذه لـم يكن قد مات بعد وقت حادث القيامة .. ثم هل رأى مَتَّى نفسه أحداً منهم أو سمع من أحد أن قديساً ظهر له فى الطريق ، وكيف عرف أنهم من القديسين، وماذا كان مصيرهم بعدالقيامة ..

هـل صـعدوا إلـى السماء أسوة بالمسيح.. أم ناموا في قبورهم مرة أخرى؟

ورغم أن متى تأثر بالقطع بإنجيل مرقس السابق عليه غير أنه اورد

بإنجيله فكرة الروح القدس التى حلت بمريم وهى عذراء فحبلت بالمسيح، ولم يفصح متى فى إنجيله عن مصدر هذه المعلومات ولم يسندها إلى مريم أو يوسف النجار أو المسيح غير أن القرآن أكد هذه الحقيقة ، ثم إن لوقا ويوحنا نقلاها عنه ، وإنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل وكاتبه ليس من أتباع المسيح غير أن بعض المعلقين ذهب إلى أن مرقس هو تلميذ المسيح الذى كان يلبس إزاراً (رداء) على عربة عندما هم الجنود بالقبض على المسيح فتركه الجميع وهربوا وتبعه شاب لابساً إزاراً على عربة فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عرياناً " .

ودليلهم على ذلك أن هذا الحادث إنفرد به إنجيل مرقس فاعتقدوا أنه يحكى عن نفسه ، غير أن هذه القرينة لا تشكل دليلا قاطعاً بأن مرقس كان هو الشاب المذكور .

لم يقدم يوحنا مرقس نفسه عند بداية الإنجيل .

ويعتبر إنجيل مرقس هو النسخة الشرعية التى اعتمد عليها كل من متى ولوقا .

لم يتعرض إنجيل مرقس لحادث الروح القدس التى حلت على السيدة مريم عند حملها بالمسيح ، ولكن مرقس أورد فى إنجيله مسألة الصعود وجلوس المسيح عن يمين الله ، مع أنه لم ير هذه الواقعة ولكنه كان متأثراً بمزامير داود التى أشارت إليها.

وإنجيل لوقا دَوَّنه - طبقاً لأرجح الآراء - طبيب بولس ، وقد استعان لوقا بإنجيلى مرقس ومتى وببعض الكتابات عن المسيح التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت ويمكن وضع هذا الإنجيل فى زمن معاصر للجزء الأخير من القرن الأول من ميلاد السيد المسيح عليه السلام .

وقد كان لوقا متأثراً ببولس إذ كان طبيبه الخاص لأنه يقترب عند تدوينه بسر القربان المقدس لما ورد فى رسالة بولس إلى أهل كورنته،

المصادر المسيحية أن لوقا هو الذى وضع أعمال الرسل.

أما إنجيل يوحنا فهو إنجيل لاهوتى تأملى ويقال إن مؤلفه هو يوحنا بن زبيدى الصياد الذي كان معاصراً للسيد المسيح غير أن الإنجيل لم يظهر إلا آخر القرن الأول الميلادى وهذا لا يعنى أن تبعيته للمسيح مشكوك فيها لأن يوحنا كان صغير السن وقت ظهور المسيح وقيل إن تلاميذ يوحنا هم الذين نشروا إنجيله .

وقد أورد هذا الإنجيل مسألة ظهور المسيح بعد قيامه بشئ من التفصيل إلا أنه لم يورد موضوع القربان فى العشاء الأخير وأورد يوحنا أن المسيح ظهر على بحيرة طبرية بعد قيامه بينما ذكر لوقا أن ظهور المسيح عليه السلام على بحيرة طبرية كانت قبل قيامه .

ويذهب البعض إلى أن إسم يوحنا - إسم مختلق وأن الإنجيل موضوع من شخصية مجهولة وأضيف إلى يوحنا قسراً .

وإنجيل يوحنا هو الذى ثبت فى العقيدة المسيحية أن المسيح هو الله عندما أبرز أن المسيح هو الكلمة بدءاً ونهاية والكلمة هى الله .

* خضوع الأناجيل للضبط الصياغى

خضعت الأناجيل للضبط الصياغى فى مرحلة الوثائق الوسيطة ثم تلتها بعد ذلك مرحلة الصياغات الختامية أو النهائية ولكننا نعتقد أن جوهر الكتابات الإنجيلية لم يمسسها التغيير فى مرحلة الوثائق الوسيطة ، وإلا كان من السهل على من قاموا بإعداد الصياغات النهائية إزالة التناقض بين الأناجيل الأربعة ، فضلا عن تخفيف اللغة الرومانسية فى بعضها عندما تحدثت عن قيام المسيح وقيام القديسين ، وهذا يعنى أن الأناجيل بقيت من عهد مرحلة الوثائق الوسيطة حتى الآن دون إدخال تغيير عليها ، ويبدو أن الكنيسة كانت تعتبر أن التدخل بالحذف أو الإضافة هو نوع من التحريف

فأبقت على الأناجيل رغم ما بها من إختلافات في عديد من المواضع.

وفى الأبحاث التالية سوف نورد تفصيلاً لما أوجزناه سابقا .

إنجيــل متــى

*** ولادة المسيح :**

بــدأ إنجــيل متى ببيان نسب يسوع المسيح ، فأرجع نسبه إلى إبراهيم علــيه السلام نزولا حتى يعقوب الذى ولد يوسف (النجار) رجل مريم الذى ولد منها يسوع ويدعى المسيح ثم أورد كيفية ولادته فقال :

" **لمــا** كانــت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الــروح القدس ، فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا.. إذ ملاك الرب ظهر له فى حلم قائلا .. يا يوسف إبن داود لا تخف أن تــأخذ مريم إمرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس .. فستلد إبنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ".

وكعــادة متى فى أن يجعل الأحداث الواردة فى إنجيله المتعلقة بالسيد المسيح مطابقة لما ورد فى العهد القديم لإثبات أن أوصاف المسيا الواردة فى كتــب وأسفار أنبياء بنى إسرائيل تنطبق على المسيح يسوع .. قال متى .. إن ولادة المسيح من فتاة عذراء هو مصداق لما ورد فى العهد القديم من أن " هــوذا العــذراء تحبل وتلد إبنا ويدعون إسمه عمانوئيل الذى تفسيره الرب معنا ".

ورغــم أن إسم المسيح – فى الإنجيل هو يسوع وليس عمانوئيل إلا أن المصــادر المســيحية أشارت إلى أن المقصود ليس هو حرفية الإسم بل معــناه وفحــواه .. وهو أن الرب معنا .. والرب هو المسيح الذى وجد مع الشعب .

ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية ثم تكلم متى عن مقالة المجوس بأنهم رأوا نجما لملك اليهود ، وحين سمع هيرودوس مقالتهم طلب منهم البحث عن يســوع وحيــن وجدوه سجدوا له وقدموا له هدايا ذهبا ومرا ولبانا ولكنهم لم يعودوا إلى الملك لإخباره .

* **الهروب إلى مصر :**

تحــدث الإنجــيل عن حلم رآه يوسف النجار بأن يأخذ الصبى ويهرب إلى مصر خشية أن يهلكه هيرودوس .. لكى يتم ما قيل فى العهد القديم " من مصر دعوت إبنى " .

أما هيرودوس فقد قتل جميع الصبيان فى بيت لحم وتخومها [نفس ما حدث بالنسبة لقصة موسى] .

ونظراً لوفاة هيرودس فقد عاد يوسف وامرأته ويسوع إلى الناصرة فى الجليل ... مصداقا لما ورد فى العهد القديم من أنه " سيدعى ناصريا "(١).

* **ظهور يوحنا المعمدان :**

ظهــر فى برية اليهودية شخص يدعى يوحنا ، كان يقوم بتعميد اليهود فــأطلق علــيه إسم يوحنا المعمدان [النبى يحى فى القرآن الكريم] ، وكان يقول لليهود :

" **يــا** أولاد الأفاعي ... لا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا لأنــى أقول لكم إن الله قادر على أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم .. أنــا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمــل حذاءه.. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ... الذى رفــثه فى يده وسينقى بيدره ويجمع قمحة إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ ".

---

(١) لــم نعــثر فى أسفار أنبياء إسرائيل على كلمة ناصرى التى أوردها متى فى إنجيله وبالنســبة للهــروب إلى مصر ففى بعض المصادر أن مريم ويسوع جاءا يمتطيان حمــارا بينما كان يوسف النجار يقود الدابة ، لكن لا يوجد بالقطع أماكن متفق عليها بيــن مفسرى الإنجيل حلت بها رحلة يوسف ومريم ويسوع وتوجد عدة مخطوطات تتضمن النص المعروف برؤيا البابا تاوفليس البطريرك الثالث والعشرين للإسكندرية (٣٨٤، ٤١م) وســوف نــرى أن بعض الأناجيل لم تذكر هذه الرحلة مما قد يثير الشك حول حدوثها .

* **تعميد يسوع :**

جـــاء يســـوع إلى يوحنا فى الأردن ليتعمد منه ولكن يوحنا قال له إنه هو الذى فى حاجة إليه ... لكن يسوع أصر على طلب تعميده ... ثم يضيف مـــتى إنه عند صعود يسوع من الماء إذ السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه ... " وصوت من السماء قائلا " هاذ هو إبني الحبيب الذى به سررت " (١).

* **يسوع وإبليس :**

يقـــول الإنجـــيل إن إبلـــيس حاول تجربة يسوع (٢) إذ طلب منه أن يحـــول الحجـــارة خـــبزا ... فأجابه المسيح ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان وطلب منه أيضا أن يلقى بنفسه من مرتفع - لأنه إن كان إبن الله قائم سوف يحميه فرد عليه يسوع " لا تجرب الرب إلهك " .

وبعـــد أن أراه إبلـــيس جميع الممالك - قال له أعطيك هذه جميعها إن سجدت لى .. فرد عليه يسوع .. إذهب يا شيطان .. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " .

---

(١) بالقطع ... فإن متى كاتب الإنجيل لم ير روح الله كالحمامة ولم يسمع صوت السماء لأنه لم يكن متواجدا عند تعميد المسيح ... إذ لم يكن متى قد انضم إلى تلاميذ المسيح وقـــت ذاك بـــل كان جابيا للضرائب سكيرا وفاسدا ولم يذكر لنا متى - المصدر الذى استقى منه هذه المعلومات .

(٢) إهتمـــت الكتب الدينية الثلاثة بموضوع الشيطان - وكأنه قوة جبارة تحاول أن تعبث بكـــل المقدسات ، والأغرب أن تكون العقيدة المسيحية مبنية على أساس أن يسوع هو الله .. ثـــم يـــأتى الشـــيطان لـــيجربه ويحاول أن يخدعه، بمعنى أنها وضعت الله فى امتحان أمام الشيطان .

ثم بدأ يسوع يكرز فى أرض كفر ناحوم ... بما كان يتلوه يوحنا المعمدان .. " توبوا لأنه إقترب ملكوت السموات "

*** التلاميذ الأولون :**

ثم بدأ أتباعه يسيرون خلفه بداية بسمعان بطرس واندراوس ثم يعقوب ويوحنا وهم من صيادى الأسماك ... وانتشر فى الجليل خبر يسوع وأنه يشفى المرضى فتبعه جموع عديدة وكان من بين ما يقوله لهم " طوبى للمساكين بالروح .. طوبى للحزانى .. طوبى للودعاء .. طوبى للأنقياء.. طوبى لصانعى السلام .. أنتم ملح الأرض ولكن إذا فسد الملح فبماذا يُملح لا يصلح بعد لشئ إلا أن يطرح خارجا ويداس من الناس ".

*** إكمال الناموس :**

ومن أقوال المسيح " لا تظنوا أننى جئت لأنقض ناموس الأنبياء ... ما جئت لأنقض بل لأكمل "

وقد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن يقتل يكون مستوجب الحكم - أى القتل ... وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم (١) ومن قال لأخيه رقا (أى تافه) يكون مستوجب المجمع (أى تقديمه لدار القضاء) ومن قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم(٢) .

---

(١) وهذا ما يعنى أن مجرد الغضب يستوجب العقاب مع أن المسيح قال فى موضع آخر ... من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا " .

(٢) تعبير جهنم لم يرد فى التوراة لأنها لا تؤمن بالبعث والحساب وإنما كان للمسيح عليه السلام نظره أخرى ... فالثواب هو ملكوت الله والعقاب هو جهنم أى النار الأبدية .

* الزنا الفعلي والحكمى :

يقــول يسوع إن كل من نظر إلى إمرأة فإشتهاها فقد زنى فى قلبه ثم طلــب من زانى القلب أن يقلع عينيه أو يقطع يده لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ".

* الطـــلاق :

أورد الإنجـيل علــى لســان المسيح أنه قال ... قد قيل لكم من طلق إمــرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم " إن من طلق إمرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى ".

* الحلـــف بالله :

نهى يسوع عن الحلف بالله الذى كان سائدا بين اليهود فقال " لا تحلفوا البتة – لا بالسماء لأنها كرسى الله ولا بالأرض لأنها موطئ قدمه " (١).

---

(١) ذكــرت كلمة كرسى منسوبة إلى الله فى القرآن مرة واحدة فى الآية رقم ٢٥٥ – من سورة البقرة " وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم " ويقــول علمـــاء المســلمين إن كلمة كرسى الواردة فى سورة البقرة لا تعنى المعنى الحــرفى وإنمـــا تعنى العلم أى وسع علمه السموات والأرض ثم ذكرت كلمة كرسيه منســوبة إلـــى سليمان فى الآية ٣٤ من سورة ص – " ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب " أما كلمة العرش فقد ذكرت فى سور عديدة منها الأعراف /٥٤ " ثــم استوى على العرش يغشى الليل والنهار ، " التوبة ١٢٩" عليه توكلت وهو رب العــرش العظيم " ، يونس ٣ والرعد ٢ " ثم استوى على العرش "الحاقة ١٧" ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " الزمر ٧٥ " وترى الملائكة حافين من حول العرش " وفى سورة غافر ٧ " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم.."

* **القصاص وحب الأعداء :**

قـــال يســـوع " إنه قيل " عين بعين وسن بسن " وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضا ..."

ولقد أخذت الشريعتان اليهودية والإسلامية بالقصاص عين بعين وسن بســن والجــروح قصاص ... إلا أن المسيح عليه السلام أراد أن يخفف من العقوبــات الــثأرية وأن يــنزع عقيدة الجزاء الفوري وأن يوجد مساحة من التســامح فـــي قلوب أتباعه ، وقد ذهب المفسرون لنصوص الإنجيل .. أن التسامح الوارد فى قول المسيح هو نوع من الإذلال والخنوع .. ولكن الآية لا تفســر على هذا النحو .. بل هى دعوة مثالية إلى التسامح لا تقصد بذاتها خضـــوع المعتدى عليه للمعتدى .. وقد أكد ذلك بقوله سمعتم إنه قيل " تحب قريـــبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم " ونجد المعنى العام لهذه الآية فى القرآن الكريم : " وادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم " ٣٤ من سورة فصلت وذلك يعنى أن المســيحية والإســلام لا يجيزان إضطهاد الغرباء سواء كانوا أصدقاء أم من الأعداء، وهو الأمر الذى ارتكزت على نقيضه الشريعة اليهودية حيث كانت تحــض اليهودى على حب قريبه المنتمى لدينه بينما تغرس فيهم بغض باقى الأمــم (الجوييم) أى الشعوب غير اليهودية ، بل إنها كانت تبيح لهم دماء ذكورهم وسبى نسائهم .

ويمكــن الاســتدلال من ذلك كله على أن اليهودية هى الديانة الوحيدة التى تقوم على العنصرية والتعصب للملة اليهودية بينما المسيحية والإسلام لا يفرقان بين قريب وغريب فى التعامل .

* **أبنـــاء أبيكـــم :**

وصف المسيح عليه السلام تلاميذه بأبناء الأب الذى فى السموات بعد أن حضـــهم على عدم الإساءة إلى الآخرين " لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى

السموات ... " وهذه دلالة رمزية لا تعنى أن التلاميذ ينتسبون إلى الله بالميلاد بل بالربوبية، وقد استخدم هذا التعبير أيضا فى الأناجيل مرات عديدة للإشارة إلى المسيح ذاته .

*** الصدقة والصلاة والصوم :**

لكى يحارب المسيح عليه السلام النفاق والرياء فى الشعب اليهودى فقد نهى تلاميذه عن الصلاة فى المجامع (أماكن العبادة اليهودية) أو فى زوايا الشوارع وطلب منهم الصلاة فى المخادع حتى لا يراهم أحد وهم يتقربون إلى الله ، وحتى لا تكون الصلاة أداة للمرائين والمخادعين لإظهار تقواهم وهم على عكس ذلك ... وتضمنت الصلاة عبارات بسيطة خالية من أية طقوس مظهرية ... آبانا الذى فى السموات ليتقدس إسمك ...خبزنا كفافنا ... أغفر لنا ذنوبنا ... لا تدخلنا فى تجربة لك الملك والقوة والمجد آمين(١).

وإمتدادا لفكر المسيح فى محاربة الخداع والنفاق والرياء طلب من أتباعه عند قيامهم بالصيام أن يدهنوا رؤوسهم وأن يغسلوا وجوههم حتى لا تظهر عليهم آثار الصيام ، إذ الصيام لله وليس للناس ولا يجوز أن يتخذ وسيلة للرياء .

*** دعوة إلى التواكل والاعتماد على الله :**

قال المسيح عليه السلام لتلاميذه " لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون لأن الطيور ترزق فى أعشاشها ... لأن

---

(١) لا تأخذ الشريعتان اليهودية والإسلامية بالصلاة المستترة داخل المخدع بل إن الإسلام يحض على الصلاة فى المساجد باعتبارها مكانا يجتمع فيه المسلمون لترسيخ أواصر الود والحب بينهم - هذا وقد ألغى بولس بطريقة ضمنية الصلاة فى المخادع حين حض المسيحيين على بناء الكنائس .

آباكم الذي في السماء يعلم احتياجكم إلى هذه كلها والأفضل أن تطلبوا ملكوت السموات فلا تهتموا بالغد ، ولا تدينوا كي لا تدانوا وانظر إلى نفسك قبل أن تكيل الإتهامات إلى أخيك واسألوا تعطوا ... فإذا كنتم تعطون لأولادكم ما يطلبون فكم بالحرى أبوكم الذي فى السموات وادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع "

*** الأنبياء الكذبة :**

حذر المسيح أتباعه من الأنبياء الكذبة الذين يأتونهم بثياب الحملان لكنهم ذئاب مفترسة.

*** أمثال الإنجيل :**

ضرب يسوع مثلين ...من يسمع كلامه يكون مثل رجل عاقل بنى بيته على الصخر وإذ نزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على البيت .إلا إنه لم يسقط لأنه يقوم على صخر وعكس ذلك يبنى بيته على رمل هو رجل جاهل لأنه إذا جاء المطر أو فاضت الأنهار أو هبت الرياح فإن البيت يسقط .

*** شفاء المرضى :**

يقول الإنجيل إن يسوع لمس الأبرص فطهر من مرضه ثم أبرأ غلاما من الفلج (الشلل) وأبرأ حماة بطرس من الحمى وأخرج الأرواح من المجانين ولقد ظلت فكرة الشيطان سائدة فى الكتب المقدسة - ففى إنجيل متى أن مجنونين خرجا من القبور فطلبت الشياطين الداخلة فى جسدهما من المسيح أن تخرج وتدخل فى أجساد قطيع من الخنازير فسمح لهم ، فإذا بالخنازير

تهوى فى البحر وتموت(١) .

*** تلاميذ المسيح لا يصومون :**

لم يكن تلاميذ المسيح يصومون مثل باقى الشعب فاعترض الصائمون على إفطار أتباعه فقال لهم يسوع " هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العـــريس معهـــم [يقصـــد نفسه] ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون " .

*** إحياء ميتة وشفاء الأعمى والأخرس :**

يقــول إنجــيل متى أن صبية ماتت ولكن يسوع أخبرهم بأنها لم تمت وإنما هى نائمة ، ثم أمسك بيدها فقامت الصبية ، وأضاف الإنجيل أن يسوع شفى أعميين وأخرساً.

*** تلاميذه الأثنى عشر :**

بلـــغ عدد تلاميذه إثنى عشر فأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة ومن بيـــن هـــؤلاء التلاميذ يهوذا الإسخربوطى الذى أسلمه فيما بعد لجنود قيصر لينفذوا فيه حكم الإعدام ... ثم طلب منهم أن يذهبوا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة ، ومنحهم قدرة شفاء المرضى وتطهير البرص وقال لهم :

" **سأرســلكم** كغـــنم فـــى وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمـــام ، فـــإن الأخ يســلم أخاه إلى الموت ويقتل الأولاد آباءهم من أجل إسمى ".

---

(١) كان الاعتقاد منذ قديم الزمان بأن الجنون والعقم يحلان بالإنسان بسبب دخول أرواح شريرة لجسم الإنسان .

*** السلام والسيـــف :**

يذكر متى على لسان المسيح ما يلى :-

" **لا** تظــنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ما جئت لألقى سلاما بل سيفا - فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه و الإبنة ضد أمها .. من أحب أبا وأما أكثر منى فلا يستحقنى ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ... "ونعــتقد أن المعنى هو أن أعتناق المسيحية لأحد أفراد الأسرة قد يفرق بينه وبين من لم يعتنقها ، وكان هذا واضحاً فى الإسلام أيضا .

*** يوحنا يسأل عن المسيح :**

وأرســل إلــيه يوحنا متسائلا " أنت هو الآتي أم ننتظر آخر " فأجاب يوحنا بأن يذكر له معجزاته (١).

وقد تنبأ المسيح بعذاب أهل صور وصيدا وكفر ناحوم أكثر من عذاب أهل سدوم .

*** الآب والإبن :**

كان المسيح يناجى ربه بقوله " أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض ليس أحد يعرف الإبن إلا الآب"

ثــم ألغــى يســوع تقديس السبت كما هو متعارف عليه فى التوراة ، ويلاحــظ أن المسيح لم يكن يذكر الله باسم (يهوه) إله اليهود .. بل كان دائما يذكره بإسم الآب .

---

(١) مريم أم المسيح تربطها صلة قرابة قريبة من اليصابات أم يوحنا المعمدان - ومن ثم كان المسيح ويوحنا أولاد خالات تقريبا ، وقد ترددت مريم على اليصابات وكانت كل منهما حبلى بإبنها ، ونعتقد أن يوحنا يكبر المسيح بعدة شهور .

* إتهام يسوع من الفريسيين :

إنهم الفريسييون (كتاب الشريعة اليهودية) يسوع بأنه يخرج الشياطين من المرضى بأمر من رئيس الشياطين " بلعزبول " فرد عليهم يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ".

* رفضه مقابلة أمه وإخوته :

وفيما هو يحدث الجموع جاءت أمه مريم وإخوته طالبين مقابلته فقال لهم " من هى أمى ومن هم إخوتى " ثم أشار إلى تلاميذه قائلا " ها أمى وإخوتى لأن من يصنع مشيئة آبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى "(١) ثم أخذ المسيح يضرب الأمثال لليهود ومنها القمح والزوان وحبة الخردل والخميرة والكنز واللؤلؤة والشبكة .

---

(١) ذكر إنجيل متى ومرقس ويوحنا أن للمسيح أخوة وأخوات فقد جاء فى الإصحاح ١٣ من إنجيل متى ما يلى :-

ولما عاد إلى بلدته (يقصد المسيح) أخذ يعلم اليهود فى مجامعهم حتى دهشوا وتساءلوا من أين له هذه الحكمة وهذه المعجزات أليس هو إبن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا أو ليست أخواته جميعا عندنا؟ فمن أين له هذه كلها " يراجع أيضا إنجيل مرقس ٦ وإنجيل يوحنا ٧ وجاء فى شرح هذه الفقرات فى المصادر المسيحية أن اليهود كانوا على علم بالمسيح وعائلته وإن بعض المسيحيين لا يعتقد بوجود أخوة أو أخوات للمسيح ويمكن أن يكون المقصود بأولاد الخالة (راجع تفسير الكتاب المقدس التطبيقى) كما يذهب رأى إلى أن الكلمات الواردة فى الإنجيل هى Adelphoi بمعنى إخوة ، Adelphai بمعنى أخوات وأن هؤلاء الأخوة والأخوات هم عائلة السيد المسيح من مريم ويوسف بعد أن تزوجها ولقد قطع إنجيل متى بأن يوسف تزوج من مريم بعد ولادة المسيح وسوف نعاود تفصيل ذلك فى موضع أخر .

* **الناصرة ترفض يسوع :**

عــندما ذهــب المسيح إلى موطنه في الناصرة رفضه شعبها .. حيث كــان يقيم هناك مع أمه و يوسف النجار و إخوته .. و بقي إخوته و أخواته بالناصرة فرد عليهم المسيح " ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه و بيته "

* **قطع رأس يوحنا :**

يوحــنا هــو أبن الكاهن زكريا واليصابات التى كانت عقيما وبشرها مــلاك الــرب بعد بلوغ سن اليأس بولد يكون مبشرا برسالة السموات وهو يوحنا (١) وعندما استوى عوده أخذ يبشر باقتراب ملكوت السموات طالباً من الناس التوبة ، وكان تبشيره فى عهد الملك هيرودوس وأراد الملك أن يتزوج إمــرأة أخيه هيروديا لشغفه بها ، إلا أن يوحنا أفتى بتحريمها عليه ، ومن ثم فإن هيروديا دبرت مؤامرة مع إبنتها لترقص فى عيد ميلاد الملك هيرودوس

---

(١) يوحــنا هــو النــبى يحيى فى القرآن الكريم وهو الإبن الوحيد لزكريا الذى ذكر فى القــرآن فى سورة آل عمران ٣٧ ، ٣٨ وفى سورة الأنعام ٨٥ وفى سورة مريم ٢،٧ وفى سورة الأنبياء ٨٩ وقد جاء بسورة مريم " كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نــادى ربــه نداء خفيا قال رب إنى وهن العظم منى وأشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعــائك رب شــقيا وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت إمرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله ربى رضيا يا زكريا إنا نبشرك بغلام إســمه يحــيى لــم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت إمرأتى عاقــراً وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علىّ هين وقد خلقتك من قبل ولــم تــك شيئا قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج علــى قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً .. يا يحيى خذ الكتاب بقــوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصــيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا " وقد ذكر يحيى فى القرآن خمس مرات - أنظر دراسة لشخصية يوحنا فى الجزء الخاص بإنجيل لوقا .

وقـد أجادت الرقص فأجهزت على ما بقى من عقل هيرودوس فأقسم لها بأن أى طلـب مجـاب لها فقالت على الفور - طبقاً للخطة الموضوعة مع أمها " إعطـنى هـا هنا على طبق رأس يوحنا المعمدان " فإغتم الملك قليلاً لأن يوحـنا كان رجلاً باراً غير أن الدلال الذى ساقته إبنة هيروديا على الملك ، جعلـه يوافـق فسجن يوحنا ثم قطع رأسه فى السجن وأحضر لإبنة هيروديا رأس يوحنا على طبق من الفضة، فأخذت الرأس وقدمتها لأمها .

*** الأرغفة والسمكتان :**

قال الإنجيل إن يسوع أشبع خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين كما أنه مشى على الماء كمعجزتين من معجزاته .

*** أحد تلاميذه يطلق عليه إسم المسيح :**

تلك أول مرة يذكر فيها إسم المسيح فى هذا الإنجيل حيث قال لتلاميذه " وأنتم من تقولون إنى أنا " فأجاب سمعان بطرس " أنت هو المسيح إبن الله الحى " فأجاب يسوع " طوبى لك ياسمعان بن يونا إن لحما ودما لم يعلن لك لكـن أبـى الذى فى السموات " وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصـخرة (إسم بطرس يعنى الصخرة) إبنى كنيستى وأوصى تلاميذه بألا يخبروا أحداً بأنه المسيح (١).

(١) أضاف يسوع لبطرس أنه سوف يعطيه مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما يربطه على الأرض يكـون قـد ربط فى السموات (إصحاح ١٩/١٦) وقد أثارت هذه الآية جدلا كبـيراً على مدى مئات السنوات فكيف يعطى المسيح لواحد من البشر مفاتيح ملكوت السـماوات مع أن هذه المفاتيح لا تكون إلا لله خالقها وقد ذهبت تفسيرات إلى أن هذه المفاتـيح هى سلطة غفران الخطايا أى أن بطرس أصبح مخولاً لغفران خطايا البشر وهو تفسير غير مقبول وقيل إن تفسيرها أن بطرس أصبح صاحب كلمة مسموعة عند الله فما يأمر به بطرس يستجيب إليه الله باعتبارها عهداً وهو تفسير غير مقبول إذ أن هـذه القـوة لم تمنح للأنبياء أنفسهم. أما تحذير يسوع لبطرس بعدم إعلان أنه المسيح ..فـلا نجـد له مبرراً مقبولاً وإذا لم يكن بطرس قد تنبأ بأنه المسيح .. هل كان أمره سيظل مخفيا حتى يحكم الرومان بصلبه .

*** يسوع يتنبأ بموته وقيامته :**

فـــى الإصحاح ٢١/١٦ أعلن يسوع لتلاميذه أنه سيذهب إلى أورشليم ويـــتألم علـــى أيـــدي الشيوخ والكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم، فاســـتعظم بطرس من هذا القول ... كيف يقتلون الله أو إبنه وقال بطرس له معاتـــباً المسيح " حاشا لك يا رب أن يحدث لك هذا ... وعلى الفور قال له المسيح " أغرب من أمامي يا شيطان !! أنت عقبة أمامي لأنك تفكر لا بأمور الله بل بأمور الناس !!.

ومـــن الغريـــب حقاً ... أن يعطى المسيح ملكوت السموات والأرض لـــبطرس ، ثـــم يصفه بأنه شيطان ...ثم طلب المسيح من أتباعه أن يحملوا صـــلبانهم ويتـــبعوه مـــع أنه لم يكن ثمة خبر قد تناهى إليهم بصلب المسيح والصـــلب لـــم يكـــن هو وسيلة الإعدام الوحيدة عند الرومان بل كانت هى الوسيلة التى تنفذ ضد أعتى المجرمين الملعونين .

وأطلـــق المســـيح عليه السلام حكمة ظلت تقال حتى اليوم " فماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه "

*** عودة المسيح :**

قال المسيح لتلاميذه إن إبن الإنسان (يقصد نفسه) سوف يعود فى مجد أبيه مع ملائكته فيجازى كل واحد حسب أعماله وأضاف " الحق أقول لكم إن بعضـــاً مـــن الواقفين هنا لن يذوقوا الموت قبل أن يروا إبن الإنسان آتيا في ملكوته" ونحن نتوقف كثيراً عند هذا النص ومعنا كافة المصادر المسيحية .. إن المسيح يتحدث عن مجيئه الثانى بعد قيامته ، وقد أخبرهم أنه سيأتى مرة ثانـــية قبل أن يموت بعضاً من تلاميذه مع أن كل تلاميذه قد ماتوا ولم تظهر عـــودة المســـيح الثانية ، ولعل كل التفسيرات التى قيلت غير مقنعة إذ ذهب رأى إلى أن المسيح كان يتكلم فى ساعة من ساعات التجلى وذهب رأى أخر

إلـــى أنها تشير إلى حلول الروح القدس فى عيد العنصرة أو اليوم الخمسين ...وهى آراء غير منطقية لتفسير ما جاء على لسان المسيح من عودته ثانية قـــبل مـــوت تلامـــيذه (١) ويظل النص غامضاً، أو أن النبوءة التى تنبأ بها المسيح لم تتحقق أو أن العبارة أقحمت على لسان المسيح.

*** يسوع وموسى وإيليا (٢) :**

يذهـــب الإصـــحاح ١٧ أن يسوع أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهـــم على إنفراد إلى جبل عال وتجلى أمامهم فشع وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، وإذا موسى و إيليا قد ظهرا لهم يتحدثان معه ..."

(١) عـــيد العنصرة أو اليوم الخمسين ورد ذكرها بأعمال الرسل إصحاح ٢ ويعرف بعيد الحصـــاد أو عيد الأسابيع وهو من أعياد اليهود الكبيرة وفيه يتم الشكر على حصاد المحاصـــيل، وهـــو بعد عيد الفصح ، وإستناداً إلى المصادر المسيحية فإن المسيح صلب فى الفصح وصعد إلى السماوات بعد أربعين يوماً من تاريخ الصلب ثم حلت الروح القدس على التلاميذ بعد خمسين يوماً من الصلب وذلك على النحو الوارد فى أعمـــال الرسل حيث جاء بالإصحاح الثانى " ولما جاء اليوم الخمسون كان الأخوة مجتمعين معا فى مكان واحد وفجأة حدث صوت من السماء كأنه دوى ريح عاصفة فمـــلأ البيت الذى كانوا جالسين فيه ثم ظهرت لهم ألسنة كأنها من نار وقد توزعت وحلت على كل واحد منهم فإمتلأوا جميعا من الروح القدس وأخذوا يتكلمون بلغات أخرى مثلما منحهم الروح أن ينطقوا " وقد ذكرت النار فى التوراة والإنجيل والقرآن رمزا لتواجد قدرة الله ، وتقول المصادر المسيحية لأن الله طاهر فتكون النار علامة ورمـــزاً له لأنهـــا تطهـــر كل شئ وهو قول محل نظر فإذا كانت النار هى مأوى للعصـــاة فكـــيف تكـــون رمزاً لتواجد الله - أو تكون ناراً مقدسة .. نعتقد أن الأمر غامض ويحتاج إلى تفسير مقبول.

(٢) إيلـــيا رجل بار عاش فى عهد الملك أخاب ملك المملكة الشمالية ، وواجه الملك ومن معـــه الذيـــن عـــبدوا البعل وكان خصماً عنيداً لإيزابل ثم هرب إلى جبل حوريب فى ســـيناء وقالت المصادر المسيحية أنه لم يمت بل رفع إلى السماء، وقد قيل عن يوحنا المعمـــدان أنه إيليا العائد من جديد (ويلاحظ أن المصادر المسيحية قد نسبت إلى إيليا أنه رفع إلى السماء دون أن يموت) وهو أمر شديد الغرابة .

ثــم إذا ســحابة مضيئة قد خيمت عليهم وصوت من السحاب يقول " هذا هو إبنى الحبيب الذى سررت به كل سرور ...له فاسمعوا " ثم أوصاهم المسيح ألا يخبروا أحدا بما رأوا حتى يقوم هو من الأموات .

وقد ذكرت هذه الحادثة فى إنجيلى مرقس(٩: ٢-١٣ ، لوقا ٩ - ٢٨ - ٣٦) ولم يذكر لنا متى سنده فى هذه الرواية فهو بالطبع لم يكن موجوداً معهم رغم إنه أحد تلاميذ المسيح - كما يقال .. وكان عليه أن يدون المصدر الذى أخذ عنه .

ويــبدو أن متى أخذ هذه الحادثة عن مرقس صاحب أول إنجيل والذى تأثــر بــه جميع كتاب الأناجيل وقد جاء بإنجيل مرقس إصحاح ٩ ما يلى " وبعــد ســتة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وحدهم وصعد بهم على إنفراد إلى جبل عال (لم يذكر اسمه - وكذلك إنجيل متى لم يذكر إسم الجبل) حيــث تجلى أمامهم وصارت ثيابه لماعة تفوق الثلج بياضاً (عبر عنها متى وصــارت ثــيابه بيضاء كالنور) وظهر لهم إيليا وموسى (ومتى أورد إسم موســى قبل إيليا بحسب ظهورهم تاريخياً) يتحدثان مع يسوع ... وجاءت سحابة فخيمت عليهم وانطلق صوت من السحابة (وهى تشير إلى الله) يقول .... هــذا هو إبنى الحبيب له إسمعوا (أضاف متى عبارة الذى سررت به كــل السرور) ولم يحدد لنا مرقس أيضا المصدر الذى أخذ عنه هذه الحادثة ومــرقس ذكر حادثة التجلى بعد ذكر طلب المسيح من أتباعه حمل صلبانهم ومتى فعل نفس الترتيب وأورد ذات العبارات التى جاءت بإنجيل مرقس .

* يسوع يشفى صبياً به شيطان :

يقــول الإنجيل إن يسوع شفى صبياً به صرع وذلك بأن " زجر يسوع الشيطان فخرج من الصبى وشفى من تلك الساعة .." وأضاف إن هذا النوع من الشياطين فلا يطرد إلا بالصلاة والصوم (إصحاح ١٧) .

ويبدو أن الفكرة التى كانت غالبة على هذه المجتمعات أن كل مرض سببه دخول شيطان فى الإنسان ... وأن لكل نوع من الشياطين طريقة لطرده ، وتبدو هذه الفكرة الآن ساذجة بالنسبة للنظريات العلمية الطبية الحديثة.

*** حكاية الدراهم فى فم السمكة :**

وحين طلب منه جابى الضرائب أن يدفع درهمين طلب يسوع من بطرس أن يصطاد سمكة ويفتح فمها فيجد أربعة دراهم هى ضريبته وضريبة بطرس .

*** الأعظم فى ملكوت السموات :**

أحب يسوع الأولاد الصغار باعتبارهم أصحاب قلوب طاهرة، فقال إن الإنسان لا يدخل ملكوت السموات إلا إذا صار مثل الأولاد الصغار.

ولقد أفصح المسيح عليه السلام عن الجزاء بعد الموت ...وهو النار فقال " وإن كانت عينك فخاً لك فاقلعها وألقها عنك أفضل لك أن تدخل الحياة وعينك مقلوعة من أن تطرح فى جهنم النار ولك عينان ".

ثم تكلم عن مثل الخروف الضائع إذ يكون للشخص مئة خروف فيضيع منه خروف واحد وهو إن وجده يكون أكثر سعادة من فرحه بملكيته الخراف التسعة والتسعين.

*** أخطاء الأصدقاء وما يتفق عليه شاهدان :**

أورد الإنجيل على لسان يسوع أن الخطأ يجب أن ينتهى أولاً بالعتاب ثم بالشهود ثم بالعرض على الكنيسة ، وبعد ذلك إذا استمر المخطئ فى خطئه فإنه يعامل كوثنى أو جابى ضرائب وقال أيضاً " إذا إتفق إثنان منكم

علـــى الأرض فى أى أمر مهما كان ما يطلبانه فإن ذلك يكون لهما من قِبَل أبى الذى فى السموات ".

*** شريعة المسيح فى الطلاق :**

قـــيل لـــه " هل يحل للرجل أن يطلق زوجته لأى سبب ... أجاب فلا يفرقـــن الإنسان ما قرنه (أى ما جمعه) الله ، فسئل لماذا أوصى موسى أن تعطـــى المـــرأة وثـــيقة طلاق ... أجاب بسبب قساوة قلوبكم سمح بالطلاق وأضـــاف أن الذى يطلق زوجته لغير علة الزنا ويتزوج بغيرها فإنه يرتكب الزنا والذى يتزوج بمطلقة يرتكب الزنا .

*** الأفضلية لمن لا يتزوج :**

قـــال لـــه تلاميذه إن كانت هذه حالة الزوج مع الزوجة فعدم الزواج أفضـــل فأجابهم هذا الكلام لا يقبله الجميع بل الذين أُنعم عليهم بذلك ... فمن استطاع أن يقبل هذا فليقبله .. ويقول بعض علماء مقارنة الأديان :-

إن مـــا كتب عن تفضيل العزوبة عن الزواج يخالف الطبيعة البشرية الـــتى خلق الله الناس عليها ، ولو أن رجال العالم نفذوا هذه الوصية لانتهت الأجيال ودمرت الحياة على الأرض بانقطاع النسل ، وإذا تخلى الرجال عن الإرتـــباط بالنساء ... إذن فما هى وظيفة النساء بعد ذلك وكيف يكون التحكم فـــى الغرائـــز البشرية ، ولقد انطلق بولس من وصية المسيح بالعزوف عن الزواج إلى القول فى الرسالة الأولى لمؤمنى كورنثوس " فإنه يحسن بالرجل ألا يمس إمرأة !! ولكن تجنباً للزنا فليكن لكل رجل زوجته ..." وأباح بولس أن يظـــل المسيحى مقترناً بزوجته الوثنية أو العكس وقال للعزاب" فإذا كنت مرتبطاً بزوجة فلا تطلب الفراق وإن كنت غير مرتبط بزوجة فلا تطلـــــب

زوجة !! (١).

*** الأغنياء لا يدخلون ملكوت السموات ... إلا بمعجزة :**

عـــندما جاء إلى المسيح شاب غنى طلب منه أن يهديه بالوصايا فأعاد عليه وصايا العهد القديم فقال له إنه عمل بها جميعاً ، فرد عليه المسيح عليه السـلام " إن أردت أن تكـون كـاملا فاذهب وبع كل ما تملك ووزع على الفقـراء فيكون لك كنز فى السماوات وتعال إتبعنى ..." ثم قال يسوع الحق أقـول لكـم " إنه من الصعب على الغنى أن يدخل ملكوت السموات وأيضا أقـول إنـه لأسهل أن يدخل الجمل فى ثقب إبرة من أن يدخل الغنى ملكوت الله ... "

ويذهـب بعض علماء مقارنة الأديان إلى أن هذه الوصية هى دعوة إلى التواكل وعدم العمل ، وأنها البذور الأولى للمذاهب الشيوعية ... بينما كانت الأفكـار اليهودية تقدس المال و تدعو للرأسمالية و كان الغنى أفضل – في الفكر اليهودى – عند الله من الفقير لإن الغنى يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة

---

(١) إن وصية السيد المسيح عليه السلام لم يكتب لها التنفيذ أو القبول لدى الغالبية العظمى مـن المسـيحيين وتذهـب بعض المصادر إلى أنها لا تتفق وطبيعة النفس البشرية ، وجديـر بالذكر أن الرهبنة ليست تطبيقاً لوصية المسيح أو بولس ، لأن الرهبنة نشأت فى مصر بدافع الهروب من إضطهاد دقلديانوس – فيما يسمى بعصر الشهداء ومن ثم بـدأت الرهبـنة كسـلوك إنسحاقى لبعض المسيحيين حين وجدوا أنفسهم فى عصر يضـطهد المسـيحيين فهـربوا إلى الجبال وأنشأوا ما يسمى بالأديرة – وهناك بدأت نـزعات التصوف الإلهي بينهم ، والحقيقة أن المسيح وبولس كانا يفضلان البعد عن النسـاء تقـربا إلى الله – حتى ولو كانت زوجة – وهذه عقيدة غريبة لم تبدأ إلا فى المسيحية ولا تجيز اليهودية أو الإسلام هذه العقيدة بأية حال لأنها تخالف سنة الله فى خلقـه للذكـر والأنثى حيث خلق آدم وحواء معا ولم يطلب الله من آدم الإبتعاد عن حـواء لكى يكون قريبا منه والاديرة إما أن تفرز إنسانا شفافا أو إنسانا دفعه الحرمان إلى آثام خطيرة.

من بينها خدمة الهيكل وتقديم المال والذهب .

ونعتقد أن الإسلام لم يدع إلى الشيوعية أو الإشتراكية الحديثة بنظمها القائمة الآن بل يحض على التجارة والربح والكسب المشروع ولكنه لا يجيز إكتـــناز الأمـــوال ويفرض على الأغنياء ضريبة تسمى الزكاة لإنفاقها على الفقراء فهو نظام رأسمالي موجه بأحكام الشريعة .

وتنبأ المسيح بموته - فيما يقول الإنجيل ثم شفا أعميين .

*** يسوع هو النبـــي :**

عــندما دخل المسيح أورشليم راكبا أتان وجحش بن أتان تساءل أهل المديـــنة من هو هذا فأجابت الجموع هذا هو يسوع النبي الذى من الناصرة بالجليل، ولعل هذه أول مرة يوصف فيها يسوع بأنه نبي وليس آلها.

*** يسوع وشجرة التين :.**

وفـــى يوم - جاء يسوع وهو راجع إلى المدينة فرأى شجرة تين فلم يجـــد فـــيها ثمرة واحدة فقال لها لا يكن منك ثمر إلى الأبد فيبست التينة فى الحال- كما يقول الإنجيل.

*** يسوع يمتنع عن الإجابة عن سؤال الكهنة :**

عندما سأله رؤساء الكهنة بأى سلطة يفعل ما يفعله أجاب عليهم " ولا أنـــا أقـــول لكم بأى سلطة أفعل ما أفعله " وتقول المصادر المسيحية إنه كان يريد أن يهرب من الحكم عليه بالتجديف لو أنه قال إن سلطانه من السماء أو من الآب ..

ثم ضرب المسيح بعض الأمثلة والحِكَم لجموع الشعب

وعــندما سئل عن دفع الجزية لقيصر قال " أعطوا ما للقيصر للقيصر وما لله لله"

وقد حاول بعض الصدوقيين - وهم فئة من اليهود - الذين لا يؤمنون بالقــيامة- لأن التوارة لم تذكر شيئا عن قيامة الأموات - وسألوه عن إمرأة تزوجت بعديد من الإخوة - فأى رجل تكون معه يوم القيامة فأجاب :-

" الــناس فى القيامة لا يتزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء ".

*** هل المسيح بن داود :**

أنكــر المسيح أن يكون إبن داود أو ينتسب إليه معلنا أنه الرب أو الإله فقال إنه إذا كان داود نفسه يعتبر المسيح ربا فكيف يكون إبنه وذلك فيما ورد عــنه بالإنجــيل - ما رأيكم فى المسيح إبن من هو أجابوه إبن داود فسألهم المســيح إذن كيف يدعوه داود بالروح ربا إذ يقول (فى أحد مزاميره) قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك فإن كان داود يدعوه ربه فكيف يكون إبنه".

والمعــنى أن داود فــى أحــد مزاميره كان يعتبر المسيح ربا ، سوف يجلس عن يمين الرب ، وهى عبارة غامضة قد تشير إلى أن داود كان يؤمن بــتعدد الأربــاب أى تعدد الآلهة فبينما رب يجلس على عرشه فإن ربا آخر ســوف يجلس عن يمنيه وهو المسيح ، وإذا كانت العقيدة المسيانية تؤمن بأن المسيح القادم - فى الفكر اليهودى النبوى (١) لابد أن ينحــدر مــن نســل

(١) عبرنا عن العقيدة المسيانية بأنها نتاج الفكر اليهودى النبوى - أى الفكر الوارد بكتب وأســفار مــن يســمونهم بأنبياء إسرائيل لأن التوراة لم تورد أى إشارة إلى العقيدة المسيانية وإنما كانت هذه العقيدة نتاج تشتت اليهود ومن ثم إبتدعها كهانهم لبث روح الأمل فى ظهور مسيح لهم يوحد صفوفهم ويجمع شملهم ويبنى إسرائيل الجديدة " .

داود - فقد آمن اليهود بأن المسيح لابد أن ينتسب إلى داود أو أحد فروعه، وقد استعمل المسيح عبارة داود فى أحد مزاميره سابقة الإشارة لنفى هذه العقيدة من ناحية إنتساب المسيح إلى داود و رغم ذلك فإن معظم الكتابات المسيحية تنسب المسيح إلى داود من جهة الأب الروحي - يوسف النجار-

ويمكن القول بان هذه العبارة تشير إلى دلالات عدة :-

١ـ أن العقيدة المسيانية طبقا للفكر اليهودى من أن المسيح المنتظر هو من نسل داود ليست صحيحة .

٢ـ أن الذين ينسبون المسيح إلى داود مخطئون - بينما تصر الأناجيل حتى الآن على نسبته إلى داود .

وتقول المصادر المسيحية فى تفسير هذه العبارة ما يلى :-

" **كان** الفريسيون (كتاب الشريعة اليهودية) يعرفون أن المسيح سيأتى من نسل داود ولكنهم لم يدركوا أنه سيكون هو الله نفسه فاقتبس يسوع من المزمور ١/١١٠ ليبين لهم أن المسيح أعظم من داود "

وقد جاء بالمزمور المذكور ما يلى :-

يجعل الرب صهيون منطلقا لسلطانك ويقول أحكم فى وسط أعدائك. أقسم الرب ولن يتراجع أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصادق الرب واقف عن يمينك .. فى يوم غضبه يحطم ملوكا ..."

وقد فسرت عبارة الرب لربى .... أنه يقصد المسيح واستعملها المسيح بهذا المعنى ليشير إلى أنه أعظم من داود فليس من المقبول أن يصفه بأنه رب أى إله ... ثم يكون إبنه .

ولعل ما ذكره المسيح من اعتباره ربا وليس من نسل داود يقوض العقيدة المسيانيه اليهودية تماما التى أكدت فى أسفار الأنبياء أن المسيح القادم من نسل داود كما أنه يقوض محاولة متى المستميتة لإثبات أن يسوع هو مسيح اليهود بما أشار إليه من مواضع فى كتب وأسفارالأنبياء وطبقه على

يسوع .. ولقد حاولت المصادر المسيحية التوفيق بين مقولة المسيح ونفى نسبه إلى داود وبين اعتباره إبن داود وكانت محاولاتها ساذجة أدت إلى التناقض الشديد بين الأمرين .

*** حملة المسيح على الكهنة:**

كان المسيح يبغض الكهنة لأنهم مُراءون ومنافقون ومخادعون يقولون ولا يفعلون فشن حملة شعواء عليهم قال فيها عن الفريسيين والكتبة (كهنة اليهود) " لا تعملوا مثل ما يعملون لأنهم يقولون ولا يفعلون بل يحزمون أحمالا ثقيلة لا تطاق ويضعونها على أكتاف الناس، وكل ما يعملونه فإنما يعملونه لكي يلفتوا نظر الناس إليهم فهم يعرضون عصائبهم ويطيلون أطراف أثوابهم ويحبون أماكن الصدارة في الولائم وصدور المجالس في المجامع وأن تلقى عليهم التحيات في الساحات وأن يدعوهم الناس يا معلم ... لكن الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون فإنكم تغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس ...فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتتذرعون بإطالة صلواتكم ... لذلك ستنزل بكم دينونة أقسى ".

ولقد عبر السيد المسيح عليه السلام تعبيرا صادقا عن طبقة الكهنة ، ورغم ذلك فإن الديانة المسيحية تقوم على قيادة طبقة من هؤلاء الكهنة للمؤمنين بعقيدة المسيح وظلت هذه الطبقة تمارس أبشع وسائل الرياء والنفاق والقهر على الشعب المسيحي وظهر ذلك واضحا فيما يسمى بمحاكم التفتيش حيث كانت هذه المحاكم تحرق المسيحيين بحجة الهرطقة واعتناق الأفكار المخالفة مما دعا مارتن لوثر للثوره والإعتراض على هذه الطبقة وأعلن أن المسيح لا يؤمن بوجود كهنة يتوسطون بين المسيحيين وبين الله ومن ثم نشأ المذهب البروتستانتى ... ولم يتوقف السيد المسيح عن وصف طبقة الكهنة بما سبق بيانه بل شن حملة صحيحة قاسية على هؤلاء القادة الدينيين حتى

قـال فيهم أيها القادة العميان إنكم تصفون الماء من البعوضة ولكنكم تبلعون الجمـل ... إنكـم تنظفون الكأس والصحفة من الخارج ولكنهما من الداخل ممتلئـتان بما كسبتم بالنهب والطمع .. أنكم كالقبور المطلية بالكلس (الجير) تـبدو جميلة من الخارج ولكنها من الداخل ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة ... كذلك أنتم تبدون للناس أبرارا ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق .. إنكـم تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلى الأنبياء فأكملوا ما بدأه آباؤكم ليطفح الكيل ... أيها الحيات أولاد الأفاعى ... كيف تفلتون من عقاب جهنم ... وبهـذا يقع عليكم كل دم ذكى سفك على الأرض من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم إن عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجيل "

ثم قال فى أورشليم :

يـا أورشـليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ... ها أن بيـتكم يترك لكم خرابا ... وقال عن مبانى الهيكل ... أما ترون هذه المبانى كلها الحق أقول لكم لن يترك هنا حجر فوق حجر إلا وتهدم .

ولقد صدقت نبوءة السيد المسيح، فتهدم هيكل سليمان ولم يعد له آثر.

*** علامات القيامة أو نهاية الزمان وعودة المسيح :**

قـال لشـعبه ... عندما يسلمكم الناس إلى العذاب ويقتلونكم وتكونون مكروهين لدى جميع الأمم من أجل إسمى فيرتد كثيرون ويظهر كثيرون من الأنبياء الدجالين ويضللون كثيرين حيث يعم الإثم تبرد المحبة ... وبعد ذلك تأتى النهاية ... وسوف يبرز أكثر من مسيح دجال ونبى دجال ويقدمون آيات عظيمة وبعد هذه الضيقة تظلم الشمس ويحجب القمر ضوءه وتتهاوى النجوم مـن السماء وتتزعزع قوات السموات وعندئذ تظهر آية إبن الإنسان (يقصد

نفســه) فــى الســماء ويرونه ... آتيا على سحب السماء ويرسل ملائكته بصوت بوق عظيم .

*** متى يأتى نهاية الزمان ومجئ المسيح :**

تنبأ المسيح بأن ظهوره من جديد ثم نهاية الزمان سوف يحلان قبل أن يزول جيل تلاميذه حيث قال :-

" **الحق** أقول لكم لا يزول هذا الجبل أبدا حتى تحدث هذه الأمور كلها" ويعــنى ذلــك أن عودة المسيح كان يجب أن تحدث قبل مائة عام من قيامته طبقا لما ورد بالإنجيل (لا يزول هذا الجيل ... أبدا حتى تحدث هذه الأمور كلهــا) لقــد حــدد المسيح عليه السلام الجيل الذى يعود فيه ولكنه لم يحدد الســاعة إذ قــال " أمــا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ولا ملائكة السموات إلا الآب وحده ".

*** بعض الأمثال :**

وعــاد إنجـيل متى يتحدث عن الأمثال التى كان يطلقها المسيح مثل العشر عذارى والوزنات .

*** إدانة المسيح للعالم :**

وأدان المســيح العــالم كله وقال إن المؤمنين به - سوف يضعهم عن يميــنه عندما يعود ويجلس على عرشه وبالنسبة للكافرين به فسوف يضعهم عــن شــماله وسوف يكون الجزاء أن المؤمنين سيذهبون إلى الحياة الأبدية (لم يذكر الجنة التى ذكرت فى القرآن الكريم) وأن الآخرين فسيذهبون إلى

العقاب الأبدى.(١)

*** نبوءة المسيح بموته :**

يقــول الإنجيل إن المسيح قال لتلاميذه إنه بعد يومين يأتى عيد الفصح فسوف يسلم إبن الإنسان (يقصد نفسه) ليصلب ، وعندئذ إجتمع رئيس الكهنة مــع باقــي الرؤساء وشيوخ الشعب وتآمروا ليقبضوا على المسيح ، وكان يســوع يبيــت فى منزل عنيا عند سمعان الأبرص وجاءت إليه إمرأة تحمل زجاجــة بها عطر غالي الثمن وسكبته على رأس المسيح عليه السلام فاستاء تلاميذه لتبذير المرأة بسكب العطر غالى الثمن فرد عليهم يسوع ...

لمــاذا تضــايقون هذه المرأة - إنها عملت حسنا... لقد سكبت العطر إعدادا لدفني.

*** خيانة يهوذا :**

يحكــى الإنجيل عن خيانة يهوذا الإسخربوطى أحد أتباع المسيح حيث ذهــب إلــى رؤساء الكهنة وطلب مالا ليسلمهم يسوع ... فوزنوا له ثلاثين قطعة من الفضة (٢) وفى المساء عندما اجتمع المسيح مع تلاميذه قال لهــم :

---

(١) وقــد أبــرز المسيح فى بعض أقواله إسم جهنم التى تعنى النار باعتبارها هى العقاب الأبدى - وهناك كلمات فى العهد القديم لا تشير إلى النار منها كلمة شيئول وهى كلمة عــبرية معــناها الهاوية أى المكانة السفلى وكلمة هادر وهى كلمة يونانية تشير إلى العالم السفلى - لأن التوراة لم تكن تعترف بالقيامة أو الحساب أما المسيح فقد أبرز بجلاء وجود جهنم - النار الأبدية كجزاء للعصاة .

وقــيل إن كلمة جهنم هى تحريف لكلمة (هنوم) نسبة إلى وادى هنوم بالقرب من أورشــليم حيــث كانت النار تشتعل بصفة مستديمة من أطفال اليهود لإحراق الأصنام الوثنــية .. وقــد إستعملت كلمة جهنم لتعبر عن التعذيب بالنار الأبدية ، هذا وذكرت جهنم فى القرآن الكريم بهذا المعنى ٧٧ مرة .

(٢) لعــل متى هو الوحيد الذى حدد قيمة المبلغ الذى حصل عليه يهوذا من رئيس الكهنة ليسلم المسيح حيث لم يرد فى الأناجيل الأخرى تحديدا لهذه القيمة .

" الحق أقول لكم إن واحدا منكم سيسلمنى ، الذى يغمس يده فى الصحفة هو الذى يسلمنى (يقصد يهوذا) .. إن إبن الإنسان (يقصد نفسه) لابد أن يمضى كما كتب عنه ... " (١).

*** العشـاء الأخيـــر :**

إجـــتمع المسيح مع تلاميذه للعشاء - وكان هو العشاء الأخير له معهم حيث أخذ رغيفا ووزعه على تلاميذ وقال لهم ... خذوا كلوا هذا هو جسدى ... ثم أخذ كأس خمر .. وقال لهم اشربوا هذا هو دمى الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا واعتبر دمه هذا عهدا جديدا بين الناس والرب بعد أن كـــان العهد القديم لا يسمح بالإقتراب من الرب إلا عن طريق كاهن ، وبذلك فـــإن المســـيح ألغى بهذا التعبير وظيفة الكهنة فلا وساطة بين الله والناس ، والكاهن يخدم ولا يتوسط .

ويقـــول بعض علماء الأديان ... إنه من الغريب أن يصير الخمر أحد معطـــيات المسيح فى عشائه مع أن الخمر مظهر من المظاهر السلبية، وكان مـــن المقبول أن يكون الماء بدلا من الخمر ، فالماء هو الذى يكون العنصر الأساسي فى الدم الإنسانى وهو الذى يهب للإنسان الحياة ، وقد أراد المسيح أن يقـــول لأتـــباعه علـــى مر الزمن .. إن دمائى فى دمائكم وأنها بذلت من أجلكـــم ويكون من المقبول ... أن يجتمع الخبز والماء وليس الخبز والخمر ... ولقـــد صـــارت " قطعة الخبز وشربة الخمر" طقسا من طقوس المسيحية يجرى سنويا لكافة المسيحيين قبيل الإحتفال بعيد القيامة .

---

(١) تقوم الأناجيل فى مسالة صلب السيد المسيح على عقيدة جوهرية هى أنه جاء ليصلب - فالصلب قدر عليه لا يستطيع الفكاك منه .

ثــم تنبأ المسيح بإنكار بطرس له وهو أخلص زملائه وقال له إنه قبل أن يصـــيح الديـــك يكون قد أنكره ثلاث مرات .. أى يقصد قبل الفجر يكون إنكاره له ثلاث مرات .

*** إكتئاب يسوع ومناجاته لربه وانفصال الإبن عن الآب :**

شـــعر المسيح بالحزن الشديد والكآبة فقال لتلاميذه " نفسى حزينة جدا حـــتى المـــوت ... إبقـــوا هـــنا واســـهروا معـــى ثم أخذ يناجى ربه قائلا " يـــا أبى ... إن كان ممكنا فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن لا كما أريد أنا بل كمـــا تريد أنت " وظل يصلى لربه ليذهب عنه عملية الصلب التى كتبها عليه طبقا للعقيدة المسيحية .

وتذكر بعض المصادر المسيحية أنه فى هذه اللحظة إنفصل الإبن عن الآب .

يقول كتاب التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ما يلى :-

" **كـــان** يســـوع يعـــانى آلاما مبرحة ليس فقط من أجل آلامه الجسدية الوشـــيكة والموت عن خطايا العالم لكن **أيضا بسبب الإنفصال عن الآب** ... لقـــد حمل إبن الله القدوس الذى بلا خطية - خطايانا على نفسه ليخلصنا من العذاب والإنفصال عن الله " وتقول بعض المصادر إن العقيدة المسيحية تقوم على أن الله واحد بثلاثة أقانيم - الآب والإبن والروح القدس ... لكن المسيح كان على الأرض إنسانا ... وهذه العقيدة هى التى أدت إلى إنقسام المسيحيين ... بين مذهب يوحد الطبيعة الإلهية للمسيح ومذهب يقول بوجود طبيعتين له ، طبـــيعة إلهية وأخرى ناسوتيه (إنسانية) ورغم أن العقيدة المسيحية تركز علـــى أن المسيح هو الله وهو الإبن وهو الروح القدس بلا انفصام بينهم ... إلا أن حادثة الصلب لم تكن تساير هذه العقيدة ... فكيف يتم قتل الله وصلبه ... ثم ينام فى القبر ثم يقوم ... فقيل إن المسيح إنفصل عن الله ... كإبن له

... فــى حــادث الصلب ورغم ذلك فإن الأمر إزداد غموضا وأدى ذلك إلى افــتراض العديــد من التفسيرات حول عقيدة الثالوث خاصة لدى المسيحيين المثقفين.

*** القبض على المسيح وهروب تلاميذه :**

كــان يهوذا قد أخبر حرس الهيكل أن يمسكوا بالشخص الذى يُقَبله .. وحين رأى الحرس يهوذا يقبل المسيح ألقوا القبض عليه فاستل بطرس سيفه وقطــع أذن أحد رجال الحرس فقال له المسيح رد سيفك إلى غمده فإن الذين يلجــأون إلى السيف بالسيف يهلكون ثم أضاف أم تظن أنى لا اقدر الآن أن اطلــب إلى أبى فيرسل لى اكثر من أثنى عشر جيشا من الملائكة ... ولكن كيف يتم الكتاب ... ثم تركه التلاميذ كلهم وهربوا .

*** المحاكمــــة :**

حوكــم المســيح أمــام رئيس الكهنة المسمى قيافا حيث انعقد مجلس رؤساء الكهنة والشيوخ وتقدم بعض الشهود للإثبات (١).

قال أحدهم أن يسوع إدعى أنه يستطيع أن يهدم الهيكل ويبنيه فى ثلاثة أيام فطلب منه رئيس الكهنة أن يرد على ذلك فلم يجب.

فسأله رئيس الكهنة أستحلفك بالله الحى هل أنت المسيح إبن الله فأجاب يســوع أنــت قلــت ثــم أضــاف إنكــم منذ الآن سوف ترون إبن الإنسان (يقصد نفسه) جالسا عن يمين القدرة (يقصد الله) ثم آتيا على سحب السماء

(١) واضح من نصوص الإنجيل أن المسيح لم يحاكم أمام محكمة رومانية مع أن الرومان كــانوا يســيطرون علــى البلاد سياسيا وقضائيا ولكن الرومان كانوا قد منحوا لكهنة إســرائيل حق الفصل فى بعض الخصومات - إلا أن الحكم بالإعدام يجب أن يصدق علــيه الحاكم الروماني وقد حوكم المسيح أمام المحكمة العليا التى يرأسها قيافا رئيس الكهنة وكانت تسمى (السنهدريم) وهى أرفع محكمة لدى اليهود .

(يقصـــد عودتـــه) فشق رئيس الكهنة ثيابه وصرخ قد جدف (أى كفر) لا حاجة بنا بعد الي شـــهود.. و ها أنتـــم سمـــعتم تجـــديفه فما رأيـــكم أجابوا .. يســـتحق عقوبة الموت فبصقوا في وجهه وضربوه ولطمه بعضهم قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك.

ثـــم أنكر بطرس يسوع وأقسم أنه لا يعرفه ثم سلم رئيس الكهنة يسوع إلـــى بـــيلاطس الحـــاكم الـــرومانى لـــيحكم علـــيه بالإعدام وقيل إن يهوذا الإسخربوطى رد الفضة التى سلمت له ثم إنتحر بشنق نفسه (١) .

بيـــنما جـــاء فـــى أعمال الرسل أنه لم ينتحر ووقع على وجهه فانشق وسطه وخرجت أمعاؤه كلها (٢).

*** الحاكم بيلاطس ويسوع :**

وقف يسوع أمام الحاكم وسأله أأنت ملك اليهود فأجابه أنت قلت وكان مـــن عـــادة الحاكم فى كل عيد أن يطلق لجمهور الشعب أى سجين يريدونه وكان عندهم سجين آخر إسمه باراباس فسألهم بيلاطس أى سجين يطلقه لهم

---

(١) لأن مـــتى إنـــتهج أســـلوبا خاصا فى إنجيله بأن ربط بين تنبؤات من يسمون بأنبياء إسرائيل عن وقائع تحدث للمسيا اليهودى وبين ما حدث للسيد المسيح وذلك بهدف أن يثبـــت أن المسيح " يسوع" هو المسيا اليهودى ، فقد حاول التوفيق بكثير من التجاوز بيـــن هذه التنبؤات وبين وقائع قد يكون إختلقها للمسيح بدليل أنه هو الوحيد الذى قدر الفضة التى أخذها يهوذا بثلاثين قطعة بينما لم تذكر الأناجيل الأخرى هذه القيمة وكان هدفـــه مـــن ذلك أن يثبت أن ما قاله" أرميا " " وأخذوا الثلاثين قطعة من الفضة ثمن الكـــريم الذى ثمنه بنو إسرائيل " ينطبق على المسيح وقد أورد هذا التوفيق فى إنجيله بينما لم تذكر الأناجيل الأخرى هذه القيمة، وهذه النبوءة ليست لأرميا بل لزكريا.

(٢)هـــذا يـــدل على أن قول متى لم يكن دقيقا .. وعلى الأقل فإن أعمال الرسل أوجدت الشك فى صحته وقد حاولت بعض المصادر المسيحية تجنب هذا التعارض فقالت يبدو أن يهـــوذا شنق نفسه بغصن شجرة فانكسر فوقع وانشق جسده وهى محاولة لا تستند إلى أى مصدر .

باراباس أم يسوع ولكن الكهنة حرضوا الشعب على أن يطالبوا بإطلاق باراباس وليس يسوع بل طالبوا بصلبه .

ويضيف متى ... من عندياته ما يلى :-

" **وفيما** هو جالس على منصة القضاء (يقصد بيلاطس الحاكم) أرسلت إليه زوجته تقول إياك وذلك البار فقد تضايقت اليوم كثيراً فى حلم بسببه" .

ونقول إن متى قال ذلك من عندياته لأن مرقس صاحب أول إنجيل لم يذكره فى إنجيله كما لم تذكره الأناجيل الأخرى ، فضلا عن ذلك فكيف علم متى بأن زوجة الحاكم قد حلمت وأنها طلبت من الحاكم تبرئة المسيح مع أن ذلك لا يكون إلا سراً بين الحاكم وزوجته، لم يذكر لنا متى مصدر هذه المعلومات وقد أسقطها كتاب الأناجيل التى كتبت بعد إنجيل متى وأضاف متى أن بيلاطس غسل يديه أمام الجميع قائلا أنا برئ من دم هذا البار فصاح اليهود ... ليكن دمه علينا وعلى أولادنا فأطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده ثم سلمه للصلب .

وكلمات متى - عن تحمل اليهود لمسئولية إراقة دم المسيح ... يدل على أن الحاكم الروماني لم يكن إلا منفذا لإرادة اليهود .. ومن ثم فإن تبرئة اليهود - من دم المسيح - كما ذهب إليها أحد باباوات الفاتيكان تكون غير قائمة على سبب صحيح من الواقع .

* يسوع فى أيدى الجنود :

إقتاد الجنود يسوع وجردوه من ثيابه وألبسوه رداء قرمزيا (أحمر اللون) وجدلوا إكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه ... وأخذوا يستهزئون به ثم بصقوا عليه وأخذوا القصبة منه (ذراع من حديد أو خشب) وضربوه على رأسه ثم ألبسوه رداءاً من جديد وساقوه إلى الصلب ... حتى وصلوا

إلى مكان الجلجثة فأعطوا يسوع خمرا ممزوجة بمرارة فلما ذاقها رفض أن يشربها .

*** صلب المسيـــح :**

يقــول إنجــيل متى إن سمعان حمل عنه الصليب وعلق المسيح عليه وصــلبوه ثــم تقاسموا ثيابه وكان معلقا وسط لصين أحدهما عن يمينه وآخر عن يساره وكان الحاضرون يستهزئون به قائلين إن كنت إبن الله فانزل عن الصليب ، كما سخر منه اللصان المصلوبان معه .

وأضــاف مــتى فى إنجيله ... ومن الساعة الثانية عشره ظهرا حتى الثالــثة بعــد الظهر حل الظلام على الأرض كلها وفى الساعة الثالثة صرخ يســوع بصــوت عظيم " أيلي أيلي لما شبقتنى " أى إلهى إلهى لماذا تركتني فظــنوا أنه ينادى إيلياً وقدم له واحد من الحاضرين إسفنجة مغموسة فى خل ليشربها ثم صرخ يسوع مرة أخرى بصوت عظيم وأسلم الروح .

ثم يضيف متى ... وإذا ستار الهيكل قد إنشق شطرين من الأعلى (١) إلــى الأســفل وتزلزلــت الأرض وتشققت الصخور وتفتحت القبور وقامت أجســاد كثــيرة لقديسين كانوا قد رقدوا وإذ خرجوا من القبور دخلوا المدينة المقدســة بعــد قيامة يسوع ورآهم كثيرون (٢) وبسبب زلزال الأرض قال الجنود حقا كان هذا إبن الله.

---

(١) يقصد بحجاب الهيكل الستارة التى تفصل بين مكان القدس ومكان قدس الأقداس الذى يتصــور وجــود الله فــيه وتقول المصادر المسيحية إن لشق الحجاب دلالة أن دور الكهنة قد إنتهى وان الله لم يعد يحجزه عن الناس أى حجاب .

(٢) ســبق لنا مناقشة هذا الوصف الذى أضفاه متى على إنجيله فيما يتعلق بقيامة القديسين – نرجو الرجوع إليه .

* **دفن يسوع وقيامته :**

تسلم من يدعي يوسف جثمان يسوع فكفنه برداء من كتان ودفنه فى قبره الجديد الذى حفره فى الصخر ودحرج حجرا كبيرا على باب القبر وكانت مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر(١). وطلب اليهود من بيلاطس حراسة القبر حتى لا يسرق تلاميذه جثمانه ويدعون قيامته من الأموات فسمح لهم بذلك - فذهبوا وحرسوا القبر وفى يوم الأحد [الصلب والدفن كان يوم الجمعة] ذهبت مريم المجدلية ومريم الأخرى لزيارة قبر المسيح - ويضيف متى :- فإذا زلزال عنيف قد حدث لأن ملاكا من عند الرب نزل من السماء ودحرج الحجر وجلس عليه كان منظره كالبرق وثوبه أبيض كالثلج ولما رأوه الجنود حراس القبر أصابهم الذعر وصاروا كالموتى.

وأضاف متى " فطمأن الملاك المرأتين قائلا : لا تخافا فأنا أعلم أنكما تبحثان عن يسوع الذى صلب إنه ليس هنا فقد قام ... تعاليا وانظرا المكان الذى كان موضوعا فيه واذهبا بسرعة وأخبرا تلاميذه أنه قام من بين الأموات وها هو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه " .

ذهبت المرأتان لإبلاغ تلاميذ المسيح بما رأيتا ... ولكنهما إلتقياه فقال لهما - سلام فأمسكت كل منهما بقدميه وسجدتا له ... فقال لهما يسوع لا تخافا إذهبا واخبرا تلاميذي أن يقابلوني فى الجليل.

* **هل سرق التلاميذ جثمان يسوع وادعوا قيامته؟ :**

تلك نقطة الخلاف الجوهرية التى بدأت منذ صلب المسيح (طبقا للديانتين اليهودية والمسيحية) وحتى الآن وإلى ما شاء الله بين العقيدة

---

(١) مريم الأخرى ليست هي أم المسيح.

اليهودية وبين العقيدة المسيحية .

اليهود .... لا يؤمنون بقيامة المسيح بل يقولون إن تلاميذه سرقوا جثمانه في غفلة من الحراس بينما المرأتان تعلنان أن ملاكا قال لهما إن يسوع قام من الأموات .

وبالقطع فلم يكن الجثمان موجودا بالمقبرة ... وبالتالى عقد رؤساء الكهنة محاكمة لحراس القبر ... وشهد الحراس بأن تلاميذه جاءوا ليلا وسرقوا الجثمان فى وقت نومهم .

لكن متى يقول ... إن رؤساء الكهنة والشيوخ قدموا رشوه للحراس ليشهدوا بأن تلاميذه سرقوا الجثمان ومن ثم تبطل إدعاءات قيامته بعد موته ... وأن الحراس قبلوا الرشوة وشهدوا بما أملى عليهم . غير أن متى لم يكن فى حاجة إلى إصطناع مسألة الرشوة - وهو لم يكن شاهدا عليها حتى - يدونها فى إنجيله ... لأن الحراس لم يسمعوا حديث الملاك حتى يشهدوا بأن ملاكا نزل وقرر ذلك - كما أن الحراس لم يروا المسيح قائما من قبره - فالملاك - كما ورد بالإنجيل لم يكلم إلا مريم المجدلية ومريم الأخرى ، والمسيح لم يلتق إلا بهما فكان من الطبيعي أن يشهد الحراس بأنه أثناء نومهم إختفى الجثمان ، وقولهم بأن تلاميذه هم الذين سرقوا الجثمان ... هو مجرد إستدلال - لأن النائم لا يرى من سرق الجثمان ...ومن ثم تكون شهادة الحراس - بأن جثمان المسيح قد سرق من القبر هو أمر منطقي بالنسبة لهم دون داعٍ لمسألة الرشوة .. وهذا لا يعنى أنهم صادقون .. بل إنهم يقررون الواقع من زاوية منطقهم واستدلالهم أو على الأقل من منطق الخوف من الحكم عليهم بعقوبة، هذا والديانة المسيحية تتمسك بعقيدة قيامة المسيح بعد موته وهى تعد ركيزة الديانة وجوهرها بينما يتمسك اليهود بأن تلاميذ المسيح سرقوا جثمانه بعد دفنه وأن ذلك ثابت من شهادة الحراس فى مجمع المحاكمة التى عقدت لهم ويضيفون أنه ليس من المقبول أن يكون

الشاهد الوحيد على القيامة هى إمرأة أو عدة نساء أو حتى بعض تلاميذه ... فلماذا لم يظهر لغيرهم من الشهود .

*** المسيح يظهر لتلاميذه :**

يقـول مـتى فـى إنجيله أما تلاميذه الأحد عشر فقد ذهبوا إلى منطقة الجليل عند الجبل الذى عينه لهم (لم يذكر إسمه) فلما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم داخلهم الشك ... ويضيف متى قائلا إن المسيح قال لهم " دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " .

*** الثـالـوث :**

ومـتى هو الذى اورد فى انجيله – عقيدة الثالوث ويعتبر هو أول من أوردهـا – بـل إن بعض الأناجيل خلت منها تماما.. وقد كانت هذه العقيدة مـثار جدل وقد اتهموا علماء اللاهوت بإختراع مفهوم الثالوث وأنهم حوروا كلمات متى التى لم يقصد بها أن الله ذو ثلاثة أقانيم .

*** وقد جاء بكتاب الحياة (وهو من المصادر المسيحية)**

" إن كلمـات الـرب يسوع تؤكد حقيقة الثالوث ... وأن بعض الناس يـتهمون علمـاء اللاهـوت بابتداع مفهوم الثالوث وتغيير دلالته فى الكتاب المقـدس – ولكن كما ورد فى إنجيل متى فإن هذا المفهوم يأتى مباشرة من الـرب يسـوع نفسـه ... حقيقة أن كلمة الثالوث لم ترد فى الكتاب المقدس ولكـنها تعـبر تمامـا عـن الإلـه الواحـد المثلـث الأقانيم الآب والإبن والروح القدس ".

ونفترض العقيدة التسليم بما يلى :

أن الله واحد

والله والإبن واحد

والله والإبن والروح القدس واحد

إذن فـــالله مثلث الأقانيم ... ولكن هذا الأقانيم لا تنفصل غير أن الإبن إنفصـــل عـــن الله ساعة الصلب وحتى القيامة ... الإبن سيقوم ويجلس على يميـــن أبيه.. الآب أرسل إبنه إلى البشر ليكون ذبيحة أبدية من أجلهم فصار إنسانا ولكنه إله لكن الآب هو الإبن ... والإبن هو الآب ... والإبن والآب والروح القدس هو الله .

أما عن القيامة فسوف نبحثها بالتفصيل فى الأناجيل الأربعة فى مبحث خاص .

يعتــبر إنجــيل متى هو الرابطة بين بعض النبوءات فى كتب وأسفار أنبياء إسرائيل وبين شخصية المسيح عليه السلام ليثبت لليهود الذين كتب لهم الإنجيل أن المسيا المنتظر من اليهود هو ذاته يسوع المسيح ومن بينها :-

١- حلــم يوسف ، ٢- الهروب إلي مصر، ٣- مذبحة الأطفال ، ٤- موت يهــوذا، ٥- التشــديد علــى المعمودية ، وهذه الأحداث لم تذكر فى بعض الأناجــيل الأخرى ، بل إن متى إنفرد بأحداث أخرى ومنها زيارة المجوس وقــيامة آخرين مع المسيح وحلم زوجة بيلاطس ورشوة الحراس . كما أورد مــتى فى الإصحاح الثانى أن المسيح وصل إلي بلدة تسمى الناصرة وسكن فــيها ليــتم مــا قيل بلسان الأنبياء أنه سيدعى ناصريا ، بينما لم ترد كلمة ناصرى فى كتب وأسفار الأنبياء .

كمــا ذكــر متى أن يسوع تبرأ من داود الذى نسبه متى إليه ليثبت أنه المســيا المنتظر ، إذ تبرأ السيد المسيح من أن يكون إبنا لداود أو من نسله فكيف يدعوه داود ربا فى مزاميره ثم يكون له إبنا (راجع الإصحاح ٢٢ وما سبق لنا دراستة فى هذا الموضوع).

*** عقيدة الثالــوث :**

لعــل عقيدة الثالوث كانت تعبيرا لمتى في إنجيله وإن لم يذكرها حرفيا بــل قــال فــى الإصحاح ٢٨ عن لسان المسيح بعد قيامته ..." فأذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس ".

وقــد ذهب معظم علماء مقارنة الأديان ومن بينهم كتاب مسيحيون إلي القــول بــأن علمــاء اللاهوت المسيحى قد فسروا كلمات متى بتفسير إلتوى بمعــناه ودلالــته حيث لم يرد فى إنجيل متى عبارة الثالوث ، فضلا عن أن

عقـيدة الثالوث قد خلت منها التوراة تماما ... وإنما كان اليهود يعبدون إلها واحدا ولم يرد فى نصوصها ما يشير إلى عقيدة الآب والإبن والروح القدس ، وأن فكـرة المسـيا المخلـص لم ترد فى التوراة أيضا (الأسفار الخمسة الأولـى) وإنمـا وردت فـى بعض أسفار الأنبياء ، وأن كلمة "الآب "هى استعمال خاص للسيد المسيح يعبر بها عن الله، وقالوا إن وصف الله بالآب لا يقصد به الأبوة المتمثلة فى إنفصال الآب عن الإبن ولكنها الأبوة المجازية أو هـى مشـاعر الإنسان تجاه الله باعتباره أبا حانيا لا يعامل خلقه بالجبروت والقسـوة بل يعاملهم كأبنائه بالحنان والحب ... فالله – فى المسيحية محبة ومـن ثـم كانت دعوة المسيح أن يكرز تلاميذه بالصفة الجديدة لله ... وهو الآب فهـو لـيس أبا للمسيح فحسب بل لكل البشر ، ولا يعنى ذلك أن كل أجناس البشر هم أبناؤه حقيقة بل هم فى منزلة الأبناء من الأب .

وآية ذلك أنه قال فى إنجيل متى :-

" **أمـا** أنت فعندما تصلى فادخل غرفتك واغلق الباب عليك وصلّ إلى أبـيك الـذي في الخفاء وأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يكافئك .... ثم قال فصـلوا أنتم مثل هذه الصلاة ... آبانا الذى فى السموات ليتقدس إسمك .... وقال فإن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم آبوكم السماوي زلاتكم ...."

وعلـى ذلـك فإنه يمكن القول أن المسيح عليه السلام استبدل بإسم الله التوراتى (يهوه) إسم الآب ، هذا وقد عبر Etienne Henry Gilson فى كـتابه روح الفلسـفة المسـيحية فى العصر الوسيط عن ذلك بقوله ..." إن المسـيح كان يردد دائما أن الآب السماوي يطعم طيور السماء ... وأن لفظ آبانـا هو التعبير العميق للفكرة المسيحية عن العناية الإلهية وهو ما يعنى أن عقـيدة المسـيح فـى الألوهـية قـد قامت على ما يناقض فلسفة لكريتيس Lucretuis وديموقريطـيس وأرسـطو المرتكزة على أن الله يتجاهل الكون ولا يكـترث بـه فـى حين أن العقيدة المسيحية تجعل من الله آبا حانيا تمتد

عنايته بمخلوقاته حتى حبة الخردل ومن خلال الحب الآبوي خلق الله الكون من العدم لكى يظهر مجده وأحاط به إحاطة أبوية ...."

*** قيامة المسيح :**

سـبق لنا أن ناقشنا عقيدة قيامة المسيح - كما أوردها متى فى إنجيله حيث قال عنها الأب كايننجسر " إن متى جعل من إنجيله رواية تمثيلية عندما تكلم عن حراس قبر المسيح وأن خياله كان خصبا عندما أشار إلى أن حجاب الهـيكل قـد إنشـق إلى إثنين من فوق لأسفل والأرض تزلزلت والصخور تشـققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القـبور بعـد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين " بما يعنى أن مـتى أضفى وصفا رومانسيا على قيامة المسيح لم يرد مثيل له فى الأناجيل الأخـرى وهو ما يشير إلى عدم دقته فى تدوين الحوادث وإعمال خياله فى إنجيله .

والقـيامة هـى ركيزة الديانة المسيحية ولذلك فإن المصادر المسيحية تطلـب من المسيحيين أن يؤمنوا بها وجدانيا - دون إعمال المنطق أو الفكر فى شأنها - كمعجزة من معجزات المسيح وباعتبارها منسوبة إلى الله القادر على كل شئ.

(١) متى .... كاتب الإنجيل :

كـــان متى جابيا للضرائب - وهو من أتباع السيد المسيح عليه السلام إلا أنـــه لم يكتب إنجيله إلا بعد إنتهاء عصر المسيح ويقال إن زمن ظهوره كـــان بعـــد الســـتين ســـنة الأولـــى للمـــيلاد ، (حوالـــي ٧٠/٧٥ م) وقد تأثـــر مـــتى بإنجـــيل مـــرقس الذي ظهر قبله ونقل منه عبارات تكاد تكون حرفـــية ، ورغـــم ذلك فقد وضع إنجيل متى في المرتبة الأولى من الأناجيل في العهد الجديد .

ومـــتى - كـــان يقـــيم بكفـــر ناحوم ، وكان من بين العشارين (جباة الضـــرائب) الفاسدين حيث كان العشارون يدخلون الغش على الشعب لجمع أكبر قدر من الضرائب واحتجاز بعضها لأنفسهم .

وقـــد ذهب المسيح إلي بيت متى وكان به بعض الجباة والخاطئين مما أثـــار عليهم الأقاويل من الفريسيين (كتاب الشريعة اليهودية) ، حيث قالوا لتلامـــيذه لمـــاذا يـــأكل معلمكم مع الجباة والخاطئين فرد عليهم المسيح عليه الســـلام بأن الأصحاء ليسوا هم الذين فى حاجة إلي طبيب بل المرضى .. فإنني ما جئت لأدعوا أبرارا بل خاطئين .

وقـــد كـــان متى مكروها من الشعب ، ولقد قال المسيح نفسه " ثم جاء إبـــن الإنســـان (يقصـــد نفسه) يأكل ويشرب فقالوا هذا رجل شره وسكير صديق لجباة الضرائب والخاطئين " .

غـــير أن المسيح عليه السلام .. إستطاع أن يحول متى إلي واحد من تلامـــيذه المخلصـــين العامليـــن بتعالـــيمه إذ إســـتقال من وظيفته وانخرط تابعا للسيد المسيح .

(٢) يوسف النجار :

هــو الأب الروحي للسيد المسيح خطب مريم أم المسيح - كان يهوديا ومن ثم تمت الخطبة طبقا للشريعة اليهودية - وكان الزواج اليهودي يتم على ثــلاث مــراحل - الأولى هي موافقة الأسرتين على الخطبة ، والثانية هي إذاعة الخطبة بين الناس ومنذ هذه اللحظة يعتبر العروسان مرتبطين - ويظل الإرتــباط حــتى الموت أو الطلاق ، أما الثالثة فتباح فيها المعاشرة الجنسية وهو ما يسمى بالدخول.

وقد حبلت مريم - كما ورد بإنجيل متى - قبل الدخول بها من يوسف فظــن يوسف بها سوءا وهم بطلاقها - وكان يمكن فى هذا الوقت للسلطات القضائية اليهودية أن تحكم على مريم - باعتبارها زانية - بالرجم - غير أن المــلاك جــاءه وأفهمــه أن حمــل مــريم كان بقدرة الروح القدس، فأقدم علــى الزواج منها لإنه بتخليه عنها كان يعرضها للعقاب ، وقد لقي يوسف معارضــة شــديدة مــن أهلــه ولكنه اختار أن يحسم الأمر بنفسه بعد تيقنه أن مريم طاهرة .

كــان يوسف نجارا وعلم إبنه (يسوع المسيح) النجارة وأشرف على تربيته فى الناصرة وكان يذهب مع مريم و إبنها إلي أورشليم في عيد الفصح وتأصلت هذه العادة فى المسيح بعد أن استوى عوده .

ورغم أن يوسف يعتبر الآب الروحي للمسيح إلا أنه لم تكن شخصيته مؤثــرة لدى كتاب الأناجيل إذ لم يتتبعوا خطاه فى سني حياته وقد جاء ذكره لآخــر مرة فى الأناجيل عند بلوغ الصبي سن الثانية عشرة ولا نعرف عن حياته أو موته ثمة معلومات أخري بعد هذه السن.

وقــد قطــع متى فى إنجيله بأن يوسف تزوج من مريم بعد أن ولدت يسوع ... إذ ورد بالإنجيل (إصحاح ١) ما يلي :-

" أمـــا يسوع المسيح فقد تمت ولادته هكذا : كانت أمه مريم مخطوبة ليوســـف وقبل أن يجتمعا معا وجدت حبلى من الروح القدس وإذ كان يوسف خطيبها بارا ولم يرد أن يشهر بها فقرر أن يتركها سرا وبينما كان يفكر في الأمر إذ ملاك من الرب قد ظهر له في حلم يقول يا يوسف إبن داود لا تخف أن تـــأتي بمريم عروسك إلي بيتك لإن الذي هي حبلى به إنما هو من الروح القدس فستلد إبنا وأنت تسميه يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم ، حـــدث هذا كله ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل .. ها إن العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعى عمانوئيل أي " الله معنا " ولما نهض يوسف من نومه فعل ما أمره به الملاك الذى من الرب فأتى بعروسه إلي بيته ولكنه لم يدخل بها حتى ولدت إبنا فسماه يسوع "

وفـــي كـــتاب التفســـير التطبيقي للكتاب المقدس وهو من المصادر المسيحية ورد ما يلي :-

" **لقد** واجه يوسف موقفا صعبا بعد أن إكتشف أن مريم حبلى ومع إنه كان يعرف أن إتخاذه مريم زوجة له يمكن أن يحط من قدره **إلا أنه إختار أن يتزوجها إطاعة لأمر الله** " .

وورد فـــيه ما يلي : " ربما ظن يوسف أن أمامه إختيارين فقط إما أن يطلق مريم فى هدوء أو يسلمها للرجم **إلا أن الله كان لديه بديل ثالث هو أن يتزوجها** " .

فمـــريم كانت عذراء طاهرة – فى الوقت الذى حملت فيه بالمسيح ... إلا أنهـــا بعد ذلك تزوجت يوسف ، ونسب يوسف المولود لنفسه كإبن له ثم أنجبت مريم من يوسف عددا من الأبناء والبنات ...

وقـــد ذكـــر إنجيل متى أخوة المسيح من الذكور وهم يعقوب ويوسف وســـمعان ويهـــوذا أمـــا الإناث فلم يفصح عن أسمائهن [راجع إنجيل متى

إصحاح ١٣ وراجع ما سبق أن أوردناه عن هذا الموضوع فى بحث سابق و أيضا إصحاح ٣ من إنجيل مرقس] .

لم يتحدث إنجيل مرقس عن كيفية ولادة المسيح ، أما إنجيل لوقا فتحدث عنها بوضع مغاير تماما لما جاء بإنجيل متى حيث أبرز أن الملاك ظهر لمريم (بينما في إنجيل متى - ظهر الملاك ليوسف) وكان الملاك هو جبرائيل وقد ورد في الإصحاح الأول من الإنجيل ما يلي على لسان الملاك " لا تخافي يا مريم ... وها أنت تحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع ... " فقالت مريم للملاك كيف يحدث هذا وأنا لست أعرف رجلا فأجابها الملاك " الروح القدس يحل عليك وقدرة العلي تظلك لذلك فالقدوس المولود منك يدعى إبن الله .... فليس لدى الله وعد يستحيل عليه إتمامه " .

ولم يتحدث إنجيل يوحنا عن ولادة المسيح بالوضع الذي تحدث به متى أو دونه لوقا ... إذ لم يشر إلي ملاك الرب الذي حل على مريم بالروح القدس أو الحلم الذي إرتأته مريم عندما حبلت بالمسيح و إنما أورد أن المسيح هو كلمة الله " في البدء كان الكلمة ... والكلمة كان من عند الله وكان الكلمة هو الله هو كان في البدء عند الله ... به تكون كل شئ وبغيره لم يتكون أي شئ " .

بمعنى أن المسيح لم يوجد فحسب عندما ولد من مريم ولكنه كان منذ الأزل أبدي الوجود ، أي أن يوحنا أضفى صفة الألوهية على المسيح ومن ثم لم يتحدث عن ولادته من مريم كما تحدث متى ولوقا باعتبار أن ذلك كان عملا عارضا لا قيمة له - فهو فى تقديره - إله - نزل إلي الأرض كما ينزل الإنسان ، فطريقة نزوله لا أهمية لها .

وإنجيل لوقا يحدثنا عن سبب ولادة المسيح فى بيت لحم ... رغم أن يوسف ومريم من الناصرة .. [راجع إصحاح ٢] فيقول ... إن القيصر أوغسطس أصدر مرسوما بإحصاء سكان الإمبراطورية ، فتوجه يوسف

ومـــريم خطيبـــته إلـــي بيـــت لحـــم وهـــى مديـــنة داود الذي ينتسب إليه يوســـف – ليســـجل إســـمه وإسم مريم فى الإحصاء بينما كانت مريم حبلى بيسوع فجاءها المخاض فى بيت لحم فولدته بها .

وفـــى الآثار الإنجيلية أن يوسف ينحدر من نسل داود فهو إبن يعقوب بـــن مـــتان بن إليعازر وتمتد سلسلة نسبة إلي سليمان وداود ويسى وقد أقام يوســـف بالناصـــرة ثم فى بيت لحم وكان يتنقل مع مريم والمسيح إلي أماكن متعددة فقيل إنه جاء إلي مصر وأقام فيها عدة سنوات .

(١) كاتــب هــذا الإنجيل هو يوحنا مرقس - لم يكن واحدا من تلاميذ السيد المسيح عليه السلام وإنما كان مرافقا لبولس فى رحلته التبشيرية الأولى وقــد كتبه فى روما إلي أهلها ونعتقد أنه أول الأناجيل التي سردت حياة المســيح ، وخاصــة معجزاته التى بلغت فى هذا الإنجيل ثماني عشرة معجــزة ولكــنه لــم يتناول الأمثال التي وردت في إنجيل متى واكتفى بأربعة منها فقط .

(٢) ومن الغريب أن مرقس لم يذكر فى إنجيله أية بيانات عن ميلاد المسيح خلافــاً لإنجــيل متى الذي نسب المسيح إلي يوسف النجار باعتباره أبا روحيا وقد بدأ إنجيل مرقس بكرازة يوحنا المعمدان .

وتقــول المصادر المسيحية إن إنجيل مرقس هو أكثر الأناجيل الأربعة ترتيبا ولكنه يعتبر أقصر الأناجيل .

(٣) وفى بداية الإنجيل ينسب مرقس المسيح إلي الله باعتباره إبنا، ولا ندرى إذا كان يقصد البنوة المباشرة أو البنوة المجازية .

(٤) يعــرض لــنا مــرقس حديث الصيام بين المسيح والفريسيين حيث كان تلاميذ المسيح لا يصومون كبقية المعتنقين لفكر المسيح وحين سئل السيد المسيح عن ذلك قال " هل يقدر أهل العرس أن يصوموا والعريس بينهم ... ولكــن ســتأتي أيام يكون العريس فيها قد رفع من بينهم فيوم ذاك يصومون "(١)

(٥) تــناول أيضــا الإنجيل رفض السيد المسيح رؤية أمه وأخوته إذ قال له البعض "ها إن أمك وإخوتك في الخارج يطلبونك" فأجابهم المسيح"من

---

(١) راجــع الاصــحاح الثانــي /١٨ وقــد جــاء هــذا الحــوار فــى إنجــيل مــتى في الاصحاح ٩/١٤-١٧ .

أمي وإخوتي " ثم أدار نظرة في الجالسين حوله وقال " هؤلاء هم أمي وإخوتي لأن من يعمل بإرادة الله هو أخي وأختي وأمي ".

(٦) يعرض لنا أيضا إنجيل مرقس الحوار الذى انتهى إلي تسمية المسيح حيث يقول الإنجيل على لسان بعض التلاميذ حين سألهم عن قول الناس فيه : يقول بعضهم إنك يوحنا المعمدان (الذى كان قد قتل) ... ثم سألهم " وأنتم من تقولون أنى أنا " فأجاب سمعان بطرس قائلا " أنت هو المسيح إبن الله الحي " فقال له يسوع طوبى لك ياسمعان بن يونا فما أعلن لك هذا لحم ودم بل أبى الذي في السموات " .

ثم بارك بطرس وقال له ... أنا أيضا أقول لك أنت صخر وعلى هذه الصخرة إبن كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها و أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون قد ربط فى السماء وما تحله على الأرض يكون قد حل فى السماء ثم حذر تلاميذه أن يقولوا لأحد إنه المسيح ، ولكن سرعان ما غضب المسيح على بطرس ، فرغم أنه أعطى له مفاتيح السماوات ووضعه فى موضع القديسين المؤمنين إذ فى ذات اللحظة قال له " أغرب من أمامي يا شيطان أنت عقبة أمامي لأنك تفكر لا بأمور الله بل بأمور الشيطان " .

(٧) تناول إنجيل مرقس تعاليم المسيح عن الطلاق فحرمه على أتباعه وعندما سئل لماذا أحلته شريعة موسى وأنت ما جئت لتنقض الناموس قال المسيح بسبب قساوة قلوبكم سمح لكم موسى بتطليق زوجاتكم ولكن الأمر لم يكن هكذا عند البدء (١) .

---

(١) تجدر الملاحظة بأن معظم الآباء الأولين كابراهيم وإسحق كانوا يتزوجون ويطلقون ويسمح لهم بتعدد زوجاتهم حتى أن سليمان كانت له مئات من الزوجات .

*** الغنى وثقب الإبرة :**

قـــال السيد المسيح عن الأغنياء " الحق أقول لكم أنه من الصعب على الغنى أن يدخل ملكوت السموات، وأنه لأسهل أن يدخل الجمل فى ثقب إبرة من أن يدخل الغنى ملكوت السموات " [إصحاح ١٠] .

*** الحياة الأبديـــة :**

أفصح المسيح عن وجود حياة أبدية ثانية بعد الحياة الدنيا .

*** أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله :**

عــندما أراد اليهود أن يوقعوا المسيح بكلمة ضد القيصر ... قالوا له أيحــل أن ندفع الجزية لقيصر أم لا ...فرد عليهم أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

*** يوم القيامة – الناس ملائكة :**

نظــرا لأن التوراة قد خلت من عقيدة بعث الأموات ووجود حياة أبدية بعــد قيامة البشر ، فقد حاول اليهود – إحراجه بالسؤال عن أي زوجة تكون للــرجل بعــد قيامته من موته إن كان قد تزوج عددا من النساء – رد عليهم بأنــه عــند قــيامة الناس من موتهم لا يتزوجون ولا يزوجون بل يكونون كالملائكة الذين في السموات (١).

*** توقيت وعلامات مجيء المسيح مرة ثانية :**

يقول إنجيل مرقس على لسان السيد المسيح " ولكن فى تلك الأيام ...

---

(١) كلمات السيد المسيح عن القيامة وكون الناس يبعثون كالملائكة يفيد أنه لن يكون هناك حساب إلا أن الإنجيل قد أقر بوجود جهنم .

تظلـــم الشمس ويحجب القمر ضوءه وتتهاوى نجوم السماء وتتزعزع القوات التى فى السموات وعندئذ سوف يبصرون إبن الإنسان آتيا في السحب بقدرة عظـــيمة ومجد ... ثم أضاف " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد لا الملائكة الذين فى السماء ولا الإبن إلا الآب " .

وهذا تعبير واضح على إنفصال الآب عن الإبن.

وتعلـــق المصادر المسيحية على ذلك بالقول " عندما قال الرب يسوع أنـــه هـــو نفسه لا يعرف وقت النهاية كان يؤكد ناسوته (أي أنه إنسان على الأرض) فـــلا شك فى أن الله الآن يعرف الوقت والرب يسوع والآب واحد ولكـــن عندما صار يسوع إنسانا تخلى بإختياره عن الإستخدام غير المحدود لقدراته الإلهية " (١) .

* المسيح ينكر أنه إبن داود :

فـــى إنجيل مرقس أيضا أنكر السيد المسيح أنه إبن داود أو ينحدر من نسله حقيقة أو مجازا حيث جاء بالإنجيل ما يلي :-

وتكلـــم يسوع ..." فقال كيف يقول الكتبة إن المسيح هو إبن داود فإن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربى إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك - فما دام داود نفسه يدعوه الرب فمن أين يكون إبنه ".

وشـــرحا لهذه العبارات نقول ... إن داود فى أحد مزاميره قال " قال الرب لربى إجلس عن يميني .... " ويقصد داود من ذلك مسيا اليهود أي أن داود يقول إن المسيا القادم هو ربه ، فكيف يكون المسيا رب داود ويكون هو

---

(١) نرى أنه تفسير غير منطقي ولا ظل له من الحقيقة فليس من المقبول القول بأن الله يـــتخلى عن قدراته الإلهية ... ولمن يتخلى ... فضلا عن أن السيد المسيح يـــتكلم عـــن أمـــر مستقبل وليس كأمر حالي وقت أن كان المسيح فى طبيعته الناسوتية - طبقا للعقيدة المسيحية.

فـــى ذات الوقت إبن داود أو منحدرا من نسله (١) وبمعنى آخر فإن المسيح يستنكر أن يكون إبنا لداود على أساس أنه المسيا الذى وصفه داود بأنه ربه .

وتؤكـــد المصادر المسيحية ذلك حيث ورد فى كتاب التفسير التطبيقي مايلـــي " فإن القادة الدينيين لم يدركوا أن المسيح أعظم جدا من مجرد إنسان بشـــرى مـــن نســـل داود بل هو الله نفسه فى صورة بشرية " ص ٢٨- ٢ وراجع إنجيل مرقس إصحاح ١٢ .

*** بيت عنيا ومريم التى سكبت العطر على رأس المسيح :**

يســـجل إنجـــيل مرقس أن المسيح كان يبيت فى بيت عنيا حيث يوجد معـــه كـــل مـــن إلعازر ومريم ومرثا ، ومريم أخت إلعازر هي التى سكبت العطر النادر على رأس المسيح .

*** العشاء الأخير ونبوءة المسيح عن يهوذا :**

لمـــا حل المساء جاء المسيح مع الإثنى عشر تابعا وبينما كانوا متكئين يأكلون قال إن واحدا منكم سيسلمنى وكان يقصد يهوذا الإسخربوطى .

*** الجسد والـــدم :**

يســـجل مـــرقس فى كتابه أنه بعد أن تناول المسيح وأصحابه العشاء الأخـــير قـــاموا للصلاة ورنموا بعض مزامير داود وقرأوا بعضا من كتاب العهـــد القديم – ذلك أن المسيح لم يكن قد تخلص من الديانة اليهودية بعد ثم قام المسيح بأمرين تقليديين على مائدة الفصح – وهو عيد تذكار الخروج من

---

(١) إن العهـــد القديـــم – لا يعتبر داود نبياً بل هو ملك وقد نسبت له خطايا فاحشة منها إغتصـــابه لزوجة قائد جيشه ثم قتل زوجها ليفوز بها ... ولا يمكن القول أن مزاميره تعـــبر عـــن حقـــائق لاهوتية ... بل هي مناجاة – وكلمة رب لا يقصد بها فى أغلب الأحيان معنى الله – بل معنى السيد ولو كان إنسانا .

مصر – هما تمرير الخبز وشرب الكأس لكن المسيح أضفى عليهما معنى آخر إذ الخبز يشير إلي جسده والخمر يشير إلي دمه .

*** صلب المسيح فى المصادر المسيحية :**

تشير هذه المصادر إلي أن موت يسوع على الصليب هو ختام لاتفاق جديد بين الله (الذى هو يسوع فى العقيدة المسيحية) وبين الجنس البشرى حيث يقدم الله نفسه للصلب ليكون ذبيحة إلهية بشرية لغفران الخطايا مرة واحدة وإلى الأبد، وهذا الإتفاق سمى العهد الجديد، وهو عهد يختلف عما ورد فى العهد القديم حيث كان غفران الخطيئة بتقديم ذبيحة حيوانية .

غير أن بعض المصادر المسيحية تقول إن الذى صلب هو إبن الله ، ولكن هذه المصادر تغفل ما تواترت عليه العقيدة المسيحية من أن الإبن والآب هو ذات واحدة لا إنفصال بينهما (١).

*** المسيح يحاول مع الله لإنقاذه :**

سجل مرقس في إنجيله أن السيد المسيح أخذ يناجي ربه أن يخلصه من كأس الصلب والقتل إذ يقول " يا أبى كل شئ مستطاع لديك فابعد عني هذه الكأس و لكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت " .

وهذه العبارة كافية للتدليل علي وجود انفصال بين السيد المسيح وبين الله لأنه يناجيه أن ينقذه من حادث الصلب والقتل فليس ما يريده المسيح ..

---

(١) العقيدة المسيحية هي الوحيدة التى تؤمن بأن الله يقتل ويصلب بيد واحد من البشر ومن أجل البشر ، ولعل المذهب الذى يقول بثنائية طبيعة الله – أي أن له طبيعتين ناسوتية (إنسانية) كانت قائمة وقت وجود المسيح على الأرض وطبيعة إلهية ، هي اشارة للخروج من دلالة صلب الله وقتله وموته ثم قيامته من جديد ...!!

ولكــن مــا يريده الله . إذن هناك إرادتان مزدوجتان بل إن بعض المصادر المسيحية أكدت هذا المعني بقولها " لكنه (أي المسيح) لم يتنكر لله أو يتمرد علي إرادته فقد أكد مرارا رغبته في القيام بكل ما يريده الله"

وتضــيف هذه المصادر : " هذه الكأس (أي الصلب) كانت الإنفصال عن الله الآب .." (١) .

راجع كتاب الحياة LIFE APPLICATION BIBLE

طبعة لندن تأليف :

Dr. Bruce B .Barton و Ronald A Beers

و Dr James C. Galvin و آخرين .

مراجعة Dr. Kenneth S. Kantzer

أستاذ علم اللاهوت الإنجيلي ،

Dr. V. Gilbert Beers و Dr. Barry Beitrzel

أستاذ العهد القديم واللغات السامية وآخرين .

*** القبض علي المسيح :**

أحضــر يهــوذا الإسخربوطى فرقة من عساكر الهيكل وبعض الجنود الرومان للقبض علي المسيح و قدموه إلى المحكمة الدينية لمحاكمته، ثم ساقوا المســيح إلى رئيس الكهنة، واستدعت، المحكمة الشهود ــ فشهدوا عليه أنه سيهدم الهيكل في ثلاثة أيام ثم يبنيه في ثلاثة أيام .

وعــندما ســألة رئيس الكهنة .. أنت المسيح إبن المبارك فأجاب بنعم فشق رئيس الكهنة ثيابه وقال لا حاجة بنا بعد إلى شهود فحكموا عليه بالموت

---

(١) لــيس مفهومــا كيف ينفصل الإبن عن الآب في لحظة الصلب مع أنهما ذات واحدة ويذهب الفكر المسيحي إلى أن المسيح لم يكن مجرد إنسان بل كان إبن الله ولم يعص الله في شئ و قدم نفسه طواعية للقتل فمات علي الصليب نيابة عن البشر .

ثـم قـيدوه وساقوه وسلموه إلى بيلاطس الوالي وفي اللحظات الأخيرة سأله بيلاطس .

أأنت ملك اليهود .. فقال المسيح .. أنت قلت .

ولم يجب المسيح علي أي سؤال وجهه إليه بيلاطس ولاذ بالصمت.

ورغـم أن الـيهود كـانوا يطبقون عقوبة الإعدام إلا أن اتفاقا تم بين الـيهود والـرومان علي استبعاد هذه العقوبة .. ، ولكي يحكم علي المسيح بالقـتل فلابـد أن يصدر الوالي الروماني حكما عاليا بذلك ، ثم أصر اليهود علـي أن يكـون قـتل المسـيح عن طريق صلبه إذ يعتقدون أن من يموت مصلوبا يكون ملعونا من الله .

ولقـد تقـدم اليهود إلى الوالي بعشرات التهم ضد المسيح منها إدعاءه الألوهـية وادعاءه أنه المسيا المنتظر و أنه ملك اليهود ويشجع الشعب علي عدم دفع الجزية للرومان ويثير شغبا في البلاد ويحرض الناس علي عدم دفع الضـرائب واتهمـوه أيضـا بخـيانة الـيهودية والإرتداد عنها وبالإرهاب والدجل والشعوذة والهرطقة..

وكـان مـن عادة بيلاطس أن يطلق لليهود سجينا في العيد فسألهم إذا كـانوا يرغبون في إطلاق سراح " ملك اليهود " ولكنهم صاحوا بل باراباس وهـو سجين آخر كان ينتظر الصلب .. ثم صاح اليهود في الوالي بيلاطس أصلب هذا المجدف .

ويذكـر الإنجيل أن بيلاطس أطلق سراح باراباس وجلد المسيح وسلمه للصلب فاقتاده الجنود إلى داخل دار الحكومة ووضعوا علي رأسه إكليلا من الشـوك وقـالوا مستهزئين .. سلام يا ملك اليهود ثم أخذوا يضربون رأسه بقصـبة ويبصـقون علـيه .. ثـم ذهـبوا به إلى مكان الجلجثة " أي مكان الصـلب " ويقـال أنهـم ثبـتوا يـده علي صليب بالمسامير رغم أن التقليد

هو تثبيت السيد بالحبال، وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه وواحدا عن شماله (١).

ويذكر إنجيل مرقس أن اللصين وغيرهما من المارة والمشاهدين صرخوا في المسيح إن كان هو حقا ملك اليهود عليه أن يخلص نفسه من الصلب .

*** موت المسيح :**

نري أن نسجل ما أورده إنجيل مرقس عن الحادث في الإصحاح ١٥- قال " ولما جاءت الساعة الثانية عشرة ظهرا حل الظلام علي الأرض كلها حتى الساعة الثالثة بعد الظهر وفي الساعة الثالثة صرخ يسوع بصوت عظيم ألَوي ألوي .. لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني فقال بعض الواقفين هناك .. إنه ينادي إيليا .." وقام شخص بغمس إسفنجه في الخل وقدمها إليه ليشرب .. فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح وقد سجل إنجيل مرقس أن عديدا من النساء قد راقبن يسوع لحظة الصلب .

*** يوسف يتسلم جسد المسيح :**

تقدم من يدعي يوسف الرامي إلى بيلاطس وتسلم جسد المسيح بعد موته ـ ولقد كان يوسف قائدا دينيا و لكنه أراد أن يواري المسيح التراب إحتراما للموت (٢) واشتري يوسف كتان ولف به جسد المسيح ثم دفنه - كما يقول إنجيل مرقس في قبر نحت في الصخر ودحرج حجرا علي باب القبر .

---

(١) ينفي القرآن الكريم صلب المسيح (أنظر الجزء الخاص بالقرآن)

(٢) كان بيلاطس قد شك في موت المسيح للسرعة التي أسلم فيها الروح ومن ثم أراد أن يطمئن إلى وفاته حقا فاستدعي القائد وأستفسر منه عن حقيقة موته.

وقيل إن مريم المجدلية ومريم الأخرى كانتا تعلمان أين دفن .

*** حديث الإنجيل عن قيامة المسيح :**

يسجل مرقس في إنجيله أن مريم المجدلية و بعض النسوة تابعن يسوع إلى مدفنه وذهبن بعد السبت ليرون قبره فإذا بالحجر الذي كان يسد فوهته قد دحـــرج فدخلت النسوة القبر فوجدن شابا جالسا لابسا ثوبا أبيض(١) فتملكهن الخوف فقال لهن لا تخفن أنتن تبحثن عن يسوع الناصري الذي صلب .. إنه قام .. ليس هو هنا إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه سيسبقكم إلى الجليل ــ هناك ترونه كما قال لكم فخرجن هاربات من القبر .. ثم ظهر لمريم المجدلية .. ويقــول الإنجــيل إنه ظهر أيضا لإثنين من تلاميذه ثم للأحد عشر تلميذا وطلب منهم التبشير بالمسيحية والإنجيل ثم قال عن الذين يؤمنون به " بإسمي يطردون الشياطين ويتكلمون بلغات جديدة عليهم ويقبضون علي الحيات وإن شربوا شرابا قاتلا لا يتأذون البتة ويضعون أيديهم علي المرضي فيتعافون".
وانتهي إنجيل مرقس بالعبارة التالية :

" ثــم إن الرب بعد ما كلمهم رفع إلى السماء وجلس عن يمين الله .. وأماهم فانطلقوا يبشرون في كل مكان ..." (٢)

---

(١) الثوب الأبيض يوحي بأنه ملاك بينما قال لوقا إنه كان هناك ملاكان .

(٢) عقيدة جلوس المسيح عن يمين الله هي عقيدة يهودية وردت في أسفار بعض الأنبياء ومزامــير داود ، فليس من المنطقي أن نقول إن مرقس رأي المسيح يجلس عن يمين الله ، وإنما هو كان يردد فحوي العقيدة اليهودية بجلوس المسيا عن يمين الله .

تعليق عام على إنجيل مرقس

يـبدو أن مـرقس كتب هذا الإنجيل بإيعاز من بولس الذي رافقه في رحلـته التبشـيرية الأولـى في روما حيث كتب الإنجيل، باعتباره الإنجيل الأول.

ورغـم أن ترتيـبه الثاني ـ في العهد الجديد ـ فكان من الضروري علي كتاب الأناجيل الأخرى أن يتأثروا به ، و لكننا في الحقيقة نري مرقس قد إتخذ موقفا خاصا من ميلاد السيد المسيح عليه السلام .

فمـرقس لـم يكتب كلمة واحدة عن كيفية ولادة المسيح ، وبدأ إنجيله بمعموديـة يسوع ـ بينما أبرز متي بشكل واضح كيفية ولادة المسيح فقال: " كانـت أمه مخطوبة ليوسف و قبل أن يجتمعا معا وجدت حبلي من الروح القدس " ثم يذكر أن ملاك الرب ظهر ليوسف و قال له " يا يوسف إبن داود لا تخف أن تأتي بمريم عروسك إلى بيتك لأن الذي هي حبلي به إنما هو من الروح القدس ".

ويبدوا أن مرقس ـ حين وضع أول إنجيل في تاريخ الديانة المسيحية ـ لـم يكـن لديـه خـبر مؤكـد عن هذه المعلومات التي أوردها متي في إنجيله(١).

ورغـم أن إنجيل مرقس قد بدأ بعبارة " هذه بداية إنجيل يسوع المسيح إبـن الله " ورغم أن العقيدة المسيحية تؤمن بأن يسوع هو الإله إلا أن إنجيل مرقس جعل "الله " يُجرب أمام الشيطان يقول مرقس " وفي الحال إقتاد الروح يسـوع إلـى الـبرية فقضي **فيها أربعين يوما والشيطان يجربه وكان بين الوحوش وملائكة تخدمه** "

---

(١) يستنكر اليهود أن يكون المسيح من غير أب بينما يقر القرآن ذلك بآيات قاطعة.

وقد أخذ متي من مرقس هذا الحديث وأضاف إليه .. فقال إن إبليس تقـدم إلـيه وقال له إن كنت إبن الله فقل لهذه الحجارة أن تتحول إلى خبز ..ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفة علي حافة سطح الهيكل وقال لـه إن كنت إبن الله فإطرح نفسك إلى أسفل ..ثم أخذه إلى جبل عال وطلب منه أن يسجد له .

وأما لوقا فقد نقل ما كتبه متي بشكل شبه حرفي، ولقد إعترف لوقا منذ الـبداية أنه اطلع علي العديد من الأناجيل وأنه تفحص الكثير منها حيث قال فـي الإصـحاح الأول " لمـا كان كثيرون قد أقدموا علي تدوين قصة من الأحداث التي تمت بيننا (يقصد كتاب الأناجيل السابقة عليه حين كتبوا قصة المسـيح علـيه السلام) كما سلمها إلينا. أولئك الذين كانوا من البداية شهود عيان ثم صاروا خداما للكلمة ..

رأيـت أنا أيضا بعد ما تفحصت كل شئ من أول الأمر تفحصا دقيقا أن أكتبها إليك مرتبة يا صاحب السمو ثاوفليس " (إصحاح ١- ١:٤)

ولقد انفرد مرقس في إنجيله بأحداث ثلاثة هي :

(١) قصـة الـبذار النامية ــ و هي من الأمثال العديدة التي وردت بالإنجيل حيـث وصـف المسيح عليه السلام ملكوت الله بإنسان يلقي البذار علي الأرض ثـم ينام ويقوم نهارا فيجد البذار قد نمي و أثمر سنابل و قمحا ثم جاءت نهايته بالحصاد .

(٢) يسوع يشفي الرجل الأصم المعقود اللسان (اصحاح٧/ ٣١ــ٣٧).

(٣) يسوع يشفي أعمي (إصحاح ٨ / ٢٢ــ ٢٦)

ويقـرر مرقس في إنجيله أن ملابس يسوع المسيح هي ذات الملابس اليهودية هي العباءة وَ الطيلسان ذات الشرابات حيث كان الناس يعتقدون في قدسـية ردائـه فـأراد كـل مـنهم أن يلمـس هـذه الشـرابات (راجع إصحاح ٦ /٥٣ــ٥٦) .

وينسب مرقس إلى المسيح وأتباعه أنهم لم يكونوا يتطهرون بغسل الأيدي عند تناول الطعام ـ كما هي عادة اليهود ، وأن المسيح اعتبر النجاسة الحقيقية هي الخارجة من الإنسان " إن كل ما يدخل الإنسان من الخارج لا يمكن أن ينجسه لإنه لا يدخل إلى قلبه بل إلي البطن ثم يخرج إلى الخلاء ... إن الذي يخرج من الإنسان هو الذي ينجس الإنسان " وهو يقصد بهذا التعبير الأخير الأفكار الشريرة. وتناول إنجيل مرقس رأي المسيح في الزواج والطلاق حيث أورد علي لسانه " من طلق زوجته وتزوج بأخرى يرتكب معها الزني وإن طلقت الزوجة زوجها وتزوجت من آخر ترتكب الزني" .

وعرض كل من إنجيل مرقس و متي و لوقا عدم إجابة السيد المسيح عليه السلام علي أسئلة اليهود ـ حين سألوه بأي سلطة يفعل ذلك فكانت الإجابة بسؤله لهم .. إذن بأي سلطة كان يفعل يوحنا ثم انتهي إلى القول " ولا أنا أقول لكم بأية سلطة أفعل تلك الأمور" .

ولعل ذلك من أساليب التقية التي اتبعها المسيح في بعض إجاباته علي اليهود حين حاولوا الإيقاع به أمام الوالي ، ففي موضع آخر أمر الناس بأن يعطوا الجزية للقيصر حينما أراد اليهود إحراجه أمام الوالي، وهو حين سئل عما إذا كان ملكا لليهود رد علي الحاكم بقوله أنت قلت ذلك وحينما سئل .. أنت المسيح .. طلب من سائله ألا يخبر أحداً أنه المسيح ..

ومن الغريب حقا أن تذكر الأناجيل ومنها إنجيل مرقس أن المسيح أنكر أمه وأخوته وقد انتقل هذا الحادث من إنجيل مرقس إلى باقي الأناجيل بصورة شبه حرفية (١) وسوف نورد النصين :

إنجيل مرقس ـ إصحاح الثالث ـ ٣١/٣٥ـ ورد به :

---

(١) أنظر إنجيل متى (١٣ـ١ـ٩) وإنجيل لوقا(٨ـ٤ـ٨) .

" وجـــاء إخوته وأمه فوقفوا خارج البيت وأرسلوا إليه يدعونه وكان قد جلس حوله جمع كبير فقالوا له "ها إن أمك وإخوتك في الخارج يطلبونك فأجابهم .." من أمي و إخوتي ..!! ثم أدار نظره في الجالسين حوله.

وقال " هؤلاء هم أمي وإخوتي لأن من يعمل بإرادة الله هو أخي وأختي وأمي "

*** إنجيل متي (الصحاح ٤٦/١٢) ورد به :**

" **وبيــنما** كان يكلم الجموع إذ أمه وإخوته قد وقفوا خارجا يطلبون أن يكلموك " فأجاب قائلا للذي أخبره " من هي أمي وإخوتي ..لأن كل من يعمل بإرادة آبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي".

وبــالقطع فــإن مرقس صاحب أول إنجيل و الذي كان مصدرا لكتاب الأناجـيل الآخرين ــ لم يسمع هذا القول من المسيح لأنه لم يكن من التلاميذ الأثنى عشر ولكنه تلقاه شفويا من آخرين أو سمعه من بولس، ونحن نستبعد أن يكــون المسيح بوداعته ومحبته قد أنكر أمه وإخوته ورفض مقابلتهم، لأن ذلك يعد من الجحود الذي ننزه السيد المسيح عنه .

* تمهيـــد

يعمــل لوقــا بالطب وهو ليس يهوديا ككتاب الأناجيل الأخرى بل هو مــن الأمميــن وكان طبيب بولس ورفيقا له في السفر ولوقا هو الذي كتب أعمال الرسل .

كتب لوقا إنجيله إلى ثاوفيلس في روما غالبا .

وقــد تأثــر لوقــا بالأناجيل التي ظهرت قبله وكانت كثيره إذ يقول : " لما كان كثيرون قد أقدموا علي تدوين قصة في الأحداث التي تمت بيننا كما سلمها إلينا أُولئك الذين كانوا من البداية شهود عيان ثم صاروا خداما للكلمة.

رأيــت أنا أيضا بعدما تفحصت كل شئ من أول الأمر تفحصا دقيقا أن أكتــبها إلــيك مرتبة يا صاحب السمو ثاوفليس لتتأكد لك صحة الكلام الذي تلقيته".

وبــدأ الإنجيل بقصة الكاهن زكريا الذي أنجب يوحنا (النبي يحي في القــرآن) وكانــت زوجته اليصابات عقيمة ، إذ بشره ملاك الرب في قدس الأقداس بأنه سيلد ذكرا ويسميه يوحنا (أي الرب حنان) .

ثم تكلم عن البشارة بميلاده المسيح حيث أرسل الرب الملاك جبرائيل إلى العذراء مريم وبشرها بميلاد يسوع المسيح يمنحه الرب الإله عرش داود أبيه فيملك علي بيت يعقوب للأبد ولن يكون لملكه نهاية .

وحين تمت ثمانية أيام علي ولادة المسيح ختن كعادة اليهود.

ثــم تكلم لوقا عن المسيح الذى ــ سيخلص شعبه وأنه سيصلب عندما قال لأمه مريم " حتى أنت سيخترق نفسك سيف "

وتــناول لوقا قصة بقاء المسيح في أورشليم وهو في سن الثانية عشرة ودخولــه الهيكل جالسا يحاور الكهنة وقد افتقدته أمه حين لم يعد معها وحين

وجدتــه في الهيكل قالت له " يا بني لماذا عملت بنا هكذا فقد كنا أبوك و أنا نبحث عنك متضايقين " (١) ثم عاد معهما إلى الناصرة .

وقــد إنغمــس المســيح وهو في الناصرة في عمل النجارة، حتى بلغ الثامــنة عشــرة ويبدو أن يوسف النجار ــ أباه الأرضي ــ قد مات ، فكان علي الصبي أن يوفر الرزق لأسرته ثم عرض إنجيل لوقا لقصة تبشير يوحنا المعمدان وما كان يقول للجموع التي تأتي لتتعمد علي يديه، وقصة إعتراض يوحنا علي زواج هيرودس الحاكم من هيروديا زوجة أخيه وعقابه بالسجن .

ويذهب لوقا إلى أن المسيح بدأ تبشيره بالمسيحية وهو في سن الثلاثين وكان معروفا للجميع بأنه إبن يوسف النجار .

وتكلــم عــن نسب المسيح الذي أرجعه إلى داود، ثم عرض لمحاولة الشــيطان تجربة المسيح وكان المسيح يدخل المجمع ويقرأ في بعض أسفار الأنبياء أمام الكهنة وكانت له تفسيرات خاصة تغضب جميع من في المجمع ، وفي ذات مرة طرده الحاضرون خارج المدينة وساقوه إلى حافة الجبل الذي بنيــت علــيه مدينــتهم لــيطرحوه إلــى الأســفل إلا أنــه استطاع الهرب مــنهم (إصــحاح ٤) وقــد تناول لوقا العديد من معجزات المسيح و منها إخــراج شــيطان من رجل هاجمه في المجمع وشــفاء حماة بطرس وشفاء الأبــرص والمشــلول وعند ما تقدمت له إمرأة خا طئة تقبل قدميه وتدهنهما بالعطر وتمسحهما بدموعها وشعرها، قال لها إن خطايــاك قــد غفــرت لك

---

(١) هــذا دليل قاطع بأن يوسف النجار تزوج مريم بل و نسب يسوع إليه كابن من صلبه ولا يقبل القول بأن يوسف النجار ومريم يعيشان معا إثنتي عشر سنة في معيشة واحدة وفي بيت واحد و يرحلان إلى مصر معا و هما غير متزوجين .

أن مريم كانت عذراء طاهرة وقت أن حملت بالمسيح .. ولكنها بعد ذلك تزوجت من يوسف وقد أكد ذلك متي في إنجيله و كذلك المصادر المسيحية وقد أنجبا ذكورا وإناثا وليس في هذا أي مساس بالديانة المسيحية إذ لا شأن بزواج مريم وجوهر هذه الديانة.

فتعجب الناس وقالوا .. من هو هذا الذي يغفر الخطايا، وقد تكرر في إنجيل لوقا العديد من الحوادث التي ذكرت في الأناجيل السابقة من شفاء الأمراض وطـــرد الشياطين من الخنازير وإحياء ميتة و شفاء نازفة الدم وإطعام خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين ، كما تكرر في الإنجيل أحاديث المسيح وأمـــثاله وحكمه وشريعته في الطلاق والزواج وإنكاره لأن يكون إبنا لداود وتحذيـــره للشـــعب مـــن الكهـــنة وكتـــبة الشـــريعة وتنبؤه بخراب الهيكل وعلامات نهاية آخر الزمان .

وأشـــار لوقا إلى خيانة يهوذا للمسيح و العشاء الأخير ثم تناول أحداث القـــبض علـــي المســـيح ومحاكمـــته في مجلس اليهود ثم تسليمه إلى الحاكم بيلاطس والحكم عليه بالصلب، وذكر لوقا أنه عندما سلم المسيح الروح علي الصليب أظلمت الشمس وانشطر حجاب الهيكل من الوسط ثم إتمام دفنه علي يد رجل يدعي يوسف .

وتناول أحداث قيامته وظهوره لتلاميذه ثم أختتم إنجيله بما يلي :

" ثـــم اقتادهم (يقصد المسيح بعد ظهوره لتلاميذه عقب القيامة) إلى خارج المدينة إلى بيت عنيا وباركهم رافعا يديه وبينما كان يباركهم ، إنفصل عنهم وأصعد إلى السماء فسجدوا له ثم رجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم ".

من المقطوع به أن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح إذا لم يكن يدين باليهودية، وقد كتب إنجيله في الربع الأخير ــ تقريبا من القرن الأول الميلادي.

وقد اعتمد في إنجيله علي كتابات مرقس و متي و غيرهما ممن كتبوا عن السيد المسيح واستبعدت أناجيلهم، وقد حكي لوقا قصة القيامة كما يلي : " حيث إن المسيح ــ قد صلب ــ طبقا للتقليد المسيحي واليهودي ــ يوم الجمعة ومات قبل غروب شمسها .. وكان يوم السبت راحة إسبوعية لا يجوز إتيان عمل فيه فقد ذهبت بعض النسوة إلى قبره يوم الأحد عند أول شروق للشمس حاملات للحنوط (عطر يدهن به جسم الميت) فوجدن أن الحجر قد دحرج عن القبر ثم لم يجدن جثة المسيح وإذا برجلين بثياب براقة قد وقفا بجانبهن .. وأخبرهن أن المسيح قام ، فذهبت النسوة وأخبرن تلاميذه الأحد عشر فبدأ كلامهن في نظرهم كأنه هذيان إلا أن بطرس ذهب إلى القبر فوجد الأكفان دون الجثمان ، ثم ظهر لرجلين وظهر أيضا لتلاميذه كشبح وعندما أنكروه قال لهم إنظروا يدي و قدمي و طلب منهم طعاما فأعطوه قطعة من السمك المشوي فأكل ".

وقد استبعد لوقا وصف القيامة التي أوردها متي في إنجيله.

غير أن لوقا .. كتب في أعمال الرسل أن المسيح أمضي أربعين يوما مع تلاميذه ما بين قيامته وصعوده ومن الغريب حقا أنه لم يذكر ذلك في إنجيله كما لم تنكره الأناجيل الأخرى، كذلك لم يرد في إنجيل لوقا إشارة إلى عقيدة الثالوث ــ الآب والإبن والروح القدس التي ذكرها متي في إنجيله .

لـــم يذكـــر إنجيل لوقا ـــ ما ورد في إنجيل متي عن الحُلم الذي رأته زوجـــة الحاكم بيلاطس، ونعتقد أيضا أن لوقا استبعده من إنجيله ذلك أنه من غير المنطقي أن يعلم متي بهذا الحلم وهو سر بين الحاكم وبين زوجته .

ولم يشر لوقا إلى قيام حراس من الرومان علي قبر المسيح كما ورد بإنجيل متي كذلك فإن متي ذكر في إنجيله أن ستار الهيكل قد انشق ـــ عندما أسلم المسيح الروح ـــ شطرين من أعلي إلى أسفل بينما ذكر لوقا أن الحجاب إنشق من الوسط .

وقـــد انفرد إنجيل لوقا ـــ دون بقية الأناجيل بذكر بكاء نساء أورشليم علي المسيح و هو يساق في الطرقات حيث مكان الصلب .

ويعتـــبر إنجيل لوقا ـــ إنجيلا متوازنا ـــ حيث استبعد بعض الأحداث التي كتبت في إنجيل متي غير أنه ركز علي العديد من معجزات المسيح في شـــفاء الأمـــراض، وهـــو كغيره اعتقد أن هذه الأمراض ترجع إلى دخول الشـــياطين في أجساد المرضي، وقد يقال أن لوقا كان عليه أن يعترض علي ذلك باعتباره طبيبا و لكن .. الطب في عهد المسيح ـــ لم يكن متقدما كالطب فـــي عالمـــنا المعاصر الذي يرجع الأمراض إلى عديد من الأسباب ليس من بينها دخول شيطان في جسد الإنسان .

بَيّـــن إنجـــيل لوقـــا نسب المسيح بالتفصيل إعتبارا من يوسف النجار وحـــتى آدم فـــأورد أســـماء أصوله جميعا ويبلغ عدد هؤلاء الأصول خمسة وسبعين رجلا و لو أننا أخذنا بما أورده لوقا في إنجيله فإن النظريات العلمية المعاصـــرة لوجود العالم تنقلب رأسا علي عقب، ذلك أنه بفرض أن متوسط عمر الإنسان مائة عام فإنه يكون قد مضي سبعة آلاف وخمسمائة عام ما بين يوم ميلاد المسيح ويوم خلق آدم بينما النظريات الجيولوجية الحديثة المأخوذة عـــن حفريات بالغة القدم تقول .. إن وجود هذا العالم يرجع إلى ما يزيد عن

الستين مليوناً من السنين ، فالفارق بينهما باهظ لا يتناسب علي وجه الإطلاق.

غير أننا نعتقد ـ علي سبيل الجزم أن لوقا تأثر بالأنساب التي وردت في التوراة إعتبارا من داود فأوردها دون أن يضعها موضع التحليل، بل لم يكن في إمكانه نفي صحة ما ورد في التوراة ، ولم يكن علي علم بتقديرات علمية عن بداية العالم ، أو نظريات علم الجيولوجيا(١) .

---

(١) في كثير من الأحيان تختلف المعتقدات الدينية عن النظريات العلمية الثابتة يقينا وهو ما يدفع المفسرين إلى محاولة التوفيق بين النظرية العلمية والمعتقد الديني وقد تحمل هذه التفسيرات إعتسافا للنصوص الدينية ..

شخصيات هامة في إنجيل لوقا

يوحنا المعمدان

هــو إبن زكريا كاهن الهيكل والذي كانت زوجته اليصابات عقيما وقد بلغــا من العمر عتيا، وكان عدم الإنجاب لدي اليهود يعد دليلا علي لعنة الله وقد أختير زكريا ليدخل قدس الأقداس ــ وهو المكان المتواجد في الهيكل ــ الذي يعتقد اليهود أن الله يسكن فيه بينهم.

وفــي التقلــيد ــ أن زكــريا حين دخل قدس الأقداس ظهر له ملاك، وبشــره بغلام من زوجته اليصابات التي هي من نسل هارون ــ قال له إنه سوف يكون عظيما وبارا لا يشرب خمرا ولا مسكرا و يمتلئ بالروح القدس منذ تكوينه في رحم أمه .

وحيــن أنكر زكريا أن يحدث ذلك لكونه وامرأته في أرزل العمر قال لــه المــلاك إنه جبرائيل ، وآيتك أمام الناس أن تبقي صامتا إلي يوم الحمل و الــولادة، ثم حملت زوجته فكتمت حملها خمسة أشهر و بعدها بقليل حملت العذراء مريم من المسيح .

وحين ولدت اليصابات مولودها أسمته يوحنا، وهو الإسم الذى قيل إن المــلاك اخــتاره لولدهــا وإذ وافق زكريا علي الإسم إنحلت عقدة لسانه ثم استوى عود الوليد فأقام في الصحراء وكان يعمد اليهود ويصرخ قائلا إقترب ملكوت السموات .. يا أولاد الأفاعي من أنذركم لتهربوا من الغضب الآتي .

وقــد ظهــرت قــوة يوحــنا بين الجموع في عهد الحاكم هيرودوس، وكــان يــريد أن يــتزوج مــن هيروديا زوجة أخيه ــ فقد هجرت زوجها وعاشت مع أخيه هيرودوس غير الشقيق وأحبته وأرادت الزواج منه، إلا أن يوحــنا أعلــن إدانتهما وقال للحاكم " ليس حلالا بك أن تتزوج بها " ولكن المــرأة العاشــقة دبرت مؤامرة دنيئة ضد يوحنا ــ فقد اتفقت مع إبنتها أن

تــرقص للحــاكم هيرودوس في عيد ميلاده .. ونظراً لما كانت تتمتع به من جمــال خــارق فإن هيرودوس فقد عقله وهو يتمايل معها طربا، وأقسم لها واعدا أن يعطيها أي شئ تطلبه فاستشارت أمها فطلبت منها أن يكون الوعد هــو رأس يوحنا المعمدان لتتخلص من معارضته .. ونفذ هيرودوس طلبها وقطــع رأس يوحــنا المعمــدان وجئ بالرأس لها علي طبق من الفضة .. فحملتها إلى أمها .

وليوحنا المعمدان قرابة قريبة من المسيح إذ أن مريم واليصابات إبنتا خالة تقريبا، وكانت مريم كثيراً ما تزور إبنة خالتها (أو خالتها) اليصابات.

وكــان يوحــنا قــد هجر حياة المدينة ..كان طعامه وأردتيه شاذة ... وكثيراً ما كان يبشر بقدوم مسيح مخلص .

ونعــتقد أن يوحــنا قتل وهو لم يتعد الثانية والثلاثين من عمره وكان هــيرودوس قد أودعه السجن قبل قتله لإسكاته عن معارضته في زواجه من هيروديا.

وهــيرودوس كــان حــاكم مــنطقة الجلــيل تحــت سيادة الرومان وهــو الذي بني مدينة طبرية و ينتسب إلى والده هيرودوس الكبير وإلى أمه مالــتاس ، وقد تزوج من إبنه الحارث الرابع .. كانت هي زوجته الأولى أما هــيروديا فهي زوجته الثانية ، وكان لهيرودوس دور صغير حين احتكم إليه بيلاطس الحاكم الروماني في محاكمة المسيح .

ويعتبر يوحنا من أعظم الشخصيات التي ظهرت إبان عصر المسيح .. وقــال عــنه المســيح إنــه لم يظهر بين من ولدتهم النساء أعظم من يوحنا المعمــدان مــع أنــه لم يأت بمعجزة ما ، ويوحنا هو النبي يحي في القرآن الكــريم وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في موضع آخر. وقد ولد يوحنا يهوديا ومات يهوديا لانه لم يكن من اتباع المسيح او تلاميذه.

* تمهيد. كاتب الإنجيل :

هـــو إنجـــيل لاهوتي .. ولا شك أن كاتبه كانت لديه دراسات فلسفية فـــي علم اللاهوت ونعتقد أنه تأثر بالفلسفة اليونانية ، إذ بدء إنجيله بمنظور لاهوتـــي فلســـفي" فـــي البدء كان الكلمة .. والكلمة كانت من عند الله وكان الكلمة هو الله ... الخ " وهي إفتراضات فلسفية لم يذكر لنا مصدرها.

وقـــد قيل إن كاتب الإنجيل هو يوحنا بن زبدي الصياد الذي كان تابعا للمســـيح ولكن لم يقم ثمة دليل علي ذلك بل إن البعض قال إن إسم " يوحنا " قد أقحم علي الإنجيل وأن كاتبه شخص مجهول لم تعرف هويته، وقيل أيضا إن يوحـــنا نفســـه لـــم يكتـــب الإنجـــيل بـــل كتـــبه تلامذتـــه ونشروه بعد وفاتـــه ــ في نهاية القرن الأول الميلادي تقريبا (٨٥-٩٠م) وتاريخ نشره لاحـــق للأناجـــيل الأخرى ، ذلك أنه مما لا شك فيه أن الإنجيل قد دون بعد خراب أورشليم سنة٧٠ م .

أورد يوحـــنا في إنجيله ثماني معجزات للسيد المسيح عليه السلام من بينها ست إنفرد بذكرها دون باقي الأناجيل ــ أى أنه لم يتوافق مع الأناجيل الأخرى إلا في معجزتين، بل يعتبر إنجيل يوحنا إنجيلا غير متوافق لأناجيل متـــي ومـــرقس و لوقـــا إذ أن الغالبـــية العظمي مما دونه يوحنا في إنجيله (حوإلي ٩٠ %) ينفرد به دون الأناجيل السابقة .

كما أن إنجيله خلا من أحداث جوهرية وغاية في الأهمية فهو لم يسجل أنســـاب المسيح ولم يذكر ثمة معلومات عن ولادته أو طفولته أو التجربة أو التجلـــي أو إختـــيار التلامـــيذ فضلا عن أنه لا يضم أمثالا ولا يسجل حادثة الصعود أو الإرسالية الكبرى .

وإذا كـــان كـــل من متي ويوحنا من تلامذة المسيح .. فإنك تري بونا شاسعا بين الإنجيلين .. إذ أن متي أطلق لخياله العنان بينما دون يوحنا إنجيله بلغة هادئة و إن كان قد أشار إلى أحداث كثيرة لم ترد في الأناجيل الأخرى واتسم إنجيله بالمنهج الفلسفي. وقد حاول كاتب الإنجيل ــ أيا كانت هويته ــ أن يؤكد أن يوحنا تلميذ المسيح هو الذي كتب هذا الإنجيل فقال " هذا التلميذ (يقصـــد يوحـــنا نفسه) يشهد بهذه الأمور وقد دونها هنا ونحن نعلم أن شهادته حق " .

وكـــان يوحـــنا قـــد نفـــي ســـنوات عديـــدة فـــي جزيـــرة بطمـــس عـــاد بعدهـــا إلـــى أفســـس حيـــث مـــات فـــي سن المائة تقريبا و تنسب لـــه بعـــض أســـفار العهدالجديـــد ومنها رسائل يوحنا الثلاث ورؤية يوحنا وكـــان صـــيادا للســـمك وأبـــوه زبدي الصياد وأمه سالومي وله أخ يدعي يعقوب .

وفي الإصحاح الأول أورد يوحنا هذه العبارات :

" **فـــي** البدء كان الكلمة و الكلمة كان من عند الله و كان الكلمة هو الله .. هو كان في البدء عند الله به تَكَّون كل شئ و بغيره لم يتكون أي شئ مما تكـــون .. فيه كانت الحياة .. والحياة هذه كانت نور الناس .. والنور يضئ في الظلام والظلام لم يدرك النور " .

لقد اختلطت الصياغة الأدبية بالصياغة الفلسفية لدي يوحنا .

ويقـــدم يوحنا المسيح علي أنه الله الأبدي الذي وجد منذ البدء ، و منه تكون كل شئ و بغيره لم يتكّون أي شئ .

تكلم الإنجيل بعد ذلك عن ظهور يوحنا المعمدان الذي جاء ليبشر بمقدم المســـيح و عـــرض الإنجيل لعرس قانا بالجليل حيث دعيت مريم أم المسيح ودعـــي إبـــنها لحضور حفل العرس وإذ نفذت الخمر ــ قالت مريم لإبنها لم يعد لديهم خمرا فأجابها " ما شأنك بي يا امرأه " وطلب من الخدم ملأ الأوعية

بالمـــاء .. وفـــي لحظـــات تحول الماء خمرا .. وقيل له إنك صنعت خمرا جيدا (١).

*** هدم الهيكل و بناؤه :**

وتـــناول الإنجيل قصة ثورة المسيح علي محترفي البيع والشراء الذين كـــانوا يـــتخذون من الهيكل مكانا لهم حيث طردهم وقلب مناضد الصيارفة وجـــدل سوطا من الحبال واعتدى عليهم، وقال لليهود الذين تواجدوا بالهيكل إهدموا هذا الهيكل و في ثلاثة أيام أقيمه، وتذهب المصادر المسيحية إلى أنه لا يقصـــد الهـــيكل المبني إنما يقصد جسده عندما صلبوه ثم قيامته في نهاية الأيام الثلاثة .

*** المرأة السامريـــة :**

وتحـــدث المسيح مع المرأة السامرية الخاطئة واعترف لها بأنه المسيح المنتظر ثم عرض الإنجيل لشفاء المسيح لإبن رجل من حاشية الملك وشفاء مشلول وقد عبر المسيح عن الصلة بينه و بين الله (الآب) بما يلي :

" **الحـــق** الحق أقول لكم إن الإبن لا يقدر أن يفعل شيئا من تلقاء نفسه بـــل يفعل ما يرى الآب يفعله فكل ما يعمله الآب يعمله الإبن كذلك لأن الآب يحـــب الإبـــن ويريه جميع ما يفعله .. فكما يقيم الآب الموتى ويحييهم كذلك يحي الإبن من يشاء "(٢) .

وقال أيضا : " لقد جئت بإسم أبى ولم تقبلوني و لكن ترحبون بإسم من يجئ من نفسه ".

---

(١) تصور الأناجيل أن السيد المسيح كان جاحدا بأمه، وهذا الرد يعد بلا شك إهانة لها ــ فضلا عن أن تحويل الماء إلى خمر للسكر والعربدة قد لا تكون لائقة بشخصية السيد المسيح عليه السلام .

(٢) كان الفريسيون وهم من كتبه الشريعة اليهودية يدعون الله أباهم أيضا .

وتـــناول يوحـــنا معجزة المسيح في إطعام خمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين ومعجزة مشيه علي الماء، وأورد قول المسيح " إن مشيئة أبى هي أن كل من يري الإبن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية و سأقيمه أنا في اليوم الأخير (١) " أنا الخبز الذي نزل من السماء " كل من يسمع الآب ويتعلم منه يأتـــي إلى . وليس معني هذا أن أحدا قد رأي الآب فما رآه إلا الذي كان مع الله هـــو وحده رأي الأب الحق . الحق أقول لكم إن الذي يؤمن بي فله حياة أبديـــة" .. والخـــبز الـــذي أقدمـــه أنـــا هـــو جسدي أبذله من أجل أن يحيا العـــالم (٢).. إذا لـــم تـــأكلوا جســـد إبـــن الإنســـان (يقصـــد نفســـه) وتشربوا دمه فلا حياة لكم في داخلكم .

وقـــد ترتـــب علي كلام المسيح أن هجره الكثيرون و لم يبق منهم إلا تلاميذه الإثنى عشر ومن بينهم يهوذا الإسخربوطي الذي خانه .

ونظرا لما كان يلقيه المسيح من حكم وأمثال قال بعض اليهود هذا هو المســيح لكـــن الـــبعض الآخـــر أنكروا ذلك إذ أن المكتوب في أسفارهم أن المســيح ســيأتي مـــن نســـل داود ومـــن قـــرية بيت لحم حيث كان داود وهذا الرجل ليس كذلك .

*** الزانية والمسيـــح :**

أحضر إليه معلمو الشريعة امرأة زانية وقالوا إن موسي أوصاهم برجم الزانـــيات فماذا تفعل، فأحني رأسه إلى الأرض وبدأ يكتب بإصبعه عليها ثم قال لهم – من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولا بحجر ثم قال للمرأة أنا لـــن

---

(١) هذا يدل علي أن السيد المسيح عليه السلام كان يؤمن بقيامة الأموات .

(٢) الخبز والجسد كلمتان متكاملتان منذ عهد المسيح وحتى الآن .. يشير المسيح إلى أن جســـده هو الخبز الروحي للمؤمنين بعقيدته بمعني أن من أكل خبز المسيح أي جسده يحـــيا إلـــى الأبد أي يتحد بجسد المسيح فيحيا معه، والمقصود بالإتحاد الإيمان الكامل بموته كإله وبقيامته كإله .

أحكم عليك بشيء إذهبي ولا تعودي تخطئين (١) .

*** أيـــن أبــــوك :**

كما سبق القول كان المسيح يعبر عن الله بكلمة الآب، وحين قال لليهود أنـــا نـــور العالم قالوا له أنت تشهد لنفسك وشهادتك باطلة لأن شهادة الفرد الواحـــد لا تجـــوز فقـــال يشهد معي أبى فسئل و أين أبوك فأجاب " أنتم لا تعرفونني ولا تعرفون أبي ولو عرفتموني لعرفتم أبى أيضا " .

وبديهي أن هذه الإجابة لم تكن تفسر شيئا لليهود ..

ولكـــنه حيـــن قال لهم إنى أتكلم بما رأيته عند الآب وأنتم تعملون بما سمعتم من أبيكم فإعترضوا قائلين .. أبونا هو إبراهيم .ثم قالوا نحن لم نولد من زنا لنا أب واحد هو الله .. فقال لهم إن أبيكم هو إبليس .

*** محاولة رجم المسيح :**

من محاورات المسيح مع اليهود عن إبراهيم قال :

" **الحـــق** الحق أقول لكم إنني كائن من قبل أن يكون إبراهيم " فرفعوا حجارة ليرجموه ولكنه أخفي نفسه وهرب من الهيكل (إصحاح٨).

وتذهب المصادر المسيحية تفسيرا لهذه العبارة ــ أن المسيح أعلن بها لاهوته أي أنه إله .

---

(١) تذهـــب آراء إلـــى أن المســـيح ألغـــي عقوبـــة الرجم بالنسبة للزانية – وكلمته التي صـــارت حكمـــة في الأجيال أن كل الناس خطاءون فكيف يحاكم خاطئ خاطئا مثله، ليس هذا من المنطق في شئ، وذهب آخرون إلى أن المسيح ضرب مثلا في التسامح والغفران، وذهب إتجاه آخر إلى أن محاكمة الزانية دون حضور شريكها لم يكن أمرا ممكنا أو صحيحا ومن ثم تركها المسيح، ونري أن الإتجاه الثاني هو المقبول .

ثــم تناول الإنجيل حادث شفاء المسيح لرجل أعمي، فتح عينيه وجعله مبصــراً وحين قام اليهود بتحقيق هذا الحادث، وقالوا للرجل .. كيف يزعم رجــل لا أصل له عندنا في فتح عينيك قال لهم .. إنه لو لم يكن من الله لما استطاع أن يعمل شيئا إلا أن اليهود طردوا الرجل خارج المجمع .

*** الذين جاءوا قبلي كانوا لصوصا :**

واســتطرد المسيح قائلا لهم " أنا باب الخراف جميع الذين جاءوا قبلي كــانوا لصوصــا وســراقا .. أنا الباب من دخل بي يخلص .. أنا الراعي الصــالح ولكن اليهود لم يسمعوا له بإعتبار أن به شيطاناً، وحين قال لهم إنه إلــه حاولوا رجمه مرة أخري ولكنه أفلت من أيديهم فسألوه كيف تكون إلها وإنسانا في وقت واحد فقال لهم إن الآب قدسني وبعثني إلى العالم .

*** مــوت إلعــازر :**

وإلعازر هذا صديق للمسيح وهو من قرية بيت عنيا وكان يسكن مع أختــيه مــريم ومرتا .. وكان المسيح يزورهم بصفة مستمرة، كما أن مريم كانــت قريــبة جدا من المسيح فهي التي دهنته بالعطر غالي الثمن ومسحت قدميه بشعرها وعندما أبلغته مريم بمرض أخيها إلعازر قال المسيح " إلعازر حبيبــنا قد رقد ولكن سأذهب لأنهضه " وعندما وصل المسيح ــ يقول يوحنا ــ وجدوا أن المريض مات و دفن فحزن المسيح جدا وبكي لأنه كان يحبه ، ويضــيف الإنجــيل إنــه ذهب إلى مقبرته وأحياه مرة أخري بعد يوم وفاته الرابع .

ثم شعر المسيح بالإكتئاب والإضطراب لإقتراب ساعته، وإذ أعلن أنه المسيح سأله اليهود حين سمعوا بقوله أنه سيموت ويصلب :-

" علمتـــنا الشـــريعة أن المسيح يبقي حيا إلى الأبد فكيف تقول إن إبن الإنســـان (يقصد نفسه) لا بد أن يعلق (أي يصلب) ..من هو إبن الإنسان هـــذا " لكن المسيح لم يجبهم إجابة واضحة صريحة بل قال النور باق معكم وقـــتا قصـــيرا ..آمنوا بالنور مادام النور معكم، ثم هرب منهم وأخفي نفسه عنهم (١).

*** المسيح يغسل أقدام تلاميذه :**

تحدث إنجيل يوحنا عن واقعة قيام المسيح بغسل أقدام تلاميذه قائلا لهم ليس العبد أفضل من سيده .

وتناول الإنجيل قصة العشاء الأخير ونبوءة المسيح بإنكار بطرس له.

*** هل هي الجنـــة :**

لم تكن فكرة المسيح عن الحياة الأبدية ــ بعد الموت ــ فكرة محددة ــ كمـــا حددهـــا القرآن الكريم بالجنة ووصفها بأوصاف عديدة ، ولم يكن الـــيهود خــــلال فـــترة ما قبل أسفار الأنبياء يعتقدون بالحياة الأخرى وبعث الأمـــوات وحســـابهم وخلودهم في جنة أو نار، غير أن المسيح حدد مكان الذيـــن لا يتـــبعونه هو جهنم .. بينما الذين يتبعونه قال لهم " في بيت أبى مـــنازل كثـــيرة ولو لم يكن الأمر كذلك لقلت لكم فإني ذاهب لأعد لكم مكانا وبعدمـــا أذهب وأعد لكم المكان أعود إليكم وأخذكم إلى لتكونوا حيث أكون أنا .. أنتم تعرفون أين أنا ذاهب وتعرفون الطريق " .

---

(١) أن إصـــرار إنجيل يوحنا وبعض الأناجيل الأخرى علي أن المسيح كان كثير الهرب من اليهود وأنه كان يلجأ لإخفاء نفسه عنهم لا يتفق مع العقيدة المسيحية بأن المسيح إلـــه وأنـــه كان يعلم وقت قتله، فالهرب خوف من مجهول أو من قوة متسلطة عليه وهذا لا يتفق مع كونه إلها كما تذهب العقيدة المسيحية .

*** حلول الآب في الإبن :**

وقد سأله توما " يا سيد لا نعرف أين أنت ذاهب فكيف نعرف الطريق" " فأجابه يسوع أنا هو الطريق والحق و الحياة لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي .. وعندما طلبوا منه أن يريهم الآب قال الذي رآني رأي الآب .. ألا تؤمن أني أنا في الآب وأن الآب في .. وأنا الآب الحال في هو يعمل أعماله هذه " .

ولعل هذه الأقوال تشير إلى عقيدة الحلول .. حيث يحل الله في جسد الإنسان وهي ما اتخذه بعض الصوفية في الإسلام .

*** الوعد بالروح القدس :**

قال عنها المسيح .. وأما الروح القدس فهي المعين (العون) الذي سيرسله الآب بإسمي فإنه (أي الروح القدس) يعلمكم كل شئ و يذكركم بكل ما قلته لكم .

*** المسيح يصلي :**

وعرض الإنجيل لصلاة المسيح قبل القبض عليه، ثم عرض لأحداث القبض عليه ومثوله أمام حنان و قيافا رئيسي الكهنة (١) وقد أشار قيافا علي اليهود بأنه من الأفضل قتل يسوع ليكون عبرة وعظة وفداء للأمة اليهودية التي خلخل المسيح كيانها، وفي تقديرنا أن **ظهور المسيح هو الذي أوقف المد اليهودي بحيث توقف كيان الأمة اليهودية عند عهد المسيح أو بعده بقليل حيث أعتنقت كثير من الأمم الأخرى المسيحية ــ بدلا من أعتناق اليهودية .**

(١) كان حنان رئيسا لكهنة هيكل اليهود من عام ٦/م حتي١٥ م ولكن الرومان عزلوه وعينوا قيافا بديلا عنه وهو زوج إبنة حنان في الفترة ما بين سنتي ١٨م/٣٧م وكان عزل حنان مخالفا لشريعة اليهود حيث يتوجب أن يبقي رئيس الكهنة محتفظا بمنصبه حتى الموت وتقول المصادر التقليدية بأنهما إستغلا منصبهما أسوأ إستغلال.

و قد مرت محاكمة المسيح بالمراحل التالية :

١- مثل المسيح أمام رئيس الكهنة المعزول حنان (راجع إنجيل يوحنا ١٨-١٢-٢٤) وقد حاوره حنان في آرائه التي أعلنها في الهيكل وفي جموع الشعب اليهودي ولكنه وجد أن المسيح يصر علي أنه أرسل من قبل الآب وأنه والآب شئ واحد فأرسله حنان إلى قيافا ـ وهو رئيس الكهنة الرسمي موصيا إياه بإدانته بالتجديف والهرطقة.

٢- وحين مثل المسيح أمام قيافا حاوره أيضا علي النحو الوارد بإنجيل متي في الإصحاح ٢٦-٥٧-٦٨ وعقدت الجلسة ليلا علي درجة بالغة من السرية، ويذهب متي إلى أن المسيح قدم بعد ذلك إلى المجلس الأعلى لليهود ثم دفعوا به إلى الوالي بيلاطس بعد أن أوصوا بصلبه جزاء تجديفه .

ويبدو أن اليهود أضافوا إلى التجديف تهمة أخرى يحاكم مرتكبها بالقتل وهي عصيان الحاكم الروماني لأن المسيح ـ حين دخل الهيكل وقلب الموائد وطرد الباعة منه ـ قيل أنه إحتل الهيكل واعتصم به ـ أعتبر ذلك تمردا علي السكينة العامة للدولة وعصيانا ظاهرا .

٣- وكانت محاكمة المسيح أمام السلطات الرومانية بداية بالولي بيلاطس إلا أن الوالي أرسله إلى هيرودوس (راجع إنجيل لوقا ٢٣-٦-١٢) حاكم الجليل- وطلب منه هيرودوس أن يصنع أمامه معجزة حسبما قيل له .. إلا أن المسيح ظل صامتا أمامه دون أن يفعل شيئا ومن ثم فقد رده هيرودوس مرة أخرى إلى بيلاطس إذ لم يعد يهمه أمره.

٤- مثل أخيراً أمام الحاكم بيلاطس الذي صدق علي قتله ـ طبقا لما ورد بإنجيل لوقا (إصحاح ٢٣-١٣-٢٥) علي أن يكون القتل عن طريق الصلب.

ويؤخذ من إنجيل يوحنا أن اليهود رفضوا دخول قصر بيلاطس والمسيح متواجد فيه خوفا من النجاسة بينما كانوا يتهيئون لإلتهام خروف الفصح ذلك أن الشريعة اليهودية تعتبر اليهودي الذي يدخل دار رجل من الأمم الأخرى عملا نجسا، ومن ثم لا يجوز له أن يشترك في العبادة أو الأعياد.

ويقال إن بيلاطس رفض أول الأمر الحكم علي المسيح بالموت وأجري مع اليهود حواراً و طلب منهم أن يستبدل بعقوبة القتل عقوبة الجلد ولكن اليهود رفضوا ثم طلب منهم أن يطلقه ـ طبقا لعادته في إطلاق أحد المذنبين فرفضوا وطلبوا إطلاق لص آخر يدعي باراباس .

وتناول الإنجيل حادثة الصلب ، و كانت أمه مريم و خالته و مريم المجدلية و يوحنا كاتب الإنجيل يقفون مكان الصلب فقال لأمه .. أيتها المرأة هذا إبنك ثم قال ليوحنا .. أيها التلميذ هذه أمك فأخذها يوحنا إلى بيته وبعد أن طلب ماء أعطوه إسفنجة بها بعض الخل (وهو نوع من الخمر رخيص الثمن يحتسيه الجنود الرومان عند الصلب).

*** دفن المسيح و قيامته :**

عرض الإنجيل لدفن المسيح علي يد يوسف وقيل إنه كان تلميذا للمسيح في غير علانية وفي يوم الأحد توجهت مريم المجدلية إلى قبر يسوع فرأت الحجر قد رفع عن باب القبر فأخبرت بذلك بطرس ويوحنا فذهبا إلى القبر فوجدا أكفانه ملقاة علي الأرض ـ ثم رجعا إلى بيتهما بينما بقيت مريم المجدلية فرأت ملاكين بثياب بيضاء جالسين في مكان الجثمان وحين التفتت إلى الوراء رأت رجلا آخر و حاولت أن تمسك به فنهاها و قال لها إنني لم أصعد بعد إلى الآب .

*** ظهور المسيح لتلاميذه :**

يتـــناول الإنجيل أن المسيح ظهر لتلاميذه وقال لهم إقبلوا الروح القدس وأضاف يوحنا أن المسيح أجري مع التلاميذ آيات كثيرة لم يدونها بكتابه، ثم ظهـــر المســيح ــ كما يحكي الإنجيل ــ لتلاميذه عند شاطئ بحيرة طبرية وطلب منهم إلقاء شباك الصيد ، فصادت سمكاً كثيراً، ثم تنبأ لبطرس قائلا له عندما تصير شيخا فإنك تمد يدك وآخر يربط لك حذاءك ويذهب بك حيث لا تــريد (وهذه نبوءة قيل إنها عن ميتة بطرس الذي قتل مصلوباً ولكن علي وجه مقلوب حيث صلب ورأسه إلى أسفل) .

*** يوحنا لم يذكر حادثة الصعود :**

من الغريب حقاً أن يوحنا لم يذكر حادثة صعود المسيح إلى السماء مع أنه كان تلميذ المسيح المقرب إليه بل أنهي إنجيله بسؤال بطرس للمسيح عن مصـــير يوحنا بعد أن تنبأ له بمصيره هو فقال له المسيح " لو شئت أن يبقي حتى أرجع فما شأنك ؟ فشاع خبر بين التلاميذ أن يوحنا لن يموت ثم أضاف يوحنا في إنجيله السطور الأخيرة التالية :

"هــذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الأمور و قد دونها هنا ونحن نعلم أن شهادته حق وهناك أمور أخرى كثيرة عملها يسوع أظن أنها لو دونت واحدة فواحــدة لما كان العالم كله يسع ما دون من كتب "، وانتهي الإنجيل عند هذا الحد..!!

ومن الغريب أيضا أن تلميذي المسيح اللذين صحباه علي مدي تبشيره بالمسيحية لم يذكرا حادثة الصعود ونعني بهما متي ويوحنا بينما الذي ذكرها هــو مــرقس كما ذكرها لوقا أيضا في إنجيله وهما من غير تلامذة المسيح (راجــع إنجـيل مــرقس الإصــحاح ١٦مــن١٩/٢٠) و إنجـيل لوقــا الإصحاح ٢٤ من ٥٠/٥٣).

التوافق و الاختلاف

بين الأناجيل

*** كلمة تمهيديـــة :**

توافقــت الأناجـيل الأربعــة في العديد من الأحداث بينما اختلفت في أحداث أخري، ولقد صار تقليدا في بعض المصادر المسيحية أن تسرد جدولاً بــالأحداث المــتوافقة فــيها .. غير أن بعض هذه الجداول لم تكن دقيقه في ســردها، لذلــك رأينا أن نبين مدي توافق الأناجيل في الأحداث الكبرى التي نشأت منذ بداية عصر المسيح وحتى نهاية عهده.

وســوف نحاول أن نكون أكثر دقة من هذه المصادر إيمانا منا بأمانة البحــث دون أدنـــي مــيل أو هــوي سواء في إظهار مدي التوافق أو مدي الإختلاف.

ولئــن كانــت الأحداث التي ظهرت خلال عملية التبشير بفكر المسيح عديدة بما تتجاوز المائتين ــ إلا أن بعضها لا أهمية له ومن ثم فقد آثرنا ــ حتى لا نضيع وقت القارئ ــ أن نتناول فحسب الأحداث الكبرى الهامة .

ميلاد السيد المسيح وسلسلة أنسابه

١ـ مــيـــــــلاده

*** إنجيل متــى**

ذكــر ولادة السيد المسيح في الإصحاح الأول علي أساس أن أمه مريم كانــت مخطوبــة ليوسف و قبل أن يجتمعا وجدت حبلي من الروح القدس، فقــرر يوسف أن يتركها سراً ولكن ملاك الرب ظهر له في حلم و طلب منه أن يحضر عروسه مريم إلى بيته فهي حبلي من الروح القدس وأنها ستلد إبناً وتسميه يسوع .

*** إنجيل لوقـــا :**

سجل لوقا في الإصحاح الأول أن الملاك ظهر لمريم (وليس ليوسف فـــي الحلـــم كما جاء بإنجيل متى) و دخل عليها وقال لها سلام .. ها أنت ســـتحبلين وتلديـــن إبناً وتسمينه يسوع الروح القدس تحل عليك وقدرة العلي تظللك والقدوس المولود منك يدعي إبن الله .

والتوافق بين الإنجيلين أن مريم عذراء طاهرة لم تحبل من زنا أو من يوســـف باعتـــباره خطيـــباً أو زوجـــاً لهـــا وإنمـــا حبلت من الروح القدس والإخـــتلاف فـــي موضـــوع الملاك فبينما يذهب متى إلي أن الملاك ظهر ليوسف في حلم فان لوقا يقول إنه ظهر لمريم .

ونظراً لعدم تدوين أي منهما لمصدر هذا المعلومات فإن الإختلاف ظل علي حاله دون أن يتم التوفيق بين الروايتين.

إنجيل مرقس (أول الأناجيل ظهوراً)

لا يذكر شيئا عن ولادة المسيح .

إنجيل يوحنا (ويوحنا أحد تلامذة المسيح)

لا يذكر شيئاً عن ولادة المسيح .

٢ـ نســـب المسيـــح

ســـجله كل من متى (إصحاح ١) و لوقا (إصحاح١) حيث بدأ متى بداود نزولاً إلي يوسف النجار بينما ذكر لوقا في الإصحاح ٣ نسب المسيح بدءاً من يوسف رجل مريم صعوداً حتى آدم .

ويؤخذ من سلسلة الأنساب أن إختلافاً جوهرياً بين الإنجيلين :

*** حيث دون متى نسب المسيح كما يلي :**

أنـــه إبن يوسف بن يعقوب بن متان بن إليعازر بن إليود بن أخيم بن صادوق بن عازور بن إلياقيم بن أبيهود بن زربابل ...

*** ودون لوقا نسب المسيح كما يلي :**

أنه إبن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف بـــن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي بن ماث بن متاثيا بن شـــمعي بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل .. ومن ثم يكون هـــناك إخـــتلاف جوهـــري في نسب السيد المسيح بين الإنجيلين حتى الجد (زربابل) .

*** إنجيـــل مرقـــس :**

لم يذكر شيئاً عن سلسلة أنساب المسيـــــح .

*** إنجيـــل يوحنـــا :**

لم يذكر شيئاً عن سلسلة أنساب المسيح .

٣. هروب العائلة المقدسة إلى مصر

*** إنجيل متـــــى :**

أوردهـــا مـــتى فـــي الإصحاح ٢ حيث قال إن ملاكا من الرب ظهر ليوســـف في حلم و قال له قم واهرب بالصبي وأمه إلى مصر وابق فيها إلي أن آمرك بالرجوع فإن هيرودوس سيبحث عن الصبي ليقتله فقام يوسف في تلـــك اللـــيلة وهرب بالصبي وأمه منطلقا إلى مصر وبقي فيها إلى أن مات هيرودوس ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل " من مصر دعوت إبني " ثم سجل الإنجيل أن ملاك الرب ظهر ليوسف في مصر وطلب منه الرجوع إلى أرض إسرائيل .

*** إنجيل مرقس :**

لـــم تـــرد هـــذه الحادثـــة فـــي الإنجيـــل .

*** إنجيـل لوقـا :**

لـم يتحـدث عـن هـروب العائلـة المقدسـة إلـى مصـر .

*** إنجيـل يوحنـا :**

خلا هذا الإنجيل من أي ذكر لحادثه الهروب إلى مصر .

٤ ـ محاكمة المسيح

إتفقـت الأناجيل الأربعة علي أن المسيح تمت محاكمته أمام بيلاطس الحـاكم الروماني (أنظر متى ٢٧ من ١١/١٤ ، مرقس ١٥ من٢/٥ ، لوقا ٢٣ من١/٥ ، يوحنا ١٨ من ٢٨/٣٨) أما محاكمتة أمام هيرودوس فلم تذكر إلا فـي إنجيل لوقا (إصحاح ٢٣ من٦/١٢) ولم يذكر إنجيل يوحنا محاكمة المسـيح أمـام مجلس اليهود الأعلى بينما ذكرته الأناجيل الأخرى وتوافقت الأناجيل في تسليم المسيح إلى الصلب ورفعه وموته علي الصليب ودفنه في القـبر ولكن إنجيل متى إنفرد بالقول بأن الرومان وضعوا حراسة علي قبر المسيح خوفا من أن ينقله تلاميذه ويدعون قيامته من الأموات (راجع متى – ٢٧من ٦٢/٦٦) حيث دون وفي اليوم التالي أي بعد الإعداد ليوم السبت تقدم رؤسـاء الكهنة والفريسيون معا إلى بيلاطس و قالوا " يا سيد تذكرنا أن ذلك المضـلل قـال وهو حي إني بعد ثلاثة أيام أقوم فأصدر أمرا بحراسة القبر بإحكـام إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه و يسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام مـن بيـن الأموات فيكون التضليل الأخير أسوأ من الأول فأجابهم بيلاطس عـندكم حـراس فاذهبوا واحرسوه كما ترون فذهبوا وأحكموا إغلاق القبر وختموا الحجر وأقاموا حراسا ".

٥- قيامــة المسيــح

إتفقت الأناجيل الأربعة علي قيامة المسيح ولكنها اختلفت في الأحداث كما يلي:

* إنجيــل متى :

قــال : ذهبــت مريم المجدلية و أخرى إلى القبر فإذا زلزال عنيف قد حــدث لإن ملاكــا من عند الرب قد نزل من السماء و جاء فدحرج الحجر وجلــس عليه و كان منظر الملاك كالبرق و لما رأوه الجنود الذين يحرسون القــبر أصابهم الذعر وصاروا كأنهم موتى فطمأن الملاك المرأتين وقال لهما إن يســوع قــد قام وها هو يسبقكم إلى الجليل فانطلقت المرأتان وقد استولي علــيهما الخوف والفرح وإذا بيسوع نفسه قد إلتقاهما وقال لهما سلام فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له .فقال لهما يسوع لا تخافا اذهبا وقولا لإخوتي أن يوافوني إلى الجليل وهناك يرونني (إنجيل متى ٢٨) .

* إنجيــل مرقس :

كــان عــدد النساء اللاتي ذهبن إلى القبر ثلاث وليس اثنتين كما ذكر متى (مريم المجدلية و مريم أم يعقوب و سالومه) وقد وجدن الحجر دحرج مــن علــي القــبر ــ لم يذكر مرقس وجود حراس عليه ــ ذكر مرقس أن النســوة دخلــن القبر فوجدن شابا جالسا يلبس ثوبا أبيض بينما ذكر متى أن زلــزالا عنــيفا وقع لأن الملاك نزل من السماء ودحرج الحجر وجلس عليه فرأوه الجنود وكلم الملاك المرأتين .

أضــاف مرقس أن المسيح ظهر لمريم المجدلية فقط وهذا ما يعني أن الظهور لم يكن وقت رجوعها من القبر لأنها لم ترجع بمفردها بل كان معها أثنــتان أخريــتان ــ ولكــن متى قال إن ظهور المسيح كان للمرأتين وقت عودتهما من القبر .

*** إنجيــل لوقا :**

لــم يذكــر لوقا عدد النساء اللاتي ذهبن للقبر، ومضمون ما أورده أن العــدد أكــثر من ثلاثة (وتبعت يوسف النساء اللواتي خرجن من الجليل مع يسوع فرأين القبر) .. ثم جئن إلى القبر حاملات الحنوط ووجدن أن الحجر قــد دحرج عن القبر .. وإذا رجلان بثياب براقة قد وقفا بجانبهن ــ أي أن لوقــا ذكر ملاكين و ليس ملاكا واحدا كما جاء في الأناجيل الأخرى ــ ولم يذكر لوقا أن المسيح ظهر للنساء عند عودتهن .

فظهــور المسيح للنساء ورد فقط في إنجيل متى وظهور المسيح لمريم المجدلية ورد فقط في إنجيل مرقس وخلا إنجيل لوقا من تلك الأحداث .

*** إنجيــل يوحنا :**

ســجل أن مــريم المجدلية ذهبت بمفردها إلى القبر ــ لم يذكر إنجيل يوحنا أن ملاكين ظهرا لمريم حيث جاء بعدها سمعان ويوحنا ووجدا الحجر قــد دحرج و الأكفان ملقاة علي الأرض – ورجع الرجلان بينما بقيت مريم تبكي فظهر لها الملاكان بعد ذلك و كانا جالسين أحدهما عند الرأس والآخر عــند القدم في موضع الجثمان .. ثم إلتفتت إلى الوراء فوجدت يسوع .. ثم عرفــته حيــن نطق باسمها وحاولت الإمساك به فرفض لأنه لم يصعد إلى السماء بينما قال متى إن مريم والمرأة الأخرى أمسكتا بقدميه وسجدتا له .

القيامة في المصادر المسيحية

تجمــع المصادر المسيحية علي أن قيامة " الرب يسوع " من الأموات هي الحقيقة المحورية لتاريخ المسيحية فعليها تبني الكنيسة وبدونها لن يكون هناك كنيسة للمسيح ــ وأضافت هذه المصادر أنه ليس سوي المسيحية تقول

إن الله صـــار جســـدا ومات بالحقيقة لأجل البشر ثم قام من الأموات في قوة ومجـــد وأن القيامة تؤكد للمسيحيين أن المسيح حي يملك علي ملكوته وأنه لـــيس أسطورة أو خرافة، وأنه رغم ما بين المسيحيين من تفاوت في الآراء والأفكـــار اللاهوتية إلا أن إيمانهم بقيامة المسيح من الأموات هو الذي يوحد بيـــنهم وقالـــت أيضا : إن من يسمع عن القيامة لأول مرة قد يحتاج لبعض الوقـــت قبل أن يتمكن من إستيعاب هذا القصة العجيبة، وأن الأمر يحتاج إلى تسليم إيماني بما حدث (راجع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (١)) .

٦ـ ظهور المسيح للتلاميذ بعد القيامة

***إنجيـــل متي :**

ورد بالإصـــحاح ٢٨ أن المســـيح عليه السلام قد ظهر لمريم المجدلية ومـــريم الأخـــرى بعد أن رجعتا من القبر وقال لهما : سلام فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له ...

وفـــي ظهور آخر للتلاميذ الأحد عشر حيث ذهبوا إلي جبل في منطقة الجليل ظهر لهم المسيح فلما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شَكّوا وكلمهم قائلا رفع إلى كل سلطان في السماء .

*** إنجيـــل مرقس :**

قال .. إنه في اليوم الأول من الأسبوع ظهر لمريم المجدلية .

وفي ظهور آخر أضاف الإنجيل أنه ظهر لتلميذين بهيئة أخري .

وفـــي ظهـــور ثالـــث ظهر للأحد عشر تلميذا حيث كانوا متكئين وقد وبخهـــم علي عدم إيمانهم و قساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين شاهدوه بعد قيامته .

(١) من الغريب أن المسيح نفسه اعتبر أن قيامة الأموات تكون بالروح فقط بينما أوردت الأناجيل أن قيامة المسيح كانت بالجسد

*** إنجيــل لوقا :**

يقــول إنه ظهر لتلميذين أحدهما إسمه كليوباس ولكنهما لم يعرفاه في أول الأمر.

وفــي ظهور آخر للتلاميذ، وكانوا يعتقدون أنه شبح ولكنه أراهم يديه وقدميه وطلب منهم قطعة سمك مشوي فأخذها وأكل أمامهم .

*** إنجيــل يوحنا :**

ظهر لمريم المجدلية عند القبر .. وقد حاولت أن تمسك به فقال لها لا تمسكي بي فإني لم أصعد بعد إلى الآب .

وفــي المســاء كان تلاميذه مجتمعين في بيت أغلقوا أبوابه خوفا من الـيهود و إذ يســوع يحضــر وسطهم ثم أراهم يديه و جنبه، ولم يكن توما موجــودا مع التلاميذ وحين سمع بظهور المسيح تشكك في ذلك، فظهرلتوما أثناء تواجده مع التلاميذ والأبواب مغلقة.

٧ـ الصعــود إلــى السمــاء

ورد الصــعود إلــى الســماء فــي كــل مــن إنجــيلى مــرقس (إصــحاح ١٦- ١٩،٢٠) وفي إنجيل لوقا (الإصحاح ٢٤-٥٠،٥٣) ولم يرد في الإنجيلين الآخرين .

سبق أن ذكرنا أن المسيانية لم تكن عقيدة توراتية أي أن أسفار التوراة الخمســة الأولــي لم تذكر شيئا عنها وإنما وردت المسيانية في أسفار أنبياء إسرائيل.

وقــد ناقشنا عقيدة المسيانية النبوية في الجزء الخاص بالتوراة ومن ثم لا نري حاجة لتكرارها .

وفــي هــذا البحــث نشير إلى موقع العقيدة المسيانية في أسفار أنبياء إســرائيل و نلاحــظ أن العبارات التي وردت بها لم تذكر المسيا علي نحو صريح وبالتإلي لم تذكر المسيح بن مريم.

١- **نبوءة ولادة المسيح في بيت لحم :** جاءت في سفر ميخا حيث قال عــن بيت لحم " منك يخرج لي من يصبح ملكا في إسرائيل و أصله منذ القديم منذ الأزل " (٥-٢) .

٢- **ولادة المســيح مــن العذراء :** في سفر أشعياء- حيث ورد فيه " ها العــذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل (١) وحين يعرف أن يمــيز بين الخير والشر يأكل زبدا وعسلا "، واعتمد البعض علي ما ورد فــي سفر أشعياء ٦/٥٠ ، ١٢/٥٣ علي أن المقصود بالعبارات الواردة بهما هو المسيح حيث احتمل الضرب وعذب مع المجرمين(٢)

---

(١) إســتعمل متــي هــذه العبارة للتدليل علي أن العذراء المقصودة هي مريم أم المســيح بيــنما تذهــب آراء أخري إلى الجمع بين هذه العذراء وامرأة أشعياء وإبــنها شاريشوب ويذهب إتجاه آخر إلى أن المقصودة من العبارة هي فتاة من بيت أحاز لم تكن تزوجت وحبلت وأتت بولد .

(٢) وأيضــا إستندوا في سفر أشعباء إلى العبارات الواردة في ٣-٥-٦-٨-١٠-١١- ١٢ علي أنه مات كذبيحة خطيئة .

٣- **المسيح في المزامير** : إعتقد اليهود و المسيحيون أن بعض المزامير تشير إلى المسيح، كما كانت تشير أيضا إلى أحداث وقعت في زمنها وكانت العقيدة الجوهرية أن يأتي المسيح من نسل داود، وقد فسرت المصـــادر المســـيحية بعض المزاميرعلي أنها تنبؤات صحيحة عن قدوم المسيح وأخذها متي ووضعها في إنجيله تدليلا علي أن المسيح هو المقصود بما ورد في مزامير داود .

ومــن بيـــنها مـــا جاء بالمزمور ٢٢ " جفت نضارتي كقطعة الفخار والتصـــق لســـاني بحـــنكى إلى تراب الأرض تضعني .. أحاط بي الأدنياء جماعـــة مـــن الأشـــرار طوقتني ثقبوا يدي ورجلي وصرت لهزالي أحصى عظامي . يتقاسمون ثيابي فيما بينهم وعلي لباسي يلقون قرعة " .

وهـــي عـــبارات قالـــت عنها المصادر المسيحية إنها تشير إلى معاناة المسيح علي الصليب . كما ورد بمزمور داود السادس عشر .

" **لذلك** فرح قلبي و تهلل لساني حتى أن جسدي سيرقد علي رجاء لأنك لن تترك نفسي في هوة الأموات و لن تدع وحيدك القدوس ينال منه الفساد".

وهــذه العـــبارات اتخذت دليلا علي صدق قيامة المسيح من الأموات. ولعل أخطر المزامير التي مازالت موضع مناقشة وتحليل ولم ينته فيها رأي محـــدد فـــيما عدا المصادر المسيحية التي أشارت إليها باعتبارها تدلل علي صحة ربوبية المسيح، نقول لعل أخطر هذه المزامير هو المزمور رقم ١١٠ لـــداود حيـــث ورد فـــيه " قال الرب لربي .. إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك يجعل الرب صهيون منطلقا لسلطانك ويقول أحكم في وســـط أعدائك في يوم محاربة أعدائك يتطوع شعبك يجئ شبابك إلى التلال المقدسة كالندى في قلب الفجر .. أقسم الرب ولن يتراجع . أنت كاهن إلـــى

الأبد علي رتبة ملكيصادق (١) الرب واقف عن يمينك في يوم غضبه يحطم ملوكا يقضي بين الأمم فيملأ الأرض الرحبة بجثث رؤسائها يشرب الملك من النهر المجاور للطريق لذلك يشمخ برأسه منتصرا " .

وهذا المزمور هو الذي دفع بعض كتاب الأناجيل إلى القول بأن المسيح صعد وجلس علي يمين الله أي يمين الآب ثم إتحدا فصارا واحداً، وهو الذي دفع المسيح إلى أن ينكر نسبه إلى داود مستندا إلى أنه إبن الله الذي يجلس علي يمين أبيه فكيف يكون إبن داود و هو أقل شأنا من الله (راجع ما سبق أن أوردناه في هذا الشأن) .

وفي المزمور الحادي والأربعين جاء " جميع مبغضي يتهامسون علي ويتآمرون علي إيذائي قائلين قد إعتراه داء عضال و لن يقوم من فراشه أبدا حتى صديقي الملازم لي الذي وثقت به الآكل من طعامي قد انقلب علي ورفع علي عقبه "

وقد اتخذ بعض كتاب الأناجيل هذه العبارات دليلا علي أن الناس أبغضت المسيح وتآمروا عليه وأن يهوذا الإسخربوطي أحد تابعيه قد خانه وسلمه لليهود .

---

(١) ملكيصادق هو شخصية (قد تكون وهمية) قيل إنه ظهر في حياه إبراهيم عليه السلام مرة واحدة ويسمي ملك السلام وهو شخصية محورية في العهد القديم كان يعبد الله و يمتنع عن عبادة الأوثان ــ لم يكن يهوديا ولكنه اتصل باليهود ويعتبر كاهن توراتي ــ أي أن التوارة هي التي أشارت إليه، ويعتقد أنه كاهن وملك لأرض تسمي ملك ساليم .

تكلمنا عن النبوءات التي تضمنتها بعض أسفار أنبياء إسرائيل، ونحن نقول أنبياء تجاوزا .. فلم يكن لأحد منهم رسالة، ولم يوح إليه ... بل إن بعض هؤلاء لا يصدق عليهم كلمة نبي ـ وطبقا للأصول اليهودية والمسيحية ـ بأن داود لا يعتبر نبيا و لا رسولا وإنما هو ملك وحاكم، **كما أن الأسفار لا يعرف كاتبها علي وجه اليقين** فضلاً عن أن العقيدة اليهودية ترفض بعض هذه الأسفار التي تضمنها كتاب العهد القديم المتداول بين أيدي المسيحيين .

وفي السطور التالية نعرض لنبوءة توراتية أي أنها وردت في التوراة ذاتها وبالتحديد في سفر التثنية الإصحاح ١٨ ، وفحواها أن نبيا من بني إسرائيل سوف يأتي بعد موسى .

يقول سفر التثنية (إصحاح ١٨ من ١٥-٢٢) علي لسان موسى " سيقيم الرب فيكم نبيا مثلي من بنى إسرائيل له تسمعون فقال لي الرب أقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك وأضع كلامي في فمه فيخاطبهم بكل ما آمره به وأما النبي الذي يتجبر فينطق بإسمي بما لم آمره أن يتكلم به أو يتنبأ بإسم آلهة أخري فإنه حتما يموت "

ولقد اتجهت آراء عديدة في شأن تحديد من هو النبي، وأغلب الآراء التي قيلت من مصادر مسيحية و إسلامية و بعضها تذهب إلى أن النبي هو المسيح عليه السلام لكن هناك ثمة فارق بين هذه المصادر ـ لأن عقيدة الكنيسة إتخذت من إستخدام إستفانوس لهذه الآية كتأييد لكون المسيح هو إبن الله أما المصادر الإسلامية فتذهب إلى أن المقصود بما ورد في سفر التثنيه هو النبي وليس الإله أو إبن الإله، ولم يأت بعد موسى سوي المسيح فيكون هو النبي المقصود .

بيــنما ذهبــت المصادر اليهودية بأن " يسوع " ليس نبيا مكلفا من قبل "يهــوه " آلــه الــيهود، وإنما هو يهودي مدع نسب نفسه إلى يهوه " كإبن ثم إستطال عليه فاعتبر نفسه أنه " يهوه " ذاته ، ومن ثم فقد صدقت عليه كلمة التوارة :

" **أمــا** النبي الذي يتجبر فينطق بإسمي بما لم آمره أن يتكلم به أو يتنبأ بإسم آلهة أخرى فإنه حتما يموت "

وتؤكــد المصــادر الإسلامية نبوة المسيح عليه السلام وقد أطلق عليه القرآن الكريم مسمي " عيسى بن مريم " ونسب إليه معجزات عديدة تجاوزت ما ورد بالأناجيل الأربعة، ولكنه لا يجيز إطلاقاً أن يكون المسيح إلها أو إبن إلــه وقد وردت في القرآن آيات قاطعة تشير إلي أن العقائد التي تجعله إلها أو إبن إله عقائد كفر بالله وسوف نفصل ذلك في مجال أخر .. كما أن القرآن وضــع أم المسيح ــ مريم ــ في مصاف أطهر النساء وأنقاها وأكد عذريتها عــند حملها بالمسيح وأن المسيح كلمة من الله و روح منه، وأن ذلك لا يعني أنــه جزء من الله أو أنه الله ذاته لأن المسيح مخلوق بقوة الكلمة أو قوة النفخ في الروح تماما كآدم وحواء بل إن آدم وحواء وجدا بطريق الخلق المباشر ســواء بقدرة كلمة كن فيكون أو النفخ في الروح دون أب ويبدو من الصورة التي خلق بها المسيح ــ في فكر الإسلام أو في فكر المسيحيين (مع الإشارة إلــي أنهم لا يعتبرونه مخلوقاً) أن السيدة مريم لم تكن إلا رحما حاملا للسيد المسيح أي أنها أم **بالحمل في الرحم فقط وليست أما بالتلقيح البشري فليس من المقبول أن يقال أن بويضة مريم قد لقحت بالروح القدس.**

لـــم تـــتفق الأناجـــيل تماما في بيان معجزات المسيح عليه السلام فقد ذكـــرت معجـــزات في بعضها دون البعض الآخر وفيما يلي نسجل مواضع الإتفاق والإختلاف :

١ـ إشباع الخمسة آلاف (سبق أن أشرنا إليها)

ذكرت في أناجيل متي ومرقس ولوقا ويوحنا .

٢ـ طرد الشياطين من أشخاص إلي خنازير

ذكرت في أناجيل متي ومرقس ولوقا ولم تذكر في إنجيل يوحنا

٣ـ إحياء إبنة بايرس

ذكرت في أناجيل متي ومرقس ولوقا ولم تذكر في إنجيل يوحنا

٤ـ شفاء نازفة الدم

ذكرت في أناجيل متي ومرقس ولوقا دون إنجيل يوحنا .

٥ـ شفاء المشلول

ذكرت في أناجيل متي ومرقس ولوقا دون إنجيل يوحنا

٦ـ يسوع يمشي علي الماء

ذكرت في أناجيل متي ومرقس ويوحنا دون إنجيل لوقا .

٧ـ شفاء رجل أخرس به شيطان

ذكرت في إنجيلي متي ولوقا فقط .

٨ـ شفاء أعميين

ذكرت في إنجيل متي فقط .

٩ـ شفاء أعمي في بيت صيدا .

ذكرت في إنجيل مرقس فقط .

١٠ــ إقامة إبن أرملة نايين من الموت

ذكرت في إنجيل لوقا فقط .

١١ــ تحويل الماء إلي خمر .

ذكرت في إنجيل يوحنا فقط .

أما المعجزات التالية فقد ذكرت في إنجيل يوحنا فقط : شفاء إبن رجل حاشية الملك، شفاء مشلول بيت حسدا، شفاء أعمي منذ ولادته، إحياء إلعازر من الأموات، معجزات صيد السمك الكثير.

لا تحمـــل الأناجيل ثمة شرائع وضعها المسيح لأتباعه سواء كانت هذه الشرائع من العبادات أو من المعاملات، فلم يكن المسيح مشرعا، بل قال إنه لن ينقض ناموس شريعة موسى ويكاد محور الشريعة المسيحية ينحصر في مســألة الطـــلاق والـــزواج مـــن مطلقـــة، والنهـــي عن الحلف والقسم بالله ورفـــض الإنـــتقام مـــن الأعـــداء والدعوة إلى محبتهم وعدم الإهتمام بيوم الســبت أو بالخـــتان ورأيـــه فـــي الأغنـــياء، والذيـــن لـــن يدخلـــوا ملكـــوت الله إلا إذا تخيلـــنا أن الجمـــل يدخـــل فـــي ثقـــب إبـــرة، كمـــا تكلم المسيح عن الصدقة والصلاة والصوم ومحبته للصغار، غير أنه لم يطـــبق الحد علي المرأة الزانية، وكانت حياة العزوبية في نظرة أنقي وأطهر من حياة الزواج .

وتـــناول المســيح العلاقـــة بيـــن الحـــاكم و المحكوميـــن، منتهـــيا إلـــى وجـــوب خضـــوع أفـــراد الشـــعب إلـــى مطالـــب الحـــاكم، وهـــي علاقـــة دنـــيوية منبـــتة الصـــلة عـــن علاقـــة الإنســـان بـــربه، وهـــذا مـــا يعنـــي أن الســـيد المســـيح يفصـــل بيـــن الحكومـــة المدنـــية وبيـــن العلاقـــة الدينـــية للشعب .. وهو ما فسر علي أن المسيح لا يجيز أن تكون الحكومة دينية .

كـــان المسيح يضرب الأمثال لتلاميذه فتناول الأمثال التي تؤكد ملكوت الله حيـــن تحـــدث عن مثل الزارع والقمح والزوان وحبة الخردل والخميرة والكـــنز واللؤلـــؤة وشبكة الصيد ــ غير أن هذه الأمثال لم تذكر في إنجيل يوحنا وانفرد متي ببعضها بينما ذكر مرقس ولوقا مثلي الزارع وحبة الخردل أما متى فقد ذكرها جميعا تقريبا .

ولـــم تقــف أمثال السيد المسيح علي التأكيد علي ملكوت الله بل تناول أمـــثالا عديـــدة مثل السامري (لوقا فقط) ووليمة العرس (لوقا) وأمثال الغنـــي الغبـــي والوليمة والعشاء والوكيل الخائن (ذكرها لوقا) وأمثال عن الدينونة والتواضع .

ظهــر المسيح بين جموع الشعب اليهودي، في الوقت الذي اكتملت فيه عقــيدة اليهود الدينية واكتملت شرائعهم وطقوسهم .. كانوا يؤمنون بإله واحد قــادر خــلاق ولكنه إله خاص بهم دون سائر الأمم ..لدرجة أنه ــ كما ورد بالتوراة ــ اتخذ له مسكنا بينهم في قدس الأقداس بالهيكل الذي بني خصيصا له.

ولــم يكــن للــيهود ثمة مشاكل دينية جوهرية غامضة عليهم، وكان الإخــتلاف بيــن طوائفهــم لا يعدو أن يكون إختلافا في التفاسير والشروح لنصوص التوراة أو أسفار الأنبياء .

وكانــت المشــكلة الجذرية التي تواجه الشعب اليهودي هي التجمع في أرض المــيعاد طلقــاء أحــرارا ليقيموا نصوص التوراة و يعبدوا الله علي شــاكلتهم ومن ثم كانت آمالهم تنعقد علي ظهور مسيح يخلصهم من عبودية الأمــم الأخــرى ويجمــع شــملهم ويقيم مملكتهم الدنيوية ــ مملكة إسرائيل الكبرى، وهو ما عرف بالعقيدة المسيانية التي ابتدعها بعض أنبيائهم ليفتحوا أبــواب الأمل والرجاء لليهود في أن الله لن يتخلى عنهم بل .. سيرسل إليهم المسيا المخلص الذي ينتصر لهم علي كافة الشعوب الأخرى .

ووقــع الــيهود ــ إبان ظهور المسيح ــ تحت الحكم الروماني ــ ولم يكن في مقدورهم التحرر من سطوة الرومان، فباتوا يحلمون بظهور المسيح المخلــص، غــير أن تعالــيم التوراة .. لم تكن قادرة علي تهذيب أخلاقهم، فأصــبحت المــادة هي غذاءهم الروحي والجسدي بدلا من تعاليم التوراة .. ومــن أجلهــا ظهرت فئات العشارين جباة الضرائب الذين فسدت ضمائرهم وفئات كتاب الشريعة من الفريسيين الذين يفسرون أحكامهما طبقا لمصالحهم

الذاتية وفئات المنافقين للحكام و المخادعين و المرابين حتى أن كهنتهم الذين تقلدوا أرفع الرتب الدينية صاروا من المتنطعين الفاسدين .

فـــي هذا الجو المريب .. ولد المسيح .. من أم يهودية ونسب إلى أب يهودى، وكان أبوه الروحي (يوسف النجار) رقيق الحال فعاش المسيح في كـــنف أسرة ضيقة الدخل لا تكاد تفي بالحاجات الضرورية للحياة .. وحتى ســـن الثانية عشرة كما تشير الأناجيل .. لم يكن أحد يشعر بمريم أو إبنها .. فقـــد كان الجميع يعتقدون أنه ولد ليوسف النجار، فهو واحد من الألآف الذين يولـــدون كل يوم . لكن المسيح لم يكن راغبا في الإنطواء تحت كنف الأسرة والعمـــل الشـــاق لأبـــيه (الروحي) .. كان الله قد أعده لمهام أخرى تفوق العمل اليدوي وكانت الأقدار ترسم له خططا بالغة التعقيد والخطورة نعم كان الله يعده لإحداث ثورة في الفكر اليهودي، ثورة تؤدي إلى وقف المد اليهودي ديانة وشعبا – حتى نهاية الزمان .

كـــان المسيح يتردد دائما علي مجامع اليهود ويسمع لخطبهم وندواتهم ومحـــاوراتهم، وقـــرأ المزامير قراءة جيدة وتزود منها بفيض من الحب لله والإيمان به والتقرب إليه .. ورفض العنف والرياء والنفاق .. وقيل إنه إنضم لجماعـــة متبـــتلة كانت تعيش في مغارات وادي قمران وتحافظ علي قدسية الـــتوراة – وتعـــبد الله علـــي شاكلتها و كانت هذه – الشاكلة – هي التعفف والـــزهد والتقشـــف والبعد عن النساء وقد بلغ الأمر بهم إلى أن أصبحوا من المتصـــوفين اللاهوتيين .. إلا أنهم لم يصلوا إلى حالة الشعور بفقدان ذواتهم شـــفافية وعلوا، أو الإدعاء بحلول الله في أجسادهم – وقيل إن المسيح تزود مـــنهم بالتبتل والنقاء وسمو النفس وشفافيتها حتى أصبحت العلاقة بينه وبين الله كعلاقة الإبن بأبيه .. ومن ثم رفض المسيح عائلته الأرضية إذ لم تحدثنا الأناجـــيل عن أية مقابلة تمت بين المسيح وأبيه الأرضي ، بل رفض مقابلة أمه وإخوته ولم يكن للسيدة مريم أي دور في حياته سوي دور التربية الأولى

– ولم تكن تحضر دروسه لتلاميذه ، و كل ما طلبته منه – حين كانا مدعوان فــي حفلــة عرس – أن يحول الماء خمرا – حتى يسكر المدعوون بعد أن نفــذت الخمر في العرس وفي هذا الحفل وصفها بـــ (امرأة) ولم يصفها بــالأم .. رغــم ذلــك إستجاب لمطلبها وحول الماء خمرا ..غير أن بعض الأناجيل قالت إنها حضرت حادث صلبه .

إنخرط المسيح في العبادة طبقا للطِقوس اليهودية .. فهو يهودي الأصل ..لــم يــتخل يومــا عن التمسك بشرائع التوراة وما ورد في أسفار الأنبياء وكـــان يــتلو الآية وكأنه يحفظها تمام الحفظ .. ولم يتمثل خروجه عن هذه الشــرائع إلا فــي مســألة الطلاق .. إيماناً منه بأن الزواج هو قدر من الله، ولأنـــه يمجد الله – فلا يجوز لأحد أن يعارض قدر الله وحكمه، وهذا الحكم هـــو امـــتداد لطبـــيعة المسيح في التصاقه بالله الذي وصفه بوصف شعوري مـــتدفق الحرارة بكلمة الآب ونسب إليه نفسه كإبن خاضع لإرادته .. لإن ما يفعلـــه المســـيح . لـــيس عن إرادة له بل عن إرادة لأبيه السماوى ولم يكن وصفه بالآب مقصودا علي ذات نفسه ... بل إمتد هذا الوصف إلى المؤمنين بالله فهو الآب السماوي لهم .. أي هو الآب السماوي لكل المخلوقات .

ولــم يقل المسيح كلمة واحدة تشير إلى أنه هو الله .. ولو أنه قالها .. لـــرجمه اليهود في الحال و لكنه حين كان يصف الله بالآب .. كان في ذلك شـــيئا مـــن الغمـــوض .. الذي يحتاج إلى شرح وتفسير، وهكذا فقد تعرض لمحـــاورات في شأن هذا الوصف حتى مع تلاميذه .. من هو آبوك .. كانت إجاباتـــه لا تقـــل غموضـــا عـــن إشاراته ومن ثم ظل فكر المسيح مرتبطا باليهودية و يقوم علي مجرد تذكير الشعب اليهودي بقرب حلول مملكة الله أو مملكة السماوات – كما كان يوحنا يبشر بذلك .

ولكنه حينما أطلق عليه أحد تلاميذه وصف المسيح (أو مسيا اليهود) وافق علي ذلك وأعلن صحة الوصف، غير أنه قدر أن مسيح اليهود يجب أن

يظهر في آخر الزمان ليعلن نهاية عهد الشيطان وانتصار إسرائيل وإحتلالها لأرض الميعاد أي لإقامة دولة دينية علي الأرض .. لم يكن للمسيح هذه الإمكانات الجسيمة ولم تكن توافق طبيعته الذائبة في حب الله .. فهو لم يأت لإقامة ملكوت أرضي .. لأن رسالته ليست علي الأرض .. بل رسالته تنبع من الله من أجل المعذبين و المطحونين والمارقين والخطاة ، إنه يريد لهم أن يدخلوا ملكوت السماوات وهو التعبير - المساوي - لتعبير الجنة في الإسلام - إذ يحيا الإنسان في ملكوت السماوات حياة أبدية بعيدا عن جهنم وهي مأوي الظالمين والطغاة .. حين كان المسيح يكرز بأفكاره الجديدة .. كان الفريسيون (كتاب الشريعة اليهودية) وكهنة المعابد اليهودية يستمعون إليه في كراهية وبغض وإنكار لأفكاره .. لأن هذه الأفكار تؤدي إلى زلزلة الإيمان التوحيدي لدى اليهود وإلى خلخلة نظام الطقوس عندهم .. إذ حمل المسيح حملة شعواء علي الكهنة، ومن ثم رأوا فيه خطرا علي مناصبهم الكهنوتية فقاموا بحملة ضده، حاولوا رجمه أكثر من مرة فكان يهرب منهم، وحين تحداهم في بناء المعبد بعد هدمه خلال ثلاثة أيام أعلنوا تجديفه وهرطقته .. ثم ازداد الأمر خطورة حين وصفه تلاميذه بالمسيا ولم يجد اليهود فيه أية دلائل تؤيد زعم تلاميذه .. ولم تكن الهرطقة بالدين اليهودي سببا للحكم بإعدام شخص ما أمام الحاكم الروماني ولذلك فقد ذهب بعض علماء الأديان إلى أن المسيح لم يحاكم بسبب هرطقته وخروجه عن شعائر اليهود بل حوكم بسبب تمرده وعصيانه علي الحكم الروماني حينما احتل الهيكل وطرد منه الباعة والصيارفة والعشارين واعتصم به ثلاثة أيام فاعتبر هذا تمردا علي السكينة العامة للدولة الرومانية وتحديا لأوامر الحاكم الذي فتح المعابد لليهود ليؤدوا شعائرهم فيها ومن ثم حوكم بجريمة التمرد وليس بجريمة الهرطقة .

(راجع Karen Armstrong & Mohammed)

(راجع A Biography of the Prophet)

وهكــذا ظلت دعوة المسيح عليه السلام بقدر ما فيها من البساطة بقدر ما فيها من الغموض حتى علي الذين يحيطون به .. إلا أنه بعد إنتهاء عصر المسيح .. بدأ عصر التدوين ، أي تدوين الأناجيل فكتب يوحنا مرقس إنجيله مــتأثرا فيه بأفكار بولس (١) الذي رافقه في رحلته التبشيرية فيما بَين عامي ٦٠ –٧٠ م، ثم كتب كل من متي ولوقا وتأثرا بإنجيل مرقس ما عدا واحدة وثلاثين آية وكان مرقس أول من دون علي لسان المسيح عبارة " أبوكم الذي فــي الســموات "وحين سئل المسيح عن أفضل وصية قال " الرب إلهنا رب واحــد فأحــب الرب إلهك بكل قلبك و بكل نفسك وبكل فكرك وبكل قوتك " ولكــنه أعلن مجيئه مرة ثانية " وعندئذ سوف يبصرون إبن الإنسان آتيا في الســحب بقــدرة عظــيمة ومجد فيرسل عندئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الجهــات الأربــع مــن أقصــى الأرض إلى أقصى السماء " ورغم أن هذه العــبارات تشــير إلى كونه إلها...إلا أنه أبرز الإنفصال بينه وبين الله حين ســئل عن وقت مجيئه فقال " وأما ذلك اليوم و تلك الساعة فلا يعرفهما أحد لا الملائكــة الذين في السماء ولا الإبن إلا الآب " وتقول المصادر المسيحية تفســيرا لذلك أن المسيح تخلي عن المعرفة بإعتباره إلها في الوقت الذي كان فــيه إنسانا يمشي بين الناس ، غير أن ذلك قول لا يستقيم مع صراحة أقوال المسيح.

وهكــذا اختلطت النصوص المسجلة علي لسان السيد المسيح فلم تقدم للشــعب الــيهودى ثمة يقين بمبادئه ورسالته وكينونته، أو هكذا بدت لطبقة الكهنة من اليهود.. فهو جاء ليموت علي الصليب، ولو أنه أبرز ذاته كإنسان لما أثار جدلا .. خاصة أنه لم يعلن لأحد منذ البداية أن أمه حملت به وهــى

---

(١) وقيل إنه إستقى معلوماته من بطرس

عــذراء علــى النحو الوارد بالأناجيل .. بل كان يتنقل مع عائلته من مكان لآخــر .. فمــا شأن اليهود حين يتوقع أي شخص أو يتنبأ بموته و لكنه أثار الــيهود حين كان يلقي عليهم إشارت غامضة مثل .. إبن الإنسان - إبن الله .. الأب السماوي .. الموت بالصلب .. الفداء من أجل تخليص البشرية من خطاياهــا .. إبن الإنسان سوف يعود .. إنني كائن من قبل أن يكون إبراهيم .. إن مشيئة إبى هي كل من يرى الإبن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية .. سأقيمه أنا في اليوم الأخر .. أنا النور .. أنا الحق .. أنا الطريق أنا الخبز .. إذا لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم في داخلكم .. وحين إختلطــت الــرؤى لدي الأتباع وجمهور الشعب سألوه .. أين أبوك فأجاب أيضــا في غموض أنتم لا تعرفونني ولا تعرفون أبى ولو عرفتموني لعرفتم أبى أيضا.

ويقول شارل جينيبير أستاذ ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس (وهــو مسيحي كاثوليكي) " لقد إضطر المؤمنون به إلى القول بأن الأتباع الأول لم يفهموا حديثه كل الفهم وأنه هو قد أبهم لهم الحديث وجعله رموزا ".

ويذهــب المؤلف أيضا إلى أن محاكمة المسيح و صلبه - كما ورد في التقلــيد المســيحي - لم يكن بسبب تجديفه أو هرطقته بل حفاظا علي النظام العــام واســتقرار الدولة (راجع المسيحية نشأتها وتطورها للمؤلف شارل جينيبير).

ولقد حاول بعض علماء الأديان التشكيك في قيامة المسيح فقالوا .. إنه لا يوجــد دليل عليها سوى شهادة بعض النسوة أو بعض التلاميذ ولقد ذهبت المصــادر المســيحية إلــى ضرورة أن يؤمن المسيحي بالقيامة لأنها حجر الزاوية في الديانة وبغير إيمان مطلق وتسليم بصحتها فلا تكون للمسيحية أية معنــي، بمــا مفاده أن الأمر لا يجوز أن يخضع لمنطق العلم .. بل للتسليم بالقدرة غير أن ثمة تناقضاً بين ما ذكره المسيح من أن قيامة الأموات تكون

بالــروح بيــنما تقــر الأناجيل أن المسيح قام بجسده بما يشير إلى أن قيامة المسيح تختلف عن قيامة الأموات يوم البعث.

ويــرجع الفضــل فــي انتشار المسيحية وفي وضع صياغتها الدينية الجديــدة إلى القديس بولس الذي ولد من عائلة يهودية بمدينة طرسوس حيث ازدهرت فيها المدارس اليونانية وقد درس بولس الفلسفة دراسة مستفيضة(١) وكان علي عداء بالمسيح إلا أنه تعرض لحادث رأي فيه المسيح يعاتبه علي عدائه ويختصه بان يكون المبشر بالمسيحية .

ولقــد حــدد بولس أهدافه تماما ..فقد انتقل بالفكر المسيحي من مجرد كلمــات تصــاغ علي لسان السيد المسيح إلى ديانة ذات بعد لاهوتي يختلف تماما عن طبيعة اللاهوت اليهودي .

ولقــد اســتطاع بولــس أن يؤثــر تأثيرا خارقا علي تلاميذ المسيح وأن يغــرس فــي عقــائدهم فكــرة التكفير عن الخطايا عن طريق التعذيب والصــلب وفكرة القيامة كأساس لمجد المسيح . لقد كان يردد أن المسيح قد صــلب من أجل خطايا البشر .. وأن المسيح هو إبن الله المتجسد ولكن الإبن ليس ذاتا منفصلة عن الآب بل هما ذات واحدة وأن الروح القدس أقنوم ثالث يضــاف إلى الأقنومين السابقين (الإبن والآب) وأن الجميع ذات واحدة بلا انفصــال .. إســتطاع بولس أن يخرج من مشكلة تعدد الآلهة أو كون الإبن مخلوق حادث (أي ليس أزلي) بصياغة الأقانيم الثلاثة في واحد، لا انفصال بين أقنوم وآخر – بينما ذهبت مصادر مسيحية إلى القول بأن الإبن إنفصل عن الأب لحظة الصلب (راجع ما سبق أن أوردناه في هذا الشأن) للخروج من مشكلة صلب الله وقتله بيد إنسان من البشر، إذ كان اليهود يقدسون إلههم أشد التقديس فكان يتعين أن يكون الصلب للإبن وليس للأب الإله .. رغم

---

(١) فــي مذهــب آخــر أن بولــس نشــأ بالقدس ودرس بمدرسة يهودية (راجع أعمال الرسل) ولكن الأغلب أنه يهودي يوناني يحمل لقب "مواطن روماني " .

أنهما واحد لكن الإنفصال قد تم لحظة الصلب.

ولقد تأثر كتاب الأناجيل بفكر بولس، وكان أولهم مرقس الصديق الحميم لبولس ثم تبعه متي الذي أجهد نفسه لبيان المواضع في أسفار الأنبياء التي تتحدث عن قدوم المسيح ليطبقها عليه إيمانا منه بأن يسوع هو المسيح المخلص الذي أرسل من قبل الآب ليتمحور في ناسوت بشري ويصلب ويراق دمه من أجل غفران خطايا البشر .

ولقد كان أكثر الناس تأثرا بفكر بولس هو كاتب إنجيل يوحنا ونحن نستبعد أن يكون كاتبه هو يوحنا إبن زبدي الصياد لأن الإنجيل يبرز مدي ثقافة كاتبه وضلوعه في المنهج الفلسفي و يؤكد ذلك استعارته لكلمات فيلون السكندري حين قال في بداية الإنجيل " في الأصل كان الكلمة .. (لاجوس) .." أي أن المسيح هو ذاته الكلمة - أو الإله الأبدي .

وبذلك اتضحت معالم الفكر البولسي المسيحي، وقد بشر بفكره في أنحاء متفرقة من العالم وكان هو أهم شخصية في التاريخ المسيحي وهو المنشئ الحقيقي للكنيسة .

وتكاد تجمع المصادر المسيحية - إنبثاقا من فكر بولس علي شرح عقيدة الثالوث علي ما يلي (نورد النص الحرفي الوارد بمرجع كتاب الحياة المسيحي - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس)

تقول هذه المصادر في شأن عقيدة الثالوث

" إن تعليم الثالوث معناه أن الله ثلاثة أقانيم (١) ولكنه واحد في الجوهر والأقانيم الثلاثة موجودون وعاملون .. فالله الآب يتكلم والله الإبن يعتمد ونزل الله الروح القدس علي يسوع فالله واحد ولكنه في نفس الوقت ثلاثة

(١) كلمة أقنوم كلمة غامضة ليس لها مدلول محدد وتذهب بعض أراء علماء المسيحيين أن المرحلة الوحيدة التي انفصل فيها الأب عن الإبن هي مرحلة الصلب (سبقت الإشارة إليها) .

أقانيم وهذا أحد أسرار الله التي لا تدرك "

وتعـــتمد المصادر المسيحية علي إنجيل متى في اعتبار أن المسيح هو إبن الله حيث أشار متى إلى ذلك في إنجيله (١٦-١٥) كما تعتمد علي إنجيل يوحنا في اعتبار المسيح هو الله الذي صار بشرا(يوحنا ١-١،٢-١٤، ٢٠-٢٨).

وتقـــول المصـــادر اليهودية والإسلامية أن هذه العقيدة التي افترضها بولـــس وكـــتاب الأناجـــيل وفرضوها علي المسيحيين في العالم هي عقيدة غامضـــة بدلـــيل أن الكتاب اللاهوتيين المسيحيين - حين يتحدثون عنها .. يطلـــبون من أتباعهم الإيمان بها بالقلب والوجدان وليس علي أساس العقل أو المـــنطق لأنها تعتبر كما يقولون دائما لأتباعهم " إنها أحد أسرار الله التي لا تـــدرك " وبهذا التعبير يطلبون من أتباعهم البعد عن المناقشة أو الحوار في السر الإلهي الذي لا يدرك .

ولعـــل الفضل في إنتشار المسيحية و في فلسفة عقائدها اللاهوتية التي وضـــعت حلـــولا للأحداث التي مرت بالمسيح ومنها حادثة الصلب بعد حياة تبشـــيرية للمســـيح لـــم تتعد ثلاث سنوات علي أكثر تقدير هو للقديس بولس ويؤكـــد ذلك أن مجموع كلمات المسيح خلال حياته لا تزيد عن خمس آلاف كلمة تكتب في عشرين صفحة من الحجم المتوسط ، غير أن بولس جعل من هـــذه الكلمات بداية انطلق منها عارضا لأفكاره وعقيدته إلى أقوام لم يعيشوا عصر المسيح ولم يروه.

لـــم تكن حركة المسيح هي الأخيرة التي أعلن فيها يهودي أنه المسيح المنـــتظر فقـــد ادعي يهودي يدعي سيرنيوس sernuis أنه المسيح المنتظر وتنـــبأ بعـــودة فلســـطين إلـــى بنـــي إسرائيل وحلل الأطعمة التي حرمتها الـــتوراة وأجـــاز الـــزواج دون عقـــد مكتوب وحلل المحرمات التي وردت بالـــتلمود، وأعلـــن أن المســـيح بن مريم لا تنطبق عليه شروط التوراة، وقد ذاعـــت شـــهرته فـــي أسبانيا حتى أن يهود أسبانيا تنازلوا له عن ممتلكاتهم واعتـــبروا أنفســـهم جندا له، وكان ذلك خلال حكم الخليفة المسلم يزيد الثاني وحيـــن علم بأمره قبض عليه وسلمه لليهود ثم شكلت لمحاكمته محكمة تضم قضاة من اليهود والمسلمين فحكموا بإعدامه (١) .

ثم ظهر يهودي آخر في المركز اليهودي باصفهان وادعي إنه المسيح و أطلق علي نفسه إسم إبن عيس (أو يسوع) و أعلن أن فلسطين يجب أن تعـــود للـــيهود بـــالقوة و الدم ووصل عدد مؤيديه إلى أكثر من عشرة آلاف يهـــودي وبدأت تحركاته العسكرية ضد الخليفة المنصور، وفي موقعة الري هزمه المنصور وقتله (٢) .

وفـــي عهـــد الـــرومان ظهر يهودي آخر يدعي باركوشيا و أعلن في فلسطين أنه المسيح المبشر به و من نسل داود و طلب من أهلها الثورة علي

---

(١) جرايزل هنريسن – تاريخ اليهود Grazel .Ahistory of the Jeuis
Jewish Arabic studies - The Jewish Quarterly Teview
(٢) أنظر أيضا Albert .M. Hymason "Messiahs"
Encyclopaedia of religion and Ethics
وأنظر أيضا Mohammed and the Jeuis
A new Examinaion - by barakat Ahmed

حكم الرومان فاستجاب اليهود له بأعداد ضخمة وأهمله المسيحيون، وكان ذلك في عهد الإمبراطور هارديان حيث أرسل جيشا إلى فلسطين لإخماد الثورة وحدثت مجزرة رهيبة ذبح الرومان فيها اليهود رجالا ونساء و أطفالا وشبابا وشيوخا وأحرقوا مدينة أورشليم وبنوا محلها مستعمرة رومانية .

ولازال اليهود ينتظرون مسيحهم المخلص حيث طال بهم انتظاره و لازال المسيحيون ينتظرون المجيء الثاني للمسيح (يسوع بن مريم) ليقيم ملكوت السموات .

ونظرا لأن بولس جاء بأفكار تطويرية لعقيدة المسيا فإننا نورد بعض أقواله " يقول " لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن اليوم الرب (يقصد المجيء الثاني للمسيح) كلص في الليل هكذا يجئ " أي فجأة وخفية (تسالونيكي ٥-٢)

ويقول " فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء و الأموات في المسيح يقومون أولا ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب " (تسالونيكي ٤-١٥-١٧).

ونعتقد أن فحوى العبارات الثانية يتناقض مع الأولى - ففي هذه الأخيرة يأتي المسيح في خفية (كلص في الليل) بينما في الثانية يأتي المسيح علنا و ينفخ في الأبواق حيث يقوم الأموات أما الأحياء فسوف يخطفون إلى الهواء لملاقاة المسيح !!.

والعبارات الثانية هي تحوير في صياغة كلمات ما أورده يوحنا إذ يقول " فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين

فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة و الذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة " (٥/٢٨،٢٩) .

وقد اختلفت الآراء حول المجيء الثاني (١) وبالذات موعد هذا المجيء لما ورد في سفر الرؤيا من عبارة " وسيملكون ألف سنة " بما يفيد أن المجيء الثاني يكون بعد ألف سنة من ظهور المسيح لأول مرة، ولم تتفق الآراء علي اتجاه محدد، بينما كانت جماعة شهود يهوه اليهودية (٢) تعتقد بأن المسيح يأتي (لأول مرة) سنة ١٩١٤ ليبدأ عصرا مدته ألف سنة، وبالطبع فإن هذا الفرض لم يتحقق . فأعلنوا تصحيحا آخر لسنة المجيء وهى سنة ١٩٨٤ وأن المسيح سيقيم مملكة دينية (ثيوقراطية) علي الأرض، ورفضوا نظرية العقاب الأبدي أو خلود النفس كما أنكروا المسيح ولاهوته ، ورفضوا فكرة الروح القدس وقيامته .

وغنى عن البيان فإنك ترى فروقاً جوهرية جسيمة بين عقيدة ظهور المسيح عند اليهود وعقيدة عودته للمرة الثانية عند المسيحيين، ولا شك أن هذه فروق تجعل الديانتين على طرفى نقيض خاصة أن إله اليهود (يهوه) مختلف تماماً فى طبيعته وصفاته وتعطشه للدماء عن إله الديانة المسيحية الودود المتسامح، فضلا عن الإله فى اليهودية ليس واحدا من البشر بينما فى المسيحية إله وإنسان فى وقت واحد مر بمراحل الحمل والوضع والطفولة والصبا والموت ولئن اتصف بأنه إله واحد غير انه متعدد الاقانيم ــ آب وابن وروح قدس يضاف إلى ذلك أن الأناجيل وضعت الله فى امتحان أمام الشيطان !!!

---

(١) إستخدم جوستنيان في القرن الثاني الميلادي لفظ المجيء الثاني لأول مرة وقد شاع إستخدام اللفظ في الدوائر الكنسية وخاصة الإنجيلية بعد ذلك .

(٢) قامت جماعة شهود يهوه بزعامة تشارلس راسل سنة ١٨٥٢ أنظر عاطف عبد الغني في مؤلفه شهود يهوه مملكة إسرائيل علي الأرض .

نختتم الجزء الخاص بالإنجيل بإلقاء الضوء في إيجاز عن الخصائص الجوهرية للديانة المسيحية أخذا من فكر المسيح ذاته وما أضافه بولس والقديسون من عقائد أخري .

١- ديانة تقوم علي الآلام و الأحزان :

لم يبشر السيد المسيح عليه السلام بالفكر المسيحي إلا ثلاث سنوات علي أكثر تقدير و من ثم كان وجوده بين البشر أمرا عابرا ، رغم ذلك فقد أحدث ثورة فكرية عقائدية تتماثل تماما مع ثورة الديانة اليهودية و الديانة الإسلامية .

ونظرا لأن المسيح أعتقل وحوكم أمام مجلس يهودي، وقضي عليه بالصلب، وطبقا للعقيدة المسيحية - فقد نفذ فيه حكم الصلب علي نحو بشع إذ ثقبوا يديه وقدميه في خشبة الصلب فنزفت دماءه، وقد أهين إهانات بالغة قبل ذلك بعدة أيام حيث ألبسوه إكليلا من الشوك وضربوه ضربا مبرحا ومنعوا عنه شربة ماء وكانوا يناولونه بدلا منه ، الخل المر ، فقد ترسب - حقيقة في وجدان المسيحيين أثر هذا التعذيب الذي تحمله المسيح ، فهم لا يرون المسيح إلا مصلوبا .

ويزيد من ألم التعذيب ما وقر في أذهانهم - أخذا من أقوال بولس - أنه صلب من أجلهم أو من أجل البشر جميعا ـ فهو الذبيحة البشرية التي انتهت عندها كل طقوس الذبائح و هو قربان البشر لله ، فلم يعد ثمة معني لأي قربان آخر ، و هو الذي كفر عنهم خطيئة آدم فمحا عارها من فوق كاهل البشر ومن ثم دخلت المسيحية في عباءة الأحزان الناتجة عن صلب المسيح واتسمت صلواتهم وصيامهم بمحاولة الإلتصاق بالمسيح كحزانى

ومكلوميــن بجــرح غائر في وجدانهم بسبب صلبه ، ومن يموت منهم .. لا يصــير رمــادا بل تذهب روحه إلى الإله يسوع ليدخله ملكوته الأبدي وهو البديل للجنة عند المسلمين .

ولا شك أن المسيح – في حقيقة الأمر– يعد شخصية محبوبة ذات سمو أخلاقــي فقد حارب النفاق والتزلف و هاجم الكهنة وحارب الثراء الفاحش ، وأســقط الإلــه "يهوه " من حسابه – ذلك الإله العنصري الذي ابتكر اليهود شخصــيتة والــذي كــان يأمرهم بالقتل والذبح بغير رحمة، واستبدل به إلها رحــيما يــرزق الطــير في أعشاشها .. وأسماه " الآب " وهي كلمة تفيض بــالمودة والرحمة والحب .. حتى أن البعض يقول .. إن المسيح بهذا التعبير – ألغي عذاب جهنم بالنسبة للخاطئين .. فكيف يتصور أن يحرق الآب أولاده فــي أتون النار مهما كانت خطيئتهم، ويضيفون ألم يقدم الآب إبنه للذبح لكي يغفــر للبشــر إن الآب والإبن تحملا عذاب الصلب من أجل غفران الخطايا ..فكيف أذن يتولي الآب بعد ذلك إحراق أبنائه .

وحين حرم الطلاق – بخلاف الشريعة اليهودية – إلا لعلة الزنا .. فلم يكن في تقديره أن ذلك سيكلف أتباعه المشقة البالغة في أن يعيش زوجان معا فــى كراهية مستبدة ومدمرة لحياتهم لأنه كان يود أن يدخل الناس في سكينة الحــب والود والتسامح، وإذا وجدت هذه المعاني .. إذن فلا حاجة للناس بأن ينفصلوا .. وقد قيد الطلاق بوجود هذه المعاني .. لأن المجتمع اليهودي كان يســمح بالطلاق لقسوة قلوبهم .. وحين أباح العمل يوم السبت فهو تقرب من الله ولــيس بعــدا عــنه، وحين أجاز لأصحابه عدم غسل أيديهم قبل أو بعد تناول الطعام فلم يكن ذلك رغبة في عدم التطهر ولكن لان التطهر فى الداخل أفضــل مــن الخــارج .. فمــا قيمة غسل الكوب من الخارج بينما هو في الداخــل ملئ بالاقذار بما يعني أنه كان يريد للناس أن يطهروا قلوبهم أولا قــبل أن يفكــروا فــي تنظيف أبدانهم من الخارج، إنه بذلك يحارب النفاق

والـرياء .. وحيـن عفا عن المرأة الزانية أراد أن يضع الجلادين والقضاة والحكام أمام حقيقة مرعبة .. من منكم بلا خطيئة، وكيف يحاكم العصاة من أقـدم علـي خطيئة عابرة بمعني أنه لم يبح الزنا ولكن قيد توقيع الجزاء - بتجرد الحاكم أو القاضي من المعصية والخطيئة .

حقـيقة أنـنا لا نسـتطيع أن نحكم علي شخصية المسيح عليه السلام لقصر الفترة التي عاش فيها يبشر بالفكر الجديد، ولكننا في حدود هذه الفترة نـري فيه نموذجاً صادقاً للإنسان السوي الذي يسمو بأخلاقه ومثالياته، ولا شـك أن هذا النموذج يؤثر تأثيراً عميقاً وبالغاً في نفوس أتباعه حينما يرونه يسـاق إلى الصلب وتزهق روحه من أجل مثالياته، ولولا أن بولس وبعض كـتاب الأناجـيل قـد خففوا علي أتباعه هذه الصدمة البالغة بالقول بأنه أمر محتوم ومقدر من قبل أبيه السماوي لغفران خطيئة آدم لكان الأمر في أحزان المسـيحيين أعمـق مـن ذلك .. رغم أننا نري فيما ذهب إليه بولس وكتاب الأناجيل ..أنه رأي مشوب بشبهة يهودية لتبرئة اليهود من دم المسيح وهو ما تحقق لهم أخيراً بإعلان بابا روما هذه البراءة .

٢ـ الديانة المسيحية توحيدية قائمة علي التثليث :

تؤمـن المسـيحية بوحدانـية الله، ولكـن الله فـي عقـيدتها مثلـث الأقانـيم - وهـو الإبن، وهو الآب، وهو الروح القدس ، بالإضافة إلي أنه الله المتجسد في إنسان و نظراً للغموض الشديد - لهذه العقيدة - فإن معظم المصادر المسيحية لم تلجأ إلي تفسيرها علي وجه يزي هذا الغموض، وإنما قالـت إنهـا مـن أسـرار الله التي لا تدرك و سـوف نورد بعـض الكتابات المسيحية في شأن هذه العقيدة (١) :

---

(١) التفسـير التطبيقي للكتاب المقدس وجاء به أيضاً " بولادة المسيح صار الله بشرا وهو لم يكن جزئياً إنساناً وجزئياً إلهاً بل كان إلهاً كاملاً وإنساناً كاملا" .

" **إن** كلمـــات الرب يسوع تؤكد حقيقة الثالوث .. حقيقة، لا ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدس و لكنها تعبر تماماً عن الإله الواحد المثلث الأقانيم الآب والإبن والروح القدس " .

" **يســوع** المســيح وحــده هو إبن الله ، وفي إنجيل مرقس بين يسوع ألوهيته بقهر المرض والشياطين والموت " .

"**يصــف** لوقــا كــيف دخل إبن الله تاريخ البشرية .. فقد عاش يسوع كنموذج مثالي كامل للإنسان " .

" **عــندما** قــام يسوع من الأموات أثبت أنه هو الله وأنه يقدر أن يغفر الخطايا "

" **وكلما** اقتنعنا أن يسوع هو الله رأينا قدرته ومحبته "

" **كان** الروح القدس حالاً وحاضراً في ميلاد يسوع وفي معموديته وفي خدمــته وفي قيامته .. لقد أُرسل (لاحظ بناء الفعل للمجهول) الروح القدس تأيــيدا لخدمــة وســلطان الرب يسوع ويهب الله الروح القدس للناس حتى يمكنهم أن يعيشوا للمسيح وبالإيمان يمكن أن يحل الروح القدس فينا ".

" **يبين** يوحنا أن يسوع متميز كإبن الله الوحيد وفي نفس الوقت هو الله فــي كمالــه ولأنه الله فهو قادر علي أن يعلن الله لنا بوضوح ودقة ، ولأن يسوع هو الله المتجسد فهو يحيا إلى الأبد وقبل أن يبدأ العالم فهو كائن وحي مع الله"

" **يقــول** الــرب يسوع إن الروح القدس يعطي حياة جديدة من السماء ولكــن مــن هــو الروح القدس .. إن لله أقانيم ثلاثة في واحد الآب والإبن والــروح القدس وقد صار الله بشراً في يسوع حتى يموت الرب يسوع من أجــل خطايانا وقد قام من الأموات ليقدم الخلاص بالتحديد الروحي والولادة الروحانــية وعــند صــعود الرب يسوع إلى السماء لم يعد المسيح حيا علي الأرض بالجسد لكنه وعد بإرسال الروح القدس حتى يستمر وجوده الروحي

بين البشر .. إننا لا نقدر أن نتحكم في عمل الروح القدس فهو يعمل بطرق لا يمكن لنا فهمها أو التكهن بها "

" **مـن** هو يسوع المسيح .. فإن قبلت الرب يسوع علي أنه مجرد نبي أو معلـم فقد رفضت تعليمه لأنه أعلن انه الله – المسيح المخلص الذي كان منذ البدء وسيظل حياً إلى الأبد والحقيقة الديناميكية الفعالة هو أن يسوع نفسه قـد دعانـا لقبوله والحياة معه إلى الأبد فعندما تدرك من هو يسوع لا نجد أمامنا إلا أن نقبله مخلصاً شخصياً "

" إن يسوع كلمة الله الحية والكتاب المقدس الكلمة المكتوبة " .

" **إنه بيسوع فقط وهو يهودي سينال العالم كله الخلاص** "

" **قـال** الرب يسوع عن نفسه أنه مساو لله وأنه يعطي الحياة الأبدية وأنـه مصـدر الحياة .. وتوضح هذه العبارات أن يسوع المسيح يعلن عن الوهيته وأنه في ذات الوقت إبن لله".

وفـي رأي اوريجبيـن origen الإسكندري أن بنوة المسيح هي دلالة علـي القربى بين الله و المسيح أما القديس أريوس الإسكندري و هو تلميذ لاوريجيـن (١) فقد قال بأن المسيح إنسان حادث أما نسطور السوري فكان يؤمـن بالطبـيعة الإلهـية في المسيح ولكنه يأبي التسوية بينه وبين الله في الدرجـة والقـدم، وتذهـب بعـض المصـادر المسـيحية إلـي أن التعدد (الآب والإبـن والـروح القـدس) هو تعدد في الصفات و ليس تعدداً في الجزئـيات، كما ذهبت الكنيسة الشرقية إلي أن الروح القدس إنما تصدر من الآب وحـده بينما تقول الكنيسة الغربية أنه يصدر من الآب والإبن (٢) ولم تصل المجامع الكنسية إلي رأي واحد في مسألة تفسير الأقانيم الثلاثـة (٣)

---

(١)، (٢) راجع الأستاذ العقاد في كتاب الله

(٣) مجمع أفسس ومجمع نيقيه ومجمع خلقدونية .

بيـــنما ظهر دعاة التغيير ومن بينهم سوسنيس socinus إذ نفي عن المسيح الطبـــيعة الإلهـــية، وتـــبعه جماعة كبيرة سميت بالموحدين unitarians إذ يؤمنون بأن الإله لا يحل في البشر وأن المسيح إنسان كسائر الناس رغم أنهم ينتمون إلي المسيحية وفي العصور الوسيطة دخلت الفلسفة في شرايين الدين فصـــبغته بصـــبغتها وقـــد عرض القديس اوغسطين للثالوث فقال إن الآب والإبـــن والـــروح القدس جوهر واحد، وإن كان الآب ذاتا والإبن ذاتا وروح القدس ذاتاً كذلك .

كالـــنار لها نور ولهيب، أما القديس توما الإكويني فقد فسر الثالوث بما لا يخرج عن التفسير الكنسي .

وفـــي بعـــض المصادر المسيحية (١) قالت إن الإبن إنفصل عن الآب لحظة الصلب فالإبن هو الذي صلب وليس الآب، والإبن هو الذي قام ليجلس علي يمين أبيه الله ؟!

٣ـ الديانة المسيحية ديانة تبشيرية :

رغـــم أن المســـيح بـــدأ دعوته لليهود إذ قال ما جئت إلا لخراف بني إسرائيل إلا أن مارود في بعض الأناجيل من أن المسيح بعد قيامته وظهوره لتلامـــيذه قـــال كمـــا جـــاء بإنجـــيل متى " فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهـــم بإســـم الآب والإبن وروح القدس .. وعلموهم أن يعملوا بكل ما أوصـــيتكم بـــه وهـــا أنا معكم كل الأيام إلي إنتهاء الزمان " ومن ثم انتشر التلاميذ وأتباعهم يبشرون بالمسيحية في كل أرجاء الأرض .

ثـــم نشأت الكنيسة .. وقام بولس بالتبشير بالمسيحية، ويؤخذ من سفر أعمال الرسل الذي كتبه لوقا البشير أن الكنيسة قد ولدت بجماعة صغيرة من

---

(١) راجع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس .

التلاميذ إنتقلت إلي أرجاء الإمبراطورية الرومانية ودخلت المجامع والأسواق والمدارس و البيوت، وذلك بعد أن كان التبشير قاصراً علي بعض مدن فلسطين (أورشليم واليهودية) غير أن اليهود كانوا رافضين لرسالة المسيح ومن ثم اضطر التلاميذ إلي الخروج من النطاق المحلي إلي النطاق العالمي بداية بالإمبراطورية الرومانية .

وقد قام بولس الرسول برحلات متعددة، لبعض بلدان شمال البحر المتوسط وحمل معه رفقاءه للتبشير بالمسيحية (١).

كما تولي العديد من الشخصيات التبشير بالمسيحية في أماكن متعددة منهم بطرس وبولس ويوحنا ويعقوب وإستفانوس وفيلبس وبرنابا وانتشرت المسيحية عن طريقهم أو طريق أتباعهم في سوريا وإفريقيا وأسيا وأوربا حتى أنه في نهاية القرن الأول كانت المسيحية قد دخلت تسعا وثلاثين مدينة وثلاثين بلدة أو جزيرة أو مقاطعة .

وبذلك فإن المسيحية تختلف عن الديانة اليهودية في منهج نشرها عن طريق التبشير وقد انتشر المبشرون في كل مكان لإقناع من لا يدينون بأي دين للإنخراط في المسيحية، وهم أيضا يحثون أصحاب الأديان علي الدخول في المسيحية إلا أن الدراسات التي أجريت علي مدي إقتناع المسلمين واليهود بإعتناق هذه الديانة تشير إلي أن أعداداً محدودة هي التي لبت التبشير المسيحي ..وفي نفس الوقت يخرج من المسيحية أعداد أخرى تعتنق الديانة الإسلامية، أو لا تعتنق أي دين .

ويجدر بالذكر أن نشير إلي أن جانباً كبيراً من المسيحيين، وكذلك المعتنقين لأديان أخرى لا يؤمنون بالغيبيات المقدسة للأديان،

---

(١) ذهب كل من بولس وبرنابا إلي قبرص وغلاطية وتوجه بولس إلي مقدونية أيضاً وإلي أثينا وإلي أفسس .

ومن ثم فإن حظهم من الدين هو مجرد الإنتماء إليه ظاهرياً .. دون الإقتناع بأصوله .

وخلال القرن العشرين نشطت المؤسسات المسيحية من كنائس وجمعيات وغيرها في محاولة التبشير بالمسيحية عن طريق الصحف ووسائل الإعلام الأخرى والرسائل الخاصة والمحاورات والندوات، وأصبح لبعض هذه المؤسسات قنوات خاصة تبث فيها الرسائل التبشيرية .

٤ـ الديانة المسيحية تقوم علي غيبيات مقدسة لا تخضع للغة العلم والمنطق:

إن الغيبيات المقدسة لا تقتصر على الديانة المسيحية وإنما هي قائمة في كل الأديان إلا أن الديانة المسيحية تقوم علي تعدد هذه الغيبيات فمثلا إذا نظرنا إلي الديانة اليهودية وجدنا أن الغيبيات المقدسة فيها لا تعدو أن تكون حادثتين الأولى: هي تحول العصاه إلي حية تبتلع سحر الفراعنة والثانية : هي إنشقاق البحر لكي يتمكن الإسرائيليون من المرور خلاله إلي أرض فلسطين، يضاف إلي ذلك في العقيدة اليهودية الراسخة بأن الله كان يكلم موسى عن طريق البث المباشر .

وإذا نظرنا إلي الإسلام كان الوحي هو أول غيبية مقدسة في الديانة الإسلامية ثم حادث الإسراء والمعراج .

أما في المسيحية فقد تعددت هذه الغيبيات و تبدأ بولادة المسيح بغير آب وهو ما لا يتفق مع الناموس الطبيعي في تناسل الأجيال ثم بعد ذلك القول بأن المسيح هو إبن الله وهو ما لا تجيزه الديانة اليهودية أو الديانة الإسلامية ولا يتفق مع كون الله واحداً ليس في حاجة إلي ولد وهو الناموس الطبيعي في كل الديانات ماعدا المسيحية .

بالإضـــافة أيضاً إلي القول أن المسيح هو الله المتجسد بصورة إنسان وهـــو قول لا يتوافق أيضا مع مفهوم الإله في العقيدتين اليهودية والإسلامية وأخيراً القول بقيامة المسيح بعد صلبه وظهوره لتلاميذه وهو أمر يتنافر أيضاً مع الناموس الطبيعي للحياة والموت .

كــل هــذه الغيبيات في الديانة المسيحية لها القدسية الكاملة عند الكهنة وأتــباع المسيح وهي لا تخضع للتحليل المنطقي وإنما يقال عنها أنها سر لا يدركـــه إلا الله ومن ثم أصبحت عقائد إيمانية وجدانية ليس للعقل أو المنطق فــيها مجــال ولذلـــك يطالب الكهنة أتباع السيد المسيح بعدم الخوض فيها وبوجــوب الإيمـــان بها إيماناً مطلقاً، ويقول بعض علماء مقارنة الأديان إن بولـــس والكهـــنة هـــم الذيـــن كرزوا بهذه الغيبيات المقدسة في أتباع الديانة المســيحية وحظروا عليهم إخضاعها للفكر والمنطق وهو نفس المنهج الذي أتبع في الديانة اليهودية بشأن بعض الغيبيات المقدسة التي وردت فيها.

ومـــن جانب آخر فإن بعض علماء الأديان يذهبون إلي القول إن هذه الغيبيات قامت بقدرة الله علي خرق الناموس الطبيعي للحياة علي الأرض من أجل تأكيد الصلة الوثيقة بين الله والمعتنقين لهذه الأديان وانه يجب الا نخضع كـــل شـــيء لمنطق العلم أو الناموس الطبيعى لأن المعجزات يجب أن تكون خارقة لهذا الناموس.

٥ـ الديانة المسيحية ديانة كهنوتية :

تقـــوم المســـيحية علـــي أســـاس كهنوتـــي وخاصة بالنسبة للمذهبين الكاثوليكـــي والأرثوزوكســـي وقد ورثت المسيحية هذا النظام الكهنوتي من الديانـــة الـــيهودية ورغم أن بعض التفسيرات والشروح للمصادر المسيحية تشـــير إلـــي أن شـــق حجاب الهيكل عند قيامة المسيح تعني إنتهاء العصر الكهنوتـــي حيث لا يكون ثمة حجاب بين الله والناس إلا أن الكهنة المسيحيين

لــم يدركــوا ذلك علي أرض الواقع بل أصبحت لهم القيادة والزعامة الدينية وأنشئت الوظائف لخدمة الكنيسة ولم تتخلص الكنيسة الشرقية من سطوة نظام الكهــنة وحتى الآن فإن الزواج لا يجوز أن يتم إلا كنسياً ويصر الكهنة علي عــدم إباحــة الطلاق إلا لعلة الزنا وغير ذلك من الأمور التى يمسك الكهنة بخيوطها ويقيدون بها أتباعهم .

وقــد حــاول مارتــن لوثر أن يقوض النظام الكهنوتي في المسيحية وأعلــن إعتراضــه الكامل عليه وحاول الكهنة أن يقدموه للمحاكمة بإعتباره خارجــاً عن إطار الديانة المسيحية ولكنه استطاع أن يثبت أفكاره لدي تابعيه فأنشأ المذهب البروتستانتي .

وفــي يقيننا أن المسيح عليه السلام كان أكثر الناس عزوفاً عن النظام الكهنوتي بل هو في الحقيقة إنتقد هذا النظام في الديانة اليهودية ورمي الكهنة بالــنفاق والخــداع والإبتزاز وأكل أموال الناس بالباطل وبأنهم يقولون ما لا يفعلــون وكانت عبارته في ذلك واضحة جلية تتسم بالقوة والإنفعال وقد سبق أن أوردنــا بعضــها، بل إنه أسقط الكهنة في تعاليمه حينما طلب من أتباعه الصــلاة فــي المخــادع حيث لا يكون ثمة وسيط بينهم وبين الله وهكذا يشذ الواقع عن حقيقة التعاليم المسيحية ذاتها .

٦ـ الديانة المسيحية ديانة غير تشريعية :

تنقســم الديانــات إلــي ديانات تشريعية وأخرى غير تشريعية وذلك بحســب مــا يتضمنه كتابها المقدس من سن نظم وأحكام وقواعد لتيسير دفة الحــياة بين المعتنقين للديانة ومن أهم هذه القواعد الأحكام الخاصة بالجرائم والعقوبــات وما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق والميراث والوصية علي نحو يضــع ضــوابط ومعايير للمعاملات بين أصحاب الديانة وقد سبق أن تناولنا الشــريعة اليهودية وأبرزنا ما فيها من تشريعات تتصل بمعظم مناهج الحياة

بل أضافت هذه الشريعة قواعد ومعايير للطقوس الدينية والخلقية وسوف نري أن الديانـــة الإســـلامية قد سنت من القواعد في القرآن الكريم ما يحيط بكل المعاملات بين المسلمين فضلاً عن نظام العبادات وغيرها .

أما الديانة المسيحية فإن الأناجيل لم تتضمن قواعد تشريعية ذات أهمية بـــل إن المســـيح نفسه أفصح عن منهجه وهو أنه لم يأت ليغير الناموس بل ليكمله ولكن رغم ذلك خالف الأحكام اليهودية في بعض المسائل التي تعرض لحياة الناس علي الأرض ولعل أهم تشريع حواه الكتاب المقدس (الإنجيل) هو تشريع الزواج والطلاق فقد حرم علي المسيحيين تطليق الزوجة إلا لعلة الـــزنا بـــل إنه حتى في هذه العلة رفض توقيع الحد علي المرأة الزانية التى لجـــأت إلـــيه معلناً أنه لا يجوز للخطاة أن يحاكموا خطاة مثلهم كما أنه نهى المســـيحيين عن الزواج من مطلقة فضلاً عن أن ما ورد علي لسانه في هذا المجال يشير إلي أنه يرفض تعدد الزوجات ويبدو من النظرة العامة لما ورد في الأناجيل وأعمال الرسل وخاصة أقوال بولس الرسول أنهم كانوا يعتبرون المـــرأه هي أداة الإغواء والمحرض علي إرتكاب المحرمات حيث تشير هذه الأقـــوال إلـــي محاولـــة نهى من لا يتزوج عن الإقتران بزوجة باعتبار أن العزوبة أطهر من الإقتران بإمرأة .

وبذلك تكون الديانة المسيحية ديانة غير تشريعية تستند إلي التشريعات الواردة في التوراة باعتبار أنها هي الأصل الذي لم يخالفه السيد المسيح عليه الســـلام والـــذي قرر في صراحة وجوب تطبيق الشريعة اليهوديـــة علـــي أتباعه .

٧- الديانة المسيحية تستمد جذورها من الديانة اليهودية :

ســـبق أن ذكـــرنا أن عقـــيدة المسيانية لم ترد في التوراة أي الأسفار الخمسة الأولي وإنما وردت في بعض أسفار أنبياء إسرائيل وتقوم هذه العقيدة

علي أساس أن مسيحاً سيظهر آخر الزمان ليقضي علي أعداء إسرائيل منشئاً لإسرائيل الجديدة التى سوف تتملك الأرض دون باقي الأمم الأخري وقد عبر عــن المســيا بالمسيح أو المشيح وتعني هذه الكلمة الذات الممسوحة بالزيت المقدس وبالتالي فإن عقيدة ظهور المسيح هي عقيدة أصلاً يهودية إنتقلت إلي كتاب الأناجيل الذين كانوا يدينون باليهودية عند ظهور يسوع بل كان يسوع أصلاً يهودياً وهو لم يعلن عن نفسه أنه المسيح من بداية ظهوره وإنما وافق أحــد تلامــيذه عندما سأله : هل أنت المسيح ؟ ومنذ هذا السؤال عرف بين الــيهود بــأن يسوع هذا هو المسيح ومن ثم حاربه اليهود لأنهم لم يروا فيه المسيح الذي بشرت به أسفار أنبيائهم لذا فإن المسيحية تستمد إسمها من العهد القديم " أسفار الأنبياء "

وبالتالي ضم الكتاب المقدس للديانة المسيحية كلا من العهد القديم " أي الأسفار الخمسة الأولي وأسفار أنبياء بني إسرائيل والأناجيل وتأكيداً لذلك فقد أفصــح الســيد المسيح أنه لم يأت لينقض ناموس موسى أي لينقض شريعة الــتوراة وأحكامها بل ليكملها وكان السيد المسيح يقيم صلوات اليهود ويلبس رداءهــم ويقرأ مزامير داود ويتعبد بها فضلا عن أنه أبرز بشكل واضح أنه أرسل إلي خراف بني إسرائيل وإن كانت المسيحية قد إمتدت إلي دول أخرى فإن ذلك كان بفعل بولس الذي ربط بين العقيدة والتبشير بها .

وفــي المــراجع الــيهودية والمسيحية أن كلا من معتنقى الديانتين لا يــزالون علــي أمــل ظهور المسيح، فاليهود ينتظرون هذا الظهور باعتباره الظهــور الأول لمسيحهم لأنهم ينكرون يسوع، والمسيحيون ينتظرون عودة المســيح يسوع مرة أخرى ليحقق حلم إسرائيل للعودة إلي ديارهم وإلي بناء إسرائيل الجديدة .

ونخلص مما تقدم أنه رغم أن اليهود يرفضون الديانة المسيحية رفضاً باتــاً وينكرون بشكل قاطع أن يكون يسوع هو مليكهم ويزعمون أنه مجدف

وهــرطاق وأنـــه لا يمت إلي مسيحهم بأى صلة إلا أن المسيحيين يعتبرون أنفســـهم إمتداداً لبني إسرائيل وأنهم سيستكملون الزمن في نهايته معهم لبناء إسرائيل الجديدة .

٨- الديانة المسيحية تتسم في أصولها بالحب و السلام

وتتسم في تطبيقاتها بالمجازر الرهيبة عبر التاريخ :

عندما بدأ المسيح يبشر بأفكاره بدأ إنساناً مسالماً يفيض قلبه بالتسامح والحــب ويــبغض الخداع والرياء والنفاق ولم يكن هذا التسامح موجهاً فقط لأتــباعه عــندما يخطئون بل إنه غرس في هؤلاء الأتباع أن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم حتى وصل تسامحه إلي ما يجاوز الحد المعقول حيث طلب من تابعيه أن يديروا الخد الأيمن لمن يلطمهم علي الخد الأيسر وقيل عن ذلك أنـــه نوع من الخنوع والإستسلام لقوى الشر ولكنه في الحقيقة يمثل نموذجاً مثالياً للحب الوجداني لكل البشر بما فيهم الأصدقاء والأعداء .

والحقــيقة أن رســالة المسيح علي الأرض كانت من أجل غرس هذا الحـــب والتسامح وقد تغلبت هذه الرسالة لديه علي أية جوانب دينية أخرى بمعنـــي أن السيد المسيح عليه السلام لم يأت بدين جديد وإنما أتى برسالة حب وسلام ....

والمطلع علي الأناجيل التى عرضت لتاريخ حياة المسيح علي الأرض يـــدرك تماماً أنه لم يشارك في إراقة دماء بشرية ولم يحض علي إراقة هذه الدماء إلا أنه أفصح عن أنه جاء ليراق دمه هو علي الصليب من أجل خطيئة آدم – ورغم شفافية المسيح وحبه العميق للإنسانية وتصوفه اللاهوتي إلا أن المســـيحيين لم يدركوا عمق هذا الحب والتسامح لدي المسيح باعتبار أن ذلك هــو جــذور المسيحية التي غرسها علي الأرض، لم يدركوا ذلك لأنهم في حقــيقة الأمــر والواقع كانوا أكثر البشر إراقة لدماء معارضيهم علي النحو

الــذي فصــلناه فــي مقدمة هذا الكتاب بل إنهم أنشئوا محاكم خاصة سميت محـــاكم التفتيش لقتل المسيحيين أنفسهم الذين كانوا يعارضون سلطان الكهنة ومن ثم فإن المسيحية تكون بحق هي رسالة السلام والحب ولكنها في الواقع كانت رسالة إراقة الدماء علي أرض الواقع(١) .

٩- الديانة المسيحية ليست ديانة عنصرية :

إمتداداً لشفافية شخصية المسيح ولعمق حبه وتسامحه فإنه لم يعلن أنه أو أتباعه يمثلون جنساً عنصرياً مختاراً من الرب كما فعل اليهود وقد اتسمت مســيحية بولــس أيضــا بالتبشير بالديانة لكل الأمم وتقبل المسيحية كل من يعتنقها من أصحاب الديانات الأخرى أو ممن لا دين له ومن ثم فإن المسيحية لا تمـــثل ديانـــة عنصـــرية وهي بذلك تخالف الديانة اليهودية التى تعتبر أن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار وأنه الإبن البكر لله .

---

(١) يحكـــى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية عن مذبحة نمت على أيدى فرسان الصليب حيث تم حصار مدينة بيزيه وقام الفرسان المسيحيون بقتل وذبح أكثر من عشرين ألف شخص مـــا بين رضع ونساء وشيوخ ورجال رغم احتمائهم بكنيسة القديسة مريم المجدلية ثم قاموا بإحراق المدينة كاملة حتى أصبحت كومة من الرماد.

وبتولى البابا جريجورى التاسع عرش البابوية سنة ١٩٢٧ بدأت إبادة جماعية للعديد من المسيحيين بحجة انهم يعارضون رأى الكنيسة البابوية حيث أصدر البابا قراراً بحرق أى مسيحى يعرض أوامره، واعتبر البابا نفسه معصوما من الخطأ ومن ثم انشئت محارق ضخمة يلقى فيها من يقضى بحرقهم دون رحمة.

ومارست الكنيسة الكاثوليكية أعمال الإبادة ضد اليهود باعتبارهم الشعب الخائن للمسيح كما مارست اعمال الإبادة ضد المسلمين فى الحروب الصليبية كما سبق القول.

[راجـــع كـــتاب خدام الرب الأوائل الصفحة المكملة للبابوية للقس دى روزا ترجمة آسر حطيبة تحت عنوان التاريخ الأسود للكنيسة].

المبحث الرابع

القرآن

" لا يُكَلِّفُ الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين "

" **سورة البقرة** "

" ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون "

" **سورة الروم** "

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريـــم

القــرآن الكــريم هو الكتاب المقدس للدين الإسلامي، وقد أكدت عدة آيــات من القرآن أنه منزل من الله علي النبي محمد عليه الصلاة والسلام عــن طــريق الوحــي ـ صياغة وفحوي وأن النبي لم يكن له دور فيه إلا تبليغه للناس.

وسوف نتناول في أبحاثنا التالية بيانات تفصيلية عنه :

* مصدر التسمية :

ذهب الإمام الشافعي ـ وهو أحد أعمدة الفقه الإسلامي ـ إلى أن لفظ القرآن ليس مشتقاً أو مهموزاً بل وضع علماً علي الكلام المنزل من الله علي النبـــي عليه السلام ، بمعني أنه ليس مصدراً للفعل الثلاثي " قرأ" ولكنه إسم علم لا صلة له بالقراءة .

ويذهــب الأشــعري إلـــى أنـــه لفــظ مشــتق مـــن كلمـــة " قرينة " (وقريب من ذلك يقول الفراء) ومعني قرن ضم لأن السور والآيات تقترن بعضها ببعض ـ بينما يذهب الزجاج إلى أن لفظ القرآن إشتق من القرء أي الجمع ـ كما ذهب علماء آخرون وهم كثرة إلى أن لفظ القرآن هو مصدر مرادف للفظ القراءة .

وكتب الدكتور صبحي الصالح في كتابه " علوم القرآن ".

" إن جـــوار العـــرب للـــيهود الذين كانت لغتهم الدينية الأرامية - عجل في انتشـــار كثـــير مـــن الألفـــاظ الدينية الأرامية وقد أشار إلى هذا المستشرق **KREKOW** في دائرة المعارف الإسلامية.

Encyclopedia de l' lslam - art kitab

كما نقل المستشرق Blachere طائفة من الكلمات الآرامية والسريانية والعـبرية مؤكدا استعمال العرب لها من أثر الجوار مع اليهود وسواهم من أصحاب الملل ، وذكر من تلك الألفاظ ـ الكلمات التالية :

قرأ ـ كتب - كتاب ـ تفسير ـ تلميذ ـ فرقان ـ قيوم ـ زنديق .

ويذهب الأستاذ مناع القطان في مؤلفه (مباحث في علوم القرآن) إلى أن القرآن مصدر للفعل الثلاثي قرأ ـ قراءة وقرآنا .

وفـي تقديـرنا أن لفظ القرآن يعني الجامع وليس المقروء لأنه يجمع الشرائع والعبادات والأخلاقيات والقصص وغيرها في دفة كتاب واحد .

أمـا كلمة الفرقان فهي تعني المفرق ، والمقصود أنه يفرق بين الحق والباطل .

ويعـرف القرآن عند جمهور الفقهاء بأنه " كلام الله المنزل علي محمد عليه الصلاة والسلام المتعبد بتلاوته " .

وهكـذا يمكن القول أن أسماء الكتب المقدسة للأديان الثلاثة تعبر عن مضامينها ، وكلها تنسب إلى الله سواء بالتكليم أو باللفظ المباشر أو بالتنزيل من الله عن طريق الوحي .

فالقرآن جامع لكلمات الله .

والإنجيل بشارة الله.

والتوراة شريعة الله .

وهكـذا يـدور منهج الأديان جميعا حول تعريف البشر بالله وبشريعته وأوامره ونواهيه(١).

وقد ورد بالقرآن الكريم أسماء عديدة تطلق عليه أيضا ومنها : الكتاب

---

(١) رغـم أن الأديان الثلاثة تنسب كتبها إلى الله إلا أن الشرائع الواردة بها متباينة مع أن المصدر واحد هو الله وكان ذلك سبب ظهور دعاوى التحريف والإنكار .

– الذكــر ــ التــنزيل ووصف بصفات أخرى .. النور، الهدي ، البشرى ، المبارك والمبين .

*** الحديث القدسي :**

هو حديث يرويه النبي عن الله بألفاظ النبي محمد عليه السلام فيقال فيه:

أ- قال رسول الله (ص) فيما يرويه عن ربه عز و جل

ب-قال رسول الله : قال الله تعالي .....

ومثال : الصورة الأولى أن أبا هريرة روي عن رسول الله (ص) فيما يــرويه عــن ربــه عــز وجل " يد الله ملأي لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار " (أخرجه البخاري) .

ومــثال الصورة الثانية عن أبي هــريرة أن رسول الله (ص) قال" يقــول الله تعالي : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفســه ذكــرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ...." (أخرجه البخاري و مسلم) .

ومــن ثــم فإن الحديث القدسي أيا كانت فحواه وأيا كانت صياغته لا ينسب إلى القرآن الكريم ولا يعد بعضا منه .

كمــا أن القــرآن مــنقول بالتواتر أي أنه قطعي الثبوت أما الأحاديث القدسية فمعظمها أحاديث آحاد أي ظنية الثبوت فقد تكون صحيحة وقد تكون ضعيفة أو موضوعة .

ولا يجــوز أن يحل الحديث القدسي محل القرآن في المواضع الواجب قراءة القرآن فيها كالصلاة (١).

---

(١) ذهــب بعــض العلمــاء إلى أن الحديث القدسي أساسه الوحي ــ فمن قال إنه وحي بالمضــمون ومن قال إنه وحي باللفظ ــ فإذا كان وحيا باللفظ فإنه يتداخل بهذه الصفة مع القرآن الكريم إلا أن القرآن يتميز عنه بأنه أصل الكتاب الذي يتعبد به.

* **الحديث النبـــوي :**

قيل إنه قسمـــــان :

١- قسم توقيفي تلقي الرسول عليه الصلاة والسلام مضمونه من الوحي ثم بينه للناس بلغته .

٢- قســم توفيقي و هو كلام الرسول (ص) استلهم معناه من فهمه لآيات القرآن ، ولم ينزل به وحي .

* **الوحـــــي :**

يعتـــبر الوحـــي العقــيدة الجوهرية التي يرتكز عليها الدين الإسلامي وبثــبوت نــزول الوحي من الله على النبي محمد (ص) يثبت صحة الدين وصدق الرسول .

وعقـــيدة الوحي التي يقوم عليها الإسلام أن القرآن الكريم منزل علي النبـــي محمـــد (ص) لفظاً ومعني من الله ، عن طريق الوحي ، ولا يقصد بالوحـــي فـــي مفهوم العقيدة الإسلامية الإستلهام الباطني للنفس الإنسانية أو إعتقاد الرسول بأن ما ينطق به، إنما هو من عند الله بل يقصد به التلقي عن الله عــن طريق وسيط بحيث ينقل إليه القرآن بلفظه دون أن يتدخل الرسول (ص) فـــي ألفاظـــه وتراكيـــبه أو في فحواه ومعانيه، وبمجرد نزول الوحي وإذاعـــة مـــا تلقاه الرسول علي الناس فإن التراكيب اللفظية تنفصل إنفصالاً كـــاملاً عـــن الرسول بحيث لا يكون له عليها سلطان ولو كان المعني يحمل عتاباً له شديداً أو يسيراً أو يأتي برأي مخالف لرأيه أو رأي بعض صحابته ومـــن ثم لا يجوز في شأنه الإبدال والتبديل أو الإحلال والتغيير أو النسخ إلا عن طريق الوحي مرة أخرى بالتلقي عن الله .

وقد أكدت آيات القرآن ذلك :-

ففي سورة النجم " إن هو إلا وحي يوحي " .

وفـــي ســـورة النساء " إنا أوحينا إليك كـــما أوحـــــــينا إلى نوح والنــــبيّــن مـــن بعـــده وأوحيـــنا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحاق و يعقوب والأسباط ". أية (١٦٣).

وفـــي ســـورة الشعراء " وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * علي قلبك لتكون من المنذرين ". آية (١٩٢، ١٩٣، ١٩٤)

وفـــي ســـورة الشورى " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من ورآىء حجــاب أو يرســـل رســـولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم ". آية (٥١).

وتخـــتلف طريقة التلقي في الإسلام عن اليهودية .. ففي التوراة يستدل منها علي أن الله كان يكلم موسى ولكن دون أن يراه .. فلا وسيط بينهما .

ففي سفر الخروج " ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات " وفي موضع آخر " وكلم الرب موسى قائلا إذا إخذت مكبة بني إسرائيل " إصحاح(٣٠) .

وعندما طلب موسى أن يرى الله حيث قال له أرني مجدك ..قال له لا تقدر أن تري وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش ..) سفر الخروج (٣٣).

والنظرية المسيحية لا تعرف الوحي أو الوسيط الذي يلقن النبي كلمات الله لأنهـــا تـــري في المسيح عليه السلام ذاتية الله وكينونته أباً وابنا و روح القـــدس ، ويكاد الموضع الوحيد الذي تم فيه حدث عن طـــــريق الوســـيط (**الـــروح القـــدس**) أو جبرائـــيل هو عندما جاء الملاك إلى مريم ليبشرها بالحمل رغم أنها عذراء .

يقول مونتجمري واط في كتابه :

" ISLAMIC Revelation in the world "

إن المسيحيين اعتقدوا أن كلمات الكتاب المقدس Bible هي كلمات الله نفســـها The world of God Himslf فليس هناك ثمة وحي أنزلها بل إن الله ألقـــى فـــي وجدان كتاب الأناجيل ما كتبوه ، وهذه النظرة هي ما ترددت

علـــى ألســـنة أنبياء إسرائيل فيما بعد عهد موسى عليه السلام والتي كان لها صـــدى في أسفار العهد القديم(١) قبل ظهور المسيحية ، إذ كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به هو من عند الله و يضيف مونتجمري .. إن النظرية المسيحية قـــد تغيرت بعد ذلك فقد اعتبروا أن ما نطقه المسيح ذاته ـ الذي كان بينهم ـ هو فقط كلمات الله وأفعاله God's ACT(٢).

*** مدى مصداقية وقوع الوحى :**

إذا لـــم يؤمـــن الإنســـان بوجـــود عالم غيبى وإله قادر مسيطر على مخلوقاته فلن يؤمن بالرسل وبالتالى فلن يؤمن بالوحى ، وهذه قضية أساسية للإيمان بإمكانية وقوع الوحى من الله إلى واحد من البشر .

فـــإذا آمـــن الإنسان بربه فمن الضرورى أن يؤمن بعدالته وإذا كانت الحـــياة الدنيا قد فاضت بالشرور والآثام ، وملئت بالأشرار ، كان من اللازم الحتم أن تظهر عدالة الله فى خلقه ، فليس الخير كالشر ولو استويا حل الظلم بالعـــباد ... وعدالة الخالق تقضى أن يبلغ الله الناس بأوامره ونواهيه ... فلا عقـــاب إلا بعد تبليغ ، ومن هنا تكون الحاجة إلى الرسل ...يوحى إليهم من الله لإبلاغ عباده بالصحيح والباطل ...

*** ماهية الوحـــي :**

الوحـــي مصـــدر لفعـــل وحى ويعنى الإبلاغ بشئ خفى ، وقد يكون الإبـــلاغ بالكلمة المسموعة أو بالإشارة أو بالتعريض، وقد يكون إلهاماً من الله للإنســـان أى دفـــع الإنسان إلى فعل أو قول دون أن يتم عن طريق البث المباشر أو عن طريق وسيط كما ورد بالقرآن الكريم " وأوحينا إلى أم موسى

---

(١) راجع بحثنا عن نظرية النبوة الإسرائيلية في الجزء الأول الخاص بالتوراة .

(٢) وإنجيل لوقا أشار إلى الملاك الذي جاء إلى مريم و بشرها بالحمل فقال "وفي الشـــهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة بالجليل إسمها ناصرة إلـــى عـــذراء مخطوبة لرجل من بيت داود إسمه يوسف وإسم العذراء مريم .. والروح القدس يحل عليك ../ لوقا ٢٦ / ٣٤ .

أن أرضعيه" القصص آية (٧) .

وقد أورد القرآن الكريم الوحى بمعان شتى فهو الإلهام الفطرى كالآية السابقة وهو الإلهام الغريزى للحيوان أو الحشرات كما فى قوله :-

" وأوحـــى ربــك إلـــى الـــنحل أن أتخذي من الجبال بيوتا ..." النحل آيـــة (٦٨) والوحـــى يأتي من الله أو من الشيطان وهو ما ورد فى سورة الأنعام " وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ". آية (١٢١)

والوحى يكون للملاك أيضا كما ورد " إذ يوحى ربك إلى الملائكة انى معكم ". الأنفال آية (١٢) .

غير أنه يجب التفرقة بين الوحى عن طريق البث المباشر من الله أو عـــن طريق وسيط - وهاتان الصورتان كانتا مقصورتين على الرسل ، أما الإلهـــام الفطـــرى فهو أمر غير قطعي ويختلط بنوازع النفس وتحركها عن طريق التوجيه العقلى أو الحدس الوجدانى .

*** الوحي القرآنـــي :**

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن القرآن سمعه جبريل من الله ثم لقنه لمحمد (ص).

وهو يأتيه على صورتين :-

الأولى : مثل صلصلة الجرس فيثير انتباهه للتلقى .

الثانـــية : أن يتمـــثل له الوحى فى صورة بشر فيأتنس به ويطمئن إليه وفى ذلـــك تقول عائشة أم المؤمنين إن الحارث بن هشام سأل الرسول (ص) قائلا يـــا رســـول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله (ص) " أحيانا يأتيني مثل صلصـــلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى (أى يتركنى) وقد وعيت عنه مـــا قـــال وأحيانا يتمثل لى الملك فيكلمنى فأعى ما يقول " وروى عن السيدة

عائشة أن الرسول (ص) حين يأتيه الوحى كان جبينه يتفصد عرقا فى اليوم شديد البرودة .

وقد صور القرآن حالات الوحى فأورد :

" **وما** كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ... " الشورى آية (٥١) .

* الوحى فى نظر المستشرقين :

يذهب المستشرق منتجمرى وات إلى أن إسم جبريل - وسيط الوحى - لم يذكر فى بداية الرسالة إذ لم يرد إسمه فى السور المكية بل ورد فى السور المدنية بعد هجرة الرسول إليها ، واستخلص من ذلك أن الرسول نقل الإسم من اليهود فى يثرب حيث سمع منهم أسماء الملائكة - كجبرائيل وميكائيل ، وأن جبرائيل لم يكن ملاك رحمة بل ملاك قوة وعنف .

وحقيقة الأمر أن جبرائيل لم يذكر فى القرآن المكى وذكر فى القرآن المدنى ثلاث مرات - الأولى فى الآية(٩٧) من سورة البقرة " قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ... " وفى الآية(٩٨) من ذات السورة " من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين " كذلك ذكر جبريل فى سورة التحريم .

ومفاد ذلك أن القرآن المكى - لم يحفل حقيقة بإسم الوحى (جبريل) إنما أشار إليه بأوصاف أخرى مثل روح القدس أو الروح الأمين .

فقد جاء فى سورة مريم :-

" فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا " آية (١٧)

بينما يذهب إنجيل لوقا إلى أن روح القدس هى روح الله وقوته ، وجاء فى إنجيل متى " أما ولادة يسوع فكانت هكذا ... لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس " متى(١) .

وذكر لوقا أن الروح القدس حلت على مريم فحبلت بالمسيح .

ومـن الـبديهى أن مـتى ولوقا لا يقصدان أن تحل روح القدس محل الـرجل بالنسـبة للمـرأة فـى الإخصاب .. ولكنهما – على أرجح الأقوال يقصـدان أن الحمل ليس بوضع خلية منوية من روح القدس ولكنه بقدرة الله التى تمثلت فى روح القدس .

وهو ما أكده القرآن الكريم فى قوله :-

" وءآتيـنا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس " سورة البقرة (٨٧) وتكـرر نفـس المعنى فى ذات السورة آية رقم(٢٥٣) ، (١١٠) من سورة المائدة .

ويذهب مونتجمرى وات إلى أنه يمكن تصور الوحى عند النبى محمد (ص) علـى أربعة مراحل – ففى المرحلة الأولى فإن محمداً يشعر وهو فى حالة وعى أن كلمات معينة تلقى فى روعه والثانية أن هذه الكلمات والأفكار لـم تكـن نتيجة فكر واع من جانبه ، والثالثة أنه يعتقد فى بعض الأحيان أن الكلمـات ألقيـت فى روعه من قبل مندوب أو مبعوث خارجى يتحدث إليه كملك والمرحلة الرابعة أنه إعتقد فى النهاية أنها من عند الله .

ومونـتجمرى يصـور الوحى الإسلامي على نمط الوحى عند أنبياء إسرائيل بينما يذهب علماء المسلمين إلى أن الوحى فى الإسلام يقتضى وجود ذات علـيا (الله) تلقى القول إلى وسيط هو جبريل ثم ذات أدنى (محمد) تتلقى الوحي من الوسيط ، فهى علاقة قائمة على ثلاث ذوات – الذات العليا وذات الوسيط وذات النبى محمد (ص) .

ويصـور بعـض المستشـرقين الآخرين الوحى بأنه رؤى نومية ، ثم يصوغها محمد (ص) بأسلوبه معتقداً أن الرؤيا مدفوعة إليه بقوة الله ، ويمكن أن يكـون هذا الإعتقاد الخاطىء بسبب ما روى عن السيدة عائشة التى قالت ... " إن أول ما بدء به رسول الله من النبوة ... الرؤيا الصادقة لا يـرى

رسول الله رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح " (راجع سيرة ابن إسحاق)

وقـد يثور تساؤل هام .. هل كان دور النبي محمد (ص) مجرد متلق ومـبلغ ، وهـذا يعني أن دوره في النبوة هو دور سلبي محدود ، وهل كان الوحـي يلقي إليه الكلمات دون شرح أو تفسير أم كان الوحي يعلمه ما يلقي إليه .

وفـي تقديرنا أن دور الرسول كان دورا إيجابيا بالغا بما يعني أنه لم يكن مجرد مبلغ لكلمات الله دون وعي .. بل كان مدركاً لما يلقي عليه إدراكا تاما بحيث أصبح معلما لأتباعه و هاديا لهم .

آيات الوحي في القرآن

حفـل القـرآن الكـريم بذكـر عبارات الوحي بين الفعل الماضي والمضارع والمبني للمجهول والمصدر فبلغت كلماته فيه ثمانين كلمة .

فقـد ورد الفعل أوحى ثماني مرات وأوحيت مرة واحدة وأوحينا أربع وعشـرين مرة ونوحي أربع مرات ...الخ ومن الاستعمالات المتعددة لكلمة الوحي في القرآن نجد إنها :

١ـ **إسـتعملت** للإيحـاء إلى النحل " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا .." النحل (٦٨) .

٢ـ **إستعملت** للدلالة علي الإيحاء إلىالنبي محمد (ص) عديدا من المرات : **ففـي سـورة النجم** .." فكان قاب قوسين أو أدني * فأوحى إلى عبده ما أوحـى " آية (٩، ١٠) وفي سورة النساء " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نـوح والنبيين من بعده " (١٦٣) ، **وفي سورة يوسف** " نحن نقص عليك أحسـن القصـص بمـا أوحينا إليك هذا القرآن " آية (٣) وقد تكرر هذا

الاستعمال **في سور الرعد** (٣٠) ، والنحل (١٢٣) ، والإسراء (٧٣) ، (٨٦) وطه (٣٨) وغيرها من السور .

٣ـ **أستعملت** للدلالة علي الإيحاء إلى بعض الأنبياء كالإيحاء إلى موسى " ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي " طه (٧٧) ونفس الدلالة في المؤمنون (٢٧) والشعراء . والإيحاء إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب النساء (١٣) .

٤ـ **واستعملت** للدلالة علي الإيحاء إلى غير الأنبياء كالإيحاء إلى أم موسى ـ القصص (٧) .

٥ـ **واستعملت** للدلالة علي الإيحاء إلى بعض مخلوقات الله " فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها " فصلت(١٢) .

٦ـ **واستعلمت** للدلالة علي إيحاء الشيطان لاتباعه .

" إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم " الأنعام (١٢١) .

٧ـ **واستعملت** للدلالة علي الإيحاء إلى الملائكة :

" إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم " الأنفال (١٢) .

الآيات القرآنية لملاك الوحي

ذكر إسم جبريل في آيات ثلاث وفي سورتين :

الأولى : البقرة (٩٧) وهي مدنية .

البقرة (٩٨) وهي مدنية .

الثانية: التحريم (٤) وهي مدنية .

وقد سبق إيراد نصوصها .

*** وذكرت كلمة روح القدس في السور الآتية :**

١ـ سورة النحل – الآية رقم(١٠٢) (مكية) .

" قــل نـــزله روح القـــدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدي وبشرى للمسلمين ".

٢ـــ سورة البقرة (٨٧) ، (٢٥٣) وهما متطابقتان :-

" وءاتيـــنا عيســـى ابـــن مريم البينات وأيدناه بروح القدس " وسورة المائده (١١٠) " اذكر نعمتي عليك وعلي والدتك إذ أيدتك بروح القدس "

*** وذكرت كلمة الروح الأمين في سورة الشعراء الآية(١٩٣) (مكية)**

" نزل به الروح الأمين . علي قلبك لتكون من المنذرين "

*** وذكرت كلمة روحاً و روحنا في سورتين :**

الأولى : الشورى (٥٢) " وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا " (مكية).

الثانـــية : مـــريم (١٧) ، الأنبياء (٩١) ، التحريم (١٢) " فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا " مريم (١٧) (مكية) .

" والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا " الأنبياء(٩١) مكية .

" ومـــريم إبنـــت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا " التحريم (١٢) مدنية .

وقـــد اســـتعملت كلمة الروح للدلالة على أمر مجهول " يسئلونك عن الـــروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " الإسراء(٨٥) مكية.

واستعملت الكلمة أيضا لتأييد المؤمنين " أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهـــم بـــروح منه " المجادلة(٢٢) مدنية ، وهذا المعني يقترب من المعني الوارد بالأناجيل عن روح القدس بإعتبارها قوة إلهية قدسية تؤيد المؤمنين.

واستعملت الكلمة بمعان أخرى مثل : " ينزل الملائكة بالروح من أمره علـــي من يشاء من عباده " النحل (٢)، " قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " الإسراء(٨٥) ،" يلقي الروح من أمره علي من يشاء من

عباده لينذر يوم التلاق " غافر (١٥) ، " تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كـــان مقـــداره خمسين ألف سنة " المعارج (٤) " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " الحجر(٢٩) وتكررت في سورة ص(٧٢) .

*** الوحي ومرض الصرع :**

يذهـــب بعـــض المستشرقين إلى أن علامات الوحي التي كانت تعتري النبـــي محمد (ص) ما هي إلا أعراض لمرض الصرع ، وقد رد علي ذلك مستشرق آخر هو هنري ماسيه في مرجعه I'SLAM, par H.masse قائلا إن المرضـــى بالصرع يعتقدون أن روحاً تملكتهم والقرآن لا يمكن أن يكون من نتاج الإنخطاف الروحي إذ يفترض هذا الإنخطاف هياجاً عنيفاً لا يسمح إلا بصدور عبارات متقطعة.

ويذهب علماء الإسلام إلى أن المصروع لا يصدر عنه آيات محكمات ذات صـــياغة فـــريدة و إيجاز مبدع فضلاً عن فحواه المتنوع بين تشريع وأخلاقيات وعبادات وإلهيات .

ويذهـــب المستشرق هنري مآسيه إلى أن حياة محمد قبل الإسلام كانت موزعة بين الصوم والصلاة وهو ما أضعف جسمه وهذا الضعف يؤدي إلي حدوث رؤى ليلية، وأن من بين هذه الرؤى حادث الإسراء والمعراج .

ويـــرد علماء المسلمين علي ذلك أن النبي محمد (ص) لم يكن ضعيف الجســـم حـــتى يمكن أن نرجع الأحداث الهامة في الإسلام إلى الرؤى الليلية التـــي يراها أصحاب المشاعر المكبوته وأن حادثة الإسراء والمعراج لم تكن رؤيا ليلية فيما يري النائم بل كانت إسراء بالجسد والروح ..

لـــم يـــنزل القـــرآن علي النبي محمد (ص) دفعة واحدة بل أنزل علي فترات خلال مدة الرسالة التي بلغت ثلاث وعشرين سنة - علي اختلاف بين الفقهـــاء فـــي مـــدة التنزيل - مكث في مكة منها ثلاثة عشر عاماً ثم عشر ســـنوات في المدينة، وكانت آياته تبياناً للأحداث والوقائع والقصص أو بياناً لأحكـــام شرعية أو رداً علي المعارضين للديانة أو إيراداً للبراهين والأدلة علـــي وحدانية الله وقدرته وجلاله وقيل إنه كان ينزل خمس آيات أو عشر آيـــات فـــي المرة الواحدة إلا سورة الأنعام ، والآيات العشر التي نزلت مرة واحدة في سورة النور وفيها يبرئ الله السيدة عائشة زوجة النبي مما إتهمت به في شرفها وتسمي حادثة الإفك .

وقـــد ذهـــب الجمهـــور مـــن الفقهاء إلى أن القرآن كان مدوناً باللوح المحفوظ ثم نزل إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً علي النبي (ص) غير أن ما ورد بالقـــرآن ذاتـــه يشـــير إلى أن تنزيله لم يكن جملة بل كان مفرقاً بتتبع الحـــوادث وقـــد تصـــور أصحاب هذا الرأي أن القرآن يجب أن ينزل جملة كالتوراة والإنجيل مع أن التوراة والإنجيل لم يدونا جملة واحدة .

ويقول القرآن في هذا الصدد :-

" **وقـــال** الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فـــؤادك و رتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيراً " الفرقان(٣٢،٣٣) .

وكـــان كتاب الوحي عند نزول آية منه يدونونها في الرقاع من الجلود ورقـــائق الحجر والعسب (جريد النخل) والعظام المبسوطة ثم قام أبو بكر بجمع السور حسب ترتيبها المقرر في عهد النبوة بناء علي إقتراح من عمر بـــن الخطاب بعد يوم إليمامة الذي قتل فيه جمع من الحفاظ فخشي عمر علي

القرآن أن ينسي وقام زيد بجمع القرآن من الرقاع ومن صدور الحفاظ - لا يقبل آية إلا بشهادة شاهدين يتطابقان في العلم والحفظ .

غير أن المسلمين اختلفوا في طريقة التلاوة بعد عمر وكان عثمان قد تولي الخلافة فأرسل إلى حفصة التي أودع لديها القرآن أن تسلمه صحفه ثم دفع هذه الصحف إلى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارس فنسخوها في المصاحف وإذ تكاملت أجزاء المصحف أمر عثمان بحرق ماعداها من صحف.

وقد حاول بعض المستشرقين(راجع) Blachere,Schwally,H.Masse التشكيك في أهداف عثمان في تدوين القرآن فذهبوا إلى أن النزعة الأرستقراطية والإتجاه السياسي لعثمان ومحاولاته تثبيت مركزه ضد علي بن أبى طالب هو الذي أملى عليه جمع المصحف وزعموا أن نسخة المصحف العثمانية الرسمية لا تضم سورتين من مخطوط أبى بن كعب بينما تضم سورتين أكثر من مخطوط ابن مسعود وأن الخوارج رفضوا السورة الثانية عشرة (سورة يوسف) معلنين أن اللهجة الغرامية لقصة يوسف والمرأة المصرية تجعلها متنافرة مع كتاب مقدس ولا يعتقدون أن وحياً من هذا النوع يأتي من الله ، غير أن المستشرق بلاشير عاد وقرر أن أعضاء لجنة تدوين القرآن لا يشك أحد في نزاهتهم وعمق المشاعر التي واكبت مسئوليتهم ومدي إحتياطا تهم بسبب ورعهم وإيمانهم وإن كان منهج البحث لم يكن متيسرا لهم (Blachere,entre all coran p58 - 61) كذلك قال المستشرق هنرى ماسيه H.M إن الثابت من عملية جمع القرآن وتدوينه أن سورة يوسف كانت موجودة في أقدم النسخ وقد علق الأستاذ محمد جواد مغنية أستاذ الفلسفة الإسلامية في الجامعة اللبنانية علي ذلك بالقول بأن السنة و الشيعة قد إتفقوا إجماعاً علي عدم تحريف سور القرآن أو آياته بالزيادة أو النقصان وما نسب إلى الإمامية في

هـذا الشأن هو إفتراء و أن علماءهم أجمعوا علي عدم تحريف القرآن ومنهم الشـيخ الصدوق والسيد المرتضي والشيخ الطوسي والشيخ جعفر النجفي و البغدادي وغيرهم .

ومـن المؤكد أن الخليفة عثمان لم يكن حاكماً مطلقاً إلى حد إضافة أو إنقاص شئ من القرآن وإلا لكان حفاظ القرآن ورجاله الذين خاضوا المعارك هـم أول من عارضه بالسلاح ، فضلاً عن أن تقوى عثمان وورعه يتنافيان مع اتهامه بتحريف القرآن .

ويجمع علماء المسلمين علي أن القرآن المدون بين دفتي المصحف لا نقصان فيه ولا زيادة .

*** قال البغـوي :**

" إن الصـحابة جمعوا بين الدفتين ، القرآن كما أنزله الله علي رسوله مـن غـير أن زادوا فـيه أو نقصوا منه شيئا ، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظـته فكتـبوه كما سمعوه من رسول الله (ص) من غير أن قدموا شيئا أو أخـروا شـيئا أو وضـعوا لـه ترتيبا لم يأخذه منه ، وكان رسول الله يلقن أصـحابه ويعلمهـم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصـاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام إياه علي ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا " .

ونفس المعني قال أبو بكر الأنبارى وابن الحصار .

مــن المستشرقين من هاجم القرآن هجوماً شديداً معلناً أنه لا يعدو أن يكــون تكراراً لأحداث و تشريعات التوراة فضلاً عما حفل به من تكرار لا غناء فيه ، وأن آياته تتناقض بعضها مع البعض رغم وحدة الموضوع و أن مــا ضمه من ناسخ ومنسوخ إنما يدل علي أنه من وضع البشر وليس تنزيلاً مــن الله .. ولقد كانت الإنتقادات التي وجهها بعض المستشرقين إلى القرآن بالصورة التي أطلعنا عليها لا تدل علي فكر علمي تحليلي وإنما تشير بيقين إلى الميل والهوى والرغبة في النقد الهدام الذي يتنزه عنه العالم المفكر الذي يكتب في حياد حقيقي .

وتفرض علينا أمانة البحث أن نذكر بعض آراء المستشرقين المعتدلين، وقد وقع إختيارنا علي المستشرق الفرنسي هنري ماسي في كتابه الإسلام .

L'ISLAM PAR H MASS

يقــول المستشرق المذكور إن المستشرق الألماني وايل وكذلك نولدكه أثبتوا وجود ثلاثة أقسام من السور المكية :-

١ــ **القســم الأول** : وهو الأجمل من الناحية الأدبية – وهو إنشاء مبدع ملون بصور قوية وآيات تحتوي علي توصيات ومواعظ تلتهــب فيها قوة الإيمان المستمدة من ظواهر الطبيعة ، ولكنها أيضــا مشــيرة إلى عواطف مشوشة ليست مفهومة حتى من معاصري محمد .

٢ــ **أمــا القسم الثانى** : فهو أكثر هدوءاً فقد بدأت صور الإيمان تختفى تاركة مكانها لصيغة " هذا هو وحى الله " مع التبشير بيوم القيامة ، فضلاً عن توحيد الله ... وقد طالت السور كثيراً.

٣ــ **إن الأساطير المتعلقة** بالأنبياء قد تكاثرت فى القسم الثالث مــن

السور المكية وهى إنعكاس مشوش لأساطير الهاغادا اليهودية وهذه الأســاطير تضــم ألف وخمسمائة آية تقريباً أى ربع القرآن ، وهو كلام مردد ومكتوب بإنشاء أقل تماسكاً وخطابى ، وهو القسم الأقل قــيمة فى القرآن رغم ما فيه من فائدة فلكورية ، وقد أشير إلى الله بكلمة الرحمن فى الغالب وهى كلمة إختفت من السور اللاحقة .

أما بعد هجرة محمد إلى يثرب ، فقد امتلأت الآيات بأحكام التشريع ، وقــد لوحــظ أن إبراهــيم دخل فقط فى السور المكية كأحد الأنبياء السابقين لمحمــد دون أدنى علاقة مع العرب ولكنه فى السور المدنية وبعد أن اختلف محمــد مــع الــيهود أصبح إبراهيم هو جد العرب وأنه هو الذى بنى البيت الحرام فى مكة .

أما تنظيم القوانين فهو يجتمع فى سور البقرة والنساء والمائدة .

١- مــن صفات القرآن الأساسية مبدأ التجزؤ - حيث تضم السور آيات متوالية قد لا تكون لها رابطة فى موضوع مشترك ، فضلاً عما فيها من ناسخ ومنسوخ أى أن الله لا يتردد فى العودة إلى ما أمر به .

٢- إن الآيات التى تخص القضاء والقدر فى القرآن مناقضة لبعضها.

٣- إننا لو ألقينا القصص اليهودية والترديدات جانبا لأمكن جمع النصائح الزمنية ... وباقى القرآن فى حيز صغير جداً (هذا رأى المستشرق LANEPOOLE) .

وسوف نذكر فى معرض تناولنا لمحتوى القرآن آراء علماء المسلمين فى شأن هذه الإنتقادات التى عرضها المستشرق هنرى ماسيه .

لا يعد القرآن شعراً لأنه غير منظوم على النحو الذى نظم به الشعر – كمـــا لم يتناول القرآن أغراض الشعر التى كانت سائدة وقت نزوله كالغزل والـــبكاء علـــى الأطـــلال والمدح والرثاء والهجاء ووصف البيداء والرمال والـــنوق والليل والنجوم ... كما نأى تماماً عن أهم أغراض الشعر الجاهلى وهو الفخر بالنفس أو بالقبيلة .

ولقــد كانـــت ألفاظ الشعر الجاهلى ثقيلة جامدة وكأنما قدت من صخر بينما تفيض ألفاظ القرآن بالجرس الموسيقى .

فمن معلقة لإمرؤ القيس يقول فى وصف الحصان .

مكر مفر مقبل مدبر معاً　　　　كجلمود صخر حطه السيل من على

ويقول فى عاطفة المحبة :-

إذا أنت لم تحب ولم تعرف ما الهوى　فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً

ونرى فى آيات القرآن صياغة محكمة تغريك بمتابعة التلاوة .

ففى سورة الفرقان " ويوم تشقق السماء بالغمام ونُزل الملائكة تنزيلاً الملـــك يومـــئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً . ويوم يعض الظـــالم علـــى يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً " [من ٢٥- ٢٨] .

كمـــا أن العـــرب لـــم تكن تعرف النثر إلا قليلاً ، وإن وجد فعباراته مســـجوعة وأغراضـــه ســـطحية وأفكـــاره هامشية وفى لغته تكلف لحشوه بالزخرف المصنوع ومن ثم تمله النفس من القراءة الأولى .

يقـــول عـــنه الدكتور طه حسين فى مرآة الإسلام " لم يؤد إليهم هذه المعانى شعراً ولم يؤدها إليهم نثراً وإنما أداها على مذهب مقصور عليه وفى أسلوب خاص به لم يسبق إليه ولم يلحق به " .

وتـــرى آياتـــه – تـــارة فسيحة التركيب اللفظى ممتد الصياغة ثم تراه قصـــير اللفـــظ تـــارة أخـــرى ولو تطابقت الواقعتان فى المضمون والدلالة ونعرض لذلك مثلاً بشأن قصة نوح :-

" ونـــادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكـــم الحاكميـــن * قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تســـألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب إني أعـــوذ بـــك أن أســـألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين " هود آية (٤٥ــ ٤٧) ومن آياته القصار فى ذات الموضوع .

" كذبـــت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين * فاتقوا الله وأطيعون " الشعراء آية (١٠٥ــ ١١٠) .

*** بيانات إحصائيـــة :-**

يشـــتمل القرآن على (١١٤) سورة ، والسورة تعنى الإبانة والإرتفاع وقـــد تكون مؤنثا لكلمة سور – أى الشئ المرتفع المحيط بالبناية ومنها قول النابغة .

" ألم تر أن الله أعطاك سورة   ترى كل ملك دونها يتذبذب " .

وقـــيل إنها سميت سورة لكونها جزءاً من القرآن ومن ثم يكون أصلها مهموزاً وخففت الهمزة فأبدلت واواً والجمع سور وسورات وسوارات .

والسورة مقسمة فى القرآن إلى آيات .

وقال (الحافظ الدمشقى بن كثير) إن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية وقيل أزيد من ذلك .

والآية تعنى العلامة على إنقطاع الكلام الذى قبلها عما بعدها وإنفصالها أى أنها بائنة عما قبلها وما بعدها وقيل إنها تعنى بعض كلمات القرآن .

وعدد كلمات القرآن طبقاً لأرجح الأقوال سبع وسبعون ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة [الفضل بن شازان وعطاء بن يسار والحافظ الدمشقى] وعدد حروفه ثلاثمائة وواحد وعشرون ألف ومائة وثمانون حرفاً وقيل أزيد من ذلك .

والسور المدنية أى التى نزلت فى المدينة فى القرآن هى - البقرة وآل عمــران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والرعد والحج والنور والأحزاب ومحمــد والفــتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن و الطلاق والتحريم و الإنسان والبينة والزلزلة والنصر وأما باقى السور فقد نزلت بمكة وتسمى مكية .

وقــيل إن القــرآن ليس فيه شئ من التراكيب الأعجمية ولكنه تضمن أعلامــا أعجمــية كإبراهيم ونوح ولوط ، وأما عن كلماته التى لها اصل فى الأعجمــية وهــى - كمــا قيل - من باب توافق اللغات وإندماج بعضها فى البعض .

تذهب آراء إلى أن استعمال القرآن للفظ الواحد قد يأتي بمعان تختلف من موضع لآخر بل قد تتباين تبايناً شديداً بما يستوجب القول بأن القرآن إستخدم اللغة إستخداماً جديداً – فمثلاً لفظ الرجاء إستعمل تارة بمعنى الخوف وتارة أخرى بمعنى التمنى مع ما بين المدلولين من اختلاف .

ففى القرآن " الذين لا يرجون لقاءنا " سورة يونس آية (٧) وتفسر بمعنى الخوف وفى القرآن " اللائى لا يرجون نكاحاً " تفسر بمعنى التمنى ، وهو ما إستوجب القول بأن التفسير يقتضى معرفة سياق الموضوع. وقد سبق لنا أن بينا المعانى المختلفة لكلمة الوحى ... مع ما بين الكلمات من اختلاف فى المدلول ..فضلاً عن أن بعض الكلمات فى القرآن تختلف عن معانيها اللغوية ولكى يتمكن المفسر من الكشف عن المعنى الصحيح يتعين عليه أن يكون عالماً باللغة وبالمدلول الذى استعمله العرب للكلمة وأيضاً عالماً بأسباب النزول وبالمحكم والمتشابه والغريب والناسخ والمنسوخ.

وبعض ألفاظ القرآن ظل غامضا حتى اليوم ، بل إن بعض المسلمين الأوائل حظروا التفسير والتأويل لغريب القرآن وما غمض عليهم وفى ذلك قيل " من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ " وقد سئل أبو بكر خليفة النبى محمد (ص) عن قول القرآن " وفاكهة وأباً " ما المقصود " بالأب " فقال أى سماء تظللنىَ وأى أرض تقلنى إذ أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم ".

وسأل رجل ابن عباس وهو من كبار الصحابة عن يوم مقداره ألف سنة فقال : فما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة... فقال له الرجل إنما سألتك لتحدثنى فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله فى كتابه، الله أعلم بهما(١).

(١) راجع سلوى محمد سليم – رسالة الوجوه والنظائر فى القرآن وراجع الحافظ الدمشقى بن كثير فى تفسير القرآن .

ويقـــول ابـــن كثير إن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ومنه ما يعلمه العلماء ومنه ما تعـــلمه العرب من لـــغاتها ومنه ما لا يعذر أحـــد فى جـــهالـــته وهى أوجـــه قال بها ابن عباس وزاد فى حديث آخر " ومتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب " .

ومـــن الألفاظ التى لا نظير لها فى اللغة ولم يفهم مدلولها حتى الآن ما جاء بالقرآن " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم " سورة الكهف آية (٩) فقـــد اختلف الرأى حول لفظ الرقيم ما هو مصدره وما هو مدلوله ، ولم تتفق الآراء حتى الآن .

ولفظ مجمع البحرين ... لم يعرف حتى الآن موضعه ، ومن هو العبد الصالح الذى صاحبه موسى وكشف له عن علمه بالغيب الإلهي وقد ورد فى افتتاح بعض سور القرآن حروف من الأبجدية لا تشير إلى لفظ فى اللغة ... مثل الم ، طه ،يس ، وق وغيرها ... واختلف المفسرون فى بيان دلالتها إذ هـــى لا تعدو أن تكون حروفاً مفردة أو مجتمعه دون أن تشير إلى لفظ وارد باللغـــة ، فقد قال بعضهم عنها إنها مجرد افتتاح للسورة وقال آخرون ومنهم ابن عباس إنها من أسماء الله وذهبت آراء أخرى إلى أنها أساليب قسم أو أنها صـــفات لله أو أنهـــا مجرد حروف قصد بها تبيان إعجاز القرآن المكون من حروف اللغة دون القدرة على محاكاته .

وقـــد ذهـــب المستشـــرق الألمانـــي NOLDEKE والمستشـــرق SCHWALLY أن هـــذه الحروف من أسماء بعض الصحابة الذين كانت لديهم نسخ من بعض سور القرآن (١) ، والغريب فى هذا الأمر أن الصحابة

(١) راجع LOTH فى كتابه TABARI`S KORANS COMMENTAR ويقـــول إن السين نسبة إلى سعد بن وقاص والميم نسبة إلى المغيرة والنون نسبة إلى عـــثمان بـــن عفان – ونعتقد أنه رجع عن هذا الرأى ويذهب رشيد رضا إلى أن هذه الحـــروف للتنبـــيه ... وهـــذه الآراء جميعها إجتهادات شخصية لا تقوم على منطق مقـــبول، بينما رأى فيها أبو بكر أنها سر القرآن ولم يفصح لنا عن المصدر الذى أدى به إلى هذا القول .

لم يسألوا النبى عن معانى كلمات الغريب من القرآن ، فما هى دلالة ذلك ... إنه أمر مجهول .

فضـــلا عن أن وجود الغريب فى القرآن يعد أيضاً أمراً مجهولاً لنا فى سبب إحتواء القرآن عليه ، وخلاصة القول بأن بعض آيات القرآن سواء فى فحواها الكامل أو فيما إحتوته من تراكيب لفظية ما زال يحيطه الغموض .

كذلــك نــرى فى بعض السور وصفاً لمخلوق على أنه من الإناث ثم وصــفاً له على أنه من الذكور وقد يتعامل مع الإناث بإسلوب الذكورة فقال عــن الملائكــة " والصافات صفاً " سورة الصافات آية (١) وفى آية أخرى " وإنــا لنحــن الصــافون " سورة الصافات آية (١٦٥) وقال أيضا " فسجد الملائكــة كلهم أجمعون " سورة الحجر آية (٣٠) وقد ذكر لفظ الملائكة فى القرآن ٦٨ مرة وقد عبر عنها فى معظم الآيات بلفظ جمع المذكر .

كمـــا يــتعامل القرآن بأساليب متعددة فى الإفراد والتثنية والجمع ففى ســورة الشــعراء آية (٢٨) يقول " رب المشرق والمغرب " بينما فى سورة الرحمــن آيــة (١٧) " رب المشرقين ورب المغربين " وفى سورة المعارج آية (٤٠) " فلا أقسم برب المشارق والمغارب " .

ويذهب المستشرق جولد زيهر والمستشرق بلاشير إلى أنه رغم وحدة المســمى فقد أورده القرآن مفرداً تارة ومثنى تارة أخرى ثم أورده على حالة الجمع . ويعزون ذلك إلى التناقض فى تراكيبه اللفظية وقد فسر الإمام احمد هذا الاختلاف بأن المقصود بالمشرق والمغرب هو اليوم الواحد الذى يستوى فــيه الليل والنهار وفى حالة التثنية هو أطول الأيام وأقصرها فى السنة وفى الجمع يشير إلى مشارق العالم ومغاربه .

وذهــب الشيخ محمد حسنين مخلوف فى كتابه صفوة البيان إلى أن من ألفاظ القرآن ألفاظاً لا يقف على معانيها إلا الراسخون فى اللغة والمتمرسون بأســاليب العرب ولهجاتهم مثل أبا والسائبة والوصيلة وغسلين وسجين وأواه

واغطش وأهوى وهمزة لمزة والعلق وضبحا وكنود وفاكهين ونحو ذلك وتسمى غرائب القرآن وقد عنى بشرحها وبيان معانيها الوضعية وما أريد منها فى الآيات المشتملة عليها أئمة اللغة والتفسير كأبي عبيده وابن دريد والزجاج والفراء والأخفش .

*** المحكم والمتشابه**

المحكم هو ما عرف معناه ومراده ومن آيات القرآن آيات محكمات ومنها متشابهات ... والمتشابه ما لم يحط به المسلمون فى معناه ومراده وعلمه عند الله .

وفى معنى آخر – المحكم ما لا يحتمل تأويلا وليس له إلا وجه واحد فى معناه وفى دلالته أما المتشابه فإن له أوجها عدة ويحتاج إلى النظر لحمله على الوجه المقبول.

فحروف أوائل بعض السور مثل ا ل م ، ق ، ك هـ يـ ع ص .. لم يتوصل المسلمون إلى فهم معناها ولا يزال المعنى غامضا حتى اليوم ومثل الرحمن على العرش استوى " ما المقصود بالاستواء .. وفى سبيل إزالة بعض الغموض قالت أم سلمه " الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر " وقال مالك " الكيف مجهول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " ونعتقد انهما قد زادا الأمر غموضا .

ويقول ابن تيميه ردا على من أنكر استواء الله على العرش " إذا تضمن كلا منهم أن الله ليس على العرش ولا فوق العالم وإذا كان مضمون كلامهم أنه ليس فوق السموات رب ولا فوق العرش إله وأن الملائكة لا تعرج إلى الله ولا تصعد إليه ولا تنزل من عنده وأن عيسى لم يرفع إليه ومحمد لم يعرج به إليه ... فإن قائل ذلك يقوله بين إخوانه المنافقين " .

ورغم أن القرآن نزه الله تنزيها كاملا بقوله تعالي " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " سورة الشورى آية (١١) إلا أن بعض الآيات أوردت أوصافا لله تماثل أوصاف البشر مثل " كل شئ هالك إلا وجهه " سورة القصص آية (٨٨) فما المقصود بالوجه ، ومثل " ولتصنع على عيني " سورة طه آية (٣٩) ما المقصود بالعين ومثل" والسماوات مطويات بيمينه " سورة الزمر آية (٦٧) فما المقصود باليمين.

وقال الجهمية إن من وصف الله بشيء مما وصف الله به نفسه فى كتابه كان كافرا وكان من المشبهة وقد تبعهم رجال من أصحاب أبى حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة .

وقد أضاف بعض منكري صفات الله القول بأن الله لم يكلم موسى لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة (أى عضوا الكلام اللسان والفم) والجوارح عند الله منتفيه (راجع فتاوى بن تيميه الجزء الأول المجلد الخامس) .

وقالت المعتزلة إن الله عز وجل عالم وقادر وحي سميع بصير من طريق التسمية من غير ثبوت العلم والقدرة أو السمع والبصر (١) .

وقال بعض القرامطة إن الله عالم قادر سميع بصير فى المجاز لا فى الحقيقة ، والبعض يقر بأسماء الله الحسنى دون الإقرار بالصفات على أساس أنها ذكرت فى القرآن على سبيل المجاز ولتقرب ذات الله إلي البشر ... لأن الله يتنزه عن أن يكون له جوارح (أعضاء) مثل البشر كجارحة الأذن للسمع والعين للبصر واليد للبطش والقوة .... الخ .

ولقد أدت مثل هذه الخلافات بين الأسماء والصفات وحقيقتها إلى طرح قضية أخرى تعد من القضايا التى شغلت العالم الإسلامي السلفى وهى قضية هل القرآن مخلوق أو أزلي ... فقد نفت الجهمية أن يكون لله كلام قائم ، وأن حقيقة كلامه هو ما يفيض به على نفوس الأنبياء الصافية القدسية والحروف التى تتشكل وتترابط فى نفوس الأنبياء هى كلام الله بمعنى أن الله لا يتكلم وإنما يفيض بالمعنى على نفوس الأنبياء(٢) .

---

(١) يذهب بعض المستشرقين H. MASSEE إلى أن الله في الإسلام ليس مساويا ليهوه العبراني فقط باعتباره إلها واحدا بل هو يشبهه أيضا فى صفة الغيرة والانتقام .

(٢) فكرة خلق القرآن كانت عقيدة الخليفة العباس فرضها كأساس للإيمان وخالفه فيها بشدة الأمام بن حنبل .

وقـــال سليمان بن داود الهاشمي من قال القرآن مخلوق فهو كافر وقال الـــبخاري إن القرآن كلام الله وليس بمخلوق ، بينما ذهب البعض (الحكم بن محمد الطبري) أن الله يخلق كلاما فى غيره كما جاء بالآية .

" **وقالوا** لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ " سورة فصلت آية (٢١).

وقـــال محمد بن الحسن – إتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وقال الإمام الرازى – اختار الأئمة المحققون من السلف ترك الخوض فـــى تعييـــن التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال وفى رأى المعتزلة أنه لا يجوز التشبيه المنسوب إلى الله بأن له يدا أو وجهـــا أو غير ذلك لأن الله روح خالص كما ينكرون الصفات ويقولون إنها تقود إلى الشرك .

وفى سورة آل عمران ورد بالآية رقم ٧ ما يلى :

" **هـــو** الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشـــابهات فأمـــا الذيـــن فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلآ أولوا الألباب " .

ولعـــل هذه الآية توضح أن بالقرآن آيات متشابهات ولكنها تتخذ لإثارة الفتنة بتأويلها ، وهو ما يحدث الآن ... حيث إن كل فرقة من فرق المسلمين أخـــذت تـــؤول المتشابه من الآيات وطالبت كل فرقة بضرب أعناق غيرها وتكفيرها واتسعت دائرة التكفير باتساع دائرة التأويل ، ولم تجتمع هذه الفرق على رأى واحد وبذلك تحقق الحديث النبوي القائل " ضربوا كتاب الله بعضه ببعض " وإذا كان النص القرآني يضيف إلى الراسخين فى العلم معرفة تأويله

... فمـــن هـــم الراســـخون فى العلم ... وكل عالم منهم يدعى صحة بيانه (وهناك تفسير آخر ينفى عن الراسخين فى العلم معرفة تأويل المتشابه) .

وفـــى تقديـــرنا أن الله منزه عن الظواهر والنظائر البشرية فلا يمكن القـــول بأن له يد أو عين أو أذن ولا يمكن القول بأنه يجئ ويذهب أو يجلس ويقف ، ولأن الله استعمل المجاز فى القرآن ، فإن ما ورد فى آياته من ألفاظ تفـــيد التجسد ، لا يقصد بها حقيقة أن الله كالإنسان متحيز الوجود له جوارح وأعضاء كالإنسان وإنما يحمل الاستواء على العلو المعنوي ومجيء الله على مجـــيء أمره وفوقيته على العلو لا متحيزا فى مكان أو جهة و تحمل عبارة وجهه على ذاته وعينه على عنايته ويده على قدرته [وانظر الإتقان] .

وإذا كان ذلك صحيحا فإن القرآن يكون مختلفا اختلافا بينا عن التوراة والإنجـــيل ففـــي الـــتوراة أضافوا إلي الله جميع الصفات البشرية من ابتهاج وبغـــض ونـــدم وهو على هيئة إنسان له وجه ويد وظهر ويمشى فى عمود ســـحاب أو عمـــود نار وقد طلب من بنى إسرائيل بناء هيكل له ليستقر فيه فـــاعدوا لـــه تابوتـــا فى الهيكل ليكون مستقره وقد تجسد فى صورة إنسان وصـــارع يعقوبـــا وضـــربه على فخذه وفى الإنجيل ، اعتبر بولس وكتاب الأناجـــيل المسيح هو الله المتجسد .. حيث كانت له طبيعة ناسوتيه أى طبيعة الإنســـان بكل ما فيه من ضعف وقوة ومن غرائز فهو يأكل ويشرب ويقضى حاجته بعد أن ولد ورضع من ثدي أمه .... والأكثر من ذلك جعلوا للإنسان سلطة قهره بصلبه وقتله وإراقة دمه ثم موته وقيامته .

*** ومن المتشابه ما جاء بسورة النور (٣٥):**

" الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح – المصباح فـــى زجاجة – الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا

شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم".

ورغم أن الآية بدأت بأن الله نور السموات والأرض إلا أنها أبرزت تشبيه نوره بزجاجة وضعت فى كوة فى جدار (المشكاة) والزجاجة مضيئة ، وشبهت الزجاجة بالكوكب الدري ، وأن زيتها من صفائه ونقائه يكاد يضئ ولو لم تمسسه نار.

والتشبيه على هذا النحو محال لأن المشبه به مهما كان صفاؤه ونقاؤه (الزجاجة والكوكب الدري) محدود لأنه مخلوق بينما المشبه وهو نور الله غير محدود ، ومن ثم يجب أن يحمل المعنى على غير ذلك، وقيل فى تفسير الآية " وقد شبه فى الآية نور الله بمعنى أدلة آياته سبحانه من حيث دلالتها على الحق والهدى وعلى ما ينفع الخلق فى الحياتين بنور المشكاة.(١).

*** آيات القضاء والقدر فى رأى المستشرقين**

يقول المستشرق غولد زيهر ..... إن آيات القرآن التى تتحدث عن حرية الإرادة لا تثبت على معنى واحد ، إذ الثابت من معظم آيات القرآن أن قدرة الله مطلقة ولا يسأل عما يفعل ولكنه لا يظلم أحدا من عباده ولا يكلف نفسا إلا وسعها فلها ما كسبت وعليها ما اكتسبت بمعنى أنه خلق حرية الاختيار للإنسان فله أن يتبع الخير أو يرتكب المعصية والله من ورائه محيط ، ويضيف المستشرق أن القرآن أورد آيات أخرى تشير إلى أن الخير والشر بيد الله فهو يقول فى سورة الأنعام (١٢٥) .

" **فمن** يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ".

---

(١) انظر صفوة البيان للشيخ حسنين محمد مخلوف .

وفـــى ســورة يونـــس يقول : " إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون " آية (٩٦) .

وفـــى ذات الســـورة " ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون " آية (٩٩ ـ ١٠٠) .

وفـــى ذات الســـورة يقول أيضا " قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل " آية (١٠٨).

وفـــى سورة ص(٢٦) " يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ...."

وفـــى ســـورة الكهف(٢٩)" وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر".

وفـــى سورة الإسراء (١٦): " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ".

وفـــى ســـورة الأنعـــام (١٨) : " وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير".

وفى سورة البقرة (٢٨٦) : " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ... "

وقيل أن هذه الآية نسخت آية أخرى هى الآية(٢٨٤) ونصها كالآتي " لله مـــا فـــى الســـموات ومـــا فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاســبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير " البقرة (١).

يقول المستشرق غولد زيهر تعليقا على هذه الآيات .:.. إن الله فـــى

---

(١) قيل فى شأن نسخ هذه الآية أنها لما نزلت وتلاها النبى على أصحابه تألموا ألما شديدا وأوضحوا ذلك للنبى فنزلت بعدها الآية ٢٨٦ ناسخة إياها .

الآيات التى تبرز ضلال العاصى - لم يدفعه (أى أن الله لم يدفع العاصى) إلـى الضلال ولكنه يكتفى بتركه يضل ... فإذا بذل جهدا نحو الخير فإن الله يعيـنه ويوفقه وقال المستشرق جريم GRIMME إن محمدا نفسه قد تطور فمن حرية الإرادة فى الدور المكى - انتهى بعد الهجرة إلي الجبرية المطلقة.

ويقـول المستشـرق هنري ماسية : " ومنذ وقت قريب جدا فإن هذه الجـبرية الـتى تضـع الذنوب والفضائل والعقاب والثواب تحت سلطة الله المطلقـة قـد أقلقـت قضية العدالة عند المسلمين وسميت المشكلة بمشكلة القضاء والقدر وأنها أبرزت مذاهب كلامية منها مذهب القدربين القائلين بان الإنسـان يخلـق أعمالـه بنفسه ومذهب الجبريين الذين يصورون الإنسان كالطبيعة الخاملة خاضعة لجبرية الله " .

ولقد اتخذ بعض الحكام مشكلة الجبر والاختيار فاستغلوها فى خدمتهم حيـن يكـون الحـاكم صاحب سلطة مطلقة حتى أن شعراء الأمويين كانوا يعلنون للناس أن هلاكهم مقرر سلفا فى أحكام الله الأبدية .

ويذهـب المعتزلة إلى أن الإنسان هو خالق أعماله دون تدخل من الله وهذه الإرادة تتعارض مع المفهوم الجبري بينما يذهب بعض المستشرقين - تعليقا على رأى المعتزلة بأنهم رفعوا الجبرية عن الإنسان وأضافوها إلى الله ... حيـث " يجد الله نفسه مضطرا (جل جلاله) إلى إثابة الأخيار ومعاقبة الأشرار " مع أنه القائل "فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " سورة البقرة آية (٢٨٤) بمعـنى أن المعـتزلة قالوا بأن الإنسان حر فيما يفعل بينما الله ليس حـرا أبـدا " [انظـر هـنري ماسية في كتابه الإسلام ترجمة بهيج شعبان منشورات عويدات بيروت ص ٢١٤] .

وقد أورد الكاتب الإسلامي أبو المعالى أسس العقائد السنية فيما يلى :-

" إن العـزة الإلهية عظيمة القدرة مع جميع صفاتها هى خالدة والقرآن غـير مخلـوق والجـنة والنار مخلوقان ووجود الله حقيقة يقينية والمسلمون المرتكـبون لذنـوب كبـيرة ليسوا بكافرين وإذا ماتوا ولم يتوبوا فسيقاسون

العقاب الجهنمى بالنسبة لذنوبهم ثم يعودون إلى الجنة بشفاعة محمد والسنيون يعتبرون أن الخير والشر خاضعان لإرادة القدر وهذا لا يمنع الحكم على أعمال البشر بأنها مستحقة للثواب أو العقاب ، ويضيفون أن الخير والشر صادران عن العزة الإلهية و لكن الخليقة تملك حرية أعمالها وأن الله يخلق الفعل متفقا مع حرية الإرادة لكل واحد من البشر والله يعرف ذلك من العلم الأبدي أى أنه يعلم ما سوف يأتيه الإنسان من خير أو شر علما مسبقا وأن الله يعين خلقه أو يتخلى عنهم منذ الأزل وفقا لرغبته وانه ليس للمخلوقات من سبيل آخر إلا الطاعة وبذل الجهد " .

*** القضاء والقدر عند مونتجمرى وات**

يقول المستشرق مونتجمرى وات – إن حرية الإرادة Free Will لم ترد أبدا في يقين المسلمين وإنما حلت محلها فقط عقيدة حرية الاختيار وليست حرية الإرادة ، أما عقيدة الجبرية Predestination فهي تعنى أن الله هو القاهر فوق عباده له الأمر والنهى وليس للإنسان مجال فى الاعتراض(١).

ويضيف إن عقولنا لا تستطيع التوفيق بين الحقيقتين الأزليتين السلطة المطلقة لله ، ومسئولية الإنسان القائمة على حرية الإرادة (٢).

---

(١) فى المسيحية جاء فى رسالة روما فى أعمال الرسل ما يلى " فالله إذن يرحم من يشاء ويقسي من يشاء هنا ستقول لي لماذا يلوم بعد (آي لماذا يحاسبنا) من يقاوم قصده ؟ أى قصد الله فأقول من أنت أيها الإنسان حتى ترد جوابا على الله ؟ أيقول الشيء المصنوع لصانعه لماذا صنعتني هكذا أو ليس لصانع الفخار سلطة على الطين ؟ "

[راجع الرسالة إلى مؤمني روما – أعمال الرسل ١٩ ، ٢٠]

(٢) راجع Free Will And Predestination In Early Islam By: W.Montogomery Watt .

وهى رسالة دكتوراه – وراجع ترجمة الدكتور عبد الرحمن الشيخ .

وإننا بالاطلاع على آيات القرآن نجد ما يلى :-

١- إذا نظـرنا للقرآن كوحدة متكاملة نجد فكرة الجبر وكون الله هو المهيمن على أعمال البشر واضحة جلية .

٢- كما نرى فى كثير من الآيات أن مسئولية الإنسان أيضا قائمة .

أ- فهناك آيات تشير إلى أن من يكفر فإن الله أعد له نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستـغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ولا يمكن أن يهئ الله للكافريـن نارا وللمؤمنين جنة إلا إذا كانت لهم حرية الاختيار بين الكفر والإيمان [راجع سورة الكهف] .

فضـلا عـن ذلـك فـإن القرآن يؤكد أن الله لا يظلم أحدا وهو يضع الموازيـن بعدالـة مطلقة ليحاسب البشر على أفعالهم [راجع سورة الأنبياء وسـورة يـس] ففـي هذه الآيات ومثيلاتها فإن القرآن يجعل الإنسان كائنا مسئولا عن عمله .

ب ــ أما الآيات التى تشير إلى السلطة الإلهية **Divine Omnipotence** يظهر فيها الإله كرب عظيم له قوة وسلطة على خلقه **His Power of creating** ففي سورة يونس تظهر الهيمنة الإلهية والمشيئة الربانية حين تقول الآيات إنه لو شاء ربك لآمن من فى الأرض جميعا وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله – وفى آيات أخرى فإن المشيئة لله وحده .

ويضـيف مونتجمرى أنه فى الآيات التى حملت حقيقة الهيمنة الإلهية فـإن المسئولية الإنسانية (أو حرية الاختيار) قد استبعدت تماما .. وضرب لذلك مثلا .. امرأة لوط حيث استبعدها الله من النجاة بينما نجى لوطا وأهله.

ج ــ بالإضافة إلى هذه الحقائق فإن القرآن يتضمن آيات أخرى تحمل هداية الله والإضـلال ولطـف الله بعباده فقد أشار فى سورة الأنعام إلى إن الله

يهــدى مــن يشاء – إذا أراد ذلك ومن يرد أن يضله يجعل صدره حرجا (مختنقا) كأنما يرتفع إلى السماء فلا يجد هواء يقيم حياته.

وفى سورة الصف آية (٥) " وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقــد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين " .

وفــي سورة النحل آية (٩٣) " و لو شآء الله لجعلكم أمة واحدة و لكن يضــل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون " وفى هذه الآية اجتمع آمران – أن الله هو الذى يهدى وهو الذى يضل ورغم ذلك فقد اعتبر الإنسان مسئولا عما يفعل .

ويعلق المستشرق المذكور علي هذه الآيات بما يلي :

" **لقــد** كانــت فكرة العدالة – في القرآن الكريم – واضحة وجلية ولا يمكــن التشكك في عدالة الله طبقا لآيات القرآن ذاتها .. لكنها لا تلغي بشكل واضــح أسس الجبرية، ويجب أن نفهم أن عظمة الله في القرآن لا تعني أنه يجــبر الإنسان علي الفعل .. وقد يكون ذلك غير مفهوم لدي حضارة الغرب .. و لكــن هذه الحضارة في حاجة ماسة إلى أن تنظر إلى الله كما نظر إليه القــرآن .. فــي جلاله و هيمنته . رغم تركيزها علي أن الإنسان هو صانع أعماله وليس مقهورا تحت هيمنة قوة عليا هي قوة الله " .

* النار في القرآن و التوراة صورة من النصوص ودلالتها :

رغم أن النار وتسمى أيضا الجحيم وجهنم في القرآن والإنجيل – هي مــادة تعذيــب للخطاة والعاصين (١) .. إلا إنها استعملت كمادة مباركة ذات قدسية، فاستعملتها التوراة للدلالة علي وجود الله و استعملها القرآن علي نحو يشير إلى قدسيتها .

(١) وقــد أصبحت النار (جهنم) هي التهديد المستمر لكل فرقة تعارض أو تخالف فرقة أخري حيث يحكمون بكفر المخالفين وان مثواهم النار (جهنم) وقد كان الإنجيل هو أول كــتاب استعمل لفظ جهنم وهو لفظ محرف من كلمة هنوم وهو المكان الذي كان صبية اليهود يحرقون فيه التماثيل التي حرمتها اليهودية .

ففـــي سورة النمل (٧، ٨، ٩) " إذ قال موسى لأهله إنى ءانست نارا سئاتيكم منها بخبر أو ءاتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون* فلما جآءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين * يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم " .

وفـــي الـــتوراة اســـتخدمت النار للدلالة علي أمر مقدس فقد جاء فيها وصـــفا لأول لقاء لموسى مع الله " و عند جبل حوريب ظهر له ملاك الرب بلهيـــب من نار من وسط عليقة " ، فناداه الله و قال لا تقترب " اخلع حذاءك من رجليك لان الموقع الذي أنت واقف عليه ارض مقدسة " .

ويتفق القرآن مع التوراة في بيان هذه الأحداث فقد جاء في سورة طه (٩، ١٠، ١١، ١٢) : " وهـــل أتاك حديث موسى * إذ رءا نارا فقال لأهله امكـــثوا إنى ءانست نارا لعلى ءاتيكم منها بقبس أو أجد علي النار هدى * فلمـــآ أتاهـــا نودي يا موسى * إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدس طوى " و نظرا لان ما ورد في سورة النمل يعتبر من متشابه القرآن .. فما المقصـــود بعبارة بورك من في النار و من حولها .. هل يعنى هذا صحة ما ورد في التوراة بان الله كان يسير أمام بني إسرائيل ليلا في عمود نار ليضئ لهم (سفر الخروج) .

وقد ذهب الشيخ حسنين مخلوف إلى إن كلمات بورك من في النار أي مـــن كـــان فـــى مكـــان الـــنار وهو موسى، وأما تفسير كلمة " ما حولها " فمقصودها الملائكة. ولكن من أين جاء الشيخ المفسر بهذه الدلالة ؟

وفي سورة القصص ورد :

" **فلما** قضى موسى الأجل وسار بأهله ءانس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إنى ءانست نارا لعلي ءاتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصـــطلون .. فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين "

فما هي الشجرة التي وردت بالنص .

وقــد ذكر علماء المسلمين أن وجود المتشابه في القرآن له عدة فوائد مــنها انــه يوجــد المشقة في الوصول إلى المراد بما يستتبع ذلك من مزيد الثواب و تفاوت درجات الخلق في معرفة وجوه الحق في المتشابه وهو يقوم علي تأويل و طول نظر ، فإذا اهتدي الإنسان إليه شعر بسعادة غامرة و إن ظل غامضا عليه وجب التسليم برده إلى الله العالم به .

*** محاولات بعض المفسرين :**

وقــد حــاول بعض المفسرين أن يرسموا للمتشابه من القرآن معايير للوصول إلى أرجح التفاسير ، وقالوا في شان ذلك إن تفسير النص أو الكلمة يجب أن يتجاوز معناها الحرفي إذا كانت تضيف فعلا قبيحا إلى الله أو تجسد ذاتــه ، ومــن بين من قالوا بذلك محمود الزمخشري حيث تناول في تفسيره الكشاف من سورة البقرة الآية رقم (٧) إذ تقول " ختم الله علي قلوبهم وعلي ســمعهم وعلي أبصارهم غشاوة " فقال فيها إن إسناد الختم إلى الله يدل علي فعل قبيح لانه يخالف قوله " وما أنا بظلام للعبيد " سورة ق (٢٩) وقوله " إن الله لا يأمــر بالفحشاء " الأعراف (٢٨) وأضاف إن الشيطان هو الذي يختم الغشــاوة وانه اسنده إلى الله ، وهو تفسير ينأى تماما عن معنى الآية.. ففيه اعتساف للنص القرآني.

*** التفسير الباطني :**

كــل ذلــك دفع بعض المفسرين إلى رأي آخر هو أن القرآن له تفسير باطــن هو الأولى بالاتباع متي عرف للواصلين ومن ثم وجب إهمال الظاهر إن كــان متشابها، وبمعني آخر فانهم يرون في عديد من آيات القرآن معان تخــتلف عن لفظها اللغوي أو الاصطلاحي .. ولكن كيف يتوصل المسلم إلى

معني الباطني .. هذا يعني أن من القرآن مالا يفهم، وهو ما يؤدي إلى عكس مـــا أراده الباطنـــيون .. كيف يكون القرآن كتاب هداية ونور وأمره غامض وبابه مغلق علي العقول .

والتفســير الصوفي للقرآن اكثر غموضا من الآيات المتشابهات محل التفســير ... فهو يدخل بنا في مداخلات وجدانية وأحاسيس روحية بحيث لا يفسر القرآن بل يزيده غموضا ويلتوي بآياته عن مقصو دها .

*** مثال للتفسير الصوفي :**

فــي سورة الرحمن الآية (١٩، ٢٠) " مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان ".

قول التفسير الصوفي :

مــرج البحريــن .. هو بحر الهيولي الجسمانية الذي هو الملح الأجاج وبحــر الروح الذي هو العذب الفرات - يلتقيان في الوجود الإنساني بينهما برزخ هو النفس الحيوانية..

*** تفسير الشيعة الإمامية :**

من أهم عقائدهم العصمة و المهدية و الرجعة و التقية و العصمة تكون لعلي من أبى طالب (لماذا ؟!!) .

فمــثلا يفســرون الآية " إنما وليكم الله ورسوله و الذين ءامنوا الذين يقــيمون الصــلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " المائدة (٥٥) بأن هذه الآية نزلــت في علي بن أبى طالب فهو الإمام ولا إمام غيره وأنه هو الولي وأن من يكذب بولايته يدخل النار .

ويقولــون في تفسير سورة النبأ آية (١، ٢، ٣) " عم يتساءلون *عن النبأ العظيم * الذى هم فيه مختلفون " بأن علي بن ابي طالب هو النبأ العظيم

، أما الجبت والطاغوت في القرآن فهما أبو بكر وعمر بن الخطاب (نظرا لابعادهما علي بن أبى طالب عن الخلافة بعد النبي محمد عليه السلام) .

*** الخــــوارج :**

وعلــي عكس الشيعة الإمامية كان الخوارج حيث كفروا عثمان وعلي بــن أبى طالب ومعاوية و أصحاب الجمل ومن بينهم عائشة زوجة الرسول ومــن اشــترك فــي التحكيم ورضي به فضلا عن تكفير مرتكب الكبائر ، ووجوب الخروج علي السلطان الجائر .

ثــم قســموا المســلمين إلى مؤمن وكافر امتثالا للأية (٢) من سورة التغابن " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " .

وبذلــك نقــف فــي ذهــول أمام اختلاف المسلمين في تفاسير القرآن اخــتلافا يصــل إلي التناقض العميق – فمن الشيعة من وصل بعلي بن ابي طالــب إلي درجة الألوهية بينما الخوارج يرمونة بالكفر بحيث يكون جزاؤه النار .

ولاشــك أن القــرآن اســتعمل الحقــيقة والمجاز والتصريح والكناية والإيجــاز والإطناب علي نمط كلام العرب بينما ينكر بعض العلماء المجاز فــي القــرآن لأنه نوع من المبالغة أو الكذب ولا يجوز القول بإستعماله في القرآن .

وعلــي وجه أخر كانت تفاسير المعتزلة الذين لا يقرون أن الله يجلس علــى عرش أو كرسي ولا يقرون بامكان رؤية البشر لله وإنما تكون الرؤيا بالقلــب والشوق إليه أو التوقع والرجاء ، فضلا عن أنهم لا يعترفون بان الله يــتكلم مع البشر وفي تفسير الآية " و كلم الله موسي تكليما " يجعلون موسي هــو المــتكلم أي وكلــم موســي الله ، كما لا يعتقدون بأن الله يخلق الهدي والضلال وإنما يخلقها أفعال العباد ..

*** مرحلة تدوين التفسير :**

لـــم تبدأ مرحلة تدوين التفسير إلا في نهاية القرن الأول للهجرة وبداية القــرن الثانـــي ولكـــن لم يفرد له تفسير خاص بل كان يدخل ضمن تدوين الأحاديث وفي القرن الثالث انفصل التفسير عن غيره فظهر تفسير بن ماجة ثـــم تفســـير الطبري وابن أبى حاتم وفي العصر العباسي خرج التفسير من مـــرحلة الـــنقل عن السلف إلى مرحلة العقل والتأمل حيث دونت علوم اللغة والنحو والصرف وتأثر التفسير – بعد ظهور الفرق – بالفلسفة اليونانية .

يعـد علم الناسخ والمنسوخ في القرآن أكثر علوم القرآن جدلا .. ولم يــتوقف الجــدل حــتى الآن ، فقد احتدم الرأي بين أغلبية تؤيد النسخ وأقلية تنكره.

ويعنــي النسخ ــ الإزالة والتبديل أي رفع الحكم القرآني أو زواله أو تــبديله ، ومن ينفي النسخ يتساءل كيف يضع الله حكما ثم يرفعه وهو العالم ببواطن الأمور وعالم الغيب .

بينما تذهب آراء وسطية إلى أن غاية النسخ هو التدرج التشريعي وهو أمــر ضــروري إقتضــاه بعث أمة من الحضيض لها عاداتها وأحكامها و تقالــيدها وأن قــوة الحكــم وصحته لا تأتى من القهر والقسر بل من التهيئة لقبوله بإيمان قوى وعقيدة راسخة حتى تضمن له البقاء .

والمعني الإصطلاحي للنسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي وقد قصر بعض العلماء الناسخ والمنسوخ في القرآن ذاته أي جواز نسخ ما جاء بــبعض آيات القرآن بآيات غيرها . ولئن كان من الجائز نسخ السنة بالقرآن إلا أن بعض كبار العلماء ومنهم الشافعي نفي جواز نسخ القرآن بالسنة .

ويصنف النسخ علي ثلاثة ضروب :

*** الأول: نسخ حكم الآية دون أن ترفع تلاوتها من القرآن :**

مثال: قوله في سورة النساء آية (١٥، ١٦) " واللاتى يأتين الفاحشة من نسآئكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهــن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا * واللذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً "

فالتشــريع في بداية الأمر لم يكن يفرض الجلد أو الرجم علي الزانية وإنما اكتفي في شأنها بالامساك في البيت فجاءت سورة النور في الآية الثانية وفرضــت الجلــد علي البكر " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلده " ومن ثم كانت هذه الآية ناسخة لما ورد في سورة النساء .

ومــثال قوله تعالــي فــي سورة البقرة " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين " الآية رقم (١٨٠) ونسخت بآيات الميراث .

وقــد روى أبــو داود والــترمذى إن النبي (ص) قال بعد نزول آية المواريث" إن الله قد أعطي لكل ذى حق حقه فلا وصية لوارث " .

*** الثاني : نسخ تلاوة الآية أي رفعها من القرآن و يظل حكمهما قائما :**

مــثال ذلك : أنه قيل إن سورة النور كانت تتضمن آية هي : " الشيخ والشــيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله " وقيل إنها رفعت تلاوة من القرآن أي لم تعد ضمن آياته وبقي حكمها يّعمل به أي يطبق الرجم عند زنا المحصن والمحصنة (١) .

*** الثالث : نسخ الحكم و النص معا :**

مثال ذلك ما روى عن السيدة عائشة ــ أنها قالت " كان فيما أنزل من القــرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات " وتوفي رسول الله (ص) وهي فيما يقرأ من القرآن .

---

(١) البعض ينكر ان يكون النص الوارد (الشيخ والشيخة ....) كان منزلا مستندا إلي أن صـياغتها لا تـتفق مـع صياغة أساليب القرآن ومتسائلا لماذا يرفع النص ويبقى حكمها.. ونحن ايضا نتساء لمع المتساءلين راجع د. مصطفي محمود - في مقالاته بالاهرام .

وما روى عن أنس بن مالك أنه قال ـ كنا نقرأ في عهد الرسول(ص) سـورة تعدلها سورة التوبة ما أحفظ منها غير آية " ولو أن لابن آدم واديان مـن ذهـب لابتغي إليهما ثالثا ولو أن له ثالثا لابتغي إليهما رابعا ولا يملأ جـوف ابـن أدم إلا التراب ويتوب الله علي من تاب "وقد نسخ النص تلاوة وحكما .

وروي عـن ابن مسعود إنه قال أقرأني رسول الله (ص) آية فحفظتها وكتبتها في مصحف فلما كان الليل رجعت إلي مضجعي فلم أرجع منها بشئ وغـدوت علـي مصحفي فإذا بالورقة بيضاء فأخبرت النبي فقال لي يا ابن مسعود - تلك رفعت البارحة .

وقيل : إن ما نسخ حكمه وبقي نصه فهو في ثلاث و ستين سورة مثل الصـلاة إلـي بيت المقدس نسخ بالصلاة تجاه البيت الحرام ، والصفح عن المشركين والإعراض عن الجاهلين .

وذهـب ابن سلامة إلي أن السور التي لم يدخلها ناسخ او منسوخ هي ثـلاث وأربعـون سـورة منها ـ أم الكتاب (الفاتحة) و يوسف و ياسين والحجـرات والرحمـن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن ... الخ .

أمـا السـور التـي ورد بها ناسخ وليس فيها منسوخ ست منها الفتح والحشـر والمـنافقون والتغابن والطلاق والأعلي، والسور التى بها منسوخ وليس فيها ناسخ أربعون سورة منها الأنعام والأعراف ويونس وهود والرعد والـنحل والكهـف وطـه .... الخ وأن السور التي دخلها الناسخ والمنسوخ خمس وعشرون سورة .

وقـد ذهـب بعـض العلماء مثل أبي مسلم الأصفهاني إلي عدم جواز وقـوع النسخ في القرآن وأن الامر الذي ظنه البعض نسخا لا يعدو أن يكون تخصيصا أي قصر العام علي الخاص .

وذهب آخرون إلي وقوع النسخ في القرآن ولكنه لا يقع إلا في الأمر والنهي وقال ابن الحصار إن ما ظنه البعض نسخا ليس كذلك وإنما هو نسئ وتأخير أي تأخير الحكم إلي أجل أو مجمل أخر بيانه لوقت الحاجة ومخصوص من عموم أو مداخلة معني في معني .

*** الآيات القرآنية الدالة علي النسخ :**

ففي سورة النحل (١٠١) " وإذا بدلنا ءاية مكان ءاية "

وفي سورة البقرة ١٠٦ " ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " بينما استشهد المنكرون للنسخ بالآية ٤٢ من سورة فصلت " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " ويذهب محمد بن بحر المعروف بابي موسي الأصفهان في كتاب جامع التأويل في التفسير إلي إمكان تصور النسخ عقلا ولكنه غير ممكن وقوعه شرعا، والنسخ هو تبديل الحكم بآخر أو رفعه كأن يحول الحلال حراما أو العكس والمباح محظورا ولا يكون ذلك الإ في الأمر والنهي، وأما الأخبار لا يكون فيها ناسخ أو منسوخ ، وقول القرآن " أو ننسها " تقرأ علي وجهين ننسأها أي نؤخرها ونرجئها و تقرا ننسها أي أن الله ينسي محمداً (ص) ما يشاء وينسخ ما يشاء وقد قال " سنقرئك فلا تنسي .."سورة الأعلى آية (٦) وقال إلا ما شاء الله.

وأورد ابن كثير أن الله يحكم بما شاء فيحل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويبيح ويحظر ما يشاء .. لا معقب علي حكمه ولا يسئل عما يفعل بينما البشر يسألون فيأمر بالشئ لما فيه من المصلحة التى يعلمها تعالى ثم ينهى عنه لما يعلمه فمثلا أحل الله لآدم تزويج بناته من إخوتهم ثم حرم ذلك وأمر إبراهيم بذبح ولده ثم نسخ الأمر قبل الفعل .

يقول مونتجمري وات " إن القرآن - عن طريق النسخ - كان خاضعا للمــراجعة فـــالله كان ينسي محمدا ما يشاء من الآيات وكان له أن يمحو ما يشــاء ويثبــت وينسخ ما يشاء ويأتي بخير مما نسخ أو مثله ويعني ذلك أن الوحي كان يتكيف أو يتواءم مع الحاجات المتغيرة للمجتمع أي أن النسخ هو عملية مواءمة وتكيف بين الوحي وحياة المجتمع النامي " (١).

ويضيف مونتجمري - أن القرآن يقدم لنا تصورا لامكان نسيان محمد (ص) لــبعض مـــا أوحي إليه وهذا لا يعني ضعفا منه أو فشلا أو عدم قدرة علـــي تحمـــل المسئولية وإنما لا يكون ذلك إلا بأمر الله - الآية (١٠٦) من سورة البقرة .

" **مـــا** ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله علي كل شئ قدير"

وفي سورة الأعلي الآية (٦، ٧) " سنقرئك فلا تنسي * إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفي "

وتعــرض مونتجمري إلي ما يسمي بآيات الغرانيق التي أسماها الآيات الشيطانية ويقول " مؤدي هذه القصة أنه بينما كان محمد (ص) منشغلا بأمر تيسير دينه لأهل مكة تلقي وحيا (سورة النجم) آية رقم (١٩، ٢٠) قيل إنه ورد فيه " أفرأيتم اللات والعزى* ومناة الثالثة الأخري ".. فتدخل الشيطـــان

(١) راجع د. مونتجمري وات في كتابه الاسلام في العالم المعاصر
Islamic Revelation in the modern world .
والالفـــاظ التي ذكرها مونتجمري (ينسى - يمحو - يثبت - ينسخ - ياتي بخير منها او مثلها) استظهرها المؤلف من الايات القرآنية الدالة علي النسخ - انظر سور الرعد ٩ - النحل ١٠١ - الاسراء ٨٦ - الكهف و الاعلي - و انظر ترجمة الكتاب للدكتور عبد الرحمن الشيخ.

وألقـــي علـــي لسان الرسول الكلمات التالية " تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهم لترتجى " فاعتبر وثنـــيو مكة أن هذا ترخيـــصاً لهم بتوسيط اللات والعـــزى ومـــناة (وهي أصنام) بينهم وبين الله . لكن سرعان ما اتضح أن هذا لا يتفق مع مبدأ التوحيد الإسلامي .. وتلقي الرسول الوحي الحقيقي الذي يكمـــل الآيتين كالتالي: سورة النجم " ألكم الذكر وله الأنثي * تلك إذاً قسمة ضـــيزي " ويضيف مونتجري بأن آيات الغرانيق الشيطانية ليست مدرجة في القرآن الكريم الآن مما يؤكد أنها لم تكن في أي وقت من الأوقات جزءا منه " ويعلق المستشرق هنري ماسيه علي النسخ بقوله " وهناك وحي ينسخ ليس فقط مفاهيم أديان سابقة للإسلام بل أيضا آيات قرآنية تلاها محمد قبلا وبكلمة فـــإن الله لا يـــتردد فـــي العودة إلي ما أمر به وهذه الخاصية أفسحت مجالا لولادة مكتبة من التفسيرات وشروح الآيات القرآنية الناسخة والمنسوخة ".

*** النسخ عند ائمة الإسلام :**

حصر السيوطي النسخ في القرآن في عشرين آية ..كتبها شعرا واختار الزرقاني منها – في مناهل العرفان – عشر آيات هي :

١- " كتـــب علـــيكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين " نسخت بآية المواريث سورة البقرة آية (١٨٠).

٢- " وعلـــي الذيـــن يطـــيقونه فدية طعام مسكين " سورة البقرة آية (١٨٤) منسوخة بآية صيام رمضان .

٣- " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلي الحول غـــير إخـــراج نســـخت بالآية : " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصـــن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف " البقرة (٢٣٤) .

٤- " واللاتـــي يأتيـــن الفاحشة من نسائكم فأستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شـــهدوا فأمســـكوهن في البيو ت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن ســـبيلا ..." منسوخة بآية الجلد " الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " سورة النور آية (٢).

٥- " يـــا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية إثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم " نسخت عبارة أو" اخران من غيركم " بقوله " وأشهدوا ذو عدل منكم " سورة الطلاق آية (٢).

٦- " الزانـــي لا يـــنكح إلا زانـــية أو مشـــركة " ســـورة الـــنور آية (٣) منســـوخة بقوله تعالـــي " وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم " سورة النور آية (٣٢).

٧- " لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج " سورة الأحزاب آيـــة (٥٢) منسوخة بما ورد بالقرآن " ياأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن .." سورة الأحزاب آية (٥٠).

٨- " يا أيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة " سورة المجادلة آية (١٢) قيل إنها منسوخة بقوله " ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات .." سورة المجادلة آية (١٣).

٩- " يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا .."سورة المزمل آية (١، ٢).

قـــيل إنها منسوخة بقوله تعالي " إن ربك يعلم أنك تقوم أدني من ثلثي الليل ونصفه وثلثه .." سورة المزمل آية (٢٠).

١٠- " إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين.." سورة الأنفال آية(٦٥) قـــيل إنهـــا منســـوخة بقولـــه "... فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين..." سورة الأنفال آية (٦٦).

وقـــد نفـــي بعـــض علماء المسلمين النسخ في ثماني حالات مما ذكره الزرقاني ولم يجيزوا النسخ إلا في آيتين هما رقم (٧ ، ٩) السابق بيانهما.

وإذ قلـــنا كلمـــة حق .. فإننا لا نري في القرآن نسخا يفيد العدول عن الرأي والتردد في الحكم .. وإنما ما ورد في القرآن لا يخرج عن صورتين:

١- الـــتدرج التشـــريعي .. بمـــا يعني أن الله ينزل الحكم في مسأله ما ليهئ الناس إلي قاعدة أخري أشد قسوة حتى ينتهي إلي التحريم .. كالتدرج في تحريم الخمر .

٢- تخفـــيف التكليف بمعني أن الله إذ يكلف النبي أو المسلمين بأمر ما ليشد من قوتهم علي الصبر والطاعة واحتمال التكليف إمتثالا لحكمه ثم يخفف عنهم هذا التكليف رحمة بهم و ثوابا علي طاعتهم .

* التـــــوارة

(أ) فـــي ســـفر التكويـــن - تذكر التوراة قصة نوح و صنعه الفلك و حادثة الطوفـــان، وبعد أن أهلك الله - كما تقول التوراة - كل نفس تدب علي الأرض أو تطـــير فوقهـــا .. فإن الله كما ورد بالسفر ندم علي إهلاك الأرض وعدل عن رأيه إذ ورد بها

" وقـــال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت "

(ب) أمر الله إبراهيم أن يذبح ابنه وعندما استجاب إبراهيم لأمره ناداه ملاك الـــرب - كما تقول التوراة " لا تمد يدك إلي الغلام . لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني .." .

ويلاحـــظ أن الله عدل عن رأيه في ذبح الغلام وترجع التوراة سبب هذا العـــدول (بأن الله علم الآن أن إبراهيم خائف من الله) أي أن الله كان يجهل ذلك قبل إقدام إبراهيم علي الذبح .

(ج) عـــندما عبد الإسرائيليون عجل الذهب قال الله لموسي إنه سيبيدهم ولكن موســـي قـــال له : إرجع عن حمو غضبك واندم علي الشر بشعبك " ثم تضيف التوراة .." فندم الرب علي الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " ومن ثم يكون الله قد نسخ أمره بإهلاك شعب إسرائيل وعدل عنه .

* الإنجيـــــــل

رغم أن المسيح - عليه السلام- قال إنه لم يأت لينقض النامـــوس أي

شـــريعة موســـي ولكـــنه في الحقيقة نسخ هذه الشريعة في عديد من المواقع نذكرمنها :

أ- ألغـــي الطـــلاق إلا لعلة الزنا و كان الطلاق مباحا في الشريعة اليهودية حتى ظهور المسيح وبعد إنتهاء عصره .

ب-ألغـــي تقديس يوم السبت الذي يعتبر حتى الآن طقسا من طقوس العبادة اليهودية إستنادا إلي أمر صادر من الإله يهوه إله اليهود .

ج- ألغـــي الختان رغم أنه يعد في الشريعة اليهودية من أهم طقوس العبادة، ومن لا يختتن يحل قتله .

د- ألغي عقوبات القصاص (عين بعين وسن بسن) رغم أنها شريعة اليهود التى أمربها الإله (يهوه) .

ه- لـــم يطبق عقوبة الرجم علي الزانية إيمانا منه بأن كل الناس مخطئون ، ولا يجوز لمخطئ أن يحاسب مخطئا مثله .

و- أهمل المسيح شريعة اليهود في شأن التطهر والنظافة الخارجية إيمانا منه بأن تطهر القلوب هو الأصل وليس غسل البدن من الخارج .

أسبـــاب النـــزول

لـــم ينزل القرآن علي النبي محمد (ص) جملة واحدة بل نزل متتابعا ، وبعـــض آياتـــه كانت ردا علي تساؤل من أتباعه أو من اليهود كالسؤال عن الروح ، والبعض الآخر نزل ليقرر تشريعات في مسائل غمت علي المسلمين كآية اللعان ، ولقد اتفق المفسرون للقرآن .. أن معرفة سبب نزول الآية يعين المفسر علي الإحاطة بفحواها ودلالتها .

ونضرب لذلك مثلا :

ففي سورة البقرة ورد في الآية (١١٥) " ولله المشرق والمغرب فأينما

تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم" وتعني الدلالة الظاهرة للآية أن المسلم يجـوز له أن يتوجه - عند الصلاة إلي أي اتجاه يرغبه وليس إلي الكعبة ولكــن ســبب نــزولها أن نفراً من المسلمين صلوا مع النبي (ص في ليلة مظلمة فلم يتعرفوا علي إتجاه القبله إلي الكعبة فأخذ ك واحد منهم إتجاها فآلمهم أنهم لم يتجهوا إلى الكعبة .. فنزلت فيهم هذه الآية

ـ غير أن الباحث فيما رواه المسلمون الأوائل عن أسباب النزول يبين له أن هذه الروايات قد تتعدد فلا يعرف السبب الحقيقي الذي نزلت فيه الآية .. فلم يكن يتيسر لأي منهم أن يشهد بنفسه نزول الآية- وهي لا تحمل سبب نزولها وإنمــا كــان يســمع مــن آخر .. والنقل الشفهي من راوية لآخر قد يداخله التجاوز أو المبالغة أو التحريف.

وقــد قال محمد بن سيرين " أحد رواة الحديث وهو من مشاهير القوم .. قــال سألت عبيده عن آيه في القرآن (أي عن سبب نزولها) فقال " إتق الله وقــل ســداداً .. ذهــب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن " بل إن كثيرا من الــرواة الثقاة لم يكن يجزم بسبب النزول فكان يقول "أحسب هذه الآية نزلت في كذا "

وقــال الواحدى " ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب الإ بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا علي الأسباب وبحثوا في علمها وجدوا فــي الطلاب (طلبها) " وأضاف " وأما اليوم فكل واحد يخترع شيئا ويختلق إفكا وكذبا" .

ونضرب لذلك مثلا :

قيل إنه لما حضرت الوفاه لأبي طالب عم النبي دخل عليه النبي عليه الصلاة والسلام وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال النبي لأبي طالب " أي عــم قــل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله - فقال الحاضرون يا أبا طالــب أترغب عن ملة عبد المطلب، فرد النبي لأستغفرن لك ما لم أنه (أي

مــا لــم ينهني ربي عن ذلك) فنزلت الآية " ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربي" سورة التوبة آية (١١٣) .

ولكــن الحقيقة أن هذه الآية نزلت في المدينة، وكانت وفاة أبي طالب في مكة ومنذ زمن فكيف يكون نزولها في شأن وفاته ؟! .

غيــر أنه لا يمكن القول أن مدلول الآية وقف علي سبب نزولها عرف هــذا الســبب أو لم يعرف .. فآية اللعان و إن نزلت بسبب سؤال عويمر أو عاصــم بن عدى أو بسبب هلال بن أمية حين احتكموا إلي الرسول كيف إذا وجــد الــزوج رجلا مع إمرأته فإنه يتركهما في وضعهما الآثم ليلتمس ثلاثة شهود آخرين ليقيم البينة علي زوجته - طبقا لما جاء في القرآن بإعتبار حد البيــنة فــي الزنا أربعة شهود فنزلت آية اللعان ، فنزول الآية لا يعني أنها تخــص الســائل فحسب ..بل إنها تنقلب تشريعا دائما في الحالات المناظرة لسؤال عويمر أو هلال بن أمية .

وحدة الموضوع في سور القرآن والترابط بين الآيات

لا تقــوم السورة في القرآن علي أساس من وحدة الموضوع ، وهذا ما يــتميز بــه القرآن عن التصانيف الشعرية أو النثرية ، بل إن السورة تعالج موضوعات شتى قد لا تكون ثمة روابط بينها وفي ذلك ذهب رأيان .

الرأي الاول : هو رأي بعض المستشرقين الذين رأوا في ذلك نوعا من التفكك في صياغة السورة .

الــرأي الــثاني : رأي بعض المفسرين الأوائل ومن بينهم النيسابوري الذي حاول جهده بحسن نية أن يوجد الترابط ليس بين الآيات بعضها وبعض بل بين سور القرآن بمنهج متعسف في التفسير.

وفـــي تقديرنا أن الرأيين قد تجاوزا الحقيقة ذلك أن القرآن لا يجوز أن يخضع لقواعد ومعايير التصانيف الشعرية أو النثرية المؤلفة من البشر – بل هو نسيج خاص ينفرد ببنائه اللفظي وتراكيب أسلوبه وتعدد وشمول مضامينه إنــه فــي بعض الآيات يحدثك عن نعيم الجنة وصفاء أنهارها ووفرة ثمارها وحلو مذاقها ثم ينقلك إلي آية أخري قد لا تكون لها صلة بسابقتها وإنما تجد فيها رابطة شعورية متدفقة تكاد من قوتها تتلاحم مع الآية السابقة، أنظر إلي الآية رقم(٥٧) من سورة النساء:-

" **والذيــن** ءآمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا " ثم تأتي بعدها الآية (٥٨) علي النحو التالي :

" **إن** الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا "

ومــن الــنظرة الأولي فإنك لا تجد ثمة رابطة بينهما ولكن إذا تعمقت النظر أمكن لك أن تستشف رابطة أخري، بحيث تكون دلالة الآيات مترابطة فــالذين آمــنوا الموعــودون بالجنة هم الذين خاطبهم الله بعد ذلك بأن يؤدوا الأمانــات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل حتى يكتمل إيمانهم فتكون لهم الجنة ظلا ظليلا .

*** وفي بعض الآيات تجد موضوعا واحدا يتناوله القرآن في عدة آيات**

مثال ما ورد بالآيات(٧٤) حتى(٧٨) من سورة النساء والتي عرضت لــلذين يقاتلون في سبيل الله، والذين يقاتلون في سبيل الطاغوت ثم يختم هذا الموضوع بحكمة بالغة حيث يقول :

" **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ..** "

فالموت واحد .. وموقوت بوقته ولكن سببه هو الذي يثاب عليه المرء أو يعاقب فمن يقاتل في سبيل الله سيموت في موعده ويدخل الجنة ومن يقاتل

فـــي ســـبيل الكفر سيموت أيضا في موعده ولكنه سوف يدخل النار . ويقول علماء المسلمين إن الرابطة التي تجمع بين الآيات جميعا أو في الأغلب الأعم منها هو الإجلال لله وتقديره ، فأنت حين تقرأ ثلاث آيات أو أقل أو أكثر .. فلابد أن يطالعك لفظ الجلالة أو إسم من أسماء الله وإليك بعض الأمثلة :-

(١)فـــي الآيـــات من (٥٤) حتى(٦٤) من سورة يونس ذكر الله في الآيات الـــتالية:- الآية (٥٤) : " وقضى بينهم بالقسط " إشارة إلى أن الله هو الـــذي قضى بينهم بالقسط ، الآية(٥٥) ، الآية(٥٦) "هو يحي ويميت " الآيـــة(٥٧) " قد جاءتكم موعظة من ربكم " والآية(٥٨) : " قل بفضل الله وبرحمـــته " ، الآيـــة(٥٩) ذكر إسم الله ، الآية(٦٠) ذكر إسم الله ، الآية (٦١) ذكر لفظ " ربك " الآية (٦٢) ذكر إسم الله ،الآية(٦٤) ذكر إسم الله ،الآية(٦٥) ذكر إسم الله ، الآية (٦٦) ذكر إسم الله ،الآية(٦٧) ذكر لفظ " هو " دلالة علي الله " هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه.."

(٢)سورة إبراهيم - بدءا من الآية رقم(١) حتى الآية رقم (١٤) لم تخل أية آيـــة من إسم الله أو إسم آخر من أسمائه ثم خلت الآيات (١٥،١٦،١٧) مـــن إسم الجلالة لأنها تتناول عذاب جبابرة الأرض ثم جاءت بعد ذلك آيـــات الســـورة حتى آخرها وقد ذكر في كل آية إسم الله أو دلالته في الربوبية ..

ولو أننا راجعنا كل سور القرآن لوجدنا أن إسم الله أو ما يدل عليه قد تكرر في الغالب الأعم من الآيات و يؤكد ذلك أن لفظ الجلالة تكرر في سور القـــرآن(٩٨٠) مـــرة ولفـــظ إله (٨٠) مرة وتكرر إسم الرحمن(٥٧) مرة والرحيم(٩٥) مرة هذا بخلاف باقي أسماء الله الأخري، ويمكن القول أن كل أربـــع آيـــات يذكر إسم الله مرة واحدة علي الأقل ومن ثم يكون الرابط بين الآيـــات جميعا هو إجلال الله وتقديره أو ذكر وحدانيته أو بيان خلقه وقدرته ..الخ .

*** تكرار التركيب اللفظي الواحد في السورة الواحدة :**

قـا بعـض المستشرقين إن بعض سور القرآن يتكرر فيها لفظ واحد علـي نحـو تشمل معظم آيات السورة وهو أمر يجعلك تمل القراءة حيث لا يضـيف لـك الـتكرار فائدة تذكر، ولعل المستشرقين يقصدون بذلك سورة الرحمـن الـتى تكرر فيها لفظ " فبأي ءالاء ربكما تكذبان " ثلاثين مرة في السورة وعدد آياتها(٧٨) آية ويرد علماء المسلمين علي ذلك بأنك حين تقرأ السورة بلغتها الأصلية .. فإنها تغريك علي الإستزاده من نعم الله التي بسطها في معظم آياته .. ولعل تكرار لفظ " فبأي ءالاء ربكما تكذبان " تفيد دلالات متعددة ، منها توكيد قدرة الله علي ما خلق وتنبيه القارئ لهذه القدرة مرة بعد أخـري لـيري عظمة الله في خلقه وهي بمثابة سهام جارحة للقلوب الجاحدة المنكرة لوجود الله لإثارة وجدانهم ندماً علي إلحادهم، والملحد قد لا يؤمن من أول مـرة بل هو في حاجة إلي عديد من البراهين حتى يتحرك وجدانه إلي الإيمـان بخالقـه ، كمـا يشـير تكرار اللفظ إلي إدخال السكينة علي قلوب المؤمنيـن إذ يذكـرهم بقدرة الله الذي يؤمنون به فتتحرك في قلوبهم مشاعر الغـبطة والرضـا علـي أنهم آمنوا بالله فضلا عن تثبيت إيمانهم بالبراهين والحجـج التـي وردت بالآيـات المذكورة حين يسألهم " فبأي ءالاء ربكما تكذبـان " فـيقولون بل صدقنا بها وآمنا " فهو مثلاً يقدم براهين القدرة علي الخلق فيستعرض مخلوقاته ومنها خلق الأرض والنحل والإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار .. وكأنه يتساءل .. كيف تكذبان هذا الخلـق ؟ وتشير الآية (١٧) إلى أنه رب المشرقين ورب المغربين - فهل أحد يكذب ذلك . مرج البحرين يلتقيان ورغم ذلك لا يبغي بحر علي الآخر، والـبحار يخرج منها اللؤلؤ والمرجان وكل إنسان هالك إلا الله وهكذا يستمر

في إظهار قدرة الخالق وفي كل مرة يسائل الإنس والجن .. كيف - أمام هذه - البراهين الدامغة - تكذبون قدرة الله .

***رأينا في موضوع الترابط بين الآيات :-**

١- إن السور الطوال لا تقوم علي وحدة الموضوع بل تشمل عدداً كبيراً من الموضوعات المتباينة كالتشريع والأخلاقيات والإلهيات وبراهين الوجود والقصص والعبادات والمعاملات وقد سبق أن أبرزنا رأي علماء المسلمين في ذلك .

٢- أنه لا يوجد أي تفكك بين الآيات التي تبحث موضوعاً واحداً

مثال :

ففي سورة البقرة تحدث القرآن عن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله إعتباراً من الآية (٢٦١) حتى الآية (٢٧٤) و ليس بين هذه الآيات وهي تتناول الموضوع أي إنفصام يؤدي إلى التفكك ثم تناول موضوع الربا في الآية من (٢٧٥) وحتى الآية (٢٨١) ، ثم تكلم عن كتابة صكوك الديون في آية طويلة هى الآية (٢٨٢) أكملها بالآية (٢٨٣)، ويمكن إلحاق الآية (٢٨٤) بموضوع الربا ثم جاءت الآية (٢٨٥) لتتحدث عن إيمان الرسول والمؤمنين بالله وفي الآية (٢٨٦) تناولت نطاق تكليف البشر " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ..".

مثال آخر :

في سورة الواقعة تتحدث أوائل الآيات عن مظاهر يوم القيامة ثم عن أصحاب الجنة حتى الآية(٤٠) ثم أصحاب النار فتصف العذاب المهين لهم ثم تتناول باقي الآيات براهين وجود الله وهي تخاطب أصحاب النار وكأنها تبكتهم علي عصيانهم لله أو كفرهم به وذلك حتى الآية(٧٤).. وبذلك تكون معظم السورة قد تناولت موضوعا واحدا هو أصحاب الجنة وأصحاب النار..

٣- تتناول السور القصار موضوعا واحدا:

٤- كسورة الضحي تتحدث عن علاقة الله بمحمد و كذلك سورة الشرح وأيضا سورة التين تتحدث عن خلق الإنسان وسورة القدر تتناول موضوع ليلة القدر ، وسورة القارعة تتحدث عن مظاهر يوم القيامة، ثم تتتابع السور القصار بعد ذلك متناولة كل منها موضوعا واحدا (راجع سور العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، النصر، المسد، الإخلاص، الفلق ، الناس).

المحتوي العلم للقرآن

من المؤكد أننا لا نستطيع في بضع صفحات أن نتناول المحتوي العام للقرآن من إلهيات وتشريع وعبادات ومعاملات وأخلاقيات ولكننا سنحاول الإحاطة بالقضايا الأساسية التي عرضها القرآن وبالنسبة للعقيدة الإلهية فسوف نعرض لها في مبحث خاص .

*** القصص**

١- من أظهر ما ورد بالقرآن الكريم القصص، فتناول قصص الأنبياء السابقين بدءا من آدم وحتى المسيح عيسى بن مريم فعرض لقصص إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ونوح ولوط ويعقوب ويوسف وموسي وعيسى بن مريم وبعض أنبياء بني إسرائيل كزكريا ويحي (يوحنا) وداود وسليمان وغيرهم، وأحداث هذه القصص ليست مطابقة لما جاء بالتوراة أو الإنجيل بل تختلف في عديد من المواقع وتتفق في مواضع اخري .

* قصة الخلـــق :

٢- تـــناول القرآن أيضا قصة الخلق والتكوين فاتفق مع التوراة في أن عدد أيام الخلق ستة أيام ولم يفصح القرآن أو التوراة عن المقصود باليوم .

* الشيطان والجـــن :

٣- أقـــر القـــرآن الكـــريم وجود إبليس وحادثة إعتراضه على السجود لآدم وتوعده للبشر حتى يوم القيامة واعتبر الشيطان كائنا سلبيا يحض الإنسان علي فعل الشر، أما طائفة الجن فهى تختلف عن طوائف الشيطان فأورد لهـــا آيـــات عديـــدة في سورة سميت بسورة الجن و قال فيهم " وأنا منا الصـــالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا " آية (١١)، " وأنا لما سمعنا الهدي ءامنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا " آية (١٣).

* العلاقة بين الإسلام وأهل الكتاب :

٤- تناول العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى فدعا أهل الكـــتاب إلى الإسلام وشجب نفاق اليهود وخداعهم و إدعاءهم أن له ابنا (عزيـــر) كما شجب إدعاء النصارى بأن المسيح هو الله أو ابن الله أو ثـــالث ثلاثـــة ولكـــنه تناول شخصية المسيح في تقدير بالغ وأقر بمعظم المعجزات التى وردت في الإنجيل ومنها إحياء الموتي وشفاء المرضي، وأضـــاف له معجزتين لم تردا بالأناجيل وهما الكلام في المهد - وخلق الطير من الطين بإذن الله، كما أضفي علي مريم صفات الطهر والعفاف والـــنقاء وأنـــه إصـــطفاها عـــلي نســـاء العالمين وقد جاء بسورة مريم آيـــة (١٦، ١٧): " وأذكـــر في الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها مكانا شـــرقيا * فأتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ".

*** إقرار بنبوة موسي وعيسي :**

٥- أقــر القــرآن بنــبوة موسي وعيسي وبأن التوراة والإنجيل كتب مقدسة ومنزلة من الله ولكن أصحابها يحرفون الكلم عن مواضعه.

*** أركــان الإســـلام :**

٦- فــرض القرآن علي المؤمنين أركانا لا يكتمل الدين الإ بها وهي شهادة ألا إلـــه إلا الله وأن محمـــدا رسول الله والصلاة " إن الصلاة كانت علي المؤمنيــن كتابا موقوتا " ومن شروطها الطهارة والوضوء أي الإغتسال فـــي حالة الجنابة وتنظيف بعض أعضاء الجسم بالماء فإذا لم يوجد الماء فـــالمس بالصـــعيد الطيب أي التراب الطاهر، وأن يستقبل المصلي القبلة (أي الإتجاه) إلى ناحية المسجد الحرام بمكة - وفي الصلاة تقرأ فاتحة القـــرآن وما تيسر من آياته ويكون المصلي فيها واقفا ثم يركع ثم يسجد فتكـــتمل بذلك الركعة، والصلاة خمس ولها أوقاتها المحددة بالإضافة إلى صلاة الجمعة حيث يجتمع المسلمون في صلاة جماعية خلف إمام بعد أن يخطب خطبة الصلاة .

وهـــناك صـــلوات أخـــري كصـــلاة العيدين وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء وصلاة الخوف .

٧- والـــزكاه ركـــن من أركان الإسلام وهو إخراج قدر من المال ليصرف لـــثمانى فئات هم الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل .

- ويقصد بالعاملين عليها - المستخدمون لجمع الزكاة .
- والمؤلفـــة قلوبهم هم فئة من المسلمين من ذوى النيات الضعيفة فيأخذون من الزكاه لتقوية إيمانهم وقد منعها عمر بن الخطاب عنهم فيما بعد .
- ومعني في الرقاب هم المكاتبون فيدفع إليهم ما يعينهم علي عتق الرقيق .

- ويعني لفظ " الغارمون " من إستدانوا فيعطون قدرا من الزكاه للوفاء بديونهم، ومقدار الزكاه عينه الشرع بنصاب محدد .

٨- والصيام ركن من أركان الإسلام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والمعاشرة الجنسية أو أي صورة من صور الإشتهاء الجنسي خلال الفترة من الفجر حتى غروب الشمس ويكون ذلك خلال شهر واحد هو شهر رمضان .

٩- والحج ركن من أركان الإسلام لمن إستطاع إليه سبيلا وهو قصد البيت الحرام في مكة لأداء مناسك محددة و من أهم أركانه الإحرام أي نية الدخول في الحج والوقوف بعرفة (جبل في مكة) والطواف حول الكعبة (وهي بناء داخل البيت الحرام) ويسمي طواف الإفاضة والسعي بين مكانين يسميان الصفا والمروة وأخيرا حلق الشعر أو تقصيره وللحج مواقيت محددة ما بين شوال (في الشهور العربية) ثم ذى القعدة وعشر ليال من ذى الحجة آخرها ليلة النحر أما العمرة فتؤدي في أي وقت من شهور السنة بخلاف شهور الحج .

*** تحريم الربا :**

١٠- أحل القرآن البيع وحرم الربا، والربا هو الزيادة في رأس المال ويحرم الربا في الذهب والفضة والمطعومات وهو علي أربع صور :

١- ربا الفضل وهو بيع الربوي بجنسه مع زيادة في أحد العوضين .

٢- ربا اليد (تأخير القبض للعوضين أو لأحدهما) .

٣- ربا النسيئة (بيع الربوين لأجل) .

٤- ربا القرض وهو أظهر صور الربا - وفيه يكون القرض بفائدة تزيد علي مبلغ القرض .

*** المواريـــــث :**

١١- تضـــمن القرآن الكريم نظاما للمواريث والوصية فمن الورثة من يرث فرضـــا كبنت المتوفي والأم والأب و الزوجة ومنهم من يرث تعصيبا كالابـــناء ومـــنهم من يحجب غيره في الميراث وللذكر ضعف نصيب الأنـــثي ، بـــل إن البنت لا ترث أباها أو أمها ولو كانت وحيدة إلا في حدود النصف فإذا تعددن فيكون لهما أولهن الثلثان من التركة والباقي يـــوزع علي غيرهن من الورثة المستحقين (كإخوة المتوفي) وللزوج قـــدر النصف في تركة زوجته إن لم يكن لها ولد (ذكر أو أنثي) وله الربع إن كان لها ولد .

أمـــا نصيب الزوجة في تركة زوجها فالربع إن لم يكن له ولد والثمن إن كان له ولد (أي أن نصيب الزوجة هو أيضا نصف نصيب الزوج) .

*** الوصيـــــة :**

١٢- وقد كان القرآن يجيز للمسلم أن يوصي إلى الوالدين أو الأقربين ففي القـــرآن سورة البقرة آية (١٨٠) " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن تـــرك خيرا الوصية للوالدين والأقربين " وقيل إن هذه الآية نسخت بآيات المواريث أي رفع حكمها وبقي نصها ، ولكنها تقررت بالسنة .. وحصرها القانون الوضعي في الثلث لوارث أو غير وارث .

وهـــناك مـــا يســـمي بالوصـــية الواجـــبة الـــتي إسـحدثها القـــانون رقم ١٩٤٦/٧١.

*** النكـــاح : (الزواج) :**

١٣- أبـــاح القـــرآن الكريم للرجل أن يتزوج واحدة أو أكثر بشرط ألا يجمع علي ذمته أكثر من أربع زوجات فالتعدد مباح غير مشروط و لكـــن الجمـــع مقيـــد بعدد أربع ويذهب علماء المسلمين إلى أن

القرآن قيد التعدد والجمع بين النساء بوجوب العدل بينهن ، والعدل المطلوب هو العدل المادي وليس العدل الوجداني .

ويجـري عقـد النكاح بولي ذكر وشاهدي عدل ويفرض للزوجة علي زوجها صـداق (أي مهر) يؤخذ كله عند العقد أو بعضه ويؤجل البعض الآخـر لحيـن الطلاق أو الموت فإن تم الطلاق قبل الدخول فللمرأة نصف المهر (عاجله ومؤجله) وليس لقدر الصداق حد قلة أو كثرة فقد يكون خاتما من حديد .

*** المحرمات من النساء علي الرجل :**

١٤- يحـرم علـي الرجل نكاح الأم والبنت والأخوات والعمات والخالات وبـنات الأخ وبـنات الأخت ، والأم الرضاعية أي التى أرضعت من يـريد الـزواج مـنها والأخوات من الرضاعة ، وبالتإلي فإنه يحرم بالرضاع ما حرم بالنسب (وفي ذلك تفصيل لا محل لذكره) كما يكون التحريم بالمصاهرة فقد حرم القرآن أمهات الزوجات وابنة الزوجة في حالة الدخول بالزوجة فإذا لم يدخل الرجل بزوجته فيجوز له أن يتزوج ابنتها.

ويحرم علي الرجل زوجة أبيه وزوجة جده ولا يجوز للرجل أن يجمع بيـن الأختيـن ويقاس عليه عدم جواز الجمع بين الزوجة وعمتها أو خالتها (ملحوظة الجمع بين الاختيين محرم في اليهودية) .

*** النهي عن ظلم الزوجـات :**

١٥- حـرم القـرآن الكـريم علي الرجل أن يظلم زوجته فعليه معاشرتها بالمعـروف والعـدل - فالإمساك أي إستبقاء الزوجة علي أسس من العدل والمودة أو الطلاق بإحسان .

ولكن القرآن جعل للرجال علي النساء درجة أي فضلهم علي زوجاتهم بما أنفقوا .

والرجل الذي يخاف نشوز زوجته فقد أباح له القرآن ثلاث درجات من التأديب:

١- أن يعظها وينصحها

٢- أن يهجرها في المضجع

٣- أن يضربها تأديباً بغير أذى ظاهر

*** الطلاق والتطليق والخلع :**

١٦- يقع طلاق الرجل لزوجته باللفظ و الإرادة المنفردة - ففي القرآن " يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن " وللرجل أن يطلق زوجته ثــم يــراجعها فــي عدتها (شهرين من تاريخ الطلاق لإمكانية نزول الحــيض فــيهما ثلاث مرات) أما بعد العدة ففي حالة الطلقة الأولي والثانــية إذا أراد مــراجعة زوجــته فيجب أن يكون ذلك بعقد ومهر جديدين وفي الطلقة الثالثة يصير الطلاق بائنا بينونة كبرى فلا تحل له مــن بعــد حــتى تتزوج رجلاً آخر ثم تطلق منه فيجوز لزوجها أن يدعوها للزواج فإن قبلت فبعقد ومهر جديدين .

" **فإن** طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره " سورة البقرة آية (٢٣٠) وعلي ذلك يكون الطلاق رجعيا أو بائنا بينونة صغرى أو بيــنونة كــبري ، ولم يمنح القرآن للمرأة حق تطليق نفسها بإرادتها الحــرة بل يجب أن تعرض الأمر علي القاضي ويكون لها في ذلك سبيلان :-

(١) **الخلــع** : لقــول القرآن " فلا جناح عليهما فيما افتدت به " سورة البقرة آية (٢٢٩) أي تعطيه مالاً أو ترد عليه مهــره – فيتعيــن

طلاقها منه ولا يملك الرجل بعد ذلك مراجعتها.

(٢) **التطليق** : وهو طلب المرأة أن تطلق من زوجها أمام القضاء لسوء عشرته لها وإيذائه لبدنها أو نفسها .

*** الإيــــــلاء :**

١٧- ورد فـــي القرآن " للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءو فإن الله غفور رحيم " سورة البقرة آية (٢٢٦).

وكـــان الإيــلاء طلاقـــاً في الجاهلية ، و صورته أن يحلف الرجل ألا يعاشر زوجته جنسياً مطلقاً أو أكثر من أربعة أشهر ، فإذا حدث الإيلاء فإن نهاية مدته هي أربعة أشهر وللزوجة أن تطلب المعاشرة الجنسية بعدها .

*** الظهــــار :**

١٨ – ومصـــدره قول القرآن " والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قـــالوا " ســـورة المجادلة آية (٣) ومعناه أن يقول الرجل لزوجته أنت علـــي كظهر أمي أي لا يريد جماعها، وحكم الظهار تحرير رقبة قبل أن يتماسا أو صيام شهرين أو إطعام ستين مسكيناً .

*** اللعـــــان :**

١٩- سوف ندرس اللعان في موضوع آخر من هذا الكتاب

*** نكـــاح المتعـــة :**

٢٠ – هو نكاح موقوت بأجل قد يكون الأجل ساعة أو أكثر مقابل أجر و قد قـــيل أنـــه نزلت به آية قرآنية في سورة النساء " .. فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من

بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً " سورة النساء آية (٢٤) ولكن بعض علماء المسلمين نفوا أن تكون هذه الآية لنكاح المتعة .

غير أنه من المقطوع به أن نكاح المتعة كان مباحا في الإسلام لفترة ما ثم قيل إن النبي محمد(ص) أبطله وحرمه إلي يوم القيامة وقيل إن عمر هو الذي حرمه واعتبره من الزنا.

غير أن بعض مذاهب الشيعة لا تأخذ بتحريم عمر وإبطاله لنكاح المتعة وتري أنه حلال بمقتضي آية قرآنية لا يجوز نسخها من البشر .

وقد هاجم المستشرقون زواج المتعة ونزول آية في القرآن تجيزه وقالوا إن المتعة كانت قائمة أيام النبي و أبي بكر ولم يبطلها إلا عمر، وأن النبي (ص) كان يوافق رغبات أتباعه وكانت بهم شهوة للنساء فأتاح المتعة بأجر وهي نوع من البغاء (١).

ويرد علماء المسلمين علي ذلك أن آية سورة النساء لم تنزل في المتعة وإنما نزلت في الزواج ، وإن المتعة كانت لضرورة إقتضتها الحاجة الملحة للجنود في الحرب ، كما تقتضي الحاجة أكل المحرمات وإباحة المحظورات.

*** الجرائم والعقوبات :**

٢١ـ وهي تسمى جنايات ، ومنها جنايات علي الأبدان والنفوس كالقتل والجرح وجنايات علي الفروج كالزنا وجنايات علي الأموال كالحرابة والسرقة وجنايات علي السمعة والشرف كالقذف .

ففي القتل - شرع القرآن القصاص " كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى " سورة البقرة آية (١٧٨) لكن ذلك لا يعني أن القاتل أفلت من عقاب الآخرة بل جاء بالقرآن : " ومن يقتل مؤمنا

---

(١) قال القاضي يحي بن أكثم التميمي للمأمون إن نكاح المتعة صورة من الزنا وهو في حقيقته نوع من البغاء .

متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها " سورة النساء آية (٩٣) وكما أباح القرآن القصاص أباح العفو " فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان " سورة البقرة آية (١٧٨).

وفي القتل الخطأ تكون العقوبة تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلي أهله (كالإبل أو الأغنام أو النقود) وهو ما يسمى في الوقت الراهن تعويضا عن القتل الخطأ .

وقد ميز القرآن بين الحر والعبد فالحر بالحر والعبد بالعبد فلا يقتل حر بعبد .

*٢٢ـ الحدود :

ـ حد الزنا

المحصن (أي المتزوج أو المتزوجة) لم يرد في نصوص آيات القرآن حد الزنا للمحصن وقيل إنه كانت هناك آية تفيد رجم الزاني ثم رفعت نصا ولم ترفع حكما .

أما غير المحصن (أي غير المتزوج) فحد الزنا بالنسبة له هو الجلد مائة جلدة وتغريب عام (النفي) .

وثبوت الزنا يكون بالإقرار أو البينة أي بأربعة شهود علي وقوع الزنا .

*** القذف**

هو رمي الغير بالزنا - والذين يرمون المحصنات فحدهم هو الجلد ثمانون جلدة .

*** الخمر**

لم يرد في القرآن حد لشارب الخمر وإنما جاء بالسنة جلد الشارب أربعين جلدة أو ثمانين (علي خلاف في الرأي)

*** السرقـــــة**

يقــول القــرآن الكريم " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " سورة المائدة آية (٣٨).

*** قطع الطريـــق**

جـــاء بالقــرآن " إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فســـادا أن يقتــلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض " سورة المائدة آية (٣٣).

ولشرح هذه الآية نقول :

١ــ فإن قتلوا ولم يسلبوا المال قتلوا .

٢ــ وإن قتلوا وسلبوا المال قتلوا وصلبوا .

٣ــ وإن سلبوا المال ولم يقتلوا تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .

*** اللـــــواط**

إعتبره القرآن الكريم فاحشة" أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العـــالمين" سورة الأعراف آية (٨٠) وقال " والذان يأتيانها منكم فأذوهما " ســـورة النساء آية (١٦) ولئن كان القرآن لم يبين حدها إلا أن اللواط إعتبر فـــي الســـنة نوعا من الزنا. فمن قائل رجم الرجلين ومن قائل وجب قتلهما بالسيف كالمرتد .

*** أحكام الصيال والبغي**

ورد بالقرآن " فمن أعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " ســورة الـــبقرة آيـــة (١٩٤) فالإعتداء [الصيال] جزاؤه رده علي المعتدي بمثله.

أمـــا البغي .. فهو الخروج علي طاعة الإمام العادل أي الحاكم العادل (وقـــيل إنـــه لا يشترط العدل) أي تجب طاعة الإمام ولو كان ظالماإلا فيما يخالف الشرع وفي البغاة يقول القرآن : " وإن طائفتان من المؤمنين أقتتلوا فأصـــلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علي الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله " سورة الحجرات آية (٩) ومن ثم وجب علي الحاكم أن يقاتلهم.

٢٣ - حكم الردة :

جاء بالقرآن الكريم " ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " سورة البقرة (٢١٧) والردة هي الرجوع من الإسلام إلى الكفر سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل أو بالأعتقاد ولم يتضمن القرآن حدا دنيويا للردة ولكن السنة عينت حد الردة بالقتل ،ويجب قبل توقيع الحد أن يستتاب المرتد ويمهل ثلاثة أيام في قول أو يقتل فور عدم إستجابته للإستتابة ، ولا تقع ردة المكره إذا كان قلبه مؤمنا .

٢٤. القتال في القرآن

ويسمى الجهاد في سبيل الله

وفيه يقول القرآن الكريم :

١- " كتب عليكم القتال وهو كره لكم " سورة البقرة آية (٢١٦)

٢- " واقتلوهم حيث وجدتموهم " سورة النساء آية (٨٩)

٣- " يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال " سورة الأنفال آية (٦٥)

٤- " لا يســتوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سـبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علي القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى " سورة النساء آية (٩٥).

٥- " وجاهدوا بأموالكم و أنفسكم " سورة التوبة آية (٤١).

٦- " وأعـدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فـي سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل علي الله إنه هو السميع العليم " الأنفال(٦٠،٦١) .

٧- " وإن نكـثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون " التوبة(١٢) .

وبالقرآن آيات عديدة تحض علي قتال الكافرين ويعتبر القرآن من يقتل في سبيل الله شهيدا وسوف يؤتيه الله أجرا عظيما والأجر في الحياة الأخرى هو الجنة والقتال في القرآن لرد الأعتداء دون التجاوز.

وقـد انـتقد المستشرقون والمفكرون الغربيون هذا الجانب من آيات القتال في القرآن إذ ذهبوا إلى أن الإسلام إنتشر بحد السيف وقد تخلت عقيدته عـن الروحانية وشفافية الأنبياء ولقد كان الدافع الجوهري إلى هذا الإنتقاد ما تشـير إلـيه الأناجـيل في شخص المسيح المسالم الذي لا يبني ملكوته علي الأرض بـل في السماء وأن علي النبي أن يعزف عن الدنيا حتي ينهار بناء الماده في جسده فتحل فيه الروح القدس ليكون موصولاً بالله بل إن الامر عند بعـض المفكريـن تجاوز حدود العزوف عن الدنيا .. إلى مرتبة أخرى هي مرتـبة المعانـاه وإسـتجلاب الألآم للنفس لتكون صورة تقرب الإنسان من المسـيح المـتألم المصـلوب الذي أريق دمه من أجل خطيئة البشر غير أن بعض المستشرقين [راجع كارين أرمسترونج في كتابها محمد (١ وبعض علمـاء المسـلمين ، يـرون فـي الإسـلام دينا وسطيا لا يقوم علي مجرد الإنخطـاف الروحـي وإذلال الجسد كصورة وحيدة من صور العبادة كما لا يقـوم علـي أسـاس تسـلط المـادة الجسـدية ذات الرغـبات الشهوانية، علي الجانب الروحي المتصل بعبـادة الله .. فالحاكـم فـي

(١ المؤلفة كارين أرمسترونج مسيحية الديانة

الإسلام يجمع بين منصبه الديني ومنصبه السياسي بينما المسيح ينأى بالحكم عــن الدين .. بل إنه يأمر أتباعه بإطاعة أوامر الحاكم ولو كان ظالما كافرا ويقتضــي إعتبار الدين الإسلامي رسالة موجهة إلي الإرض من السماء أن يعــيش الناس حياتهم علي الأرض طبقا للنهج السلوكي السوي كما خلقهم الله فالإنســان له أن يتزوج النساء ويأكل من خيرات الأرض ويدافع عن وطنه ودينه بالأمر بالمعروف أو بالسلاح إن أضطر إلي ذلك

فالحــرب ليست هدفا في ذاتها بل هي وسيلة لنشر الدين بفتح الأمصار علي أساس أن المسلمين الأوائل يتحملون عبء نشر الإيمان بالله الواحد في كــل بقــاع الدنيا ، وإذا كان فتح أو غزو أي دولة جاء بقوة السلاح غير أن إعتــناق الإسلام لم يأت بالقهر والقوة فقد كان لأصحاب الدولة المفتوحة ان يعتــنقوا الاسلام أو يرفضوه مقابل دفع ضريبة خاصة- سميت بالجزية ليس لإنهــم رفضــوا إعتــناق الإسلام ولكن لحمايتهم ضد أية أخطار تهددهم من خــارج الدولة، وهذه الحماية ستكون بدماء المسلمين أنفسهم وبسبب المفهوم الــذي سيطر علي عقيدة نشر الإيمان بالله في كل بقاع المعمورة سمي القتال جهادا في سبيل الله .

وبداية الغزوات في الإسلام .. والغزوة هي النواة الأولى التي خرجت من عباءتها كل صور القتال في الإسلام ، نقول إن بداية الغزوات كانت ردا علــي ظلم حاق بالمسلمين حين أخرجوا من ديارهم - وكما ورد في سورة الحج(٣٩-٤٠) " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله علي نصرهم لقدير .الذيــن أخــرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيــز " والإقــدام علــي

القتال في الإسلام لم يكن بسبب شجاعة المسلمين أو قوة إيمانهم فحسب بل قـام علي عقيدة أن الله يحارب معهم وهو ما كان له نظير في قتال اليهود بقيادة موسى للكنعانيين . ففي القرآن : فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ..." الانفال (١٧) بل كانت أيضا الملائكة تشاركهم في القتال .

غـير أن القـتال فـي الإسـلام والذي سمي جهادا قد تحول من قتال المشـركين إلي اقتتال بين المسلمين أنفسهم ومنذ تولي عثمان بن عفان مقاليد الخلافة وأنهار الدم لم تجف بين المسلمين ، فقد قُتل عثمان بأيدي جماعة من المسـلمين واقتـتل علي بن أبي طالب وجماعته وأبناؤه مع معاوية بن أبي سفيان .

وقُتل علي وأبناؤه واشتركت السيدة عائشة أرملة النبي محمد (ص) في قتاله في معركة الجمل لمجرد أنه أبدي رأيه للنبي في حادث الإفك وكان من رأيـه أن يقـترن النبي بغيرها، ثم لم يتوقف القتال بين الفرق و الجماعات الإسـلامية المتكالـبة علـي مناصب الحكم، وكان كل فريق يستند في قتاله لإخوانـه فـي الدين إلي آيات من القرآن ، إذ كل منهم يرمي غيره بالبغي، وطبقا لأحكام القرآن يجب مقاتله الطائفة الباغية وإحلال دم أفرادها .

وهكـذا صـارت إراقة الدماء أمرا يسيرا علي الطوائف المتناحرة من المسـلمين بل كان ذلك في ظاهره ـ تقربا إلى الله ولكنه في حقيقته إثم كبير .. ثـم تطور الأمر إلي عقيدة تكفير المسلم أو المجتمع كله وحل دم أفراده، وظـل الحـال كذلـك حـتى العصر الحديث حيث قتل عشرات الألوف من المسـلمين فـي إيران بأيدى " آيات الله" وأقتتل الأفغانيون بعضهم مع بعض وهم جميعا ممن يدينون بالإسلام وفي الشريعة اليهودية أعتبر القتال مع الأمم الأخـري حـربا مقدسـة بل إن إله موسي كان يحرضهم علي أبشع أنواع التعذيـب لابناء هذه الأمم ، غير أن اليهود لم يقاتلوا بعضهم البعض و ظلت

العناصـــر الـــيهودية مترابطة متآلفة رغم ما قاسوه من محن وكوارث ونفي وسبى وتشريد وفي فكر المسيح ، فإن إراقة دماء البشر وإراقة دماء الذبائح قـــد انتهـــي دورهـــا بإراقة دمه علي الصليب ومن ثم كان يدعو إلي الحب والتسامح والكف عن رد الإعتداء حتى ظن البعض من علماء مقارنة الأديان أن عقـــيدة المســـيح في العفو هي عقيدة سلبية تقوم علي قبول الظلم والقهر والإعـــتداء، غـــير انه سرعان ما انقلبت الأحوال بعد ظهور الكنيسة وتحكم الكهـــنة فقامـــت حـــروب طاحـــنة شـــنتها الجماعات المسيحية علي اليهود والمســـلمين خاصـــة في أسبانيا وفي فلسطين ثم انقلبت الجماعات المسيحية بعضـــها علـــي بعـــض بعد أن انقسمت المسيحية إلي مذاهب متناقضة ، بل وكـــان الكهـــنة المسيحيون هم الذين أنشئوا محاكم التفتيش لابناء دينهم فقتلوا وحرقوا الآلاف منهم " .

وهكـــذا اتخـــذ الدين ستارا وقناعا لإراقة دماء البشر، ولم يخل دين من الأديان التوحيديه لم يُتخذ سندا للمعتدين لقتل مخالفيهم أو أصحابهم في الدين.

* المرأه في القرآن :

تـــتفق الأديـــان الـــثلاثة علي أن المرأة مخلوق من الدرجة الثانية بعد الرجل ، ففي اليهودية فإن المرأة إذا ولدت ذكرا فإنها تطهر بعد أربعين يوما وإذا ولدت أنثي فإنها تطهر بعد ثمانين يوما فنجاسة دم الأنثي يستطيل ضعف نجاسة دم الذكر .

والمـــرأة في الديانة اليهودية عامل أساسي للغواية وارتكاب الإثم ، وقد أبيح في اليهودية تعدد الزوجات وأبيح الطلاق

وفـــي المســـيحية - شرع المسيح للأسرة قانون تحريم تعدد الزوجات وتحـــريم الطـــلاق الإ لعلة الزنا ، وقد يكون في ظاهر هذه القوانين محاولة جـــادة للعمـــل علـــي اســـتقرار الأسرة ولكنها كانت في حقيقتها قهرا ظالما للجنسين حيث يفرض علي كل منهما أن يبقي مع الآخر مهما كانت الخلافات

أو مشـــاعر الـــبغض والكراهــية بيــنهما، ولم تستطع المجتمعات المسيحية الأروبـــية وأغلـــبهم مـــن الكاثولـــيك الرافضين لمبدأ الطلاق لم تستطع هذه المجتمعات أن تسير علي قوانين المسيح فأباحت الطلاق - ونودى في المانيا عقـــب الحرب العالمية بسن تشريع يتيح تعدد الزوجات بل إن المسيحية ـــ وخاصة عند بولس - تري في الزواج عاملا هداما للتبتل والزهد، فقد نصح بولـــس من لم يتزوج بأن يظل بغير زواج وكأن المراة مخلوق ثانوي يقترب في صفاته وسماته من الشيطان .

وفـــي منطق الكنيسة الشرقية ألا تسمح بالطلاق إلا لعلة الزنا ومن ثم تلجـــأ بعـــض الزوجات إما إلى إعتناق الإسلام للتخلص من الزواج أو إلي المحكمـــة لتوقـــيع الطـــلاق المدني ورغم ذلك فإن الكنيسة لا تسمح للمطلقة بالـــزواج وتـــتركها تنعي حظها مع ما يستجليه الحرمان من مآثم وحرمات. وفـــي الإســـلام فقـــد اعتبرت شرائع تعدد الزوجات والطلاق المنفرد بإرادة الـــرجل وقواعـــد المـــيراث التي لا تساوي بين الرجل والمرأة وملك اليمين أعتـــبرت هـــذه الشرائع في نظر المستشرقين أكبر معاول لهدم كرامة المرأة يضاف إليها ما يفرضه القرآن من ارتداء الحجاب علي النساء وتحريم العمل في أماكن مختلطة ولعلماء المسلمين تفسيرات وشروح في شأن شرائع القرآن فـــي المـــرآة - فتعدد الزوجات مقيد بالعدل، وهو أمر قد تقتضيه الظروف الصـــعبة التي قد تمر بالمجتمع - كنشوب الحرب حيث يقتل فيها الآلاف من الـــرجال أو ما تقتضيه ظروف المرأة ذاتها كحاجتها إلي رجل حين تمرض فتفضـــل أن تبقـــي زوجة مهجورة لزوجها بدلا من طلاقها وتركها في مهب عواصف الزمن .

وبالنســـبة لنصـــيبها في الميراث البالغ نصف نصيب الرجل فقد رأت شـــريعته بـــأن المـــرأة لا تتحمل الأعباء الجسام التي يتحملها الرجال وهي تحصـــل علـــي نصيبها لتدفعه إلي زوج غريب ، بينما يكون الرجل مطالبا بالإنفاق علي الأقارب والأبناء .

ويضـــيف علماء المسلمين أن القرآن منح للنساء حقوقهن في أموالهن وجعل لكل إمرأة ذمتها المالية المستقلة بينما كانت ذمتها في الشرائع الأوربية تذوب في ذمة زوجها .

غـــير أننا إذا نظرنا إلي الأمر نظرة شاملة في الأديان الثلاثة فإننا لا نســتطيع أن ننكر أن الأديان عاملت المرأة معاملة تختلف تماما عن نظرتها للرجل .. وكأنما تقول الكتب المقدسة أن المرأة وجدت للإخصاب فحسب أما الرجل .. فهو ليس مصدر الإخصاب فقط بل علي يديه تقوم حركة الحياة بما تتطلـــبه هذه الحركة من عقل سوى وجهد ومشقة ، فكان من الضروري أن تكون النظرة إليه هي النظرة المقدره لمن يتحمل المسئولية .. ويتولي السلطة ومـــن ثم كان تعبير القرآن دقيقا حينما قال وللرجال عليهن درجة .. غير أن الواقـــع الفعلي يشير إلي أن حركة المساواة بين الرجل والمرأة تتقدم بخطى ســريعة ويبدو الآن بمنطق الحضارة والتقدم أن ما كان مفروضا علي المرأة مـــن صـــور القهر والتسلط من الرجال هو نوع من الظلم لفرض ألوان من الـــتخلف عليها، فلم تعد المرأة مصدرا للغواية والإخصاب .. إنها تمارس بل الآن حقهـــا فـــي الحكم والعمل في كل مجال .. وهي تحاول الآن أن تستعيد كـــيانها لتـــتكاتف مع الرجال في مسيرة الحياة .. ولئن كانت بعض الأفكار المتزمـــتة تريد أن تعيدها إلى التخلف مرة أخرى ..إلا أن الأمر سوف يظل سجالا بين أشكال القهر والتزمت وبين منطق الحضارة والتقدم .

* الجنة والنار في القـــرآن :

صـــور القرآن الكريم الجنة بأنها مكان فسيح مزود بكل نعمة كالأرائك والأكواب والأباريق والكؤوس والفاكهة ولحوم الطير – فأهل الجنة يجلسون علـــي الأرائـــك متقابلين وجاء بسورة الواقعة أن الولدان المخلدين يطوفون علـــيهم بالأكواب والأباريق ، وأن كل ما يشتهون من فاكهة ولحوم وغيرها،

مكفول لهم لا مقطوعة ولا ممنوعة، بل فضلا عن ذلك فإنهم يلبسون حريرا رقيقا وسميكا ويشربون الكأس التي مزجت بالكافور والزنجبيل، وأن للرجال منهم الحور العين اللاتي لم يطمثهن إنس ولا جان - أي الفتيات العذراوات ذات الجمال الأخاذ ويتزينون بالذهب والفضة وصورت النار بأن بها سموم وحميم وشواظ ساخن يشوي الوجوه وماؤها يغلي من فرط سخونته لا يروي ولا يسمن من جوع وبها شجر يسمي الزقوم هو طعام أهلها كما أعدت السلاسل والأغلال للأيدي والأقدام وهم يلبسون ثيابا من نار ويصيب من فوق رؤوسهم الحميم (١) .

وبالمقابلة بالتوراة فإن أسفارها الخمسة لم تأت ببيان عن الجنة والنار - لأن هذه الأسفار لم تكن تعترف بقيامة الأموات أو حسابهم بل كان الجزاء فوريا، وحين ظهرت في أسفار الأنبياء عقيدة بعث الأموات، لم تكن الفكرة عن الجنة والنار قد تولدت بصورة وصفية صريحة أما المسيحية فقد ذكرت كلمة جهنم وهي تعني النار وكلمة الفردوس أو ملكوت السموات وهي تعني الجنة بلغة القرآن وكان ذلك علي لسان السيد المسيح فيما دونته الأناجيل.

ولقد هاجم المستشرقون بشدة، وصف الجنة والنار في القرآن بمقولة أنها صورة مادية تفيض باللذات الحسية والشهوة الجنسية، وأن محمدا (ص) نقل الحياة الدنيا إلي الجنة والنار بصورة مبالغة في التلذذ والإشتهاء والإرتواء وأنه حاول أن يستغل الشهوة الجنسية المتأججة عند العرب فنقلها إلي الجنة لمجرد إرضائهم وحضهم علي القتال، لأن من يقتل دفاعا عن دينه سيكون شهيدا يحيا في جنة الخلد .. فيجد لذات ونعيماً وولدانا وحور العين وخمرا وحريرا وذهباً وفضة .

(١ انظر في وصف الجنة سور الواقعة والصافات والدخان والإنسان والمطففين، وانظر في وصف النار سور الواقعة والانس والحاقة والغاشية

وفـــي الأناجيل فإن المسيح ذهب إلي أن الناس لن يبعثوا أجسادا .. بل أرواحـــا - فمن الأرواح ما تخلد في الفردوس أو ملكوت السماوات ومنها ما تذهب إلي جهنم وحقيقة أن تبايناً واضحاً بين عقيدة البعث في كل من القرآن والأناجـــيل فالقرآن يؤكد أن البعث يكون بالجسد والروح بينما يؤكد الإنجيل أن البعـــث يكـــون بالـــروح وجدير بالذكر ..أن ما دونته الأناجيل عن قيامة المسيح يشير إلي أن قيامته أو بعثه بعد الموت لم يكن بالروح فحسب بل كان بالـــروح والجسد حيث ظهر بجسده للمرأتين ولتلاميذه وكشف لهم عن بعض أعضاء جسده، وأكل معهم السمك المشوي علي النحو الذي فصلناه في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

* القرآن والتواكل والقعود عن العمل والإبداع :

يذهـــب بعـــض المستشرقين إلي أن القرآن دفع المسلمين إلي التواكل والإستسلام للقضاء والقدر وعاق حركتهم التاريخية والفكرية وكف أبصارهم وبصـــيرتهم عـــن التطلع للحياة والإستفادة من تجارب الآخرين فربط حياتهم بالمســـاجد يذهبون إليها خمس مرات في اليوم الواحد بما يفقدهم من أوقاتهم خمـــس ساعات كاملة يقضونها في الصلاة وسماع خطب ونصوص مكررة فضلا عن تجميد شهر من شهور السنة يقضونه صياما لا يعمـــلون فيه شيئا وقـــد قيد علماؤهم أفكارهم وعقولهم وأرهبوهم بالنار وعذاب القبر وأدخلوهم فـــي آلاف مـــن الشروحات والتفاسير والفتاوى المتناقضة فتشتت المسلمون وانشـــغلت عقولهم بالدوران حول هذه التفسيرات وبيان ما هو الصحيح منها وماهو الباطل فظهرت دعاوى التكفير ، كل فرقة تكفر أخرى ومن ثم دارت الحروب بينهم اعتبارا من قتل عثمان بن عفان ثالث الخلفاء بأيدي المسلمين ثم قُتل عَلِي الخليفةُ الرابع وولداه وغيرهم من الحكام وأريقت دماء المسلمين أنهارا بأيدي مسلمين آخرين وظهرت الفرق الإسلامية التي جاوزت السبعين

فـرقة .. وكـل فـرقة تعكف علي الدوران حول أمور دينية تكفر بها فرقا اخـرى ومـن ثـم لم يعد للمسلمين وقت أو فكر متحرر للإبداع والعمل - فأصبحوا في مؤخرة الدول وبالتالي أصيب العقل العربي بالتخلف غير القادر علي مواكبة الحضارة(١)

ويرد علماء المسلمين علي ذلك بأن القرآن لا يحض علي تغييب العقل أو تخديره بل هو يطالب المسلمين بان يعقلوا ويتفكروا وأن الدين جزء من الحـياة الإنسانية لا يعني التمسك به إلغاء الجوانب الأخرى وأن ما وقع في التاريخ الإسلامي من اقتتال بين المسلمين لايعني عيبا في القرآن ذاته ولكنه يعنـي عيـبا في البشر الذين تلقوه ويضيفون بأن المسلمين مروا بمرحلتين الأولـى أعقبـت عصر الرسالة نشط فيها الفكر الإسلامي في جميع مجالات المعرفة والثانية أتسمت بالتوقف والتشتت والجمود ومن ثم توقفت العقول عن الإبتكار والإبداع في جانب الحياة الأخرى وأن ذلك لا يعني الموت الفكري والأبداعـي للمسـلمين إذ قد تأتي عليهم صحوة يتخلصون فيها من جمودهم وخضـوعهم للمسـتعمرين، فيبدأ الفكر الإسلامي مرة أخرى في الإبداع في مجالات المعرفة المختلفة .

*** القرآن المكي وتحريم الربا والخمـر :**

ذهب المستشرق مونتيجمري وات إلي أن القرآن لم يحرم الربا والخمر طـيلة وجـود الرسول (ص) في مكة خوفا من الإصطدام بعوامل أقتصادية وتقليدية لأهل مكة وقد رد علماء الإسلام علي هذا الاتجاه بالقول بأن الإسلام في مكة كان يواجه عقيدة أخطر من تحريم الربا والخمور وهي عقائد الشرك بالله وعبادة الأصنام وكان من الضروري الرد علي هذه العقائـد والقضـاء

---

(١) راجـع المستشرق الالماني تنيمان وكتاب الدكتور عبد العظيم المطعني في الرد علي آراء المستشرقين - كذلك يراجع الاستاذ العقاد في نفس الموضوع .

عليها ثم يبدأ في سن التشريعات الملائمة للمجتمع الإسلامي وهو ما فعله بعد هجرة الرسول إلي المدينة(١).

*** الرق في القرآن :**

لـــم يحـــرم القرآن الرق كنظام إجتماعي كان سائدا منذ أقدم عصور البشـــر وإنمـــا حبب في العتق وحرصّ عليه فأصبحت كفارات الذنوب هي إعتاق أي تحرير رقبة .

أمـــا فـــي اليهودية فقد دعت التوراة اليهود إلي التمسك بنظام الرقيق المتخذ من الأمم غير اليهودية وفي الإصحاح العشرين من سفر التثنية تقول الـــتوراة " حيـــن تقـــرب من مدينة لكي تحاربها إستدعها للصلح فإن أجابتك للصلح فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير وتستعبد لك " .

وفـــي المســـيحية – لـــم يصدر عن لسان السيد المسيح ما يفيد تحريم الرقيق – غير أن بولس أمر العبيد بطاعة أسيادهم لأن في طاعتهم طاعة لله – إذ يقول في رسالته إلى أهل أفسس " أيهاالعبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخـــوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح ولا بخدمة العين كمن يرضي الـــناس بل كعبيد المسيح .. خادمين بنية صالحة عالمين أنه مهما كان عمل كل واحد من الخير فذلك يناله الرب عبدا كان أم حرا " .

وأفصـــح بولس عن أن الرق هو كفارة من ذنوب البشر يؤديها العبيد وهي ذات العقيدة التي أعلنها عن المسيح الذي صلب ليكون صلبه كفارة لخطيئة آدم(٢).

(١ راجع مونتجمري وات في كتابه "محمد في مكة "

(٢ يعتـــبر الـــرق ابشع نظام عرفته البشرية فقد كان الانسان يباع ويشترى كسلعة وكان للأسياد علي العبيد حق الحياة والموت وقد أهدرت أعراض النساء بدعوى الرق رغم أن مصـــدر هـــذا النظام كان الحروب والغارات حيث يفرض الرق علي الاسرى ولو كـــانوا من أعاظم القوم وتستباح أعراض النساء ولو كن من أميرات القبائل المهزومة وقد وصف أرسطو العبيد بأنهم الات متنقلة وقد هيأت أجسادهم ونفوسهم لتحمل الرق ، وانهم م لايســتحقون الحياة الحرة ، ويتساءل بعض المحللين – لماذا لم تلغ الأديان المنزلة من الله هذا النظام البشع بأوامر حاسمة كما الغت الزنا والبغاء

*** الجانب الأخلاقي في القرآن :**

رسم القرآن نماذج متعددة للجوانب الأخلاقية في حياة الإنسان ففي سورة لقمان حض الفرد علي طاعة والديه حتى ولو دفعاه إلي الشرك بالله ، فإن عليه أن يرفض الشرك به وأن يصاحبهما في الدنيا بالمعروف وأوصاه بأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وأن يتسلح بالصبر علي ما أصابه ولا يصعر خده للناس ولا يمشى في الأرض مختالا فخورا وأن يغض من صوته، وأن يدفع بالتي هي أحسن، وأمر الحاكم والقاضي بالحكم بالعدل وحرم الرشوة والسرقة والزنا وقول الزور، ونهى عن ظلم الزوجات، وأن تكون العشرة بالمعروف أو الطلاق بإحسان، ولا يجوز أن يحل الجزاء بغير من أرتكب الأثم " ولاتزر وازرة وزر أخري " سورة فاطر(١٨)، وطلب من الأغنياء ألا يكنزوا أموالهم بل ينفقون في سبيل الله – لان المال هو مال الله وهو المنعم عليهم به، ومن ثم أمرهم بسد حاجات الجائع والمحروم ونهى عن أكل أموال إليتامى وصور ذلك بالنار تشوى أحشاءهم وحرم إستغلال الدائن لمدينة عن طريق الربا وأمر المتعاقدين بالوفاء بالعقود والعهود والمواثيق وأمر المؤمنين بالعدل ولا يمنعهم منه صلات قربي أو سطوة حاكم ونهى عن التبذير والشح (البخل) " ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا " الإسراء (٢٩) ونهي عن قتل الابناء خشية الفقر كما نهى عن قتل النفس وأمر الناس الوفاء بالكيل والوزن وحرم النميمة والفتنة والسخرية من الآخرين وكما أباح القرآن القصاص أباح العفو عن مرتكب الجريمة.

ولا نعتقد ان هذا الجانب الأخلاقي كان محل لغط من المستشرقين لأنه يعطى نماذج مضيئة للإنسان، ولا تختلف التوراة أو الإنجيل مع القرآن في أوامره أو محرماته .

يتضــمن القرآن أركانا أساسية تقوم عليها العقيدة الإلهية .. نرجو أن نوفق في إيجازها :

التوحيد أي أن الله واحد بغير شريك سواء كان الشريك متحدا معه في الخلق أو مناهضا له ... أو مستقلا عنه، فكل أنواع الشرك مرفوضة في القرآن.

والوحدانــية لا تعنــي إنصراف خلق الكائنات له وحده فحسب وإنما أيضــاً عنايــته بخلقه وإحاطته بنظام تدبير كونه وتحريكه لمخلوقاته بقدرته الذاتية دون يد أو ألة .. بل تكون بكلمة " **كن فيكون**" دون أن يحمل ذلك علي كونــه مــتكلما لــه أعضــاء للكلام أو النطق، وإنما كل ذلك مجاز تقتضيه ضرورة التقريب للبشر بلغتهم ومضامينها المحدودة .

ومن لوازم الوحدانية الفاعلة آلا يكون الإله منعزلا عن خلقه كما قال أرسطو – بل هو أقرب للإنسان من وريده .

٢- لــيس كمــثله شئ وهو المثل الأعلى – بعني أن كينونته الذاتية مجهولة للبشــر وإنمــا ما يقبله العقل والمنطق ألا يكون لله حيزا في الزمان أو المكــان فلا تجوز الإشارة إليه في مكان محدد علي أنه موجود في هذا المكــان دون سواه وهو في الزمان .. أزلي قبل أن يخلق الزمان، ومن مقتضــى ذلك ألا يكون الإنسان علي شبه الله كما قالت التوراة فالإنسان متحــيز يتحرك في المكان ، ويفرغ منه المكان إذا تحرك منه ولكن الله محــيط بالعــالم مسيطر عليه لا يفرغ منه مكان أو زمان ولا يتجه إلي يميــن أو يســار أو أسفل أو أعلي ، لا تبصره العيون ذاتا لذات وإنما تبصره القلوب المؤمنة في ضميرها ووجدانها وكأنه أمامها أو في داخلها يوحي إليها ويلهمها.

٣- إن الله لا يتجسد ، ويأبى جلاله أن يدخل في جسد إنسان أو يصير هو إنسانا كما قال الفكر المسيحي لأن التجسد ضعف لقدرة الله وتشبيه له وحد من كينونته العظمي في الزمان والمكان .

٤- إن كينونتة الإلهية تأبى أن يجري عليه ما يجريه هو علي البشر من التناسل واتخاذ زوج له أو اتخاذ ولد، وسواء فهم الولد بمنطق البشرأو بمنطق خاص كالنفخ بالروح أو الإقامة بكلمة الخلق كن فيكون .

٥- إنه خالق الأفعال وعالم بها قبل أن تجري بين مخلوقاته .. ولكنه لا يأمر بالفحشاء ولا يرغم المخلوق علي إرتكاب المعاصي، ولا يضل أحدا من عباده،وأنه العدل المطلق فيثيب الأخيار و يعذب الأشرار ..لكن حسابه لا يكون إلا حيث يكون له مكنة الإختيار ويكون علي الإنسان أن يحسنه فإن أساء حقت عليه كلمة الجزاء فهو لا يكلف نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

٦- إنه إذ ورد بالقرآن آيات تشير إلى التجسد كاليد والوجه والسمع والبصر والمجيء لا تحمل علي ألفاظها الظاهرة إذ لا يجوز أن يكون الله مشبها بشبيه (ليس كمثله شئ) وإنما تحمل علي دلالة الكلمة .. فاليد تحمل علي القوة،والوجه يحمل علي الوجود ،والسمع والبصر يحملان علي الإحاطة .. وهكذا

٧- إن القرآن أوضح في آياته العديدة أن منهج الخلق يقوم علي خلق الكائنات وأن التكليف لمن كان مؤهلاله بالعقل السليم ثم الفناء الجزئي لكل مخلوق ثم يأتي الفناء العام .. ثم يقوم الأموات من قبورهم وتنصب موازين الأعمال، ويكون الجزاء بجنة ينعم فيها أصحابها أو بنار جهنم حيث يذوقون فيها ألوانا من العذاب.

٨- إن الله فتح للعاصيين أبواب التوبة وأنه يتوب علي من يريد وأنه ليس إله عذاب وتعذيب ونار فحسب بل هو أيضا إله توبة وتسامح وغفران فكما

أنــه منتقم جبار فهو غفور رحيم يغفر الذنوب جميعا ما عدا الشرك به، لأن المشــرك يكــون قد أخرج نفسه عن الاعتقاد بالله، وفي تقديرنا أن الإلحاد يدخل في معنى الشرك .

" ولله مــا في السموات و ما في الأرض يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء والله غفور رحيم " آل عمران(١٢٩) .

" وســارعوا إلي مغفرة من ربكم و جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين" آل عمران(١٣٣) .

" والذيــن إذا فعلــوا فاحشــة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهــم ومــن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا علي ما فعلوا وهم يعلمــون " (١٣٥) " أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين " (١٣٦) .

٩- إن القرآن ساق أدلة متعددة علي وجود الله ووحدانيته وقدرته وهو يختلف بذلك عن التوراة وأناجيل المسيحية لأن التوراة كانت تقدم الإله يهوه إلى اليهود علي أنه يسير أمامهم في عامود نار أو في عمود سحاب وأنه هــو الــذي حررهم من عبودية المصريين وهذا دليل قدرته وأنه سيظل معهــم حــتى يعودوا إلى أرض فلسطين ثم يستقر بينهم في الهيكل الذي يبنى له ومن ثم لم يكن اليهود في حاجة إلي براهين لإثبات وجود الله أو وحدانيــته أو قدرتــه وكان جوهر ما أمرهم يهوه به أن يتجنبوا عبادة الأوثــان والأصــنام والأنصاب وألا يصنعوا آلهه مسبوكه من ذهب أو فضــة أو غــيرها ،ورغم ذلك فقد كان إيمان الشعب الإسرائيلي بيهوه مــتزعزعا قلقــا فقد عبدوا العجل الذهبي بمجرد أن وجدوا فرصة غاب فيها موسى عنهم .

أمــا بالنسبة للفكر المسيحي .. فقد كان المسيح يذكر أتباعه بقدرة الله علــي ان يــرزق الطــير في أعشاشها فكيف لا يرزق الإنسان ولكن السيد

المسيح عليه السلام كان يبغض إسم " يهوه إسم إله الإسرائيليين فلم يذكره مرة واحدة، وإنما إستبدل به إسما أخر هو " الآب" فكان يعبر عن قدرة الله ورحمته بلفظ " آب " وكان يشير إليه علي أنه في السماء " أبوكم السماوي " ومن ثم لم تتضمن أقوال السيد المسيح أي براهين أخرى علي وجود الله أو قدرته أو وحدانيته، لأن عقيدة الربوبية بين اليهود لم تكن محل شك أو ريبة فهم ليسوا في حاجة إلي أن يبدأوا من جديد في التعرف علي " يهوه " أو إثبات وجود الأب السماوي أما في الإسلام فقد نشأ بين أقوام ثلاثة :-

١- **أهل** شرك بالله يعبدون الأوثان جيلا عن جيل وهؤلاء كانوا في حاجة ملحة إلى تحويل عقائدهم إلى عبادة إله واحد وهو أمر يقتضي أن يتناول القرآن أدلة وجود الله

٢- **اليهود** – وخاصة بعد –هجرة النبي – وهؤلاء كانوا يجادلون النبي في بعض عقائد ما وراء الطبيعة ومن بينها الإله الذي يوحى إلى محمد .

٣- **النصارى** .. وهؤلاء كانوا يقولون بالتثليث وتجسد الله في الناسوت وهو آب وابن وروح القدس

ومن ثم كانت معظم البراهين منصرفة إلى الفريق الأول لأنهم لا يؤمنون بإله غير أصنامهم، وكان أمرا عسيرا عليهم تغيير عقائدهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم .

ثم تناول القرآن الرد علي مجادلة اليهود فيما جادلوا فيه والرد علي عقائد النصارى فيما ذهبوا إليه من التثليث والتجسد في الناسوت علي الأرض .

١٠- إن الله في القرآن هو اله كل الكائنات فإن ألوهيته لا تختص بشعب محدد من البشر تاركا سواهم و إنما هو محيط بكل عباده وبكافة مخلوقاته، وذلك علي عكس التوراة التي اعتبرت أن يهوه هو إله بني إسرائيل فقط، وأن هذا الشعب هو ابنه البكر الذي يحفل به دون سائر

الأقوام، بل إنه أجاز لبنى إسرائيل استعباد غيرهم من الأمميين، وأيضا سـلب حياتهم . لكن القرآن في الحقيقة لم يقف عند حد عمومية رعاية الله لكـل الشعوب بل اتجه إتجاها آخر ... وهو أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول لدى الله .

ففي سورة آل عمران يقول القرآن :

" إن الديـن عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بأيات الله فإن الله سريع الحساب " ١٩

وفـي الأية (٨٥) " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين " آل عمران .

وبذلك يكون القرآن قد حدد الفئات التي ستدخل النار وهم غير المسلمين من الأمم الأخرى الذين وجدوا بعد ظهور الإسلام

ويـرد المستشـرقون علي ذلك بأن هذا لون من ألوان العنصرية وأن القـرآن كرر النهج الذي سارت عليه التوراة في تخصيصها للشعب اليهودي بأنه الشعب المختار ويرد علي ذلك علماء المسلمين بأن الإسلام يجب ما قبله وأن أي فرد له أن يدخل في دين الإسلام فيحظى بجنة الله بمعني أن الإسلام لا يفرق بين الناس بحسب ألوانهم أو جنسياتهم بل بحسب عقيدتهم .

والحقـيقة أن كل كتاب مقدس ينتصر للدين الذي جاء به .. فالتوراة جعلت اليهود هو شعب الله المختار والمسيح عليه السلام قال إن من لم يتبعه لا يدخل ملكوت السموات .. وجاء القرآن ليعلن أن الإسلام هو خاتم الأديان ويجب ما قبله من عقائد وتشريعات .

وإليك بعض آيات القرآن في شأن ما سبق تفصيله :

" الله خالق كل شئ " سورة الرعد آية (١٦)

"خلق كل شئ فقدره " سورة الفرقان آية (٢)

" وهو بكل خلق عليم " سورة يس آية (٧٩)

" **يعلم** مـا بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض " سورة البقرة آية (٢٥٥)

" **ولله** المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله " سورة البقرة آية (١١٥)

" **ونحن** أقرب إليه من حبل الوريد " سورة ق آية (١٦)

" **قل** هـو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد" سورة الاخلاص الآية (١ ـ ٤)

" **ليس** كمثله شيء " سورة الشورى آية (١١) ، " ولله المثل الأعلى " سورة النحل آية (٦٠).

" **وإنه** خلق الزوجين الذكر والأنثى سورة النجم آية(٤٥)

" **قـ** أغـير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعم ولا يُطعَم " سورة الأنعام آية (١٤).

" **الله** لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض " سورة البقرة آية (٢٥٥).

مثـ عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون " سورة آل عمران آية (٥٩).

" **ما** كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون " سورة مريم آية (٣٥).

" **الله** الـذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون " سورة الروم آية (٤٠).

" **خلـق** السـموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كـ زوج كريم سورة لقمان آية (١٠)

* زيارة الكعبة و ليس عبادة الكعبة :

ويذهب بعض المستشرقين إلى أن الإسلام لازال يحتفظ ببعض الطقوس الوثنية و يخصون بالذكر طقوس الحج والعمرة .. ويضربون لذلك مثلا .. الطواف حول الكعبة وهي بناء حجري، والسعي بين الصفا والمروة وتقبيل الحجر الأسود، وقالوا إن هذه الطقوس كانت قائمة قبل ظهور الإسلام في العصر الجاهلي ولكن محمداً جعلها من أركان الإسلام(١) .

وحقيقة أن الكعبة كانت قائمة قبل ظهور الإسلام وكانت تضم في جوفها عديدا من الأصنام وكان الجاهليون يعبدونها باعتبارها وسائطهم إلى الله وأنها تقربهم إليه، كما كان الصفا والمروة وثنين يهرول بينهما العرب(٢). قبل الإسلام غير أنه بعد ظهور الإسلام - انتهى العهد الوثني بكل مظاهره .

(١) يرجع التاريخ الاسلامي بناء الكعبة إلى إبراهيم وإسماعيل، وهو ما أكده القرآن الكريم على أساس أنه أول بيت لله - قصد به أن يعبد فيه - ، إلا أنه سرعان ما تحولت الكعبة إلي دار أوثان علي يد عمرو بن لحي الخزاعي حيث غير دين التوحيد الذي قام علي يد إبراهيم إلي طقوس عبادة الأصنام ولم تكن الأوثان في الكعبة فقط بل وجدت اللات في الطائف وهي صخرة كان يقدم إليها الذبائح وتنافس الكعبة في الشهرة ومن أصنام قريش هبل واساف ونائله والعزى، وقد تعرضت الكعبة - سواء قبل ظهور الإسلام أو بعده - لمحن كثيرة بسبب الغزو الخارجي أو الخلافات بين القبائل مما ترتب عليها هدمها وبناؤها أكثر من مرة

أما الصفا والمروة فكان العرب يهرعون بينهما وقيل إنهما حجران بهما وثنان أسافة ونائلة وقد تحرج المسلمون في أول الامر من الطواف بينهما لقيام العادة الوثنية بذلك، غير أنه نزلت فيهما آية تفرض علي الحجيج الطواف بينهما بما ورد في سورة البقرة آية (١٥٨) " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم"، وقيل في شأن الصفا والمروة أن هاجر كانت تهرول بينهما طلبا للماء لري وليدها إسماعيل حينما تركه إبراهيم مع أمه هاجر دون غذاء أو ماء في صحراء جرداء

(٢ يذهب المستشرق غولد زيهر أن الحج طقس إسلامي جاء من الوثنية العربية

ويقول علماء المسلمين ردا علي آراء المستشرقين، بأن الإسلام هو الذي قضى علي الوثنية وحطم محمد وأصحابه في عام الفتح كل مظاهرها وهي الأصنام التي كانت قائمة في الكعبة، ومن ثم فلا يقبل أن يقال إن الإسلام خلط بين التوحيد و الوثنية ذلك أن الحجيج لا يعبدون الكعبة ولا يسجدون لها ولا يدعونها من دون الله .. وإنما يرجع وجودها تاريخيا إلي إبراهيم عليه السلام باعتبارها بيت الله الذي أراد ببنائه أن يعبد فيه فالبيت الحرام وبه الكعبة هو مسجد من مساجد المسلمين ولكنه أول مسجد ومن ثم كان مزاره أمرا محببا للنفس ليجتمع المسلمون في مكان واحد وزمن واحد حتى تتأصل أواصر الحب والود بين الشعوب الإسلامية – فالله لا يدعو الحجيج لعبادة الكعبة أو السجود لها أو للحجر الأسود فهى كلها أحجار وإنما يدعو الحجيج لمزار أول بيت وضع للناس يذكر فيه إسمه بل إن وجود الحجيج بالكعبة يكون أعظم شاهد علي أفول عبادة الأوثان وقيام عبادة الواحد الأحد (١). فليس لأحد من المسلمين أن يتصور أنه يعبد الكعبة وإنما هو يعبد الله رب الكعبة ورب كل البقاع ونعتقد أن الحج لا يقوم علي أهداف

(١) لوحظ أنه في الاديان التوحيد به (اليهودية – المسيحية – الاسلام) كان أصحاب كل دين يبنون بيتا لله – لكن مفهوم البيت في اليهودية والمسيحية يختلف عن البيت في الاسلام ففي اليهودية إبتدأ بيت الله بخيمة يحضر فيها الله و يستقر ثم استبدل بها هيكل مبنى الذي إحتوى علي ما يسمي بقدس الأقداس والتابوت الإلهي حيث يستقر إله اليهود في هذا البيت ويتخذه سكنا مستديما له – بينما بيت الله في الإسلام فإنه ينسب إلي الله .. اذ كل المساجد هي بيوت الله أي البيوت التي تبني من أجل الصلاة وعبادة الله فلا تحمل معني استقرار الله فيها أو معني أن الله إتخذها سكنا ومقراً ، والكعبة (ونعتقد أنها سميت كذلك لانها علي شكل مكعب مستطيل ١٠م× ١٢م بإرتفاع ١٥م. ليست إلا بناء فى صحن بيت من بيوت الله أى مسجد كأي مسجد آخر و لكن لأهميتها التاريخية الأولي (بناء إبراهيم وإسماعيل لها) وأنها كانت بداية التوحيد فقد عظمت تاريخيا وكان مبعث قداستها هو تاريخها الأول و ليست لأن الله يستقر فيها أو أنها أحجار تعبد من دون الله أو أن الله يسكنها أيام الحج ليستمع إلي تلبيات الحجيج

سياسـية وإجتماعية وإقتصادية فحسب بل أيضا يقوم علي هدف ديني تعبدي وهو الخضوع لإرادة الله وانتقال الحجيج إلي بقعة معينة ليذكروا إسم الله مع ما تتضمنه الرحلة من مشاق عديدة ، كالصوم .. يقوم علي الإمتثال لحكم الله بالإمتناع عن الطعام والشراب(١).

*** التوراة والقرآن لا يعترفان بسقوط البـ ر بسبب خطيئة ادم :**

تقو المستشرقة " Karen Armistrong "

في كتابها Mohammed A Biography of the prophet

إن المسـيحية تتسـم أحياناً برؤية تشاؤمية .. للإعتقاد بانتقاص كمال العـالم بسـبب خطيئة الإنسان، لكن الإسـلام واليهودية لا يؤمنان بسقوط الإنسـان فـي الخطيئة، ولا يجيزان الفداء عن طريق الصلب أو الموت أو توقيع ثمة جزاء علي البشر بسبب هذه الخطيئة.

*** القرآن يحث المسلمين علي الفكر والنظر والتأمل :**

وتقول الكاتبة المذكورة ، إن القرآن يحث المسلميـن علي بـذل الجهـد في مخيلتهـم للنظـر في قدرات الله فهو يوجه آياته إلي قوم يعقلون إنه يطلـب أن يتدبر كل إنسان ملكوت الله وما فيه من خلق حتى تتأكد له صورة عن الله القادر العظيم

وقـد حـاول المستشـرق ماكدونالد أن يستنتج الطبيعة الإلهـية في العـقـيدة الإسـلامية فقال إن الإسلام يؤمن بإله " كائن حي يكتـفي بـذاته عـظيـم القدرة عالم بكل شيء أبدي وهو الحقيقة الوحيدة ".

---

(١) يصر المستشرقون علي أن الطواف مجرد الطواف - ببناء حجرى يحمل في جذوره التاريجـية نوعـا من الوثنية التي كانت قائمة قبل الإسلام حيث كان العرب يطوفون بالبناء الحجرى وهم ينادون علي أوثانهم لتخلصهم من ذنوبهم

ويقول المستشرق هنري ماسية H.Masse في كتابة L' ISLAM "الله في القرآن كائن سام خالق للإنسان ولكل الكائنات والأحياء علي الأرض، والدنيا خلقت في ستة أيام، والله أخرج العالم من العدم المطلق غير أنه أخرج الإنسان من المادة (سورة الحج / ٥) وحياته علي الأرض موقوتة.. بعدها يحاسب علي ما فعل في دنياه - إما بجنة أو بنار ويضيف المستشرق المذكور إن القرآن يقول إن الله بعد أن خلق الأرض استقر في السماء التي لم تكن يومئذ إلا دخان ثم قسمها في يومين سبع سماوات ففي سورة فصلت آية (١١، ١٢) " ثم استوي إلي السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين.. فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم " (١).

*** الملائكة**

ويؤكد القرآن ما ورد بالكتابين السابقين (التوراة ـ الأناجيل) أن هناك جنساً آخر لم يره أحد هو جنس الملائكة خلقوا من نور وهم جند الله المطيعون لأوامره المتجردون من الإثم والمعاصي وأن خلق الملائكة سبق خلق آدم فقد أمر الله إبليس وكان رئيساً للملائكة أن يسجد لآدم فأبى ثم تحو بعد ذلك إلى شيطان كل مهمته أن يوجه البشر إلى معصية الله وقد اعترفت التوراة والإنجيل بالشياطين ـ بإن الأناجيل اعتبرت أن

(١) تكاد تجمع الديانات الثلاث علي أن السماء هي مكان الاستقرار لله فالقرآن أكد أن لله عرشاً ويحمله ثمانية والمسيح كان يشير إلي ملكوت الله في السماوات وأنه سوف يجلس علي يمين الله بعد أن يصعد إلي السماء واليهودية وضعت الله في بداية الخلق في السماء في جنة عدن ثم جعلته يستقر علي الأرض في الهيكل المصنوع له وتنكر بعض الفرق الإسلامية أن يكون لله حيزاً ، والسماء حيز والعرش حيز، فالله موجود في كل مكان وأن ما ورد بالقرآن هو من قبيل الرمز الدال علي العلو والسمو

سبب معظم الأمراض هو دخـول شيطان بجسـد الإنسان وأن المسيح كان يتولى طردهم فيذهب الجنون ولو أن الشياطين دخلت أجساد حيوانات أخرى كالخـنازير فإنهـا ستصـاب أيضاً بالجنون الذي قد يوردها التهلكة كما أن القـرآن أورد أن بعـض الشياطين تخاطر بنفسها وتصعد إلي حدود السماء حيث يبعدها الملائكة عن طريق رجمها (راجع هنري ماسيه) وفي القرآن أيضاً عبر عن الملائكة تارة بلفظ المذكر وتارة أخرى بلفظ المؤنث

محمد نبي الإسلام

[عليه السلام]

[من المؤكد أننا لا نكتب تاريخاً لحياته فهذا الكتاب ليس للتأريخ مجال فيه إلا حيث يقتضي السياق وإنما نختار بعض جوانب شخصيتة وموأقفه، لنقوم بدراستها وتحليلها].

(١) النسب ثم قصة الوحي :

- **هو** محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

ولد محمد سنة ٥٧٠م تقريبا وقيل إنه عام الفيل .

وأمه هي آمنة بنت وهب.

مات أبوه قبل أن يولد وماتت أمه وهو لا يزال وليدا صغيرا وكفله جده عبد المطلب ثم مات جده ومحمد لا يزال في الثامنة فكفله عمه أبو طالب - عمل برعاية الأغنام ثم بالتجارة ثم استأجرته السيدة خديجة لتصريف تجارتها في الشام وكان في الخامسة والعشرين من عمره حيث رأت فيه شابا وسيما قويا فطلبته للزواج فتزوجها وكانت ابنة أربعين عاما

وتعتبر السيدة خديجة أول زوجه لمحمد .

كان محمد يتعبد في غار حراء ، بعيدا عن الكعبة وأصنامها، وفيما هو مستلق في أرض الغار - قال - إن ملكا جاءه وقال له إقرأ .. فرد عليه ما أنا بقارئ (لأنه كان أميا لا يعرف القراءة أو الكتابة) وتكرر عليه القول حتى أكمل له الملاك الآية .

" **اقرأ** باسم ربك الذي خلق ¤ خلق الإنسان من علق ¤ اقرأ وربك الأكرم ¤ الذى علم بالقلم ¤ علم الإنسان ما لم يعلم ¤ سورة العلق آية

(١ ـــ ٥) ثـــم بعد فترة فتر فيها الوحي جاءت أية " والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى .." سورة الضحى آية (١ ـــ ٣)

وفـــي بدايـــة الدعـــوة أســـلمت خديجة وعلي بن أبي طالب (ابن عم الرســـول)، وأبو بكر أصدق أصدقائه ثم بعد ذلك أسلم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وآخرين، طفقت قريش تؤذي المسلمين إيـــذاء وحشـــيا وتحاول إكراههم علي ترك الإسلام ولكن المسلمين تمسكوا بدينهم واحتملوا العذاب في صبر جميل .

*** قصة الإسراء والمعراج :**

وكـــان محمد ينام في تلك الليلة في بيت ابنة عمه هند بنت ابي طالب (ام هانـــيء) وقـــد قالت هند " إن رسول الله نام عندي تلك الليلة في بيتي فصـــلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله فلما صـــلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانيء لقد صليت معكم العشاء الآخرة كمـــا رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكـــم الآن كما ترين فقلت له يانبي الله لاتحدث به الناس فيكذبوك ويؤذوك قال النبي عليه الصلاة و السلام والله لاحدثهموه.

يقـــول الـــبعض إن الإسراء والمعراج (إلي السماء) كانا بالروح إذ قالـــت عائشة .. ما فقد جسد رسول الله ولكن الله اسرى بروحه وقال معاويه إن الإسراء كانت رؤيا صادقة من الله ..

وجـــاء بالقرآن " وما جعلنا الرُعيا التي أريناك إلا فتنة للناس "سورة الإسراء آية (٦٠) وقال البعض إن الإسراء كان بالجسد لان النبي ذكر بعض الأحداث التي رآها اثناء مسراه وقد تبين صحتها بالفعل .

امـــا قصة المعراج فهو أنه عرج إلي السماء حتى سدرة المنتهى حيث تقوم علي يمين عرش الله وقد فرض الله الصلاة علي المسلمين خمسين مرة

في اليوم ثم خففت إلي خمس في حديث طويل لا نرى داعيا لذكره .

كـذب القرشيون حديث محمد .. وصدقه آبو بكر صديقه الحميم ثم بدأ المسلمون يفيقون من ذهول الواقعة ... واستجابوا لتصديق أبى بكر .

وورد حادث الإسراء بالقرآن في سورة الإسراء ، وحادث المعراج في سورة النجم وإليك نصوصهما .

* سورة الإســراء :

" سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من ءاياتنا إنه هو السميع البصير "

وهــي آية وحيدة جاءت بسورة الإسراء دون تفصيلات فضلا علي أن لفظ (أسرى) لم يتكرر في القرآن مرة ثانية وإنما استعمل القرآن (فأسرى) فــي الآيـــة ٨١ سورة هود " فأسر بأهلك بقطع من الّيل " وجاءت في سور اخرى بذات المعنى (راجع الحجر، طه، الشعراء، الدخان) .

* سورة النجم :

والــنجم إذا هــوى * ماضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهــوى* إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهــو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلــي عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه علي ما يرى * ولقد رءاه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى الســدرة مــا يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من ءايات ربه الكبرى "

غير أن الاحاديث تواترت علي أن النبي أسرى وعرج بجسده وروحه وأنه صعد السموات حتى رأى الله بعينه ومنهم من قال إنه راه بقلبه .

وفي مسألة الإسراء والمعراج أحاديث مطولة وخلاف في الرأي :ـــ

هل أسْرِي به بالروح فقط أم بالروح والجسد هل رأى الله عينا أو رأى الله بقلبه ...الخ . فمن يرغب فليرجع إلي المراجع الخاصة بالموضوع(١).

*** المقصود بالمسجد الأقصى :**

يجب ألا يتبادر إلي الذهن أن المسجد الأقصى الحالي القائم في القدس هو المسجد المقصود في آيات الإسراء ... إذ لم يكن ذلك المسجد قد بني بعد فـإن المسـجد الحالى قد شيد في المكان الذي وضع قواعده الخليفة عمر بن الخطـاب ، فضـلاً عن أن الإسلام لم يكن له وجود في القدس حتى تاريخ الإسـراء والمعـراج ولم تكن الصلاة قد فرضت بعد وقد ورد بكتب التفسير ونذكـر منها ابن كثير والطبري والقرطبي والجلالين وغيرها آراء متعددة ، فهـم يحددون المسجد الأقصى بأنه بيت المقدس أو بيت ايليا او المكان الذي سـجد فـيه النبي محمد بعد وصوله إلي القدس مع باقي الأنبياء ، وقيل في تفاسير أخرى ان الذي أقام قواعده هو إبراهيم عليه السلام أو يعقوب المسمى بإسـرائيل ، وجاء بمخطوطة لطايف ابن أنس الجليل لمصطفى اسعد اللقيمي أن بيـت المقدس – هو مدينة القدس، وأن المسجد في وسطها وأن أول من بـناه الملائكـة بعد بنائها للبيت الحرام أو إسرافيل أو آدم أو سام أو يعقوب الـذي كان قد مر بمكانه فادركه النوم فرأى الرب يقول له أجعل هذا المكان بيـتا تعبدني فيه فبنى مسجدا – ويعقوب هذا هو إسرائيل الذي ينتسب اليهود إليه وكل هذه الافتراضات لا يقين فيها.

ويذهـب اليهود إلي أن المسجد الأقصى الحالي بنى علي أنقاض هيكل سـليمان وحـاولوا التنقيب تحت المسجد ليصلوا إلي آثار الهيكل ولكنهم لم يجدوا شيئا(٢).

(١) انظـر محمـد حسنين هيكل في حياة محمد والشيخ عبد الحليم محمود في " الاسراء والمعراج "وابن سعد في طبقاته وتفسير ابن كثير والطبري وابن هشام في السيرة.

(٢) وأول هـيكل بناه سليمان فوق جبل موريا ولكن دمره نبوخذ نصر عام ٥ ق.م ثم اعـيد بـناؤه ثـم هدمـه هـيرود ثـم اعيد بناؤه ودمره تيتوس الرومانى سنة ٧م (د.عبد الوهاب المسيرى).

وذكــر ابــن سعد في طبقاته حديثا منسوبا للنبي محمد (ص) أورد فيه ســؤال القــوم للنبي عن أبواب المسجد فقال " ولم أكن عددت أبوابه فجعلت أنظر إليها وأعدها بابا بابا وأعلمهم "

وقد هاجم المستشرقون حادث الإسراء والمعراج ومنهم من شبه النبي محمــد (ص) بالمســيح عندما صعد إلي السماء بعد قيامته، أو راهبة تدعي بيربــتوا – مــن الشهداء المسيحيين حيث كانت تري في منامها سلما تصعد علــيه إلــي السماء ثم تدخل جنة كبيرة، ومنهم من قال إنها تجارب روحية صــوفية تصديقا لما جاء بسيرة ابن اسحق عن السيدة عائشة بأن الله اسري بروحه فقط (١) .

* الهجرة إلي المدينة :

أذن للنبــي أن يهاجر إلي يثرب (المدينة) بعد أن استحالت إقامته في مكــة بســبب تعــرض أهلهاله ولأتباعه بالأذي الشديد وهناك بدأ يجمع بين المهاجريــن والانصــار (أهل المدينة) وبدأ يوحد كل من الأوس والخزرج غير أن المدينة كانت مستقراً لعديد من القبائل اليهودية، فبدأ حرب الجدل بين الــيهود والنبــي وقيل إنهم دسوا من أحبارهم من أظهر إسلامه، ليكون فتنة للمسلمين . وبعد أن كان المسلمون يتجهون في صلاتهم إلى المسجد الأقصى (بالقدس) نزل القرآن يستبدل بهذه القبلة الاتجاه إلى الكعبة.

* آيات العتاب في القرآن

يذهب بعض المستشرقين إلي أن القرآن قد حفل بالعديد مــن آيــات

---

(١) راجــع كاريــن ارمســترونج فــي مؤلفهــا الســابق ....**Mohammed**

العتاب واللوم للنبي محمد (ص) وأن دلالة ذلك أن محمداً لم يكن يبلغ رسالة الإسلام كما ينبغي ومن هذه الآيات :-

(١) " **واستغفر** لذنبك " سورة غافر آية (٥٥)

ودلالـــتها فـــي رأي المستشـــرقين:- أن النبـــي ارتكب ذنباً فأمره الله بالاستغفار منه.

(٢) " **إنـــا** فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " سورة الفتح آية (١، ٢) ودلالتها :- أنه كيف يكون الغفران لما تقدم وما تأخر وفي ذات الوقت يقول الله للرسول " استغفر لذنبك " وما هو الذنب الذي ارتكبه الرسول .

(٣) " **عبس** وتولى*أن جاءه الأعمى " سورة عبس آية (١، ٢) وفيها عتاب مـــن الله للرسول ان ترك رجلا أعمي جاء ليستزيد منه إيمانا ، و تولي عنه ووجه عنايته لكبار قوم قريش من الكافرين فعاتبه الله علي ذلك .

(٤) " **ولـــولا** أن ثبتـــناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحـــياة وضـــعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا " ٧٤ الإسراء وقد فســـرت علـــي أن النبي محمد (ص) كاد يستجيب لدعوة المشركيين من قـــريش الذيـــن ساوموه علي أن يعبدوا الله عاما ويعبد هو الأصنام عاماً آخر [راجع الرد على قصة الغرانيق].

(٥) " **ما** كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الأخرة " الآية ٦٧ الأنفال .

وهي خاصة بفداء الأسرى اذ لا يجوز للنبي أن يكون له أسرى

(٦) " **وإذ** تقـــول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفـــي فـــي نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه فلمـــا قضي زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون علي المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا " سورة الأحزاب آية (٣٧).

وتشير الآية إلي زواج النبي محمد (ص) من زينب بنت جحش التى كانت زوجة لزيد بن حارثة وكان يعتبر ابنا للنبي بالتبني .

وقد أشار المستشرقون إلي أن الله عاتب النبي عتابا شديداً علي عدم إعلان رغبته في الزواج من زينب التى كانت متزوجة من زيد ابنه بالتبني وقد أخفي تلك الرغبة و طلب من زيد عدم تطليقها.

ويضيف المستشرقون أن الله عن طريق تنزيل في القرآن استجاب لرغبة محمد الجسدية ليحققها بأمر آلهي رغم أن المرأة متزوجة من رجل يعد إبنا له بالتبني، وأنه لأمر غير مقبول أن تطلق زوجة من أجل أن يتزوجها النبي وقد صوروا الأمر علي أنه قصة غرامية بدات منذ زمن بعيد حيث أن زينب كانت في ريعان شبابها (٣٥سنة) وكانت بالغة الجمال، ويعتمد المستشرقون علي روايات وردت في كتب السيرة كابن سعد والطبري والواقدي إذ ورد بها أن النبي ذهب إلي بيت زيد فلم يجده وقامت زينب ترحب به فلما وقعت أمامه تركها مسرعا وقال "سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب "ودلالتها أن زينب وقعت في وجدان محمد (ص) عندما رآها بعد أن هز الهواء ستارة من شعر فبدت أمامه فى قميصها فوقعت فى نفسه.

ولقد رد علماء المسلمين علي ذلك .. بأن الله كان قد أعلم محمداً (ص) بأنه سيتزوج من زينب بعد أن تتزوج من زيد حتى يقرر قاعدة شرعية أنه لا تبني فى الإسلام وأنه يجوز لمن يتبني ولدا ان يتزوج مطلقته ولكن النبي أخفي ذلك في نفسه خشية لوم الناس له مع أن الله سيظهره (١) .

(١) هذه رواية أهل التفسير عن علي ابن الحسين - الإمام زين العابدين ورواها القاضي عياض - غير ان القاضي لم يبرز لنا مصدر الإمام في هذه الرواية وهل نقلها عن أحد من التابعين أو تابعيهم عن النبي (ص) .. أم أنها مجرد نظرية قال بها الإمام لتنزيه النبي عن الرغبة التى قال بها الواقدي. وقتاده، ونقلها عن الوافدي ابن سعد والطبري .

غير أن للزمخشري رأيا آخر – استنادا لفكر المعتزلة اذ قال : " فان قلت ما الذي أخفي في نفسه قلت تعلق قلبه بها و قيل مودة مفارقة زيد إياها – فإن قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به قلت كم من شئ يتحفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله لان طموح قلب الانسان إلي بعض مشهياته غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لأنه ليس بفعل الانسان ولا وجوده بإختباره (١) .

وفي قول لعائشة " لو كتم رسول الله (ص) شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه " (راجع القاضي عياض فى الشفا) .

وهو قو انس بن مالك أيضا

ويتساء المستشرقون – أنه إذا كان الأمر مقصود به تقرير قاعدة شرعية، فلماذا لا تنزل كآية في القرآن دون حاجة لتطبيقها بالفعل علي النبي.

ويرد علماء المسلمين – أن الأمر لا يجب النظر إليه علي أنه إثم .. لأن الزواج ليس إثماً .. كما أن محمدا (ص) لم يطلب من زيد أن يطلق زوجته بل كان علي العكس يطالبه بالإمساك بها، ولم ينزل نص قرآني يأمر زيدا بطلاقها .

ويبدو أن المستشرقين يحاولون عقد مقارنة بين السيد المسيح عليه السلام وبين نبي الإسلام محمدا عليه السلام، فالأول لم يتزوج فقد عاش ثلاثة وثلاثين عاما وكان متبتلا وكانت رسالته هي هز المجتمع اليهودي المادي ومحاولة الانخراط به في الروحانيات، أما محمد (ص) فكانت له رسالة يجمع فيها بين المادة والروح باعتباره منهج الله في أرضه حيث أراد تعمير الكون بالتناسل الذي يعتمد علي المعاشرة الجنسية بين الرجل والمرأة.

(١) راجع تفسير الكشاف للزمخشري و راجع في الموضوع ذاته دكتور عائشة عبد الرحمن في نساء النبي ، ود . محمد حسين هيكل في حياة محمد .

ولـو أنـنا درسـنا التاريخ اليهودي والمسيحي والإسلامي لوجدنا أن الـنظرة المسـيحية للزواج أو المعاشرة الجنسية، لا تتوافق مع فطرة الجنس البشري حيث كان السيد المسيح وبولس ينهيان الأعزب عن الاقتران بالمرأة.

وكان السيد المسيح يريد أن يخلق فئة من الناس تذوب في الله بشفافية الروح وتتجرد من الشهوات بينما الدين اليهودي والإسلامي يريان أن الفطرة الصـحيحة لمنهج الله هو المعاشرة الجنسية عن طريق الزواج ، ومن ثم فقد أباحا تعدد الزوجات وقد تزوج آدم أبو البشر ونوح ولوط وإبراهيم ويعقوب وموسـي وداود وسليمان .. بل إن داود قتل رجلاً ليتزوج إمراته أما سليمان فقد تزوج المئات من النساء وعبد الأصنام (طبقا لروايات العهد القديم).

وقد تكون الآية القرآنية قد نزلت لترفع الحرج عن الرسول ليتزوج من زينـب بعـد أن طلقهـا زيد ولتقرر ايضا قاعدة شرعية تلغي تحريم زواج الرجل لمطلقة ابنه بالتبني حيث رفض التبني في الإسلام .

كمـا أن بعض علماء المسلمين أنكروا ما ورد في كتب الطبري وابن سـعد من وقوع زينب في وجدان محمد(ص) عندما رآها في قميصها - إذ كانت زينب معروفة لمحمد (ص) بل هي إحدي قريباته - وهو الذي زوجها لزيد - و كان في إمكانه أن يتزوج منها بدلا من زيد

*آراء المستشرقين في بعض المواقف في حياة محمد (ص) :

تـناول العديد من المستشرقين حياة النبي محمد (ص) بانتقادات بالغة الحدة وركزوا في نقدهم علي مواقف ثلاثة :

الأولى : تعدد زوجاته . .

الثانية : إراقة دماء الأسرى وخاصة اليهود منهم .

الثالـثة : أنـه كـاد يهادن الوثنيين في عبادة آلهتهم ويقصدون بذلك قصة الغرانيق .

وســوف نتناول هذه المواقف مع ما عرضه علماء المسلمين من الرد عليها .

(١) تعدد زوجاته

لا ينكر التاريخ ان النبي محمد (ص) تزوج من نساء عديدات :

١ ـ كانــت أولاهن هي السيدة خديجة بنت خويلد - التي تزوجها قبل تكليفه بالرســالة إذ كــان فــي ســن الخامسة والعشرين بينما كانت هي في الأربعيــن وهي التي خطبته وحببت له التقدم إليها، وكانت سيدة بارة تنتمــي إلي أشراف قريش، وكان محمد يرعي تجارتها إلي الشام، وقد عاشــت حــتى بعث رسولا و لم يتزوج عليها حتى ماتت، ومن ثم لا تدخل السيدة خديجة في فترة تعدد الزوجات التي بدأت بعد وفاتها .

٢ ـ أمــا الزوجة الثانية فهى سودة بنت زمعة و كانت سيدة مسنة لا مال لهــا ولاجمال ولكن النبي - فيما يقول علماء الإسلام - أراد أن يدمل جــراحها لفقد زوجها الذي مات حين هاجرا إلي الحبشة فراراً بدينهما الإسلام .

٣ ـ وكــان النبــي (ص) قــد خطب عائشة بنت أبي بكر - أول من آمن برسالته من الرجال و صديق عمره، وكانت عائشة صغيرة السن ذات جمــال ومرح ولكن - كما يقول علماء الاسلام - كان زواجا قصد به تدعيم الروابط بين النبي وصديقه الذي أعانه في البأساء والضراء.

ولقــد انــتقد المستشــرقون زواج عائشة انتقاداً بالغ الشدة فقالوا كيف يجتمع إثنان - الزوجة لم تبلغ الثانية عشر بينما الزوج قد بلغ سن الكهولة.

ويبدوا أن المستشرقين - كما تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن - قد أهدروا فروق العصر والبيئة، اذ كانت العادات في المجتمع انذاك تجيز مثل هذا الزواج ولا تري فيه نشوزا عن هذه العادات التى تأصلت في المجتمعات

القبلية ، وبالفعل قد نجح هذا الزواج نجاحا باهرا ، وكانت عائشة راوية جيدة للحديث عن النبي (ص) .

تعرضـــت عائشة لحادث الإفك حين خاض البعض فى طهارتها بعد أن تخلفــت عـــن الركـــب في غزوة المصطلق إذ كانت تريد أن تقضي حاجتها فانفــرط عقدهـــا فمكثت تبحث عنه حتى وجدته وحين التمست هودجها – لم تجـــده ، فمكثت مكانها وكان رجل يدعي صفوان بن المعطل قد تخلف أيضا عـــن الركب لبعض حاجاته فوجدها مضطجعة حتى يعود القوم إليها فأركبها بعيره وقاده إلي بيتها.

وبعـــد أن هجـــرها الرسول (ص) فترة من الزمن تأثرا بما سمع ممن خاضوا في شرفها نزلت آيات النور تعلن براءتها .

غير أن عائشة اشتركت بعد ذلك في قتال علي بن أبي طالب (١)

٤ ــ تزوج الرسول (ص) حفصة بنت عمر بن الخطاب و كانت أرملة شابة ولكـــن لاجمـــال لها – ويقول علماء الإسلام إنه لم يكن له بها رغبة سوى توطيد أواصر الصداقة مع أبيها الذي كان درعا واقيا للإسلام – وقد طلقها ثم راجعها – كما قيل – بأمر السماء .

٥ ــ تـــزوج الرسول (ص) بزينب بنت خزيمة وكانت كما يقول المستشرق بودلي " كان زواجا شكليا أكثر من أي شئ آخر اذ كانت أرملة لرجل ســـقط شهيداً (قال إن اسمه عبيدة بن الحارث) وما ضمها محمد إلي نســـائه إلا بدافـــع الشـــفقة ومن ثم كان زواجها محسوباً علي الرسول شـــكلا، وهذا يدل كما يقول علماء الإسلام علي أنه لم يكن يتطلع إلي الجمـــال لإرضاء إشتهائه إلي النساء .. بل كان يدمل جراح الأرامل . وقد ماتت بعد زواجها بعدة شهور.

---

(١) وقـــد ذهب بعض المستشرقين إلي أن صفوان كان يعرف عائشة قبل هذا الحادث إلا أن ذلـــك لم يثبت في التاريخ الاسلامي وهو صورة من صور افتراءات المستشرقين التى لا تستند إلى أية مصادر.

٦ ـ تـزوج مـن هند بنت أمية بن المغيرة وكانت ذات جمال وعزة ولكنها كانـت مسـنة ذات عيال وكان زوجها قد أصيب في غزوة أحد فمات بجرحه، وكان زواج الرسول منها فيما يقول علماء الإسلام تعزية لها في فقد أعز رجل لَديها وهو زوجها الذي كانت تحبه حباً بالغا .

٧ ـ تـزوج الرسـول مـن زينب بنت جحش وقد سبق أن تناولنا موضوع زواجها .

٨ ـ تـزوج الرسـول بعدهـا من جويرية بنت الحارث وهي من قبيلة بني المصـطلق حيث دارت حرب بينها وبين المسلمين ، فهزموا واتخذت نسـاؤهم سـبايا ومنهن جويرية التي كانت تسمي برة وهي ابنة زعيم القبيلة المهزومة، و قد طلبت من الرسول أن يعينها بعد أن وقعت في نصـيب محـارب مسلم يسمي ثابت بن قيس فرفضته ، فعرض عليها الرسـول الـزواج مـنها مـأخوذا بضراعتها في الإستعانة به علي مصيبتها.

ويقول علماء الإسلام – أنه لا حرج علي الرسول من ذلك لأنها كانت من السبايا اللائى يحل الإسلام نكاحهن .

٩ ـ وتـزوج مـن اليهودية صفية بنت حيي بن أخطب وكانت ذات جمال أخـاذ بالغـة السـبعة عشر عاما وكانت زوجة لرجل يدعي كنانة بن النضـير فقـتله أحد المسلمين لكذبه في إخفاء كنز بني النضير ، وقد سـيقت صـفية مـن سـبايا قومها وحين عرضت علي النبي (ص) أصطفاها لنفسه وتزوجها .

وكـان من عادات العرب توزيع السبايا في سهام باعتبارهن من ملك اليمين.

١٠ ـ وتـزوج الرسـول (ص) من أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت تدعي رملـة هاجـرت إلـي الحبشة فرارا من قريش بعد إسلامها وهناك

وضعت وليدتها حبيبة فسميت ام حبيبة وكانت ذات أربعين عاما ، قد تجردت من الجمال ولكن الرسول – كما يقول علماء الإسلام – تزوجها لأن زوجها كان قد ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية، وحاول أن يردها عن الإسلام فأبت وفرق بينهما – فكان زواج النبي منها عزاء لها وسلوانا .

١١ ـ تزوج الرسول (ص) ميمونة بنت الحارث وكانت أرملة ذات ستة وعشرين ربيعا مات عنها زوجها ، وقيل أنها وهبت نفسها للنبي وكان إسمها برة ولكراهية الرسول لهذا الإسم أسماها ميمونة وقيل أنه نزل فيها قرآن .

" وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين " (الاحزاب ٥٠)

١٢ – أما مارية القبطية فكانت هدية له من المقوقس عظيم القبط ملك الاسكندرية ، وتنتمي مارية إلي أقباط مصر و هي قبطية الأب مسيحية رومية الأم وقد أعجبتة فعرض عليها الاسلام فكانت ملك يمينة وولدت له ابراهيم ولكنة مات في طفولتة ، ولم تسلم مارية من الخوض في عرضها عندما اتهموها بمعاشرة عبد جاء معها من مصر كان يقوم علي خدمتها و لكن قيل أن اللّه برأها في حديث عن أنس بن مالك .

" ولا تعد مارية من أمهات المؤمنين "

وقد انتقد المستشرقون أيضا جمع الرسول لأكثر من أربع نساء مع أن الشريعة لا تجيز ذلك وقال علماء المسلمين إن هذه الاباحة والإجازة تخصيص للنبي دون غيره بسبب أن عددا من زوجاته كان زواجه بهن لمجرد العطف والشفقة عليهن وتدميل جراحهن على ما سبق بيانه.

(٢) إراقة دماء الأسرى وخاصة اليهود منهم

يذهب بعض المستشرقين إلي أن النبي (ص) كان ظامئا للدماء متعطشا لإراقته ويضربون لذلك عدة أمثلة منها :

الاول : قتله النضر وعقبة وهما من أسرى بدر

الثاني : قتله لسبعمائة يهودي من قبيلة بني قريظه – في المدينة – رغم أنهم سلموا أنفسهم إليه .

ويرد بعض علماء المسلمين علي المثل الأول بأن الدين الاسلامي كان في أول عهده وكان يريد أن يكبح جماح أعدائه، ومن ثم كان قتل أسيرين هما من أشد أعداء الدين لايعد تعطشا للدماء أو رغبة في إراقتها .

أما بالنسبة للمثل الثاني .. ففي السطور التالية نتتبعه ثم نقوم بالتعليق. ففي غزوة الأحزاب تحالف المسلمون مع قبيلة بني قريظة اليهودية لصد هجمات الأعداء عن المدينة ، وقد كوّن الأعداء جيشا كبيرا، وحفر المسلمون خندقا حول المدينة، وكان موقع قبيلة بني قريظة في مؤخرة المسلمين لحمايتهم من ارتداد العدو عليهم، إلا أن القبيلة المذكورة انضمت إلي الأعداء وبيتت النية علي مهاجمة المسلمين من المؤخرة ،وكان في مكنتهم لو تم ذلك إبادة المسلمين من الخلف إذ كانت القبيلة هي درع المسلمين من ظهورهم .

وفي هذه الغزوة لم يقم ثمة قتال بين المسلمين والاحزاب حيث اشتد زمهرير الشتاء وعصفت الريح بخيام الأحزاب ونفذت المئونة ، فانسحبت قريش ومن تبعها من أعداء المسلمين ، ولم يكن في إستطاعة بني قريظة الهرب من الموقف لوجودهم بالمدينة خلف جيوش المسلمين .

استدار المسلمون إلى بني قريظة التي تحصنت في حصونها وأغلقتها عليهم إلا أن المسلمين حاصروها حصارا شديدا حتى انتهى الأمر باستسلامها وقد اُتُفق، علي أن يحكم فيهم سعد بن معاذ فصدر حكمه القاضي بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وتقسيم الأموال . فتم حبس الرجال في

دار إمرأة بالمدينة وحفرت لهم خنادق وسيقوا جماعات إليها فضربت اعناقهم وقيل إن عددهم كان يتراوح بين الستمائه أو السبعمائة رجل .. وقد سالت دماؤهم أنهارا في الخنادق المحفورة .

كما قيل فيما تحدثنا به كتب التاريخ الإسلامي أن النبي محمد (ص) كان قد أوعز إلي سعد بالحكم .

ورغم أن كتاب التاريخ الإسلامي (١) أوردوا هذه الوقائع إلا أن بعض المحللين حاولوا التقليل من عدد من قتلوا بيد المسلمين إذ لا يعق أن يتم ذبح هذا العددالضخم دون أن تهتز مشاعر القاتلين الذين عهد إليهم بالذبح وهما علي بن أبى طالب والزبير ، فضلا عن أن المدينة لم تكن بها مكان يتسع لمثل هذا العدد ، كما أن دفن الجثث في الخنادق وإهالة التراب عليها أمر مستبعد . اذ كيف يعيش أهل المدينة علي قبور قائمة أمام أعينهم (٢).

وقد يكون من المقبول أن يقال أن خيانة اليهود – كانت ستلحق بالمسلمين تدميرا كاملا اذ يقف اليهود خلفهم مع اطمئنان المسلمين إلى تحالفهم معهم ، وفجأه تحدث الخيانة .. ولو كانت رحى الحرب قد دارت لما بقي من المسلمين المقاتلين فرد واحد فالأعداء أمامهم واليهود وراءهم ومن ثم كانت الخيانة أبشع مما يتصور المرء حين ينقلب حليفه عدوا له ويقتله.

ولقد أوردنا في الجزء الأول من هذا الكتاب كيف كان إله اليهود يأمرهم بقتل وذبح جميع الرجال واتخاذ الولدان عبيدا ولو طلب خصومهم الصلح أو رفعوا راية الإستسلام .

بل إن المجازر التى تمت بإسم المسيح تفوق الوصف ولقد ذكرنا بعضها في مقدمة هذا الكتاب ، إنك حين تتذكر مجزرة سان بارتلمي حيث قام الكاثوليك بذبح البروتستانيين في كل انحاء فرنسا غدرا وغيلة حتى أتوا

(١) راجع الطبري و الكامل لابن كثير و ابن إسحق وطبقات بين سعد وابن هشام في السيرة النبوية و الواقدي .

(٢) راجع بركات أحمد في كتاب محمد واليهود – ترجمة محمود علي مراد .

علـــي الآلاف منهم كل ذلك يدعوك إلي القول بأن الحروب في عصر ما قبل النهضة كانت تبيح كل شئ ، كما كانت الثورات تبيح أيضاً القتل والذبح ، أما المعايـــير الأخلاقية فهي وليدة المجتمعات الحديثة وهي أيضا لا وجود لها.. فكـــم ذبـــح عشـــرات الآلاف مـــن البشر ومنهم الأسرى ومن رفعوا راية الاستسلام، ولم يشفع لهم إستسلامهم أو وقوعهم تحت الأسر والقهر (١).

ونحـــن الآن بمعايـــيرنا الأخلاقية لا نجيز هذه المجازر أياً كان نوعها ولكن للحروب والثورات منطق آخر .

غـــير أنـــه علي الجانب الآخر – فإن هذه المعايير الأخلاقية كثيرا ما تنهار أمام المشاعر الدينية ، وهي بالقطع تنهار أمام ضروب الخيانة وصور الغـــدر والانتقام من الجانب الآخر فعلي سبيل المثال كان لويس التاسع ملك فرنسا يشغل منصبا مقدسا في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وفي عام ١٢٤٢ مـــيلادي أعلن علي الشعوب المسيحية الكاثوليكية إدانة التلمود اليهودي الذي هـــاجم المســـيح هجوما عنيفا وحاول تدنيسه وأمه مريم بأحط وأدني صور الاتهامات واعتبر الشعب المسيحي شعبا وثنياً يعبد رجلا مجهول الهويه وقد أمـــر لويس بحرق جميع نسخ التلمود في كل دول العالم المسيحي وقال قولة مشهورة :

" إن الأسلوب الوحيد للنقاش مع أحد اليهود هو أن تقتله بطعنة نافـــذة

---

(١) ولا شـــك أن قيام هتلر بإحراق مئات الآلاف من اليهود (ويقال ملايين) في محارق خاصة بهم – و هو مسيحي – و قد أراد أن ينكل بهؤلاء اليهود لخيانتهم له ،هو دليل واضح بأن منهج اليهود علي تتابع التاريخ القديم والحديث ، هو خيانة لكل من ينتسب إلـــى أمـــة مغايرة للديانة اليهودية وسوف تري في الصفحة التالية أن داود قام بوضع أهل مدينة "ربة" تحت مناشير ونوارج حديد و فؤوس ثم أحرقهم في أفران الطوب – انظـــر سفر صموئيل الثاني إصحاح ١٢/٢٩، ٣٠،٣١/ وانظر التحريف الذي دخل علي النص في الصفحة التالية .

في بطنه إلى أقصى ما يصل إليه السيف "(١).

وفي المقابل – عند اليهود يقول سفر التثنية – التوراة إصحاح ٢٠ من ١٠/١٤ :

" حيـن تقـترب من مدينة كي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك وفتحت لك فكل الشعوب الموجودة فيها تكون لك للتسخير وتستعبد لك، وإذا دفعهـا الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفـال والبهائم وكـما في المدينة فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاها الرب الهك " .

وفـي سـفر صموئيل الثاني إصحاح ١٢ايات ٢٩/٣٠/٣١ يقول عن الشعوب التى حاربها داود :

" **فجمـع** داود كـل الشـعب وذهب إلى [[مدينة " رَبَّة "]] وحاربها وأخذهـا.. وأخـرج الشعب الذي فيها وأمرّهم (٢). ووضعهم تحت مناشير ونـوارج حديـد وفؤوس حديد في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون " (٣).

---

(١) Joh of Join vill - the Life of , Louis .

(٢) أمـرهم في أتون الآجر أي أحرقهم في أفران الطوب – تماما كما فعل هتلر باليهود حين أحرقهم في أفرانه.

(٣) للأسـف الشديد فقد حرفت الكنيسة الغربية البروتستانية العبارات المدونة في الايات ٢٩ ،٣٠ ،٣١ من سفر صموئيل إصحاح ١٢ و الورادة بالنص المذكور في المتن في العهـد القديـم للكنيسة الشرقية وقد ورد التحريف كما يلي : فحشد داود كل الجيش وانطلق إلي " رَبَّة " وهاجمها وأفتتحها ..واستعبد أهلها وفرض عليهم العمل بالمعاول والمناشـير والفـؤوس وأفران الطوب .. " بدلاً من " ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديـد وفـؤوس حديد فى آتون الآجر " ونعتقد ان النص المدون بالعهد القديم للكنيسة الشرقية هو الأصح لأن إله اليهود كان يأمرهم بقتل الذكور .

٣ـ قصة الغرانيق

هذه القصة وردت في العديد من كتب السيرة نذكر منها الطبري في تاريخ الرسل والملوك وابن سعد في طبقاته وغيرهما من كتاب السيرة ورغم ذلك فإني أكاد أرفضها لإنها تناقض المنطق الذي قامت عليه عقيدة الألوهية في الإسلام ، ولأن قبولها يناقض عقيدة الإسلام فى التوحيد وفى اعتبار عبادة الأصنام كفر وشرك بالله ..

والقصة التي رواها كتاب السيرة أن محمدا(ص) لما رأي تجنب قريش له وإيذائهم للمسلمن رأي أن يهادنهم في عبادة الأصنام حتى يضمن تحالفهم معه فجلس يوما في ساحة حول الكعبة فقرأ علي قريش والمسلمين المجتمعين حوله سورة النجم حتى بلغ قوله " **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخري** " وهما الآيتان ١٩، ٢٠ ثم أضاف بعدهما قولا آخر جاء به " تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجي " ثم مضى وأكمل السورة كلها وسجد عند نهايتها فسجد القوم جميعهم من المسلمين والقرشيين، وأعلن هؤلاء أن محمدا رأي في أصنامهم آلهة تشفع لهم عند إله محمد (ص) وقد ذاع ذلك في القوم حتى بلغ المهاجرين إلي الحبشة من المسلمين فلم يجدوا سببا لبقائهم هربا بدينهم بعد أن تم الوفاق بين محمد وقريش بذكر آلهتهم .

ثم قيل بعد ذلك أن محمدا (ص) أرتد عن قوله بعد أن ذهب إلي بيته وخلا لنفسه فنزل عليه جبريل فعرض عليه النبي (ص) سورة النجم فقال له جبريل أوجئتك بهاتين العبارتين مشيرا إلي " تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لترتجي " ثم أوحي إليه الآيات التالية " **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لا تخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم**

لا تجد لك علينا نصيرا " ((سورة الإسراء الآيات من ٣ إلي ٧٥))وبذلك عاد إلى قريش لتصحيح ما لفظ به وشرع يسب آلهتهم باعتبارها أصناما

وقيل إنه نزلت في ذلك الآيتيين ٥٣،٥٢ من سورة الحج " **وما أرسلنا مـــن قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمني ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله ءاياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشـــيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد "**

وقد تناول المستشرقون حديث الغرانيق بأدلة زعموا أنها تؤكد صدقها ومـــن ذلك ما قاله السير وليم موير من أن مهاجري المسلمين إلي الحبشة قد عـــادوا بعـــد ثلاثة أشهر لدى سماعهم الإتفاق بين محمد والقريشيين، ويرد علمـــاء المســـلمين علي ذلك بأن الرجوع من الحبشة كان بسبب إسلام عمر الـــذي أعـــز المســـلمين فذهب عنهم الخوف والروع وقيل إنه بسبب ثورة الحبشة كما قيل بأن الآيات السابق بيانها لم تنزل في مسألة الغرانيق كما أن ســـياق آيات سورة النجم لا يمكن أن يوافق وجود العبارتين سالفتى البيان ، فضـــلا عن أن معني الغرنوق في اللغة العربية هو الطائر أو الشاب الجميل ولا يوصف بها إله .

كمـــا يقـــول علمـــاء المسلمين أنها قصة مدفوعة إلي كتاب السير من الـــيهود لأنه ليس من المنطق في شئ أن يعلن القرآن في كل مجال محاربته للوثنـــية ثم يأتى ليهادن الوثنيين بإعلاء شأن أصنامهم ويعدها آلهه تشفع لهم يـــوم القـــيامة .. إن ذلـــك أمر لا يقدم عليه أقل الناس تعقلاً وأضعفهم إيماناً ولـــيس ذلك من صفات النبى محمد (ص) الذي ذاق التعذيب بسبب إعلانه وحدانية الله واعتبر عبادة الأوثان كفرا لا يعادله كفر .

*** السرايا والغزوات في حياة نبي الإسلام محمد:**

من المستشرقين من اعتبر أن السرايا والغزوات التي بدأ بها محمد (ص) دلالة واضحة علي السطو ونهب الآخرين ويضربون لذلك مثلا سرايا حمزة وعبد الله ابن الحارث وغزوة بدر حيث كان الهدف منها الإستيلاء علي ما تحمله القوافل من بضائع ونوق ويضيفون أن محمدا (ص) قاد بنفسه سرية لاعتراض قافلة كان يقودها أمية من عشيرة جمح للإستيلاء علي بضائعها ونوقها وأنه كلف عبد الله بن جحش لاعتراض قافلة أخري في الأشهر الحرم، وهو منهج الجاهلية الأولي الذي كان يقوم علي السطو والنهب بل إن عهد الجاهلية كان يحترم الأشهر الحرم بينما محمد لم يحترم هذه الأشهر بل كتب آية تبيح لهم القتال في الأشهر الحرم جاء بها

" **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل** " (البقرة ٢١٧).

ويرد علماء المسلمين علي ذلك بأن السرايا و الغزوات ، هي من قبيل الحرب العادلة، فأموال الكافرين حل للمسلمين، والإسلام ليس دينا سلبيا كالمسيحية، وإراقة الدماء أمر ضروري يقوم علي مبدأ الجهاد من أجل عبادة الله الواحد .. وكما يدافع الإنسان عن وطنه أو يهاجم عدوا ظالما يريد أن ينال منه، فالإنسان أيضا يدافع عن دينه أو يهاجم عدوا أخرجه من دياره أو انخرط في عبادة الوثنية بل إن بعض المستشرقين المعتدلين رد علي ذلك بقوله " فقد وصل محمد إلي المدينة في سبتمبر ٦٢٢ ميلادية كلا جئ نجا من الموت بإعجوبة وإستمر الخطر علي حياته لسنوات خمس قادمة واجهت خلالها الأمة إحتمال الإبادة وفي الغرب غالبا ما تتخيل محمدا قائد حرب ماضياً يلوح بسيفه ليفرض الإسلام علي مجتمع كاره له بقوة السلاح أما الحقيقة فكانت جد مختلفة فقد كان محمد والمسلمون الاوائل يكافحون في

سبيل الإبقاء علي حياتهم كما أنهم كانوا قد اخذوا علي عاتقهم مسئولية كان العنف معها حتميا، بل إن مسيحيين كثيرين يتفقون علي مفهوم الحرب العادلة لأنهم يعلمون أن المعركة المسلحة ضد أمثال هتلر وسيسيكو هي الطريقة الوحيدة المؤثرة ولهذا فبدلا من أن يكون الإسلام دينا سلبيا يدير الخد الآخر فهو دين يقاتل الطغيان والظلم " (١)

*** محمد والمستشرقون :**

لم تهتم أوربا اهتماما كبيرا بالإسلام ولا بالنبي محمد (ص) قبل حلول القرن العاشر الميلادي ، ثم شاع إسم محمد ، وأطلقوا عليه في البداية إسم "ماهاوند" وبدأت دراسة الإسلام من قبل بعض الباحثيين بهدف مسبق هو محاولة النيل منه، بسبب ما زعموه من عدائه للمسيحية.

وكانت بداية الكتابات المسيحية عن الإسلام وعن محمد(ص) بدايات ساذجة سطحية بدت كالأساطير الخرافية، فمثلا إدعوا أن محمدا (ص) قام بتدريب حمامة علي إلتقاط حبات البازلاء من أذنيه حتى يبدو أن روح القدس تنزل عليه وتهمس له بالوحي، وقيل إنه كان مريضا بالصرع الذي ينتابه حيث يتفصد منه العرق ثم بعد أن تزايله نوبة الصرع يدعي لأتباعه أن الوحي كان قد هبط عليه .

وقيل أيضا أن رجلا من رهبان المسيحية يدعي سرجيوس هرب من بلاده إلي الجزيرة العربية وكان يلقن محمدا أسرار الديانات حيث يصوغها في عبارات فصيحة ويدعي أنها تنزيل من الله .

وقيل أيضا أنه مات بسبب هجوم بعض الخنازير عليه بل إن البعض شكك في عروبته وقال إنه بطريرك من رهبان المسيحية جاء إلي العرب

---

(١) راجع Kar n Arm rong في كتابها (محمد) ترجمة الدكتور محمد عناني وفاطمة نصر

وخدعهم مدعيا أنه من قريش، وابتدع الدين الإسلامي لينافس به المسيحية التي طرده منها أحد البطاركة وزاد العداء المغرض الذي لا يقوم علي ثمة أبحاث محايدة نزيهة بعد أن انتشرت الفلسفة الإسلامية علي يد العديد من المسلمين كالغزإلي وابن سينا وابن رشد والمعتزلة ، حين عارضت هذه الفلسفة الأفكار المسيحية التي نادي بها بولس معلنا أن المسيح هو الله وابن الله والروح القدس، وكان لويس التاسع من اكبر المتشددين ضد المسلمين وهو الذي وضع البذرة الأولي لمحاكم التفتيش التي أحرقت العديد من المسيحين الذين كانوا يتابعون ما كتبه ابن رشد .

وأعلن البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥/١٣١٤) أن وجود مسلم علي الأرض المسيحية يعتبر إهانة لله (١) ولم تقتصر أقلام الكتاب المسيحين علي التنديد بالإسلام بل انتقلت هذه الروح إلي الشعراء فكتب دانتي ملحمة الكوميديا الالهية مصورا محمدا (ص) في الدرجة الثامنة المتدنية من الجحيم رغم ان دانتي الشاعر لم يكن له علاقة بالبحث المقارن للأديان وإنما كان مجرد مسيحى بالوراثة عشق الشعر وأجاد فيه.

وفي موسوعة لاروس الفرنسية خلال عرضها لكتاب المسيحية في النصف الأول من القرن التاسع عشر كتبت عن محمد (ص) إنه ساحر ممعن في الفساد الخلقي يسطو علي القوافل ويسرق النياق، وهو في حقيقته كاردنيال لم ينجح للوصول إلي كرسي البابوية فاخترع دينا جديدا لينتقم من زملائه (٢) .

وصورت بعض الاغنيات الدينية المسيحية محمدا (ص) كصنم مصنوع من الذهب وأن المسلمين يعبدونه، بل ذهبت بعض كتابات المستشرقين إلي أن الإسلام يبيح تعدد الأزواج للمرأة الواحدة .

---

(١) راجع المرجع السابق Karen Armistrong فى سيرة محمد.

(٢) انظر حياة محمد لمحمد حسين هيكل .

وهكـــذا حكــم الكــتاب المسيحيون والشعراء و البابوات علي الإسلام وعلي محمد(ص) بالهرطقة رغم أن القرآن الكريم لم يكن قد ترجم بعد حتى يصــبحوا علـــي بينة من أمره ، وإنما كانت الترجمات المتناثرة هي فقرات اختــيرت مـــن القرآن تهدف إلي إبراز أن الإسلام ضد المسيحية وأنه دين إرهابــي يقوم علي سفك الدماء ويستهدف السطو والسلب والنهب ، ويشجع علي الشهوات الجنسية .

ثــم بدات رقعة الثقافة تغزو أوربا وبدأت الحضارات تتواصل بعد أن مهد الطريق لإنتقالها باختراع وسائل النقل الحديثة ، فضلا عن النزعة الدينية المتــنطعة التى سادت العصور الوسطي أخذت طريقها – عند بعض الكتاب المحايدين – إلي الزوال فبدأ الإستشراق يتجه منحي آخر، فكتب المستشرقون عن الإسلام بحيدة ونزاهة إلي حد قد يخيل إليك أنهم اعتنقوا الإسلام أو علي الأقل هجروا أديانهم .

فكتب سير وليم موير مؤلفه حياة محمد ، نفي فيه عن القرآن أن يكون قــد حرف أو أدخل عليه التبديل بعد النبي (ص) وأكد ذلك المستشرق الآب لامنس وهون هامر وكتب يهودي إسمه بيتر الفونس – وقد اعتنق المسيحية، أن المســلمين يعــبدون الله الخـــالق ولا يعبدون محمدا، وكتب المؤرخ أوتو فرايزنج أبحاثا مستفيضة عن الإسلام وعن محمد انتهي فيها إلي أن المسلمين يعــبدون الله ولا يعــبدون الأصنام – لكن بيتر في مؤلفات أخري حمل علي الإســلام حملة شعواء وفتح الطريق للصراع الديني بين الإسلام والمسيحية وكتــب هـنري ماسـيه وكاريــن أرمســترونج ومونتجمري وات وغيرهم بموضوعية وبقدر غير قليل من الحياد، ولا ننسي ما كتبه فرانسوا فولتير في كــتابه "أخلاق الأمم وروحها " ودافع فيه عن محمد (ص) بإعتباره مؤسسا لديــن عقلانـــي حكـيم وأن الإســلام يتســع للتســامح بما يتجاوز تسامح

المسـيحية(١) وما كتبه المستشرق يوهان يعقوب رايسكى ، وقد استطاع أن يصور الصلات الروحانية بين الله ومحمد (ص) .

وقـد حاول بعض المستشرقين ان يفتحوا طاقة نور ينبعث منها ضوء خافـت علـي تعالـيم الإسلام مثل لويس ماسينيون وجيب وهنري كوريان وهودجسـون وويلفـريد كانتويل سميث الذي قال " ان الشريحة المسلمة من المجـتمع الإسـلامي لا تزدهر إلا إذا كان الإسلام قويا وحيويا ونقيا وخلاقا وسليما " (٢) .

* **وتقول كارين ارمسترونج :**

" إن محمدا شخصية قوية المشاعر وذات أبعاد مركبة وكان لدي محمد مواهـب روحانـية وسياسية عظيمة، وعلي قناعة تامة بانه علي كل الأفراد الذيـن ينـتمون إلى دينه أن يقيموا مجتمعا عادلا ..بينما كان يتملكه الغضب أحـيانا إلا أنـه كان مفعما بالمحبة والحنان وإذ كان كتاب الغرب قد أضفوا علـي المسـيح قداسـة إلا أن المسلمين لم يضفوا علي شخصية محمد هذه القداسـة الـتى تجعله مساويا لله .. نحن لم نقرأ أن المسيح ضحك أبدا ولكن محمـدا كان يبتسم ويداعب المقربين له والأطفال ويقبل ابنه ويحزن لوفاته ويبكـي بشـدة حيـن مات أحد اصدقائه ..كان محمد إنسانا ويعد من أعظم عباقرة التاريخ .." (٣) .

وجدير بالذكر إن بعض المستشرقين ، قد اعتنقوا الإسلام وكتبوا عـن

---

(١) و لكـن ما كتبه فولتير أغضب المسيحيين – لأن فولتير كان قد كتب مسرحية باسم محمد او التعصب سنة ١٧٤١ و حمل فيها علي النبى محمد حملة شعواء، الا أنه عند كتابته أخلاق الامم وروحها والذي نشره سنة ١٧٥١ حاول أن يكون موضوعيا ولكنه لم يستطيع التخلص من مسيحيته الرافضة للإسلام .

(٢) راجع IsLam in Modern History

(٣) راجـع مؤلـف الكاتبة كارين ارمسترونج Muhammad A Biography of the Prophet

فهم وإدراك (١) مثل بوكهارت وكزنكوف وزونستين وجرمانوس والدكتورة وارزولايان التي سميت سامية الأزهرية وغيرهم .

ومـــن أشهر المستشرقين المتعصبيين Guibert of Nogent وهيلد بـــرت اسقف ليمونز والشاعر والتر وكانت كتاباتهم مجموعة من الخرافات التـــي لا سند لها في التاريخ الإسلامي أو شخصية محمد (ص) كما لا ننسي المستشـــرق أندريـــا داندولو ، والمستشرق توسكان توماس، غير أن بعض الكـــتاب المســـلمين يضعون الأب لامانس ضمن المستشرقين المجحفين وفى الجانـــب الاخر. فإن جوستاف لوبون (مستشرق فرنسي) ويوليوس فلهوزن (فـــي العصـــر الحديث)(٢) يعتبران من أوائل المستشرقين الذين امتدحوا الإسلام والنبي محمد(ص) .

ونـــري مـــن جماع ما اطلعنا عليه من كتب المستشرقين عدم الوقوف عـند قراراعتها سواء تضمنت مدحا أو قدحا وإنما يجب أن نعمل العقل فيها ، وإعمال العقل لا يتأتي إلا بالفهم والدراسة والتحليل .

---

(١) من المستشرقين المنصفين William of Lripoli ومنهم ايضا Otto of freising وأيضـــا – نيكروس أوف مونت كريستو – ولكن هذا الأخير انتقد بشدة ما جاء في القـــرآن عـــن إنشقاق القمر ونظام المواريث ووصف الجنة – أما سميث فقد بارك انسلاخ تركيا عن التعاليم الاسلامية و اقبالهما علي الحضارة الأروبية .

(٢) اخـــرج يولـــيوس فلهوزن للمكتبة الإسلامية العديد من الكتب منها محمد في المدينة، وآثار من الجاهلية العربية، والمدينة قبل الإسلام ، تنظيم محمد للجماعة في المدينة، الدولة العربية وسقوطها .

يذهـب بعـض المستشرقين إلي أن القرآن قد حفل بالآيات المتطابقة والتـي تضـمنت سـردا للقصـص أو الأحداث فكان الموضوع واحدا بصـياغات مـتعدده أو كـان الموضـوع والصياغة في عديد من المواقع متطابقين .

وأضـافوا أن هذا التكرار لو رفع لنقص حجم القرآن إلي النصف وأن الـتكرار لـم يخدم القضية القرآنية بل كان عبئا علي المساحة الكلية ، فضلا عن أنه قد يبعث الملل عند القراءة أو الإستماع إليه (١) .

ويذهـب علماء المسلمين إلي أن تناول الموضوع الواحد في أكثر من سـورة يثـير الإنتباه ويؤكد المعني ، كما أنه يخدم قضية التذكر والعبرة في مواقع كثيرة من القرآن ، لأنه يكاد من المستحيل أن يقرأ المسلم القرآن دفعة واحـدة ، وإنمـا يكتفي بعدة آيات أو سورة كاملة علي أكثر تقدير ، فلو أن الحدث يذكر مرة واحدة فقد ينسي ،ومن ثم كان منهج القرآن أن يذكر المسلم بالحدث في مواقع عديدة .

كمـا يذهب علماء آخرون إلى أن القرآن قد خلا من التكرار الذي لا نفـع فـيه وأن تـناول الموضـوع الواحد في أكثر من موضع لا يخلو من المغايرة المقصودة.

ونحـن نورد صورا من منهج القرآن في تناول الموضوع الواحد في آيـات مـتفرقات بين السور ، وقد أسمينا هذا البحث " التطابق والتوكيد في القـرآن الكـريم " ونحـاول به بيان مدي تطابق الآيات المتعددة التي تبحث موضوعا واحدا سواء في الفحوي والمضمون أو في الصياغة .

---

(١) راجع هنري ماسيه في مرجعه الإسلام .

من ناحية أخري يذهب بعض المستشرقين إلي أن القرآن نقل من التوراة معظم القصص والشرائع في تطابق كامل أو مع بعض التعديل الذي لا يغير المعني، ومن ثم رأينا أن نعرض مقارنة بين بعض القصص والشرائع في التوراة وبينها في القرآن الكريم لبيان مدي صحة هذه الآراء .

أولا : التطابق والتوكيد في القرآن الكريم

وسوف يكون عرضنا لصور التطابق والتوكيد في المواضع التي تناولها القرآن عن أبي الأنبياء إبراهيم أما المواضع الأخرى فسوف نتناولها في مؤلف خاص.

إبراهيم

ذكر إبراهيم في القرآن ٦٩ مرة وتحدث عنه القرآن في آيات أخري دون ذكر إسمه وجاء ذكر الإسم في السور الآتية : ــــ

١- سورة البقرة الآيات رقم (١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ٢٦٠، ٢٥٨ (ثلاث مرات) والسورة مدنية.

٢- سورة آل عمران الآيات رقم (٣٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٩٥، ٩٧) والسورة مدنية.

٣- سورة النساء الآيات رقم (٥٤ ، ١٢٥ مرتان ، ١٦٣) والسورة مدنية.

٤- سورة الأنعام الآيات رقم (٧٤، ٧٥، ٨٣، ١٦١) والسورة مكية .

٥- سورة التوبة الآيات رقم (٧٠، ١١٤ مرتان) والسورة مدنية .

٦- سورة هود الآيات رقم (٦٩،٧٤،٧٥،٧٦) والسورة مكية .

٧- سورة يوسف الآيات رقم ٦ ٨ السورة مكية

٨- سورة إبراهيم الآيات رقم (٣٥) السورة مكية وحتي الآية ٤١ .

٩- سـورة الحجر الآيات رقم (٥١) السورة مكية وتابعت الآيات حتي الآية ٦٠ الحديث عن إبرابراهيم .

١٠- سورة النحل الآيات رقم (١٢٠ ، ١٢٣) السورة مكية .

١١- سورة مريم الآيات رقم (٤١، ٤٦ "مكيتان" ، ٥٨) السورة مدنية.

١٢- سـورة الأنبـياء الآيـات رقـم (٥١ و ما بعدها ،٦٠،٦٢،٦٩) والسورة مكية.

١٣- سورة الحج الآيات رقم (٢٦،٤٣،٧٨) السورة مدنية.

١٤- سورة الشعراء الآية رقم (٦٩) السورة مكية .

١٥- سورة العنكبوت الآيات رقم (١٦،٣١) السورة مكية .

١٦- سورة الأحزاب الآية رقم (٧) السورة مدنية .

١٧- سورة الصافات الآيات رقم (٨٣،١٠٤،١٠٩) السورة مكية.

١٨- سورة ص الآية رقم (٤٥) السورة مكية .

١٩- سورة الشورى الآية رقم (١٣) السورة مكية .

٢٠- سورة الزخرف الآية رقم (٢٦) السورة مكية .

٢١- سورة الذاريات الآية رقم (٢٤) السورة مكية .

٢٢- سورة النجم الآية رقم (٣٧) السورة مكية .

٢٣- سورة الحديد الآية رقم (٢٦) السورة مكية .

٢٤- سورة الممتحنة الآية رقم (٤ مرتان) السورة مدنية .

٢٥ سورة الاعلي الآية رقم (١٩) السورة مكية .

وفيما يلي نورد بعض نصوص الآيات التي تناولت إبراهيم : ـــ

* سورة البقـــرة :

الآيــات من ١٢٤ – ١٢٧ " وإذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنــي جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين * وإذ جعلــنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلي إبراهــيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود * وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا وارزق أهله من الثمرات من ءامن منهم بــالله والــيوم الأخــر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلي عذاب النار وبئس المصير * وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم "

وفي الآية ١٣٠ " ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه فى الأخرة لمن الصالحين "

وفــى الآيــة ١٣٢ ، والآية ١٣٣ " ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنــي إن الله اصــطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون " . " أم كنتم شــهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله ءابائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون "

وفي الآيتين ١٣٥ ، ١٣٦ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بــل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين " ." قولوا ءامنا بالله وما أنزل إليــنا وما أنزل إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موســى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"

وفـــي الآية ١٤٠ " أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأســباط كــانوا هودا أو نصارى قل ءأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون "

وفـــي الآية ٢٥٨ " ألم تر إلي الذي حاج إبراهيم في ربه أن ءاتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أُحي وأُميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين "

والآية ٢٦٠ " وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعــل علي كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم "

* سورة آل عمران

الآيـــة ٣٣ " إن الله اصــطفى ءادم ونوحا وءال إبراهيم وءال عمران علي العالمين "

الآيـــة ٦٥ " يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون "

الآية ٦٧ ، الآية ٦٨ " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنــيفا مسلما وما كان من المشركين " " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين ءامنوا والله ولي المؤمنين "

الآيـــة ٨٤ " قــل ءامــنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل علي إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون "

الآيــة ٩٥ " قــل صـــدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين "

الآية ٩٧ " فيه ءايات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان ءامنا .. "

* سورة النساء

الآيــة ٥٤ " أم يحسدون الناس علي ما ءاتاهم الله من فضله فقد ءاتينا ءال إبراهيم الكتاب والحكمة وءاتيناهم ملكا عظيما "

الآيــة ١٢٥ " ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا "

الآيــة ١٦٣ " إنـــا أوحينا إليك كما أوحينا إلي نوح والنبين من بعده وأوحيــنا إلــي إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وءاتينا داود زبورا "

* سورة الأنعام

الآيــة ٧٤ ، ومـــا بعدها " وإذ قال إبراهيم لأبيه ءازر أتتخذ أصناما ءالهــة إنـــي أراك وقومك في ضلالٍ مبين " ، " وكذلك نرى إبراهيم ملكوت الســموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رءا كوكبا قال هــذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رءا القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل.قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشـــاء ربـــي شيئا وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما

أشـــركتم ولا تخـــافون أنكـــم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ".

*** الايتان ٨٣، ٨٤ " :**

" **وتلـــك** حجتـــنا ءاتيناها إبراهيم علي قومه نرفع درجات من نشاء إن ربـــك حكيم عليم * ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومـــن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين " .

*** الآيـــــة ١٦١**

" **قـــل** إننى هداني ربي إلي صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ".

*** سورة التوبة**

الآيـــة_٧٠ " **ألـــم** يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

الآية ١١٤ " **وما** كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم "

*** سورة هود**

الآية ٦٩ وما بعدها " ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ " " فلما رءا أيديهم لا تصل إليه نكرهم

وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلي قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب * قالت ياوليتي ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب. قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ".

فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط .

* سورة يوسف

والآية ٦ تتحدث عن يوسف حيث ورد بها :-

وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ءال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم"

* وفي الآية ٣٨ جاء بها :

" واتبعت ملة أبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ...".

سورة إبراهيم الآيات ٣٥ وما بعدها :-

" **وإذ** قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد ءامناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم . ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي

وهـب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء.رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لي ولوالدى و للمؤمنين يوم يقوم الحساب "

* سورة الحجر

تـتحدث الآيـة ٥١ ومـا بعدهـا عن رسل لوط وعن تبشير إبراهيم بإسحاق وفيما يلي نصوصها :-

" **ونبـئهم** عن ضيف إبراهيم. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلـون ، قـالوا لا توجـل إنا نبشرك بغلام عليم .قال أبشرتموني على أن مسـني الكـبر فبما تبشرون . قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين.قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون . قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنـا أرسـلنا إلى قوم مجرمين .إلا ءال لوط إنا لمنجوهم أجمعين. إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين "

* سورة النحـل

وفي الآية ١٢٠ :-

" إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين " .

وفي الآية ١٢٣:-

" ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ".

* سورة مريـم

الآيات من ٤١ حتى ٥٠ - ذكر إسم إبراهيم في آيتين فقط ٤١ ،٤٦- ولكن باقي الآيات حتى٥٠ تتحدث عنه:-

" **واذكـر** في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً *يا أبت إني قد جاءني من العلـم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشـيطان كـان للرحمـن عصياً * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً * قال أراغب أنت عن ءالهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا * فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيا "

الآيـــة ٥٨ :

" **أولـئك** الذين أنعم الله عليهم من النبين من ذرية ءادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم ءايات الرحمن خروا سجداً وبكيا "

* سورة الأنبياء

الآية ٥١ وما بعدها حتى الآية ٧٢ :

" **ولقد** ءاتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه مـا هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين .قال لقد كنـتم أنتم وءاباؤكم في ضلال مبين. قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قـال بـل ربكـم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشـاهدين. وتـالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذاً إلا كبـيراً لهـم لعلهم إليه يرجعون. قالوا من فعل هذا بألهتنا إنه لمن الظالمين. قـالوا سـمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس

لعلهــم يشهدون. قالوا ءأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون. ثــم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. قال أفتعبدون من دون الله مــا لا يــنفعكم شيئاً ولا يضركم. أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون. قالوا حرقوه وانصروا ءالهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا يا نار كوني برداً وســلاماً على إبراهيم. و أرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين. ونجيناه ولوطاً إلــى الأرض التــي باركــنا فيها للعالمين. ووهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة وكلاًجعلنا صالحين "

* سورة الـحج

الآيــــة ٢٦ :-

" **وإذ** بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود " .

الآيــــة ٧٨ :-

" **وجاهدوا** في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حــرج ملــة أبــيكم إبراهيم.. هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم .. ".

* **سورة الشعراء**

الآيــة ٦٩ وما بعدها :-

" واتل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصـــناماً فنظل لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضـــرون * قـــالوا بـــل وجدنـــا ءاباءنا كذلك يفعلون. قال أفرءيتم ما كنتم تعـــبدون * أنتم وءاباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين " .

* **سورة العنكبوت**

الآيــة ١٦ و ما بعدها :-

" وإبراهـــيم إذ قـــال لقومـــه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه تـــرجعون * وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين " .

الآيــة ٣١ وما بعدها :-

" ولمـــا جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلهـــا كانوا ظالمين * قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين "

* **سورة الأحزاب الآية ٧ :**

" وإذ أخذنـــا مـــن النبيّـــن ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ".

* سورة الصافات الآية ٨٣ وما بعدها :-

" وإن مـــن شـــيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم * إذ قال لأبيه وقومـــه مـــاذا تعـــبدون * أئفكـــاً ءالهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالميـــن* فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم* فتولوا عنه مدبرين * فـــراغ إلى ءالهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليميـــن * فأقـــبلوا إليه يزفون * قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملـــون * قالوا ابنو له بنياناً فألقوه في الجحيم * فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأســـفلين * وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين * فبشـــرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أري في المنام أني أذبحك فانظر ماذا تري قال يأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصـــابرين * فلمـــا أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرعيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاؤا المبين * وفديناه بذبح عظـــيم * وتركـــنا علـــيه فـــي الأخرين * سلام علي إبراهيم.كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين * وباركنا عليه وعلي إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين "

* سورة ص الاية ٤٥ وما بعدها :

" واذكـــر عبدنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار* وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار .

* سورة الشورى الاية ١٣ :

" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا بـــه إبراهـــيم وموســـي وعيســـى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر علي المشركين وما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب "

*** سورة الزخرف الآية ٢٦ والآية٢٧ :**

" وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين"

*** سورة الذاريات الاية ٢٤ و ما بعدها :**

" هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * فراغ إلي أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم * قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلي قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة عند ربك للمسرفين * فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وتركنا فيها ءاية للذين يخافون العذاب الأليم .

*** سورة النجم :**

الآية ٣٦ " أم لم ينبأ بما في صحف موسي "

الآية ٣٧ " وإبراهيم الذي وفي "

*** سورة الحديد**

الآية ٢٦ : " **ولقد** أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثيرمنهم فاسقون " .

*** سورة الممتحنة**

الآية ٤ : " **قد** كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم

العدواة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير"

*** سورة الاعلي :**

الآية ١٩ – ونذكر قبلها الآية ١٨

" إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسي "

تعليـــق

من السرد السابق يبين لنا ما يلي :

١- أن الآيـــة ١٣٦ من سورة البقرة تكاد تتطابق مع الآية ٨٤ من سورة آل عمران .

ويـــبدو من الإطلاع علي الآية أنها تعد من أسس الإيمان في الإسلام ومـــن ثم كان تكرارها يكاد يكون متطابقا لأنها لا تحتمل التغيير - ففي الآية ١٣٦ " قولوا أمنا بالله (وفي الآية ٨٤ قل) وما أنزل إلينا (وفي الآية ٨٤ وما أنزل علينا) وما أنزل إلي إبراهيم وإسماعيل ...الخ) .

٢- الآيـــات مـــن ١٢٤ / ١٢٧ مـــن سورة البقرة تتناول الحديث عن البيت (الكعبة) ودعاء إبراهيم لأهل مكة بالخير والثمرات ، وتكرر الموضوع ذاته في الآيات ٣٥ وما بعدها من سورة إبراهيم و لكن الصياغة متغايرة فضلا عن وجود اختلاف في المضمون في بعض فقرات الآيات .

٣- أكـــدت آيات القرآن أن إبراهيم لم يكن يهوديا أو نصرانيا بل كان حنيفا مسلما وهذا التأكيد برز واضحا في عدة آيات منها ١٣٥ من سورة البقرة و١٤٠ من ذات السورة و٦٧ ، ٦٨ من سورة آل عمران (وراجع الآية ٦٥ من آل عمران)

٤- تناولـــت آيـــات عديـــدة في القرآن الكريم إعتراض إبراهيم علي عبادة الأوثان حيث تكرر تناول الموضوع في أكثر من سورة نذكر منها :

الآيـــة ٧٤ مـــن سورة الأنعام - والآيات من ٤١ / ٥٠ من سورة مـــريم - الآيات ٥١ وما بعدها من سورة الانبياء / الآية ٦٩ وما بعدها مـــن سورة الشعراء الآية ١٦ وما بعدها من سورة العنكبوت الآية ٢٦ من سورة الزخرف غير أن الصياغات مختلفة .

٥- عرض القرآن الكريم فى عدة سور ضيوف إبراهيم الذين أرسلوا إلي قوم لوط وبشروا إبراهيم بإسحق فجاء ذكر هذه الأحداث في السور الآتية :

الآية ٦٩ وما بعدها من سورة هود .

الآية ٥١ وما بعدها من سورة الحجر .

الآية ٣١ وما بعدها من سورة العنكبوت .

الآية ٢٤ وما بعدها من سورة الذاريات .

والتطابق شمل الموضوع دون الصياغة ، والاختلاف في عرض الموضوع كان يسيرا إما بالحذف أو الزيادة .

٦- إنه إذا كانت الصياغات التركيبية للألفاظ تعد من أسس الإعجاز في القرآن كما يجمع علي ذلك علماء المسلمين فإن تكرار الموضوع بصياغة مختلفة قد تكون أحد أهداف القرآن لبيان سر من أسرار إعجازه بينا يذهب بعض المستشرقين إلي أن التكرار كان عبئا علي المساحة الكلية للقرآن وعلي الموضوعات التي تناولها.

*** بعض أسماء الأعلام في القرآن :**

١- ذكر لفظ " إسرائيل " ٤٣ مرة .

٢- ذكر لفظ " إسماعيل " ١٢ مرة

٣- ذكر لفظ " آدم " ٢٥ مرة

٤- ذكر لفظ " جبريل " ثلاث مرات

٥- ذكر لفظ " الجحيم " ٢٥ مرة ولفظ " جهنم " ٧٧مرة .

٦- ذكر لفظ " الجن " ٢٢ مرة

٧- ذكر لفظ " الجنة " ٦٦ مرة وذكر لفظ " جنات " ٦٩ مرة

٨- ذكر لفظ " الزبور " أربع مرات

٩- ذكر لفظ " زكريا " سبع مرات

١٠- ذكــر لفــظ " الإسلام " ثماني مرات وذكرت في القرآن الفاظ دالة عليه مثل " مسلمون ومسلمين ومسلمة ومسلمات " ٣٩ مرة.

١١- ذكر لفظ " سليمان " ١٧ مرة .

١٢- ذكرة لفظ " السماء " ١٢٠ مرة وذكر لفظ " السموات " ١٩٠ مرة .

١٣- ذكر لفظ " الساعة " ويقصد بها يوم القيامة ٤٨ مرة .

١٤- ذكــر لفظ " المشرق" ٦ مرات " والمشرقين " مرتين " والمشارق " ثلاث مرات .

١٥- ذكــر لفظ " الشيطان " ٧٠مرة ولفظ " إبليس " ١١مرة وذكر لفظ " الشياطين " ١٧ مرة .

١٦- " الصـــلاة " ذكرت ٦٧ مرة وذكرت كلمات أخري دالة عليها ٢٠ مرة (مثل صلوات ، صلاتي ، صلواتهم ، المصلين)

١٧- العـذاب ذكر ٢٦٤ مرة و ذكرت ألفاظ دالة عليه ٤٠ مرة ، بينما ذكــرت الرحمة ٧٩ مرة ووردت بالقرآن ألفاظ دالة عليها ٦٩ مرة وذكــرت التوبة ست مرات ووردت ألفاظ دالة عليها ٩٧ مرة وذكر إســم الجلالـــة الرحمن ٥٧ مرة والرحيم ٩٥ مرة وكلمات دالة علي الــرحمة ٤٠ مــرة ، ذكر إسم الجلالة الغفور ٧١ مرة والغفار أربع مرات وألفاظ دالة علي المغفرة والاستغفار ١٣٦ مرة .

١٨- ذكرت كلمة " التوراة " ١٨ مرة .

١٩- ذكر إسم " إسحق " ١٧ مرة .

٢٠- ذكر لفظ " السلام " ٣٣ مرة

٢١ ذكر إسم " فرعون " ٧٤ مرة .

٢٢- ذكر لفظ " الروح " وألفاظ دالة عليها ٢١ مرة .

٢٣- ذكر إسم " محمد " أربع مرات .

والنصاري ١٤ مرة .

٢٥- ذكر إسم " مصر " ٥ مرات .

٢٦- ذكر إسم موسى ١٣٦ مرة وذكرت الألفاظ الدالة علي اليهود مثل " هادوا وهودا " ٢٠ مرة .

ثانيا التطابق والتوكيد
بين نصوص التوارة وبين نصوص القرآن
دراسة مقارنة

سوف تقتصر دراستنا علي أربعة مواقع هي قصة الخلق والتكوين وقصة إبراهيم وقصة لوط وشريعة الغيره في التوراة وشريعة اللعان في القرآن – علي أن نخصص فيما بعد مؤلفا يجمع بين كافة النصوص المتقابلة بين القرآن والتوراة إن شاء الله .

*(١) الخلق والتكوين في التوراة

في سفر التكوين تناولت التوراة قصة الخلق فقالت :

١ـ بدء الخليقة – السموات والأرض :

في البدء خلق الله السموات والأرض وإذ كانت الأرض مشوشة مقفره وتكتنف الظلمة وجه المياه وإذ كان روح الله يرفرف علي سطح المياه.

٢ـ اليوم الأول النور :

أمر الله ليكن نور ورأي الله النور فاستحسنه وفصل بينه وبين الظلام وسمي الله النور نهارا أما الظلام فسماه ليلا وهكذا جاء مساء وجاء صباح فكان اليوم الأول .

٣ـ اليوم الثانـــي :

الجلد (السماء) : قالت التوراة إن الله حجز بين المياه والمياه بجلد – ففــرق بين المياه التي تحملها السحاب والمياه علي الأرض بجلد وهذا الجلد سمي سماء .

٤ـ اليوم الثالث :

اليابســة والنــبات : أمــر الله أن تتجمع المياه التي على الأرض في موضـــع واحد .. فأصبح الموضع الآخر يابسة التي سميت أرضا ، أما الماء بجوراها فسميت بحارا ، ثم نبتت الاعشاب والشجر والبقول .

٥ـ اليوم الرابع :

الشــمس والقمر والنجوم خلق الله الأنوار فى السماء لتفرق بين الليل والنهار وتكون علامات لتحديد الأزمنة والأيام والسنين ولتضئ علي الارض وخلــق نوريــن عظيمين – النور الأكبر هو الشمس التي تشرق في النهار والنور الأصغر هو القمر وبجانبه النجوم .

٦ اليوم الخامس :

الكائــنات المائــية والــبرية : في هذا اليوم خلق الله الكائنات المائية كالأسماك والطيور .

٧ـ اليوم السادس :

الحــيوانات والإنســان : خلق الله فيه الوحوش والبهائم والزواحف ثم فكر في خلق الإنسان فقال نصنعه علي شبهنا كمثالنا (صورة الله) وأعطي له قوة التسلط على كائنات البحر والأرض– وخلقه من ذكر وأنثي ، وأمرهم بالتكاثر .

٨ـ اليوم السابع :

يــوم الــراحة : إســتراح الله فــي هــذا اليوم – وجعله يوما مقدسا (هو يوم السبت عند اليهود) .

* كيفية خلق آدم

جمع الله بعض تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حـــية.. ثـــم أقام الرب جنة عدن و وضع آدم فيها وكان بالجنة أشجار وثمر وغـــرس شجرتين الأولى هي شجرة الحياة والثانية هي شجرة معرفة الخير والشر.

وقـــد نهـــاه الله عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنه يوم أن يأكل منها يموت.

* خلق حـــــواء

تقول التوراة إن الله لم يستحسن أن يبقى آدم وحيداً فأراد أن يخلق من يعيـــنه علـــى شئون الحياة – ثم جمع لآدم كل وحوش البرية وطيور الفضاء لـــيطلق آدم علـــيها أسماءها ثم أوقع الله آدم في نوم عميق (أي خدره) ثم تـــناول ضـــلعاً مـــن أضلاعه وسد مكانه باللحم وعمل من هذه الضلع إمرأة فصـــارت واحـــدة من أضلاعه وعظامه، وبالطبع فقد خلق لهما أعضاءهما الجنســـية ولكـــنهما لم يكونا على خجل من ذلك لأنهما لا يعرفان الخير من الشر .

* تعـــليق

هـــذه قصـــة الخلق والتكوين في التوراة، فاليوم يشير إلى الزمن بين شـــروقى الشمس وإن كانت بعض الآراء تذهب إلى أن التوراة لم تحدد زمن اليوم فقد يحسب بآلاف الأيام والسنين أو بملايينها ..

ونخرج من قصة الخلق بما يلي :-

١) أن الله خلق كل الكائنات في ستة أيام واستراح في اليوم السابع.

٢) أن الله خلق آدم على شبهه وصورته .

٣) أن حواء خلقت من إحدى عظام آدم .

٤) أن التوراة لم تشر إلى سبب غرس شجرتي الحياة ومعرفة الشر من الخير وسبب النهي عنهما .

٥ أن آدم هو الذي أطلق الأسماء على الوحوش والطيور.

(٢)
الخلق والتكوين في القرآن

* الخلق في ستة أيام

فــي سورة الأعراف " إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ســتة أيــام ثــم استوى على العرش يغشى اليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمــر والنجوم مسخرات بأمره ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)، **ســورة يونس** (٣) " إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يّدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربّكــم فاعــبدوه أفلا تذكرون " **وفي سورة هود** تقول الآية (٧) "وهو الــذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً .."

وسورة الفرقان أضافت أن الله خلق السماوات والأرض (وما بينهما) في ستة أيام .

وفــي ســورة ق – ينفي الله التعب بعد خلق السماوات والأرض فقال تعــالى " ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (أي تعب) (٣٨).

وفــي سورة فصلت " قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلــون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فــيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى إلى السماء

وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم" **(من ٩/ ١٢)**

وفي سورة الأنبياء آية (٣٠) " أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون " **وجاء أيضاً فيها آية (٣٢، ٣٣)** " وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن ءاياتها معرضون. وهو الذي خلق اليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون " .

والسماء خلقها في سبع سماوات والأرض مثلهن (راجع سورتي الطلاق والملك) .

* الخلق من طين

في سورة الأنعام آية (٢) " هو الذي خلقكم من طين ..." وفي آيات أخرى " خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار " **(الرحمن) آية (١٤)**

* خلق الشمس والقمر

في سورة يونس تناو القرآن خلق الشمس والقمر فجعله مناز لكي يعلم الناس عدد السنين والحساب.

* خلق آدم

خلقه من طين وعلمه الأسماء وأسكنه الجنة هو وزوجه (راجع سورة البقرة) آية (٣٠) .

وقد جاء فيها " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك

قال إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " .

وتناولت السورة حادثة السجود لآدم سورة البقرة آية (٣٤، ٣٥)

" **وإذ** قلــنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * وقلنا يا ءادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شــئتما ولا تقــربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخــرجهما مما كانا فيه وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مســتقر ومــتاع إلــى حين * فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم".

وفي سورة الأعراف، أضيفت أحداث أخرى حيث سأل الله إبليس عن ســبب عــدم السجود فقال له أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، فأســقطه الله من الجنة لأنه لا يجوز أن يتكبر فيها – فطلب من الله أن يمهله إلــى يوم البعث حتى يغشى البشر من كل جانب ليبعدهم عن ذكر الله ، وقد أمهلــه الله إلــى اليوم الموعود ووعد بأن يملأ جهنم به وبأتباعه من الناس وتتــناول السورة أيضاً أن الشيطان هو الذي وسوس لآدم وحواء لأن يأكلا مــن الشــجرة المحــرمة – فلمــا ذاقــا الشــجرة بــدت لهمــا عوراتهما وعــرفا أنهمــا عــريانان فأخذا من أوراق شجر الجنة على موضع العورة منهما.

*** تعليــــق**

مــن الإطلاع على نصوص القرآن يبين لنا أنه لا يوجد تطابق كامل بيــن مضــمون هــذه النصــوص ونصوص التوراة التي سبق أن بيناها ، والــتطابق يكــاد ينحصر في خلق العالم في ستة أيام، ولم يصرح القرآن أو الــتوراة عن المدة الزمنية لليوم وقد ورد بالقرآن في سورة الحج آية (٤٧) " وإن يومــاً عــند ربك كألف سنة مما تعدون وفي سورة المعارج آية (٤)

" تعــرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " وفي ســورة الســجدة " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون " آية (٥)

والســماء والأرض كانتا ملتصقتين – في القرآن ثم فصلهما الخالق ، والســماء سبع والأرض كذلك ، وفي التوراة كان الإنفصال بين ماء السحاب وماء الأرض وكان الإنفصال بجلد سمي سماء .

وفي سورة فصلت تداخل بين أيام الخلق لأن المدة الزمنية الظاهرة في الأيات هى ثمانية أيام وليست ستة ، ولا يؤخذ التفسير على الظاهر كما يقول علمــاء المسلمين وإنما يؤخذ على أن الأرض وما عليها خلقت في أربعة أيام حيــث خلــق الله الأرض دون أقواتهــا في يومين ثم خلق أقواتها في يومين آخرين فأصبح المجموع أربعة أيام ثم خلق السماء في يومين .

وفــي القرآن – فإن عرش الله كان على الماء ، ولم تتفق الآراء على وجه التواتر عن ما هية العرش وإن كان يستبعد أن يكون له حيزاً .

وفــي القــرآن والــتوراة فإن القمر والنجوم من آيات حساب الزمن ولنشر الضوء في المعمورة ،

وفــي القــرآن فإن قصة إعتراض إبليس على السجود لله لم ترد في الــتوراة ، فضلاً عن أن التوراة تعزو عصيان آدم إلى الحية ثم حواء – وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن لفظ الحية يقصد به الشيطان لكن ظاهر المعنى لا يدل على ذلك – بينما يعزو القرآن عصيان آدم و حواء معاً إلى الشيطان.

لم تصرح لنا التوراة أو القرآن عن ما هية الشيطان وسبب وجوده في الجــنة وكــيف استطاع أن يعترض على أوامر الله سواء بعدم السجود لآدم (في القرآن) أو بغواية حواء وآدم (في التوراة).

لم ينسب القرآن إلى الله التعب بسبب الخلق بينما نسبت التوراة إلى الله التعــب إذ قالت إنه إستراح في اليوم السابع – وهو يوم السبت ويستدل بذلك

على أن التوراة تعني بداية اليوم بشروق الشمس ولا نعتقد أن مسميات الأيام كانت قائمة وقت الخلق .

كذلـــك لـــم يـــرد في آيات القرآن ما يفصح عن كيفية استواء الله على العرش وقد أستعمل اللفظ " ثم " وهو في هذا الصدد يفيد المغايرة بين ما قبله وما بعده .

وقد ورد لفظ " العرش " في القرآن ٢٣ مرة في السور الآتيه :-

الأعــراف ٥٤ ، الــتوبه ١٢٩ ، يونس ٣ ، يوسف ١٠٠، الرعد ٢، الأســراء ٤٢ ، طه ٥ ، الأنبياء ٢٢ ، المؤمنين ٨٦ ، ١١٦ ، الفرقان ٥٩ ، الــنمل ٢٣ ، ٢٦ ، السجدة ٤ ، الزمر ٧٥ ، غافر٧ ،١٥ ، الزخرف ٨٢ ، الحديد ٤ ، الحاقة ١٧ ، التكوير ٢٠ ، البروج ١٥ ، هود ٧ .

وقــد لاحظنا أن معظم الآيات التي ورد فيها لفظ العرش مكية ما عدا الآيــة ٢ فــي سورة الرعد " ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر " والآيــة ٤ من سورة الحديد " ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها " .

(٣)
قصــة إبراهيم

*** في التـــوراة :-**

ســبق أن أشــرنا فــي الجزء الأول إلى نصوص سفر التكوين الذي تضمن قصة إبراهيم .

*** في القرآن:-**

سبق أن أشرنا إلى نصوص القرآن في شأن قصة إبراهيم والأحداث التـــي مرت به وذلك في الفصل الخاص بالتطابق والتوكيد - فنرجو الرجوع إليها .

(٤)

قصة لوط في التوراة

لـــوط في التوراة ابن أخ إبراهيم عاش في سدوم – وتحكي التوراة أن ملاكيـــن أقبلا عليه في المساء ، فنزلا في بيته وإذ بأهل سدوم من الأحداث والشـــيوخ يحاصرون بيته طلباً للملاكين لمعاشرتهما جنسياً حيث كانوا يأتون الذكور دون الأناث (راجع سفر التكوين من الإصحاح ١٩) ولكن لوط قدم لهمـــا ابنتـــيه العذراوتين لمعاشرتهما بدلاً من الملاكين، ورفض أهل سدوم فضرب الله عليهم العمى .

وقـــا الملائكة للوط .. نحن جئنا لندمر سدوم بعد أن تعاظم شر أهلها وطلـــبا مـــنه استصـــحاب أهله بعيداً عن منطقة التدمير فاستصحب زوجته وابنتـــيه، وما أن أشرقت الشمس حتى أمطر الله على سدوم وعمورة كبريتاً ونـــاراً – ونجا لوط وابنتيه من الهلاك بينما هلكت زوجته لأنها نظرت إلى الخلف فتحولت إلى عمود ملح (١). إستقر لوط وابنتاه في الجبل.

* زنا ابنتي لوط مع أبيهما

تحكـــي التوراة أن الإبنة الكبرى قالت لأختها إن أبانا أصبح شيخاً وليس في الأرض حولـــنا رجل يتزوجنا فتعالي نسقيه خمراً و نضطجع معه فلا تنقطع ذريـــة أبينا – ووافقتها الصغرى فسقتا أباهما خمراً واضطجعت معه الكبرى فـــي الـــيوم الأول – لكن لوطاً المخمور لم يفطن إلي ذلك، وفي الليلة التالية ســـقتا أباهمـــا خمرا واضطجعت معه الصغري. وحملت الابنتان من أبيهما فولدت الكبري ابنا دعته " مؤاب " (أي مولود من الأب).

---

(١) وكان الرسولان قد نهيا أهل لوط عن الألتفات إلى الخلف .

وولدت الصغري ابنا ودعته بن عمي (أي إبن قومي) وقد كانت راعوث جده الملك داود وواحدة من أسلاف المسيح من نسل مؤاب أي من زنا المحارم .

(٥)
قصة لوط في القرآن

ذكر إسم لوط في القرآن ٢٧ مرة في سورة هود، والحجر، والحج والشعراء، والنمل، والعنكبوت، ص، ق، القمر، التحريم، الأنعام، الأعراف، الأنبياء والصافات وهي جميعها سور مكية ماعدا الحج والتحريم .

* وتوجز قصته في القرآن :

إن رسولين من الله ذهبا إلى لوط ، فحاصره قومه طلبا للرسولين لفعل الفحشاء معهما ، فقدم لهم ابنتيه فرفضوا، فطلب الرسولان منه أن يسري بأهله ليلا ولا يلتفت أحد وراءه .. إلا أن زوجته إلتفتت وراءها فهلكت مع قومه حيث أمطرهم الله بحجارة من سجيل منضود .

* تعليق :

لم يتضمن القرآن زنا ابنتي لوط مع أبيهما أو أن لوطا كان يحتسي الخمر بل أعتبر لوطاً من المرسلين (وإن لوطا لمن المرسلين) سورة الصافات (١٣٣) ولا شك أن التوراة والقرآن يتفقان في أحداث قصة الملاكين وهلاك سدوم وعمورة بسبب إرتكابهم اللواط مع الرجال ، وفي تقديم لوط لإبنتيه إليهم – و لئن كان ذلك لا يليق بالرسل لأنه كان في إمكانه أن يدافع عن شرف الملاكين وشرف ابنتيه حتى الموت إلا أنه لم يفعل ، غير أن الثابت من مجمل الآيات القرآنية وإصحاحات التوراة أن الله أنقذ

لوطـــا وابنتـــيه وهذا دليل حبه لهم لكن هذا الحب .. كيف يتفق مع علم الله المســبق بأن الابنتين سوف ترتكبان الفحشاء مع أبيهما .. علي النحو الوارد فى التوراة، وهو مما يشير إلى أن ما ورد بالتوراة ليس صحيحاً .

(٦)
شريعة الغيرة في التوراة

*** في سفر العدد إصحاح (٥) ورد في التوراة ما يلي :**

" **وقـــال** الرب لموسي أوصي بني إسرئيل وقل لهم : إذا غوت إمرأة رجــل وخانته بزناها مع رجل آخر وخفي الأمر علي زوجها ولم يقم عليها دلــيل ولــم يقبض عليها متلبسة بزناها وإذا إعترض زوجها الغيرة وارتاب بزوجـــته وكانت نجسة اوغار علي إمرأته مع أنها طاهرة . فليحضر الرجل إمرأته إلي الكاهن ويأتي معه بقربانها عُشر الإيفة (نحو لترين ونصف اللتر) مـــن دقيق الشعير، لا يصب عليه زيتا ولا يضع عليه لباناً، لأنه تقدمة غيرة تقدمة تَذْكرة تُذَكّر بذنب . فيجعل الكاهن الزوجة تمثل أمام الرب ثم يأخذ ماء مقدسا في إناء من خزف ويلتقط بعض غبار أرض المسكن ويضعه في الماء – ويكشـــف رأس الـــزوجة ويضـــع في يديها تقدمة التذكار التي هي تقدمة الغـــيرة، ويحمل الكاهن بيده ماء اللعنة المر . ويستحلف الكاهن المرأة قائلا لها : إن كان رجل آخر لم يضاجعك ولم تخوني زوجك فأنت بريئة من ماء اللعـــنة المـــر هذا و لكن إن كنت قد خنت زوجك وتنجست بمضاجعة رجل غـــيره . فلـــيجعل الرب لعنة شعبك عليك، فيتبرأون منكَ عندما يجعل الرب فخذك يذوي وبطنك يتورم . وليدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك ليسبب ورما لبطنك وليذو فخذك " فتقول المرأة "آمين . آمين "

" ثم يدون الكاهن هذه اللعنات فى درج ويمحوها بالماء المر ، ويسقي المــرأة ماء اللعنة المر الذي محا به اللعنات فيدخل فيها ماء اللعنة ليسبب لها الآم المــرارة . ثــم يــأخذ الكاهن من يد المرأة تقدمه الغيرة ويرجحها أمام الرب، ثم يقدمها إلي المذبح . ويتناول ملء قبضته منها ويحرقه علي المذبح وبعــد ذلك يسقي المرأة الماء . فإن كانت المرأة قد تنجست وخانت زوجها ، فإنهــا حيــن تشرب الماء الجالب اللعنة يسبب لها الآم مرارة فيتورم بطنها ويذوي فخذها وتصبح المرأة لعنة في وسط شعبها، أما إن كانت بريئة طاهرة فإنها تتبرأ ولا تصبح عاقرا .

إذا هــذه هــي شــريعة الغيرة التي يطبقونها إذا خانت إمرأة زوجها وتنجســت أو إذا اعــترت الغــيرة رجلا ، فغار علي زوجته فعلية أن يأتي بالمرأة أمام الرب ويمارس عليها الكاهن كل هذه الشعائر . ولا يعاقب الرجل إذا أصاب الضرر زوجته المذنبة ، أما هي فتحمل قصاص خطيئتها ".

* شريعة اللعان في القرآن :

يــروي فــي الحديث أن هلال ابن أمية قذف زوجته عند النبي (ص) متهما أياها بمعاشرة شريك ابن السمحان وقال له النبي : البينة أو إقامة الحد عليك فقال هلال يارسول الله إذا رأي أحدنا علي إمرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي يقول : البينة أو حد في ظهرك ، فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزل الله ما يبرأ ظهرى من الحق ، فنزلت آيات اللعان وهــي تقــوم علي حلف الزوج أربع مرات بأنه لمن الصادقين فيما رمى به زوجته من زنا أو رمى به ولده أو حمله من زنا وليس منه وذلك أمام الحاكم أو نائــبه وعلــيه أن يســمي إمرأته إذا كانت غائبة ويذكر نسبها لتتميز عن غــيرها وإن كانت حاضرة تكفي الإشارة إليها ويقول في اليمين الخامس إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .

وهو مصداق لما جاء في سورة النور آية (٦ الى ١٠) :
بسم الله الرحمن الرحيم " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم " صدق الله العظيم.

ويؤخذ من نصوص التوارة أن أحكام شريعة الغيره لا تعدو أن تكون أسطورة لا تقوم علي منطق أو فكر صحيح فضلا عن أن العدالة ترفضها رفضا باتا فلا توجد أدني صلة بين إرتكاب الإثم وبين ما زعمته الإسطورة من الظواهر التي تحدث للمراة لو أنها كانت آثمه، كما أن الثابت من الطقوس التي أوردتها التوراة أن ماء اللعنة لا يعدو أن يكون خليطا من الشعير وتراب الأرض فما هو أثر هذا الخليط في جوف المرأة حتي يمكن أن يحدث هذه التأثيرات الغريبة إن كانت آاثمة أو لا يحدث شيئا إن كانت بريئة ويكاد يجمع علماء مقارنة الأديان إن هذه الطقوس لا تعدو أن تكون خرافة من خرافات زمن بعيد غائر في الجهل وقد نقلت إلي التوراة كما نقل غيرها من الأساطير التي تضمنتها، وحتى المجتمع اليهودي المعاصر فإنه لا يطبق مثل هذه الأساطير لأنها طقوس غير قابلة للتطبيق في مجتمع زالت عنه غيابات الجهل .

وأما عن شريعة اللعان في القرآن فهي في حقيقتها نوع من الإنفصال بين الزوجين في حالة إرتياب الزوج في زوجته دون أن يكون لديه أدلة إثبات الإثم عليها كما قننه الشرع الاسلامي وهو إحضار أربعة شهود يشهدون بواقعة الإثم حال وقوعها.

وغني عن البيان أن المنهج الذي قننه القرآن يستند إلي مخاطبة الضمير والنفس الإنسانية بالحلف بالله أربعة أيمان فإذا تم الحلف من الطرفين

فقــد قــدر الشرع الإسلامي أن جدار الثقة قد تهدم بين الطرفين ومن ثم لا يكــون أمامهم سوي الإنفصال، فضلا عن ذلك فإن الأحكام الواردة بشريعة اللعان في القرآن لا تفصح عن كذب أحدهما أو صدقه ، وإنما يترك أمرهما إلي الله العالم بحقائق الأمور .

وبطرحنا لشريعة الغيرة في التوراة وشريعة اللعان في القرآن يبين لنا البون الشاسع بين أحكام كل من الشريعتين فليس من الصحيح أن يقال أن ما ورد في شريعة القرآن كان تكرارا لشريعة الغيرة في التوراة وإنما هي أحكام خاصة لا يجمعها بشريعة الغيرة أي رباط .

الخصائص الجوهرية للديانة الاسلامية

١ـ ديانة توحيديــة :

كمــا سبق القول فإن الديانة الإسلامية تقوم علي عقيدة ثابتة هي عبادة إلــه واحــد لاشــريك له لم يتخذ ولدا ولا صاحبا فضلا عن ذلك فإن الديانة الإســلامية تقــوم علي أساس تنزيه الله تنزيها كاملا إذ ليس كمثله شئ وهو المــثل الأعلــي أي أن كينونة الذات الألهية مجهولة للبشر وإنما أفعاله قائمة أمــام أعيــنهم وفي نفوسهم فهو الخالق لكل كائن علي وجه الأرض وخالق السموات وهو أزلي ليس له بداية أو نهاية وهو يحد الزمان والمكان ولا يحده الزمان والمكان وهو محيط بالعالم مسيطر عليه يحي ويميت وهو رحيم يغفر الذنوب جميعا ما عدا الشرك به ولكنه منتقم من العصاه والمنافقين والكافرين وهو لا يتجسد و يأبي جلاله أن يتمحور في شكل إنسان أو غيره من الأشكال ولا يجــري عليه ما يجري علي البشر من التناسل وإتخاذ الزوج والولد وهو خــالق الأفعال وعالم بها قبل أن تجري بين مخلوقاته وأن منهجه يمثل العدل

المطلق ولئن كانت بعض الأحداث تجري علي عكس ذلك في بعض الأحيان فـإن مـرده وهم الإنسان وتصوراته الخاصة بينما تقوم الأحداث علي حكمة إلهية لا يدركها البشر بعقله المحدود .

ولقــد حفلت آيات القرآن علي أدلة متعددة لإثبات وجود الله ووحدانيه وقدرته ورحمته و جبروته .

كمــا حفلت آيات القرآن بالآت الدلة علي أن الله هو إله كل المخلوقات لا يفـرق بين البشر بسبب اختلاف عقائدهم أو ألوانهم أو مواطنهم وقد سبق أن أوردنا الآيات الدالة علي الخلق والوحدانية .

٢. ديانة تشريعية :

يتضــمن القـرآن عديدا من الشرائع وقد سبق أن تناولناها في الجزء الخـاص بالمحـتوي العـام للقرآن وهذه الشرائع تعرض لحياه الإنسان منذ ولادته وحتى وفاته فمنها ما يتعلق بأحواله المدنية من جرائم وعقوبات ومن ثم فإن الشريعة الإسلامية شأنها شأن الشريعة اليهودية في كون ك منها من الشـرائع التشريعية ولئن كانت هذه الشرائع فى الكتب المقدسة لم تتضمن إلا القواعد العامة فإن التفصيلات تركت للإجتهاد والتفاسير والشروح

٣- ديانة وسطيـة :

ونقصــد بذلك أن الديانة الإسلامية لا ترتكز أساسا علي ماديات الحياه وشـهوات النفس دون أن تأخذ بصفاء الروح وشفافيتها وإنما هي ديانة تأخذ بمـنهج وسـطي فالإنسان يعيش حياته وينعم بما أفاء الله علي البشر من نعم وملـذات ولكـن في حدود الحلال منها دون المحرمات فضلا عن ذلك فإن القرآن أتاح للمسلم أن يسمو بذاته بعيدا عن الماديات حينما يخلو بنفسه ويقرأ آياته إذ هي تقربه إلي الله لأنها تذكرة بالموت وبالبعث وبالجنة والنار وكلها

عوامـل تدفع الإنسان إلي الزهد والتواصل مع الله ولكنها في نفس الوقت لا تحـض علي التبتل والتعفف الذي يتجاوز الحد ومن ثم لا يقر القرآن الرهبنة أو التصـوف القـائم علـي الإنخطاف الروحي شبه المطلق الذي يقوم علي إعتزال نعم الله أي أن القرآن لا يجيز البعد عن النساء بل يفتح المجال للقرب بين الجنسين فى صور من النكاح ويجيز التناسل بل يشجع عليه ويجيز اتخاذ الزينة للرجال أو النساء وهو في نفس الوقت يحرض علي التسامي في صلة الإنسـان بـربه وفـي أن تكون هذه الصلة قائمة ليلا ونهارا فالصلاة خمس موزعـة بيـن ساعات النهار والليل والصيام مباح طول العام ومفروض في شهر محدد ، والحج وسيلة من وسائل تقريب الإنسان إلي الله في شكل جمعي يأخذ بالافئده .

كما أن القرآن لا يقوم علي أيد لوجية رأسمالية مطلقة أو يسارية مطلقة وإنمـا هـو قـوام بيـن الإقتصـاد الحر والإقتصاد المغلق بمعني أنه يأخذ بإشتراكية خاصة قد لا تتوافق مع النظريات الإشتراكية الحديثة ولكنها تقترب مـنها فلئـن كان المال في عرف الإسلام هو مال الله إلا أنه يباح للمسلم أن يكسب منه ما يشاء وأن يداوله في دروب الحياه دون أن يكنزه ، كما فرض الـزكاه لـتكون عـاملا من عوامل تحديد الثروة وتوزعيها علي المحتاجين والفقراء .

٤- <u>ديانة تبشيرية :</u>

أي أن الديانـة الإسـلامية ليسـت ديانة مغلقة علي المسلمين الأوائل وأنسالهم بل هي تقبل كل من يرغب الإنخراط فيها وتقوم الهيئات الإسلامية فـي جمـيع أنحاء العالم بنشر أحكام الديانة الإسلامية مع ترجمة القرآن وقد أنشـئت لذلـك المسـاجد والمؤسسات الإسلامية وتقوم الدول العربية بنشر مؤلفات عديدة عن الديانة الإسلامية بما تتجاوز الكتب المؤلفة عن القرآن أو

أحكــام الشريعة الإسلامية عشرات الآلاف كما ترسل البعثات التبشيرية إلي المــناطق الجغرافــية التــي لا ترتــبط بأديــان سماوية لتوسعة رقعة الدين الإسلامي.

ولا نســتطيع أن نــنكر أن الفــتح الإســلامي في بداية عهود الخلفاء الراشدين وما تلاها كان يتم بالغزو المسلح لبعض الدول وخاصة دول الشرق وهــذا كــان سببا في تعرف أهل الدول المفتوحة علي أحكام الدين الإسلامي ومنهم من أعتنق الإسلام لكن المسلمين لم يفرضوا الإسلام على شعوب هذه الدول بالقوة.

وغني عن البيان إن كثيرا من المستشرقين كتبوا في الديانة الإسلامية فمنهم من كان محايدا منصفا ومنهم من كان متحاملا وهذه الكتابات أيضا إما أنهــا قربت البعض للإسلام أو باعدت بينهم وبينه بما يبثه المستشرقون من أفكار وآراء قد تجد طريقها إلي بعض العقول .

٥- ديانة تقوم علي طقوس تعبـ ية :

تقــوم كافة الديانات والعقائد التوحيدية وغير التوحيدية على عديد من الطقــوس التــي تتصل بالعبادة وهي في الغالب تتعلق بالصلاة أو الصوم أو بالذبائح أو تحديد أيام خاصة للأعياد ، والديانة الإسلامية شانها شأن كافة هذه الديانــات تقوم علي طقوس تعبدية منها ما يتعلق بالصلاة والتي حدد عددها بخمــس خلال النهار والليل وكل صلاة لها عدد من الركعات قد يختلف عن الاخــري وتستوجب من المصلي القيام والركوع والسجود وقراءة آيات من القــرآن على أن يسبقها طقوس خاصة بالطهارة تتمثل في الغسل من الجنابة وبغسل بعض أعضاء الجسد بالماء وهو ما يسمى الوضوء فإذا لم يوجد الماء الطاهــر أستبدل به الصعيد الطيب أى التراب الطاهر وهناك صلوات أخرى كصلاة العيدين وصلاة الإستسقاء وصلاة الجنازة كما أن الصوم في الإسلام يقوم علي أحكام محددة هو الإمتناع عن الطعام والشراب بدأ من أذان الفجر

وحـتى أذان المغـرب ويضاف إلي ذلك كله الإمتناع عن كل إشتهاء جسدي وكـل لـذه حسية ولو كانت تدخل ضمن نطاق فعل الحلال في غير أوقات الصيام .

وثمـه ركن آخر من أركان الإسلام وهو الحج المتمثل في زيارة الكعبة القائمـة بمديـنة مكة بأرض الحجاز وهى بناء مكعب الشكل داخل المسجد الحـرام ويقتضـي لصحة ركن الحج القيام يالشعائر والمناسك التي سبق أن تناولناها وأخصها الطواف بالكعبة والوقوف بجبل عرفات والسعي بين الصفا والمروة .

تلك هي الطقوس التعبدية التي تتضمنها الديانة الإسلامية.

٦ـ ديانة تقوم علي بعض غيبيات مقدسة :

نعـاود القول بأن معظم الديانات التوحيدية تقوم علي بعض غيبيات لا مجـال لتحلـيلها بمفهوم المنطق أو العقل وإنما هي أحداث مناقضة للناموس الطبيعـي للحياة ويطلب من المعتنقين للديانة الإيمان به وجدانياً باعتبار أنها أسرار الله وتخضع لقدرته وفى الديانة الإسلامية لا تتعدد كثيرا هذه الغيبيات المقدسـة وإنمـا يمكن حصرها كما سبق القول فى موضوعين : الوحي – الإسراء والمعراج وقد سبق أن تناولنا هذين الموضوعين في الفصل الخاص بالمحتوي العام للقرآن .

٧- ديانة تستند إلي الجهاد كركيزة لنشر الدين في بداية الرسالة :

مـن أهـم المسائل الجوهرية التي أثارت جدلاً كبيراً مسألة القتال في القـرآن الكـريم حيث تضمن آيات عديدة تحض علي القتال سبق أن أوردنا بعضـها ودار هـذا الجدل بين المستشرقين والمفكرين الغربيين وبين علماء الإسلام فبينما يذهب الفريق الأول إلي أن الإسلام لم ينتشر بالدعوة الصحيحة

والإقتناع الفكري وإنما بالقتال والقهر وإراقة الدماء يرد علماء المسلمين بأن القتال في القرآن ليس إلا جهاداً في سبيل الله وفي سبيل نشر دعوته، فالمسلمون الأوائل إستجابوا لدعوة الله في القرآن بالجهاد في سبيله ليعبد في الأرض ولم يكن الجهاد لقهر العقول وفرض الدين علي الرافضين له وإنما لفتح الأمصار وعرض الدين علي أهلها فإن آمنوا به دخلوا الإسلام وإن لم يؤمنوا به فلا قهر عليهم في ذلك .

بل إن ثمة توجيهات وردت في القرآن للنبي (ص) بألا يفرض الدين علي أحد إذ ورد في سورة يونس (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس علي الذين لا يعقلون) ٩٩،١٠٠ .

كما أن القتال في الإسلام أو الجهاد بمعني أصح لم يكن إعتداء بل كان ردا لإعتداء أو عقابا علي نكث الإيمان أو العهود أو ردا علي ظلم حاق بالمسلمين من المشركين أو غيرهم من أعداء الإسلام (١) .

٨- ديانة غير كهنوتية :

لا يعترف الإسلام بالكهانة أو بأن ثمة وسيط بين الله والعباد فضلا عن الطقوس التعبدية التي تضمنها الإسلام ليست في حاجة إلى كاهن أو رجل من رجال الدين لأدائها أمام المتعبدين بها، فالصلاة والصوم والزكاة والحج كلها عبادات لا تحتاج إلي أمام خاص من رجال الدين يؤم بها المسلمين بل إن للمسلم الفرد أن يقوم بها .

ولا يقر الإسلام نظام الإعتراف أمام الكاهن فضلا عن أن الزواج لا يتم طبقا لطقوس يقوم بها أحد رجال الدين بل هي مجرد

---

(١) راجع تفصيلا إضافيا عن هذا الموضوع في الفصل الخاص بالمحتوى العام للقرآن .

صيغة تتلي في لحظات من الموظف المختص بتوثيق عقود الزواج وليس من اللازم أن يتم الزواج في مساجد أو بيوت تعبدية بل قد يتم في أماكن اللهو.

وتؤمن الديانة الإسلامية بأنه لا وسيط بين الله والناس ، وهناك خلاف بين علماء المسلمين فى شأن مسألة الشفاعة وهل يجوز للأنبياء وخاصة النبي محمد عليه السلام أن يشفع لأمته أمام الله بعد البعث وعند الحساب ومن الآراء ما تنكر ذلك أخذا بالمبدأ العام أن الله عدل مطلق ولا يقبل شفاعة أحد مهما كانت درجته إليه ليحول المذنب العاصي إلي شخص صالح بينما تذهب آراء أخرى إلي أن الله يفعل ما يشاء ويغفر لمن يشاء ويقبل الشفاعة ممن يشاء .

*** وقد ذكرت الشفاعة في عديد من آيات القرآن :**

١- سورة البقرة (٢٥٥) " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه "

٢- وفي سورة النساء (٨٥) " من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها .."

٣- و في سورة الأنعام (٥١،٧٠) " وأ نذر به الذين يخافون أن يحشروا إلي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون " - " وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون "

وفي سورة يونس جاء بها " ما من شفيع إلا من بعد إذنه " آية (٣)

٥- وفي سورة البقرة " ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " آية (٤٨).

وفيها أيضا " أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة " آية (٢٥٤).

٦- وفي سورة مريم " لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا " آية (٨٧)

٧- وفي سورة طه " يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن " آية ١٠٩ ونفس المعني في سورة سبأ آية ٢٣ .

٨- وفي الزمر " قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض " آية ٤٤ .

٩- وفي سورة الزخرف " ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق " آية ٨٦ .

١٠- وفي سورة النجم " وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضي " آية (٢٦).

وبذلك فإن موضوع الشفاعة مختلف عليها بأن الثابت في القرآن الكريم أن بعض آيات تجيزها بإذن الله وآيات أخري لا تجيزها .

وعلي هدي ما تقدم تكون الديانة الإسلامية ديانه غير كهنوتية لأن الفرد المسلم يمكن أن يؤدي جميع طقوسه التعبدية دون حاجة إلي وسيط .

* التوراة والإنجيل في القرآن

ذكرت التوراة في القرآن ثماني عشرة مرة في سورة :

" آل عمران - المائدة - الأعراف- التوبة- الفتح- الصف- الجمعة ".

والآيات التي ذكرت فيها التوراة كلها آيات مدنية أي نزلت في المدينة ما عدا الآية ١٥٧من سورة الأعراف فهي مكية .

وفيما يلي بعض نصوص القرآن فيما يتعلق بالتوراة :

١- يخاطب الله النبي محمد (ص) في سورة آل عمران " نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل " آية(٣).

٢- وفي سورة المائدة " وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين " آية (٤٣).

٣- " إنا أنزلنا التوراة فيها هدي ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا (المقصود اليهود) والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس وأخشون ولا تشتروا بأياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " آية ٤٤ (المائدة) .

٤- وفي سورة المائدة " قل يا أهل الكتاب لستم علي شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل و ما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس علي القوم الكافرين " آية ٦٨ .

٥- وفي سورة الأعراف " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون" آية ١٥٧

٦- و في سورة التوبة " إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرءان " آية (١١١).

٧- وفـــي سورة الجمعة " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمـــار يحمـــل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بأيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين " آية (٥).

ويؤخـــذ ممـــا ورد بالآيات السابقة أن القرآن يقر التوراة وبأنها كتاب منزل بل يقر أيضا بأن ما ورد فيها من أحكام هي أحكام الله ولكنه في آيات أخري يشير إلي أن التوراة قد حرفت .

" **فويل** للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون " البقرة ٧٩ .

وفـــي ســـورة النســـاء " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولـــون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم " آية ٤٦.

وفي سورة المائدة ورد بالاية رقم ١٣ عن بني إسرائيل :

" فـــبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع علي خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين "

ثانياً : و كر الإنجيل في القرآن إثنتى عشرة مرة في سور :

آل عمران – المائدة – الأعراف – التوبة – الفتح – الحديد .

وفيما يلى بعض نصوص القرآن فيما يتعلق بالإنجيل :

١- " ولـــيحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " المائدة ٤٧ .

٢- " ثـــم قفيـــنا علـــي ءاثارهم برسلنا وقفينا بعيسي ابن مريم وءاتيناه الإنجـــيل وجعلـــنا فـــي قلـــوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية

ابــتدعوها مـــا كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايــتها فأتينا الذين ءامنوا منهم أجرهم وكثيرمنهم فاسقون " الحديد آية ٢٧ .

٣- وورد في سورة آل عمران عن المسيح عليه السلام " ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل " آية ٤٨ .

٤- وفي الآية ال(٥٠) من سورة آل عمران عن السيد المسيح " ومصدقا لمـــا بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون " .

٥- وفي سورة المائدة آية رقم ١١٠ :

" إذ قـــال الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلي والدتك إذ أيدتـــك بـــروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمـــة والتوراة والإنجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتـــنفخ فـــيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخـــرج الموتي بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين " .

٦- وفي سورة المائدة " وقفينا على ءاثارهم بعيسي ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وءاتيناه الإنجيل فيه هدي ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدي وموعظة للمتقين " آية ٤٦ .

ويؤخـــذ مما ورد في القرآن عن الإنجيل أنه كتاب منزل علي المسيح علـــيه السلام من عند الله وأن فيه من الأحكام والقواعد ما يتوافق مع أحكام التوراة وشرائعها بما يعني أن الإنجيل إمتداد للتوراة .

وغنـــي عـــن البيان أن وصف القرآن للإنجيل يختلف اختلافا بينا عن وصف أهل الديانة المسيحية لأناجيلهم، فبينما القرآن يصفه بأنه كتاب مقدس منزل من عند الله علي المسيح عليه السلام ومصدق لما بين يديه من التوراة

إلا أن الديانـــة المســيحية لا تعتبره كتابا منزلا من الله بل هو سرد قصصى لحــياة المســيح علــيه السلام كتبها بعض اتباعه وسردوا فيها أقوال المسيح وأحداث حياته ومن ثم صارت هذه الأناجيل مقدسة لديهم بإعتبار أنها تتضمن قصة حياته وبعضا من أقواله وتنكر الديانة المسيحية أن يكون الإنجيل منزلا مــن الله علــي أساس أن عقيدتهم تتمثل فى أن المسيح هو الله وليس نبيا أو رسولا .

تم بحمد الله

نبذة عن المؤلف

١ ــ حصل على ليسانس الحقوق بتقدير جيد جداً من جامعة القاهرة.

٢ ـ عيــن بالقضاء وتدرج فى مناصبه حتى وصل إلى درجة نائب رئيس محكمة النقض

٣ ــ ندب أثناء عمله بالقضاء : ــ

أ ــ بإدارة التفتيش القضائى

ب ــ بالأمانة العامة للأدارة القانونية بالقطاع العام

ج ــ رئيساً للمكتب الفنىَ لمحكمة النقض

د ــ أميناً عاماً مساعداً لمجلس القضاء الأعلى

٤ ــ قــام بإلقاء محاضرات فى القانون على السادة القضاة بمعهد الدراسات القضائية، وعلى طلبة كلية الحقوق ــ جامعة القاهرة.

٥ ــ كُلف من قبل التليفزيون المصرى وإذاعة الشباب والرياضة بالرد على العديد من الاستشارات القانونية.

٦ ــ نشر بالصحف المصرية والخليجية (دولة قطر) عشرات من المقالات فى موضوع مقارنة الأديان.

للمؤلـــــف

* نظرية الطعن بالنقض المدنى

]]

تحت الطبــــع

* الجنس المحرم فى التوراة وأسفار الأنبياء.

* فهرس الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم.

* فهرس الأسماء والأعلام فى العهدين القديم والجديد.

* دراسة مقارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة.

٣٧	د/ خيرية قاسمية	النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه
٣٨	د ج هرتز	في الفكر اليهودي ترجمة ألفريد يالوز)
٣٩	د/ زكريا سليمان	الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية
٤٠	د/ سعيدة محمد حسني	اليهود في مصر
٤١	د/ سلام شافعي	أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي
٤٢	سلامة موسى	حرية الفكر
٤٣	شارل جينيبر	المسيحية نشأتها وتطورها (ترجمة د/عبد الحليم محمود)
٤٤	صبحي الصالح	مباحث في علوم القرآن
٤٥	د/ طه حسين	مرأة الاسلام
٤٦	د/ طه حسين	علي هامش السيرة (جزء١،٢)
٤٧	د/ طه حسين	في الأدب الجاهلي
٤٨	د/ عائشة عبد الرحمن	نساء النبي
٤٩	عباس العقاد	العبقريات
٥٠	عباس العقاد	عقائد المفكرين في القرن العشرين
٥١	عباس العقاد	الفلسفة القرآنيه

٧٤	مسلم	صحيح مسلم
٧٥	مناع القطان	مباحث في علوم القرآن
٧٦	مونتجمري وات	محمد في مكة ومحمد في المدينة . تعريب شعبان بركات
٧٧	مونتجمري وات	الاسلام والمسيحية في العالم المعاصر. (ترجمة د/عبد الرحمن الشيخ)
٧٨	نبيل عبد الحميد سيد	اليهود في مصر
٧٩	د/ وليم فهمي	الهجرة اليهوديه إلي فلسطين

بالاضافة الي المراجع المبينة بمتون وهوامش الكتاب

2	Blachere	Le Coran.
3	Barakat Ahmed	Mohammed And the jews.
4	Britsh encyclopedia	Art Mohammad.
5	Dr. Bruce . B.Barton and others وراجعه Dr. Kenneth Kantzer أستاذ علم اللاهوت كلية ترينتي الإنجيليه في العلوم اللاهوتيه وغيرهم من أساتذة اللاهوت والفلسفة والديانة المسيحية وتاريخ الأديان .	Life Application Bible.
6	Casanova	Mohammed et la fin du monde.
7	Emile Demenghem	La vie de Mohammed.
8	Emmanuel Hayma nn	Au coeur De l integrism juis . France , Israel , Etats unis – (الأصولية اليهودية – كما ترجمها ا/ سعد الطويل .. الهيئة العامة للكتاب)

م	أسم المؤلف	اسم المرجع
9	Oxford university	The Relations between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam .
10	Forgeon mourice	Les juifs en Egypt depuis les origines jusqu a ce jour le caire 1993 .
11	Goitein	Jews and Arabs.
12	Greatz Heinrich	History of jews.
13	Jacob Mlandow	The jews in the ninteenth century .
14	Jacques pirenne	La societe hebraique d' Apres la Bible.
15	Margliouth	Mohammad
16	Maxime Rodinson	Mohammed Anne carter(ترجمة)
17	Marius schattner	Histoire de la droit Israelienne.
18	Montgomery Walt M.	Islamic Revelation in the modern World.
19	Theodore Noldeke	Geschichte des Qorans.
20	Washington Airving	Life of Mohammed.
21	Sir. William Miur	Life of Mohammed.
22	William miur (london 1878)	The Coran its composition and teachings .

المقدمة ١

المبحث الأول
الصراعات الدينية
مصادر البحث ٥

التوراة ١٦

الإنجيل ١٧

القرآن الكريم ١٩

العلاقة بين الكتب الثلاثة ٢٢

المبحث الثاني
التوراة ٣٢

التعريف بالتوراة ٣٤

أسفار التوراة ٣٤

(١) **سفر التكوين** ٣٤

خلق حواء ٣٦

نوح والطوفان ٣٩

إبراهيم ٤٠

سارة وهاجر ٤١

الختان ٤١

حوار إبراهيم مع الله ٤٢

قصة لوط ٤٢

اضطجاع بنات لوط مع أبيهما ٤٣

إبراهيم وأبيمالك ٤٣

إلقاء هاجر بالصحراء ٤٤

التضحية بالابن ٤٤

عيسو ويعقوب ٤٥

يعقوب يتزوج بالأختين وبالجاريتين ٤٦

ولادة يوسف ٤٧

مصارعة يعقوب لله ٤٧

زنا ابنة يعقوب ٤٧

تميز أبناء إسحق ٤٨

قصة يوسف ٤٨

حلم فرعون	٤٩	زواج موسى
يعقوب ورحيله إلى مصر	٥٠	ظهور الله لموسى
الشخصيات الرئيسية في السّفر		الله يأمر بني إسرائيل بسلب المصريين ونهبهم
آدم	٥٢	موسى والعصا
حواء	٥٤	موسى وفرعون
نوح	٥٥	التوراة والتميز بين المصرين وابناء إسرائيل
لوط	٥٥	الخروج من مصر
إبراهيم	٥٥	انشقاق البحر
يعقوب (إسرائيل)	٥٦	الرب يقف علي الصخرة
تعليق عام		حرب العماليق
تواريخ تقريبية	٥٧	حقائق عن الخروج
معلومات هامة بالنسبة لسفر التكوين	٥٧	إله موسى ينزل علي جبل سينا (الوصايا العشر)
(٢) **سفر الخروج**	٥٨	**الشريعة في سفر الخروج**
موسى والنهر وإبنة فرعون	٥٩	أحكام الرق
موسى يقتل مصريا	٥٩	القتل العمد والقتل الخطأ

الضرب	٦٩
إجهاض الحوامل	٧٠
محاكمة الثيران	٧٠
السرقة	٧٠
الاضطجاع مع العذراء	٧٠
أحكام متفرقة	٧١
شيوخ إسرائيل يرون الله	٧١
موسى يصعد إلى الجبل ويأخذ لوحي الوصايا	
بيت الإله	٧٢
عجل الذهب	٧٣
حوار بين الله وموسى .. ارني وجهك	٧٣
نحت ألواح جديدة	٧٤
تعليق عام	٧٥
الوصايا العشر	٧٨
تواريخ هامة	٧٨
أهم الشخصيات في سفر الخروج	٧٨
(٣) **سفر اللاويين**	٧٩
شرائع الذبائح	٨٠
شرائع التطهر من النجاسات	٨٠
النهي عن كشف العورات	٨١
تحريم عبادة الأوثان	٨١
النهي عن الزنا	٨٢
سب الوالدين	٨٢
الأعياد المقدسة	٨٢
عدم استرقاق اليهود	٨٣
شعب الله المختار	٨٣
تعليق عام	٨٥
(٤) **سفر العدد وعدد إصحاحاته ستة وثلاثون إصحاحا**	٨٧
شريعة الغيرة	٨٧
اشتياق شعب إسرائيل لمصر	٨٧
زواج موسى من إمرأة كوشية	٨٨
جواسيس إلي أرض فلسطين	٨٨
التيه في صحراء سيناء لمدة أربعين عاما	٨٩
تعليق عام	٩٠

الوعد بنبي بعد موسى	٩٢	سِفْر صموئيل الأول
شرائع حصار وفتح المدن	٩٣	سِفْر صموئيل الثاني
شرائع حصار وفتح مدن الأرض الموعودة	٩٣	رفض رب إسرائيل بناء داود لهيكله
شرائع أخرى	٩٤	سفر الملوك الأول
أحكام في الزواج والطلاق والقضاء	٩٥	بيان تفصيلي للهيكل
زواج الأخ من أرملة أخيه(حكم مخلوع النعل)	٩٥	زوجات سليمان عبادة الأوثان مرة أخرى
أيام موسى الأخيرة	٩٥	مصر ومملكتا إسرائيل
ظهور الرب عند خيمة الاجتماع	٩٦	إقامة الأموات – معجزة نسبتها التوراة وكتب الأنبياء إلى البشر
دفن موسى	٩٦	سفر أخبار الأيام
تعليق عام	٩٧	سفر المزامير
أنبياء بني إسرائيل	١٠٠	تعليق عام علي كتب وأسفار الأنبياء
سِفْر يشوع	١٠١	

التوراة	
كاتب التوراة	١١٨
الأساطير التوراتية	١٢٠
لفائف وادي قمران	١٢٣
الجماعات والفرق اليهودية	١٢٤
العقيدة الإلهية في التوراة	١٢٦
الله والنار	١٢٦
طبيعة الذات الإلهية في التوراة	١٢٧
في سفر الخروج	١٢٩
في سفر اللاويين	١٢٩
نبي اليهودية موسى عليه السلام	١٣٤
آراء علماء اليهود في شأن موسى والتوراة	١٣٥
الإيمان بإله موسى	
الخصائص الجوهرية للديانة اليهودية	١٤٠
خلو العقيدة اليهودية في التوراة من البعث	١٤٠
خلو التوراة من عقيدة الثواب والعقاب	١٤٠
الطقوس	١٤١
العنصرية الدينية القومية	١٤٢
المادية والبعد الأخلاقي في التوراة	١٤٣
المنهج الأسطوري في التوراة	١٤٤
الديانة اليهودية ديانة مغلقة	١٤٥
خلو التوراة من عقيدة المَسيا المخلص	١٤٦
المبحث الثالث الإنجيل	١٥٤
نظرة عامة	١٥٧

الموضوع	صفحة	الموضوع
ظهور الأناجيل	١٥٩	يوحنا يسأل عن المسيح
إنجيل متى		إتهام يسوع من
ولادة المسيح	١٦٥	يسوع في أيدي الجنود
تعميد يسوع	١٦٧	صلب المسيح
يسوع وإبليس	١٦٧	دفن يسوع وقيامته
التلاميذ الأولون	١٦٨	هل سرق التلاميذ جثمان يسوع وادعوا قيامته؟
إكمال الناموس	١٦٨	المسيح يظهر لتلاميذه
الزنا والطلاق	١٦٩	الثالوث
القصاص وحب الأعداء	١٧٠	**تعليق عام علي إنجيل متى**
الصدقة والصلاة والصوم	١٧١	شخصيات هامة في إنجيل متى
دعوة إلى التواكل والاعتماد علي الله	١٧١	متى كاتب الإنجيل
الأنبياء الكذبة	١٧٢	يوسف النجار
أمثال الإنجيل	١٧٢	**إنجيل مرقس**
شفاء المرضى	١٧٢	الحياة الأبدية
إحياء ميتة وشفاء الأعمى	١٧٣	توقيت وعلامات مجيء
تلاميذه الإثنى عشر	١٧٣	المسيح ينكر انه ابن داود
السلام والسيف	١٧٤	العشاء الأخير ونبوءة المسيح عن يهوذا

الجسد والدم	٢١٣
صلب المسيح فى	٢١٤
المسيح يحاول مع الله لإنقاذه	٢١٤
القبض علي المسيح	٢١٥
موت المسيح	٢١٧
يوسف يتسلم جسد المسيح	٢١٧
حديث الإنجيل عن قيامة المسيح	٢١٨
تعليق عام	٢١٩
إنجيل لوقا	
تلخيص كامل لإنجيل	٢٢٣
تعليق عام	٢٢٦
شخصيات هامة في إنجيل لوقا	٢٢٩
يوحنا المعمدان	٢٢٩
إنجيل يوحنا	٢٣١
كاتب الإنجيل	٢٣١
هدم الهيكل وبناؤه	٢٣٣
المرأة السامرية	٢٣٣
الزانية والمسيح	٢٣٤
موت العاذر	٢٣٦
المسيح يغسل أقدام تلاميذه	٢٣٧
هل هي الجنة	٢٣٧
حلول الآب في الابن	٢٣٨
الوعد بالروح القدس	٢٣٨
المسيح يصلي	٢٣٨
دفن المسيح وقيامته	٢٤٠
ظهور المسيح لتلاميذه	٢٤١
يوحنا لم يذكر حادثة الصعود	٢٤١
التوافق والاختلاف بين الاناجيل	٢٤٢
كلمة تمهيدية	٢٤٣

ميلاد السيد المسيح وسلسلة أنسابه	٢٤٣	الخصائص الجوهرية للديانة المسيحية	٢٧٢
نسب المسيح	٢٤٤	ديانة تقوم على الآلام والأحزان	٢٧٢
هروب العائلة المقدسة إلى ر	٢٤٥	ديانة توحيدية قائمة على التثليث	٢٧٤
محاكمة المسيح	٢٤٦	الديانة المسيحية ديانة تبشيرية	٢٧٧
قيا ة المسيح	٢٤٧	ديانة تقوم على غيبيات مقدسة لا تخضع للغة العلم والمنطق	٢٧٩
ظهور المسيح بعد القيامة	٢٤٩	الديانة المسيحية ديانة كهنوتية	٢٨٠
الصعود إلى السماء	٢٥٠	الديانة المسيحية ديانة غير تشريعية	٢٨١
النبوءات المسيانية عن المسيح	٢٥١	الديانة المسيحية تستمد جذورها من الديانة اليهودية	٢٨٢
النبوءة التوراتية	٢٥٤	الديانة المسيحية تتسم في أصولها بالحب والسلام وتتسم في تطبيقاتها بالمجازر الرهيبة عبر التاريخ	٢٨٤
معجزات المسيح	٢٥٦	الديانة المسيحية ليست ديانة عنصرية	٢٨٥
التعاليم والشرائع في الأناجيل	٢٥٨	**المبحث الرابع القرآن الكريم**	٢٨٦
المسيح والعقيدة الإلهية في المسيحية	٢٦٠	مصدر التسمية	٢٨٧
الحركات المسيانية عبر التا	٢٦٩	الحديث القدسي	٢٨٩

الحديث النبوي	٢٩٠	آيات القضاء والقدر في	٣١٥
الوحـــــي	٢٩٠	القضـاء والقـدر عـند مونتيجمري وات	٣١٨
مـدى مصـداقية وقـوع الوحي	٢٩٢	النار في القرآن والتوراة صـورة مـن النصـوص	٣٢٠
ماهية الوحي	٢٩٢	محاولات بعض المفسرين	٣٢٢
الوحي القرآني	٢٩٣	التفسير الباطني	٣٢٢
الوحـــــي في نظـــر	٢٩٤	مثال للتفسير الصوفي	٣٢٣
آيات الوحي في القرآن	٢٩٦	تفسير الشيعة الإمامية	٣٢٣
الآيـات القرآنـية لمـلاك الوحي	٢٩٧	الخـــــوارج	٣٢٤
الوحي ومرض الصرع	٢٩٩	مرحلة تدوين التفسير	٣٢٥
نـزول القـرآن وجمعـه وتدوينه	٣٠٠	الناسـخ والمنسـوخ في القرآن	٣٢٦
القــــرآن في رأي المستشرقين	٣٠٣	الآيـات القرآنـية الدالـة علي النسخ	٣٢٩
نظـــم القــــرآن	٣٠٥	التصـوير الاستشـراقي للنسخ	٣٣٠
بيانات إحصائيـــة	٣٠٦	الجنة والنار في القرآن	٣٥٩
تفسير القــــرآن	٣٠٨	القرآن والتواكل والقعود	٣٦١
المحكم والمتشابه	٣١١	عن العمل و الإبداع	

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
القرآن المكي وتحريم الربا والخمر	٣٦٢	آيات العتاب في القرآن	٣٨٠
الرق في القرآن	٣٦٣	أراء المستشرقين في بعض المواقف فى حياة محمد	٣٨٤
الجانب الأخلاقي في القرآن	٣٦٤	تعدد زوجاته	٣٨٥
العقيدة الإلهية في القرآن	٣٦٥	إراقة دماء الأسرى وخاصة اليهود منهم	٣٨٩
زيارة الكعبة وليس عبادة الكعبة	٣٧١	قصة الغرانيق	٣٩٣
التوراة والقرآن لا يعترفان بسقوط البشر بسبب خطيئة أدم	٣٧٣	السرايا والغزوات في حياة نبي الإسلام محمد (ص)	٣٩٥
القرآن يحث المسلمين علي الفكر والنظر والتأمل	٣٧٣	محمد والمستشرقون	٣٩٦
الملائكة	٣٧٤	**التطابق والتوكيد في القرآن الكريم**	٤٠١
محمد نبي الإسلام (عليه السلام)		أولا: التطابق والتوكيد فى القرآن الكريم	٤٠٢
النسب ثم قصة الوحي	٣٧٦	إبراهيم	٤٠٢
قصة الإسراء والمعراج	٣٧٧	بعض أسماء الأعلام في القرآن الكريم	٤١٧
المقصود بالمسجد الأقصى	٣٧٩	**ثانيا: التطابق والتوكيد بين نصوص التوراة وبين نصوص القرآن (دراسة مقارنة)**	٤١٩
الهجرة إلى المدينة	٣٨٠		

الموضوع	صفحة
الخلق والتكوين في التوراة	٤١٩
الخلق والتكوين في القرآن	٤٢٢
قصة إبراهيم في التوراة وفي القرآن	٤٢٦
قصة لوط في التوراة	٤٢٧
قصة لوط في القرآن	٤٢٨
شريعة الغيرة في التوراة	٤٢٩
شريعة اللعان في القرآن	٤٣٠
الخصائص الجوهرية للديانة الإسلامية	٤٢٢
ديانة توحيدية	٤٣٢
ديانة تشريعية	٤٣٣
ديانة وسطية	٤٣٣
ديانة تبشيرية	٤٣٤
ديانة تقوم علي طقوس تعبدية	٤٣٥
ديانة تقوم علي بعض غيبيات مقدسة	٤٣٦
ديانة تستند إلى الجهاد كركيزة لنشر الدين في بداية الرسالة	٤٣٦
ديانة غير كهنوتية	٤٣٧
التوراة والإنجيل في القرآن	٤٣٩
نبذة عن المؤلف	٤٤٤
مؤلفات	٤٤٥
المراجع	٤٤٦
الفهرس	٤٥٣

ملحوظة

حدثت أخطاء طفيفة عند طبع الكتاب رغم المراجعات المستمرة وهى لا تخفى عن بصيرة القارىء ونعتذر عن عدم امكان تصويبها. والكمال لله وحده.

رقم الايداع بدار الكتب (١٤٤١٩ / ٢٠٠١)

تصويبـــــات

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطـــأ	الصــــواب
٢٤	الهامش	قا	قال
٢٤	الهامش	ق	قل
٢٤	الهامش	رسو	رسول
٤٩	١٦	ثلاث	ثلاثة
٥١	١٣	لم يستطيع	لم يستطع
٦٤	٢٠	اشقاق	انشقاق
٦٦	٨	تبرير	التبرير الوارد فى الهامش
٦٦	١٤	الأميين	الآمميين
٨٠	٢١	برأ	شفى
٩٠	٣	خمسين	خمسون
١٣٩	الهامش	ثانى ملك	ثالث ملك
١٤٥	١٨	مما لا يدينون	ممن لا يدينون
١٤٨	٤	المؤلف	الدكتور مكرم نجيب
١٦٣	١	المصادر المسيحية	وتؤكد المصادر المسيحية
٢٢٦	٢	إذا لم	اذ لم
٢٢٦	٢٠	تنكره	تذكره
٢٣١	١٦	ابنه	ابنة
٢٤٩	٦	هذا القصة	هذه القصة
٢٧٢	١٢	دماءه	دماؤه
٢٧٤	١٩	يزي	يزيل
٣١٢	١١	أى عضو	أى باللسان والفم
٣٣٦	٤	فأخذك	فأخذ كل
٣٤٠	٦	ق	قال
٣٧٠	١٠	ق	قل